الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
ⴰⵖⵏⴰⵡⵉⵙⵏ ⵏ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⴰⵎⴰⵙⵙⴰⵏ ⴷ ⵜⵙⵙⵏⵉⵡⵉⵏ
ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵔⵜ ⵜⴰⵏⵎⵓⵔⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵔⵜ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵎⴻⵔⵉ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ

جامعة مولود معمري - تيزي وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et Littérature Arabes

التخصص: الأدب والدراسات النقدية المغاربية
الفرع: دراسات نقدية

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه(ل م د)

الموضوع :

إعداد الطالب: عبدالحق قناوي

نظام الشخصيات في الرواية المغاربية

لجنة المناقشة:

أ.د/ مصطفى درواش، أستاذ التعليم العالي، جامعة مولود معمري تيزي وزو..... رئيساً
د/ نبيلة زويش، أستاذة محاضرة صنف أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو..... مشرفًا ومقررًا
أ.د/ نورة بعيو، أستاذة التعليم العالي، جامعة مولود معمري تيزي وزو.....عضوًا ممتحنًا
د/ نسيمة لعداوي، أستاذة محاضرة صنف أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو.....عضوًا ممتحنًا
د/ عبدالقادر لباشي، أستاذ محاضر صنف أ، جامعة آكلي محند أولحاج البويرة... عضوًا ممتحنًا

تاريخ المناقشة: 2021/06/02

الإهـــداء

أهدي هذا العمل

إلى اللذين جعل الله طاعتهما ورضاهما بعد طاعته ورضاه " أمي وأبي"

إلى كل إخوتي

إلى كل أساتذتي بجامعتي البويرة وتيزي وزو وبالأخص الأستاذة المشرفة "نبيلة زويش"

إلى كل أصدقائي وزملائي في الدراسة بالأخص "الحاج أحمان" و "زواوي مسعود"

إلى كل المنتمين إلى الاتحاد العام الطلابي الحر فرع البويرة

شكـــر وعرفان

اللهم لك الحمد والشّكر كما ينبغي لجلال وجهك

وعظيم سلطانك

أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة "نبيلة زويش" وكل أعضاء اللجنة المُناقِشة كما لا يفوتني أن أشكر كل أساتذة تخصص "الأدب والدراسات النقدية المغاربية"، شكري الخالص أيضًا لكلّ من علّمني حرفًا في هذه الحياة وكان له فضل كريم عليّ لأصل إلى هذا المقام.

مقدمة

مقدمة:

تزامن تطور الأدب منذ القديم مع تطور النقد منذ أن كان الأدب يُحفظ ويُتداول شفاهة وكان النقد كذلك، واستمرت العلاقة التلازمية بينهما إلى أيامنا، فكلما جادت قريحة المبدعين بنصوص أدبية في متون وأجناس أدبية مختلفة، أوجد النقاد آليات نقدية لدراستها علما أنّ الرواية هي الجنس الذي يعرف انتشارا كبيرا في عصرنا، ولم تصل الرواية إلى هذه المكانة مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى إلا بما جازته من اهتمام نقدي ودراسات مستمرة استثمرت مشاريعها النقدية من مقومات وخصائص الخطاب الروائي، وعليه كان للمناهج النقدية المعاصرة وآلياتها دورٌ كبير في استئثار الرواية بمرتبة الريادة، وبخاصة بعد تركيز النقد السميائي عليها والاشتغال على كل مكوناتها.

وبرزت ضمن تحليلات السميائية السردية دراسة الشخصية باعتبارها مكونا محوريا انطلقت منه البحوث الشكلانية التي راجعها غريماس مستبدلا عنصر الوظيفة بالدور والعامل، استمرت الدراسات وكان من أبرزها اقتراح "فليب هامون" للنظام السميولوجي للشخصية باعتبارها علامة يجري عليها ما يجري على العلامة اللسانية، وأعطى لهذا الكائن الورقي المتخيل بطاقة دلالية يكتمل من خلال عنصريها دال ومدلول هذه الشخصية ولهذا تُرجِم بحثه إلى العربية ضمن كتاب "سميولوجية الشخصيات الروائية" لصاحبه الناقد المغربي "سعيد بنكراد" إضافة إلى كتب أخرى وبحوث في هذا الموضوع، من أجل أن يكون مشروع فليب هامون عن الشخصية الروائية أكثر وضوحًا وسهولة للدارس باللغة العربية أثناء تطبيقه على الإبداعات الروائية العربية، فهذه الأخيرة لم يُدرس فيها عنصر الشخصية الروائية قبلاً إلاّ من خلال المناهج السياقية القديمة حتى وقت قريب مع انتشار مؤلفات سميولوجيا الشخصية المترجمة وغير المترجمة، فظهرت بعض الدراسات التطبيقية لأعلام في المنهج السميائي مثل دراسة بعنوان "سميولوجية الشخصيات السردية – رواية الشراع والعاصفة– أنموذجاً" للناقد سعيد بنكراد، غير أننا لاحظنا قلّة الدراسات لهذا العنصر خاصة في المتون الروائية المغاربية، لذلك اخترنا الخوض في هذا الموضوع بالإضافة إلى ميولاتنا الشخصية للدراسات السميائية، وقد انتقينا نماذج إبداعية من الرواية المغاربية وأخذنا مدونة من كل بلد من بلدان المغرب العربي الخمسة (الجزائر، تونس،

المغرب ليبيا، موريطانيا) وكان اختيارنا مبنيا على أن تكون النماذج موزعة على العقود الخمسة الأخيرة من عمر الرواية المغاربية حتى لا تكون العينة محصورة في فترة زمنية قصيرة.

وقع الاختيار على هذه النماذج بالضبط من بين كل إبداعاتهم الأخرى ليس إلاّ لأنّها تتوافق وما نريده للتطبيق عليه في الدراسة، أمّا ترتيبها في الدراسة من حيث التقديم والتأخير فكان بناء على زمن نشرها من الأحدث إلى الأقدم، وهي كالآتي: (**رواية "الطلياني" التونسية لشكري المبخوت، رواية "الآفة " المغربية لعبد الله العروي، رواية "الشمعة والدهاليز" الجزائرية للطاهر وطار، رواية "التبر" الليبية لإبراهيم الكوني، رواية "الأسماء المتغيرة" الموريطانية لأحمد ولد عبدالقادر**) وبالتالي كان عنوان البحث "**نظام الشخصيات في الرواية المغاربية**" والذي تولدت عنه الإشكالية المتجسدة في هذه الأسئلة: ما هو نظام الشخصية في الإبداع الروائي المغاربي؟ وما دوالها ومدلولاتها؟ وما طبيعة العلاقة بينهما؟ وما هي طريقة تجليها للقارئ داخل المتن الروائي؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا آليات المنهج السميائي وانتقينا مشروع "فليب هامون"على أساس أنه يبدو أكثر شمولية من الآليات السابقة – وظائفية بروب والاشتغال العاملي عند غريماس– في دراسة عنصر الشخصية أمّا الخطة التي اعتمدناها فهي مبنية على تقسيم الدراسة إلى خمسة فصول تطبيقية بدأناها بمدخل حاولنا من خلاله تتبع المسار التاريخي لعنصر الشخصية بشيء من الاختصار المفيد في الدراسات والمناهج النقدية النسقية مع الوقوف عند أهم الأعلام الذين أثَّروا ببحوثهم وآرائهم في تطور الدراسات الأدبية حول عنصر الشخصية، فكانت آراؤهم بمثابة الأسس التي وضع عليها "فليب هامون" مشروعه، ثم انتهينا إلى محتوى مشروعه السميائي وأهم أدواته الإجرائية.

تناولنا في الفصل الأول بالدراسة رواية "**الطلياني**" ضمن ثلاثة عناوين رئيسة أوّلاً "مدلولات الشخصيات، ثم ثانياً مستويات وصف الشخصيات الذي تعرضنا فيه لدراسة البنية العاملية للرواية في مجموعة من الترسيمات والمثلثات العاملية، ثمّ ثالثاً دوال الشخصيات الذي عالجنا فيه معاني أسماء شخصيات الرواية ومدى تطابقها والسمات التي

تميزت بها داخل الرواية، كما خصصنا الفصل الثاني لدراسة الرواية المغربية "**الآفة**" والفصل الثالث للرواية الجزائرية "**الشمعة والدهاليز**" أمّا الفصل الرابع للرواية الليبية "**التّبر**"، والفصل الخامس والأخير للرواية الموريطانية "**الأسماء المتغيرة**"، تميزت الفصول عن بعضها البعض بالاختلاف في عدد المربعات السميائية المستعملة في كل فصل وعدد الترسيمات العاملية وانزياحاتها والمثلثات العاملية، مع تذييل كل فصل بحوصلة موجزة لنتائج التحليل، وأنهينا الدراسة بخاتمة تتضمن كل النتائج المتوصل من الفصول الخمسة ثم ملحقا يتضمن ملخصات الروايات المدروسة ثم قائمة المصادر المراجع، وأخيرا فهرس للمحتويات.

أما بالنسبة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدناها في بحثنا نذكر منها "سميولوجية الشخصيات الروائية" لفليب هامون ترجمة سعيد بنكراد، وكتاب "سميولوجية الشخصيات السردية (رواية الشراع والعاصفة أنموذجاً) " لسعيد بنكراد أيضاً، وكتاب "الاشتغال العاملي – دراسة سميائية– لرواية غدا يوم جديد" للسعيد بوطاجين، وكتاب "الاتجاه السميائي في نقد السرد العربي الحديث" لمحمد فليح الجبوري، وأيضا "معجم السميائيات" لفيصل الأحمر وكتاب "الشخصية في المسرح المغربي بنيات وتجليات" لعز الدين بونيت، و"السميائيات السردية" لرشيد بن مالك، دون أن ننسى اطلاعنا على بحث الدكتوراه الذي أنجزته المشرفة بتطبيقها للنظام السميولوجي كما اقترحه فليب هامون.

اعترضتنا مثل العديد من الخائضين في مجال البحث العلمي صعوبات نذكر منها إشكالية المصطلح التي تبرز بقوة في المناهج النقدية المعاصرة في الوطن العربي لأسباب عديدة ومختلفة أبرزها منهجية الترجمة، وكذلك صعوبة الحصول على المصادر والمراجع في هذا الموضوع بسبب قلّتها، إضافة إلى ضيق الوقت الذي لم يكف لجمع أكثر قدر من المصادر والمراجع والتعمق في دراسة النماذج.

وإنّه لَمِن الواجب تقديم الشكر لمَنْ لهم فضلٌ علينا في الوصول إلى هذا المقام فالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة نبيلة زويش التي كانت بمثابة الأم التي تُثمِّن جُهد المثابرة منّا بفرحها لكل خُطوة خطوناها متقدمين في البحث، ودعمها لنا بأهم المصادر

والمراجع، الشكر موصول أيضًا لكل أساتذة التخصص الأستاذة نورة بعيو والغائب الحاضر في القلب الأستاذ شعباني الوناس _ رحمه الله_ وعلى رأسهم رئيس المشروع الأستاذ مصطفى درواش.

أخيراً عزاؤنا في أي نقص أو ثغرة وُجِدت في هذا العمل أنّنا اجتهدنا وثابرنا قدر المستطاع ، فما وُفِّقنا في إنجازه كان بفضل من الله ثم تكوين أساتذتنا، وما وُجد من نقص فمن أنفسنا.

والله ولي التوفيق

مدخل: المرجعيات السميائية السردية لمشروع الشخصية عند فليب هامون.

1. وظائفية فلاديمير بروب.
2. الاشتغال العاملي عند الجيرداس جوليان غريماس.
3. المشروع السميائي للشخصية السرّدية عند فليب هامون.

لا يمكن الحديث عن مسألة الأصول النظرية للسميائية السّردية وعنصر الشخصية فيها دون ذكر الدّعم المنهجي والتصور النظري العميق الذي قدمته مدرسة الشكلانيين الروس، والتي تأسست في الفترة القصيرة ما بين سنة 1915 و1930، إذ قدمت بحوثا قيمة كانت بمثابة القاعدة الصلبة التي اعتمدها التحليل السميائي للخطاب السردي في تفسير مختلف أشكاله وتمظهراته، وهذا بعدما حدّد الشكلانيون الروس المعطيات الدقيقة التي يمكن من خلالها الحكم على خطاب ما بأنّه أدبيّ، ومنذ أن أعلن رومان جاكبسون قائلا: « إن موضوع علم الأدب ليس هو الأدب، وإنما الأدبية، أي ما يجعل عملا ما عملاً أدبيًا»[1]، والمقصود بهذا ضرورة التركيز في دراسة العمل الأدبي على المميزات والخصوصيات الدّاخلية له، وذلك بإتباع المنهجية المناسبة التي تنبع منه لا من خارجه، ففي نظر هؤلاء لا يمكن الوصول إلى دراسة العمل الأدبي إلا بشرط عدم إقحام مسألة المؤلف، وقد تميزت هذه البحوث والآراء كردة فعل قوية على المناهج النقدية القديمة التي حصرت كل تركيزها على قضايا خارجة عن النص كالمؤلف والسياق الزماني والمكاني وظروف نشأة العمل الأدبي، وحتى ظروف قائله ومشاعره وغيرها ممّا يدخل ضمن الهامش، الأمر الذي نتج عنه تجاهل للعمل الأدبي نفسه[2]، فكانت رغبة الشكلانيين كما أعلن عنه أحد أعلامهم وهو بوريس إيخنباوم تتمثل في: « خلق علم أدبي مستقل، انطلاقا من الخصائص الجوهرية للمادة الأدبية»[3]، أي دراسة الأدب كمجموعة شكلية تحكمها قوانين خاصة، وهو بالتركيز على العناصر المكونة للنص والعلاقات المتبادلة بينها وعلى الوظيفة التي تؤديها في مجمل النص[4]، لأن هذا الأخير بالنسبة للشكلانيين « عبارة عن معطى منفصل عن موقع القارئ ولا علاقة له بسياقه التاريخي»[5]، أي دراسة النص الأدبي في

(1) بوريس إيخنباون وآخرون، نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيون الروس)، تر إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1982، ص13.

(2) ينظر: عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص السردي، الرواية نموذجا، مجلة علامات مكناس المغرب، ج35، مج 9، مارس 200م، ص143.

(3) بوريس إيخنباوم، المرجع السابق، ص31.

(4) ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006، ص07.

(5) ينظر: إلود إيش، د. و. فوكما، منهاج الدراسة الأدبية وخلفياتها النظرية والفلسفية، تر: محمد العمري، مجلة دراسات أدبية لسانية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ع2، شتاء 1987، ص22.

ذاته بعيدًا عن قائله والظروف التي قيل فيها، وبهذا أبعدت الشكلانية الروسية تلك الدراسات السيكولوجية والاجتماعية والتاريخية وأحلت مكانها منهجية جديدة أكثر دقة واهتماماً ببنية النص الدلالية والشكلية.

1. وظائفية فلاديمير بروب:

يعد فلاديمير بروب أحد الشكلانيين الروس المتميزين، خاصة بعدما « تخلّى عن التحليل الشكلي بسبب إدانة..... هذا التحليل داخليا وانقطاعه عن الخارج»[1]، فاهتم بالسرد الخرافي ودرس عدداً كبيراً من الحكايات الرُّوسية العجيبة، فكانت هذه الحكايات المادة التي استنبط منها نظريته الوظائفية باعتماده على جهود سبقته في مجال البحث الوظائفي داخل نصوص دينية، وتوصّل إلى الآتي « تشكل وظائف الشخصيات تلك الأجزاء المكوّنة التي باستطاعتها أن تحُل محل حوافز "فيسيلوفسكي" أو عناصر "بِيدْيِهْ" ولنسجل أن تكرار الوظائف من قبل منفذين مختلفين، لاحظه منذ مدة طويلة مؤرخو الأديان في الأساطير والمعتقدات لكنه لم يُلحظ قط من قبل مؤرخي الخرافة»[2]، يتضح لنا من هذه المقولة مسألتان، الأولى أن فيسيلوفسكي وبيديه قد استخلصا الحوافز والعناصر التي يمكن لممثل جديد الإحلال مكانهما، أما المسألة الثانية فهي أن مؤرخي الأديان والأساطير والمعتقدات انتبهوا لتكرار الوظائف قبل بروب، وبسبب التشابه الكبير بين الخرافة والأساطير كان بإمكان ما جرى تطبيقه على الأساطير يمكن تطبيقه على الخرافة مع بعض التغيرات الطفيفة، وبهذا يمكن القول إن نظرية الوظائف لبروب ربّما هي نفسها التي طبقها مؤرخو الأديان فقط مع اختلاف في المتن المدروس، لكن بروب يلمح في نهاية المقولة إلى أنه يحوز السبق في تطبيق هذه الوظائفية على النص الخرافي على الرغم من تصريح بروب بتأثره بمن سبقوه في المجال إلّا أنّ نظرية الوظائف تبقى منسوبة إليه.

تتبني نظرية بروب على متن يستغرق مائة حكاية خرافية روسية، وبعد استقرائه الدقيق لهذه الحكايات توصل إلى أن الدراسة الأدق لهذه الحكايات هي « التي تكشف عن قوانين

(1) ينظر: كلود ليفي شتراوس، البنية والشكل، تأملات في مؤلف فلاديمير بروب، مساجلة بصدد علم تشكل الحكاية، تر: محمد معتصم، ص25.

(2) فلاديمير بروب، مرفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، 1986، ص34.

البنية، وليس تلك التي تقدم قائمة سطحية بالأنساق الشكلية لفن الخرافة»[1]، فهو يبحث عن «الملامح والسمات البنيوية الثابتة والمتكررة أشكالها في النصوص الخرافية»[2]، من أجل استنباط قوانين عامة تحكم هذه النصوص، وتخضعها لمنهج واحد يمكن أن تكون أداة فعالة لدراستها، وقد طبق بروب التصوّر المسبق الذي كان يمتلكه عن نظرية الوظائف على المتن الخرافي الروسي فوجد أنّ هناك « قيَمًا ثابتةً وقيمًا متغيرة، إنّما ما يتبدل هو أسماء وصفات الشخصيات، وما هو متشابهة لشخصيات مختلفة، وهذا ما يخوّلنا دراسة الخرافات انطلاقا من وظائف شخصياتها»[3]، أي أنّ بروب توصل من دراسته إلى أنّ الأحداث تبقى ثابتة لا تتغير من حكاية إلى أخرى عكسها الشخصيات التي تحمل أسماء وصفات مغايرة من نص إلى نص وبهذا يجب أن تهتم الدراسة التي نقوم بها بالثابت في كل الخرافات، والمتمثل في الوظائف التي تقوم بها تلك الشخصيات.

وحسب فلاديمير بروب فان السؤال الأهم في دراسة المتن الخرافي هو«عن ماذا تفعل الشخصيات؟ أي أن من يقوم بالفعل وكيفية قيامه بذلك سؤالان كمايليان»[4]: بمعنى أنّ وظائف الشخصيات هو المحور الذي تنبني عليه وظائفية بروب، "ولذلك يشترط في تعريف الوظائف بعدم مراعاة الشخصية المنفّذة للفعل، وأن هذا الأخير لا يمكن تعريفه بعيدًا عن وضعيته داخل النص الخرافي بل يجب أن تعرف الدلالة التي تتوفّر عليها الوظيفة داخل النص الخرافي"[5] فالدلالة التي يجب العمل عليها هي دلالة الوظيفة لا دلالة الشخصيات، فدلالة الوظيفة لا تنفصل عن مجرى الأحداث ولا يمكن استقلالها كوظيفة لوحدها لأنها لا تستطيع أن تقدم حدثًا مستقلا، ومنه فهي تبقى بحاجة إلى الوظائف الأخرى داخل المتن الخرافي، فالسياق هو الذي يحدد الدلالة وأنّ « أفعالا متشابهة يمكن أن تكون لها دلالات متباينة»[6]، ومعنى هذا أن

(1) فلاديمير بروب، مرفولوجية الخرافة، ص29.

(2) ناهضة عبد الستار، بنية السرد القصص الصوفي المكونات والوظائف والتقنيات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص146.

(3) ينظر: فلاديمير بروب، مرفولوجية الخرافة، ص34.

(4) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) ينظر: : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6)المرجع نفسه، ص35.

«الوظيفة فعل شخصية قد حدد لها من وجهة نظر دلالته في سيرورة الحبكة»[1]، فهاتان المقولتان الأخيرتان لبروب تترجمان قضية تشابه الأفعال رغم اختلاف الدلالات تبعًا لتوظيف كل فعل داخل النص الخرافي.

ويمكننا فهم الوظيفة على أنّها مؤشر علاماتي يحمل دلالات كثيرة تمثلها الأحداث التي استقرأها بروب، وتجعلها تحت اسم كل وظيفة استنبطها من دراسة لتلك الحكايات، فالاسم الذي اختاره بروب يمثل مؤشرا دالاً على أفعال وأحداث تدخل ضمن دلالة الاسم المختار وبالتالي فإن دلالة اسم الوظيفة هو دليل على طبيعة الحدث، ويكون للسياق الأثر المعين في ترشيح دلالة ضمن وظيفة ما دون غيرها من الوظائف.

يحدد بروب وظائف الحكايات الخرافية بأنها إحدى وثلاثون وظيفة ولا تكاد تخلو حكاية من هذه الوظائف التي غالبا ما تأتي متتابعة:

1-وظيفة النأي: وهي ابتعاد أحد أفراد العائلة أو القبيلة.

2-وظيفة المنع: منع البطل من القيام بعمل ما.

3-وظيفة انتهاك: انتهاك الممنوع وتسمى الخرق.

4-وظيفة استنطاق: محاولة البطل الحصول على معلومة باستنطاق الضحية.

5-وظيفة أخبار: المعتدي يتلقى أخبار عن ضحيته.

6-وظيفة خدعة: خداع المعتدي لضحيته.

7-وظيفة تواطؤ: الضحية تساعد العدو رغم أنها مخدوعة.

8-وظيفة إساءة: العدو يسيء للبطل أو أحد أفراد عائلته.

9-وظيفة وساطة: انتقال خبر الإساءة إلى البطل من قبل شخصية ما.

10- وظيفة استهلاك الفعل المعاكس: البطل الباحث يقبل السعي.

11- وظيفة انطلاق: انطلاق البطل سعيا لهدفه.

12- وظيفة الواهب الأولى: تعرض البطل لاختبار يهيئه لتلقي أداة سحرية.

13- وظيفة رد فعل البطل: البطل يتعاطى مع أفعال الواهب المقبل.

(1) فلاديمير بروب، مرفولوجية الخرافة ، ص35.

14- وظيفة تسليم الأداة السحرية: توظيف الأداة السحرية لخدمة البطل.

15- وظيفة سفر بصحبة دليل: إرشاد البطل إلى المكان الذي فيه موضوع.

16- وظيفة معركة: البطل يحارب المتعدي في معركة.

17- وظيفة علامة: يتلقى البطل علامة.

18- وظيفة انتصار: انهزام المعتدي أمام البطل.

19- وظيفة إصلاح: إصلاح الوظيفة البدئية وتعويض النقص.

20- وظيفة عودة: عودة البطل.

21- وظيفة مطاردة: مطاردة البطل من قبل المعتدي.

22- وظيفة نجدة: يغاث البطل من قبل المساعد.

23- وظيفة الوصول متنكرًا: يصل البطل متنكرًا إلى بيته أو بلدة أخرى.

24- وظيفة ادعاءات كاذبة: بطل مزيف يدّعي لنفسه ادعاءات كاذبة.

25- وظيفة مهمة صعبة: اقتراح مهمة صعبة على البطل.

26- وظيفة إنجاز المهمة.

27- وظيفة تعريف: تعريف البطل.

28- وظيفة اكتشاف: ويتم من خلالها معرفة البطل الحقيقي من البطل المزيف الشرير.

29- وظيفة تغيير الهيأة: تحسين هيأة البطل بفعل التأثير السحري أو ملابس جديدة.

30- وظيفة عقاب: وفيها يتم معاقبة البطل المزيف مثلا كقتله

31- وظيفة زواج: وفيها يتم زواج البطل من الأميرة.

وبعد سرد بروب لهذه الوظائف يعلن أنها «محدودة ولا تتعدى الإحدى والثلاثين، ويمكن تعميمها ليس على الخرافات الروسية فقط بل على كل خرافات الأمم الأخرى»[1]، وبالتالي فإن هذه الوظائفية التي قال بها بروب تصلح لأن تكون أنموذجا فعالًا لدراسة الخرافة الروسية.

(1) ينظر: دليلة مرسلي وأخريات، مدخل إلى التحليل البنيوي للنصوص، دار المحادثة، ط1، 1985، ص50-51.

وبناء على التشابه الذي لاحظه بروب بين بعض الوظائف وإمكان «تشكلها ضمن مجموعات ثنائية الحدود أو ثلاثية أو رباعية»[1]، وانطلاقا من توزيعه إيّاها على الشخصيات، عمد إلى ما يسميه "بدائرة الفعل" التي تعني خلق دائرة فعل محدودة لشخصية ما، مع تناسب عدد الوظائف وعدد الشخصيات داخل الحكاية، «وعدَّدَ هذه الدوائر بسبع حيث تحدّد كل دائرة فعلا تقوم به شخصية معينة»[2]، إذن فكل وظيفة هي علامة تدل على مجموعة دلالات يجمع بينها الفعل النهائي لذلك الحدث الذي تقوم به شخصية معينة، وكأَنّ ببروب يريد تعويض إلغائه للشخصيات القائمة بالأفعال في الخرافة بشخصيات علاماتية تمثل روح الشخصيات وليس أجسادها، فكانت الدوائر السبع التي اقترحها كما يلي[3]:

1- دائرة فعل المعتدي أو الشرير: وتتضمن الإساءة والصراع وأشكال صراع البطل ضد المعتدي.

2- دائرة فعل الواهب أو المانح: وتتضمن تزويد البطل بالأداة السرية.

3- دائرة فعل المساعد: تتضمن نجدة البطل خلال المطاردة وانجاز المهام الصعبة.

4- دائرة فعل الأميرة أو الشخصية موضوع البحث: وتتضمن المطالبة بانجاز المهام الصعبة واكتشاف البطل الحقيقي من البطل المزيف ومعاقبة هذا الأخير.

5- دائرة فعل المرسل: وتتضمن وظيفة إرسال البطل.

6- دائرة فعل البطل: وتتضمن وظيفة الانطلاق وردة الفعل على مطالب الواهب والزواج.

7- دائرة فعل البطل المزيف: وتتضمن وظيفة الانطلاق وردة الفعل على مطالب الواهب والدعاوي الكاذبة.

---

(1) ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السميائيات السردية، ص13.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص14.

(3) ينظر: فلاديمير بروب، مرفولوجية الخرافة، ص83-84.

نفهم من تقليص فلاديمير بروب وظائفه الإحدى والثلاثين إلى سبع دوائر للأفعال إلى أنّه عمد إلى اختزال الشخصيات في أفعالها التي تقوم بها في الحكاية الخرافية حتى حصرها في هذا العدد القليل من الدوائر.

حاول بروب عن طريق دراسته للحكاية الخرافية أن يعتمد منهجًا سميائيا بالدرجة الأولى فحوّل الأفعال والأحداث إلى علامات وظائفية، واختزل هذا الكم الكبير من الحكايات بعدد محدود من الوظائف، ثم عاد مرة أخرى بغرض ضبط فهمه ودراسته للمتن الحكائي الخرافي وتماشيًا مع ما بدأ به من تحويل هذه الأفعال إلى وظائف ليبعد الشخصيات حتى لا تكون لدراسته علاقة بالمناهج السياقية التي انتقدها أنصار المذهب الشكلاني.

2. الاشتغال العاملي عند غريماس:

لقد تعدى اهتمام غريماس بالبحث الألسني إلى ما له علاقة بمناهج السرديات، وخاصة المناهج النصية فتبنى ما جاء به فلادمير بروب في الحكاية الخرافية وسوريو في المسرح[1] وما توصل إليه كلود ليفي شتراوس في الأسطورة[2]، وإذا تأملنا إسهامات غريماس السميائية يمكن حصرها في موضعين: الأول نموذجه في البنية العاملية، والثاني في المربع السميائي الذي عرف باسمه في البحوث السميائية على الرغم من الجهود التي سبقته حول المربع، وعليه فجهود غريماس وإسهاماته جاءت نتيجة لاستيعابه وفهمه العميق لجهود من سبقوه، فعمد إلى صيانتها وعرضها على شكل خطاطات، تعتبر اليوم أداة فعالة في الدراسات النقدية التي يعتمدها المنهج السميائي، حيث ارتبط هذان النموذجيان بالمستويين السطحي والعميق.

أ- المستوى السطحي والخطاطة العاملية:

إن تأثر غريماس بالنحو اللساني دفعه إلى تلمس نحو للنص السردي وفق النّحو اللساني فعمد إلى الأخذ بمبدأين: «أولًا الاستقراء الذي يرقى إلى الإحاطة بالواقع الموصوف (المقصود المادة المدروسة) فتكون القواعد المستخرجة على جانب من الشمول بحيث تنطبق على القسم

(1) ينظر: جون إيف تاديه، النقد الأدبي في القرن العشرين، تر: قاسم المقداد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1993،

(2) ينظر: شلوميت ريمون كنعان، التخييل القصصي، الشعرية المعاصرة، تر: لحسن أحمامة، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1995، ص24.

الأوفر من هذا الواقع، ثانيا التحليل الذي يقتضي الوفاء للمثال النموذجي المنسحب على مكونات المدونة»[1]، ويظهر أن غريماس كان مقتنعا بما ورد عن بروب في مرفولوجية الخرافة بل إن هذين الشرطين (الاستقراء والتحليل) رئيسيان في دراسة بروب ودراسة سوريو للمسرح وراح غريماس يتأمل ما توصل إليه كل منهما فاستوعب وظائفية بروب[2]، واستوقف توزيع الوظائف على مستويات أو دوائر فعل الشخصيات وكأنه قرأ نحوًا للسرد في هذا النموذج الوظائفي، فركز على تلك المستويات مع الحذف والتعديل، كما استوعب جيدا ما جاء به سوريو في دراسته للوظائف الدراماتيكية في المسرح[3].

عمل غريماس على الخروج بخطاطة أكثر دقة وأبعد في الاختزال والتجريد عن طريق الدراسة والمعاينة لهذه الوظائف، فتخلص مما يمكن أن يكون مأخذا على خطاطته وأضاف ما يمكن أن يُعد ضروريا لها، وخرج ببنية عاملية تقوم على ستة عوامل تتدرج في ثلاث علاقات أكثر قربًا من النّص السردي العام، على فرضية أن هذه القواعد السردية أو النّحو السردي هو سابق على الظهور الحسّي للملفوظات، وهذه العوالم الستة هي: المرسل والمرسل إليه، والذات والموضوع، والمساعد والمعارض، تنتظم هذه الثنائيات الثلاث ضمن ثلاث علاقات: علاقة الرغبة وتضم الذات والموضوع، علاقة التواصل وتضم المرسل والمرسل إليه، علاقة الصراع وتضم المساعد والمعارض[4].

يقف روبرت شولر طويلا عند غريماس وعوامله الستة، فعمل على مقارنتها بما جاء عند كل من بروب ويوريو، فلاحظ أن الفاعل أو الذات عند غريماس مطابق للبطل عند بروب والأسد عند سوريو، والمفعول (الموضوع) يتطابق مع الباحث عن الشخص عند بروب والشمس أو الشيء المفقود عند سوريو، ويعتبر هذه العلاقة هي الأساس في البنية العاملية، أمّا علاقة

(1) محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي(نظرية غريماس، الدار العربي للكتب، تونس، 1993، ص31.

(2) ينظر: جوزيف كورتيس، سميائية اللغة، تر: د.جمال حضري، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2010، ص92.

(3) ينظر: حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، 2000، ص32.

(4) voir : Tzvetan TODOROV, les catégories du récit, in communications, 8 l analyse structurelle du récit, éd : du Seuil, 1981, pp 138_139.

المرسل والمرسل إليه فإنها تقابل القاضي أو المكافئ والمحسن الكبير عند سوريو، لكنها عند بروب أقل وضوحا ما نتج عنه نقد غريماس لبروب بسبب ربطه بين الموضوع والواهب، وقد دفعه هذا إلى إعادة ترتيب العوامل كي تكون صالحة لكل سياق، وفي نفس الوقت نجد أن المساعد والمعارض طرحا بصورة مضخمة عند كل من بروب وسوريو، أي أنّ هناك مساعدين هما: الواهب والمعين، وهناك خصمان هما: الآثم والبطل المزيف.

ومن الإشكالات التي آشارت إليها نبيلة زويش في بحثها هو " تداخل الأدوار العاملية فيما بينها، فقد يؤدي عامل واحد أكثر من دور والعكس كذلك دور واحد تؤديه عدة عوامل"[(1)].

وقد سعى غريماس إلى اختزال ما جاء به بروب وخاصة ما يخص تكرار بعض الوظائف التي يقوم بها عامل واحد، أو أداء وظيفة واحدة من قبل أكثر من عامل وأن يكمل النقص الذي شاب قائمة سوريو للوظائف، فأبدع خطاطة البنية العاملية التي تعتبر أكثر انسجاما وتناسقا أثناء تطبيقها على النص السردي على الرغم من التعديل الكبير الذي قام به غريماس على القوائم التي انطلق منها.

ويتمثل التحصيل المعرفي في أنّه تراكمي أكثر منه إبداعي، وهذا الذي حصل مع غريماس، فإن إبداعه للخطاطة العاملية وقوانينها نتج من قراءته للجهود السابقة وتوظيفها لبناء واستنباط نحو السرد بمختلف أجناسه، فاكتسبت هذه الخطاطة العاملية أهمية كبيرة لدى النقاد والمبدعين على حد سواء ومن مختلف التوجهات النقدية المعاصرة.

ويعود أصل " اختزال الشخصيات إلى وظائف كفكرة إلى ما قبل بروب كما صرح بذلك هو إلى مؤرخي الأديان والأساطير، وطبقها هو على القصص الخرافية، فخرج بالهيكل التجريدي الذي عرف باسمه، وهكذا فعل غريماس انطلاقا من الفكرة نفسها، إلّا أنّه اعتمد إرث سابقيه بروب وسوريو في ميدان السرد ، فدرس ما جاءا به هذان الآخران من أنظمة مجردة"[2].

---

(1) ينظر: نبيلة زويش، الشخصية بين النظرية والتطبيق اللاز والعشق والموت في الزمن الحراشي للطاهر وطار أنموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه علوم، تخصص تحليل الخطاب، إشراف عبدالحميد بورايو، 2012، جامعة الجزائر، ص172.

(2)Voir: A. J. GREIMAS, Sémantique structurel, éd: presses universitaires de France,1986, pp 176-177.

وحاول التجريد أكثر باختزال المكرّر فيها حتى يكون نظامه المجرد الذي أراد الخروج به أكثر شمولية في التطبيق على النصوص السردية وكان له ما أراد.

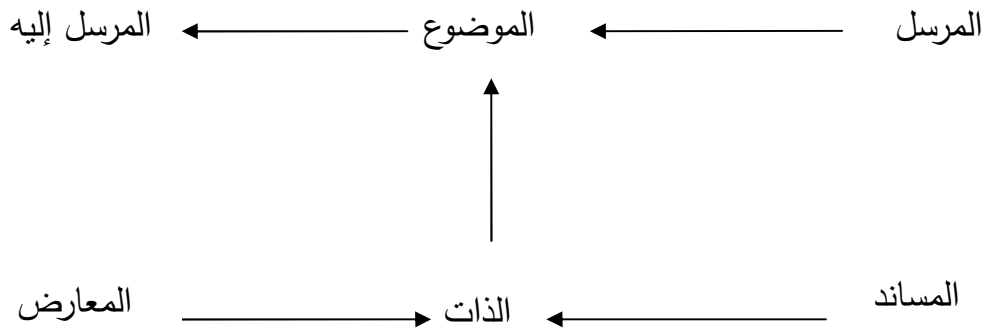

يعمل غريماس بفكرة أن الخطاب السردي يقدم على سطحه مجموعة من الكائنات الحية وغير الحية، حيث تتحدد الكائنات الحية بأنّها وحدات مميزة تسمى (العوامل)، في حين تسمى الكائنات غير الحية (بالمسندات)، وهذه الأخيرة تنقسم إلى قسمين: مسندات متحركة تحدد بالوظائف، وأخرى ثابتة تحدد بالأوصاف، وعمل هذه المسندات داخل الخطاب هو إكساب العوالم معناها، فضلا عمّا يقدمه المحور التوزيعي لهذه الوحدات من بعد نهائي لدلالة تلك العوامل على صعيد النص[1].

ولا يخضع النموذج العاملي الذي عرضه غريماس لأي معيار خارجي أو قاعدة أو علاقة تمنحه شرعية وجوده، بل إنه يكسب مشروعيته في الوجود من أمرين:

- **الأمر الأول:** أن النموذج العاملي الذي عرضه غريماس قائم على شرطين رئيسين هما الاستقراء والتحليل.
- **الأمر الثاني:** أن النموذج العاملي يخضع لبنية السرد، فهي التي تشكل وتوجه النموذج وليس ما يشكله عامل من خارج بنية النص.

(1) ينظر: حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص37-38.

– عمد غريماس إلى اختزال عوامله الستة المكونة للنموذج العاملي إلى ثلاثة محاور كبرى هي: الاتصال والرغبة والامتحان[1]، وهناك من يسميها بالعلاقات وليس المحاور ويحددها بالرغبة والتواصل والصراع[2]، وسبب هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف الترجمات من مترجم لآخر، وهو لا يقف عند اختلاف تسمية هذه العلاقات الثلاث بل يشمل الكثير من المصطلحات التي تخصّ ما قدّمه غريماس في مجال الدراسات السردية وحتى ما قدمه آخرون في مجالات أدبية ونقدية أخرى، ويتجلّى الأمر للعيان أكثر خاصّة في التّرجمات والدراسات العربية في المناهج النقدية المعاصرة كالسميائية وغيرها.

– لكن الجدير بالذكر أن من خاض بالتطبيق والعمل بهذه المناهج النقدية على النصوص السردية لاحظ التقارب والتطابق الكبير للدلالة بين المصطلحات المختلفة فيما بينها من حيث الترجمة، إلّا أن الأمر يكون أكثر تعقيدا أحيانا عندما تكون الدلالة التي يحملها كل مصطلح مترجم لا تتقارب أو تتطابق ودلالة المصطلح المترجم من قبل مترجم آخر.

والآن سنتعرض بشيء من الإيجاز للعلاقات الثلاث التي قال بها غريماس عن نموذجه العاملي:

1– علاقة الرغبة:

تعتبر هذه العلاقة محور النموذج العاملي[3] بحكم أنّها تتكون من العاملين الرئيسين في النّص، حيث « تجمع هذه العلاقة بين من يرغب (الذات) وبين ما هو مرغوب فيه (الموضوع)» [4]. إذ إنّهما تمثلان لبّ النص وخامه، وتحكمهما علاقة وجودية، أو وجود طرف يحتم وجود الطرف الآخر، فلا حضور للفاعل الذات مع غياب الموضوع، ولا حضور لهذا الموضوع مع غياب الذات الفاعلة.

(1) ينظر: رولان بارت، مدخل إلى التحليل البدوي للقصص، منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1993، ص65.

(2) ينظر: حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص33–36.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص40.

(4) حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2010، ص41.

وتنحصر علاقة الذات بالموضوع داخل النص السردي بين حالتين:

إمّا علاقة اتصال أو علاقة انفصال، فإذا اتسمت العلاقة بين الذات والموضوع على امتداد النص بالاستقامة ولم تتأثر بقوة المعارض التي تسعى إلى انحرافها عن الهدف وتتحقق للذات الوصول إلى رغبتها يمكننا وصف هذه العلاقة بعلاقة اتصال، أما إذا ما حدث انقطاع بين الذات والموضوع وتغلب محور المعارض واستطاع تحييد الذات عن هدفها وتحقيق رغبته كذات معارضة، فإننا نصف العلاقة بعلاقة إنفصال[1].

2- علاقة التواصل:

وتتجسد هذه الرغبة في أنّ كل رغبة من الذات الفاعلة يجب أن يكون وراءها دافع يسميه غريماس (المرسل)، والذي لا تتحقق رغبته ذاتيا بل تتعدى إلى ضرورة وجود عامل آخر أطلق عليه غريماس (المرسل إليه) [2] وتتميز هذه العلاقة بعدم اتضاحها بصورة جلية للباحثين بسبب أهميتها الضعيفة مقارنة بالعلاقتين الأخريين، و«عمل غريماس على منح هذين الزوجين من العوالم مصطلحين أكثر حداثة حتى يتوافقا والنص السردي الحديث، ولذلك نجده يعرف المرسل بأنه الموكل بالمحافظة على منظومة القيم وصيانتها وضمان استمرارها»[3] كما أنه منح للمرسل إليه دلالتين: «الأولى أنّه الفاعل المرتبط بحكم العقد أي طالب الحاجة والثانية أنّه المستفيد من الأمر مهما كانت هويته سواء كمرسل أو كذات»[4].

لقد كانت هذه العلاقة أكثر حضورا ووضوحا في النص السردي القديم، وخاصة النصوص الأسطورية والخرافية، لكنها أقل حضورا وأهمية في النصوص السردية الحديثة والسبب يكمن في اختلاف أساليب السرد الحديثة عن الأساليب السردية القديمة، الأمر الذي نتج عنه صعوبة اكتشاف هذه العلاقة بين الباحثين.

---

(1) ينظر: حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص41.

(2) ينظر: حسين علام، العجائبي في الأدب، ص115.

(3) ينظر: حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص43-44.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص45.

3- علاقة الصراع:

ومحتوى هذه العلاقة هو « إما منع حصول العلاقتين السابقتين (علاقة الرغبة وعلاقة التواصل) وإما العمل على تحقيقهما»[1]. وتتميز هذه العلاقة بأنها أكثر حضورا ووضوحا في النصوص السردية الحديثة منها في القديمة ولها علاقة تماس مباشرة مع المحور الرئيس للبنية العاملية الذي يمثله عامل الذات والموضوع، فهذان العاملان يتسمان باختلاف سعي كل منهما فالمساند يسعى إلى مساعدة الذات على تحقيق رغبتها بكل ما له من قوة وتأثير في الوسط السردي، أما المعارض فهو يعمل ضد رغبة الذات الرئيسة وأيضا المساند لها، فهو يرغب في إفشال الذات الرئيسة أثناء سعيها لتحقيق رغبتها، وإذا نجح فإنّ فاعليته تبلغ أقصى مستوياتها لأنّه تمكن من فصل الموضوع عن الفاعل والتغلب عليه وبالتالي يمكن أن يرتقي من عامل معارض إلى أن يصبح ذاتاً رئيسة في الحدث.

وتكمن أهمية العامل في مدى إسهامها في بنية النص السردي ولذا فإن عمل هذا الثنائي (المساند والمعارض) يتسم بالمحادثة والموازاة لعمل الذات الرئيسة وصولا إلى الحالة النهائية التي يتضح من خلالها مدى تأثير هذه الثنائية من العوامل على محور الذات الفاعلة والموضوع فإذا توافقت الجهود بين المساند والذات الرئيسة وحدث أن نجحت الذات في تحقيق الاتصال بالموضوع، فإن أثر المساند كعامل لا يكاد يظهر بل يعتبر ثانوي التأثير في مسار البنية السردية مثله مثل عامل المعارض، أما إذا حدث وأن نجح عامل المعارض في الإطاحة بالذات الرئيسة والمساند معا، واستطاع فصل الموضوع عن الذات فإن أهمية المعارض ترتقي من كونه عاملاً ثانوياً إلى عامل أكثر أهمية في البنية السردية.

لكن الترسيمة العاملية التي اقترحها غريماس لم تلق قبولا عامًّا بل هناك من انتقدها فكانت آن أوبرسفالد المهتمة بالمسرح قد أعادت النظر في شكل ترسيمة غريماس العاملية من حيث مقروئيتها وذلك بسبب خلل رأته في مواقع العوامل وأماكنها الصحيحة، فاقترحت ترسيمتها الخاصة مكان ترسيمة غريماس وهي كالتالي:[2]

---

(1) حسين علام، العجائبي في الأدب، ص116.

(2) Voir : Anne UBERSFELD, lire le théàtre 1, Editions Belin 1996, p 50.

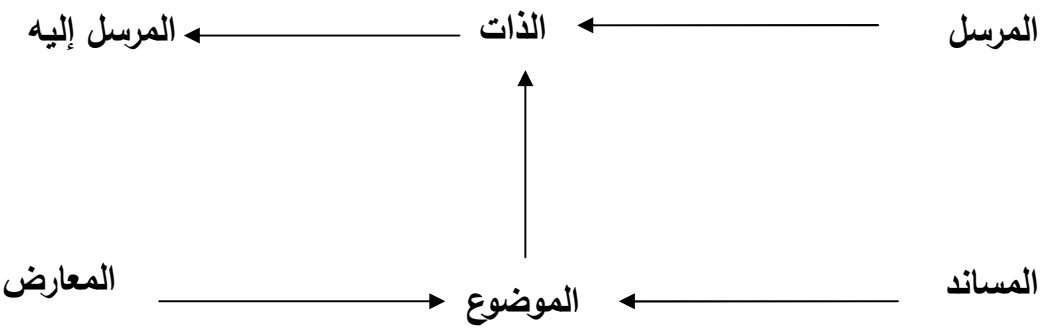

نلاحظ في هذه الترسيمة مقارنة بالترسيمة التي اقترحها غريماس تغيير اتجاه بين عامل الذات والموضوع، ومن ثم أصبح سهم الرغبة يوصل المرسل بالذات بعد أن كان يوصل المرسل بالموضوع الذي تسعى الذات لتجسيده، ولكن ينتج مشكل آخر وهو ذلك السهم الذي يتجه من الذات إلى المرسل إليه، والأصح أن يصل الموضوع بالمستفيد منه وليس الذات بالمستفيد من الموضوع، لأن المرسل غير معني بالذات وإنما بغايتها أي بالموضوع المرغوب[1].ونحن أخذنا في دراستنا بالترسيمة العاملية التي اقترحها جوليان غريماس، لأنها الأكثر مناسبة على الرغم من عيبها الذي كشفته آن أوبرسفالد، إلاّ أن الترسيمة التي اقترحتها هذه الناقدة لم تسلم هي الأخرى من النقد.

ب- المستوى العميق والمربع السميائي:

يعد غريماس من أهم السميائيين الذين ركزوا في دراساتهم في النصوص السردية وحصروا دراستهم لها في بنيتها اللغوية والدلالية، « ولذلك فقد رأى أن الدراسة التحليلية الدقيقة للنص إنما تتم من خلال مستويين، المستوى السطحي والمستوى العميق الذي نحدده من خلال البنيات العميقة»[2]. أي أنّ النص يفصح عن مستويين، مستوى ظاهر يمثله المعنى الجلي المنبثق من الملفوظات السردية التي تكوّن النص، ومستوى ثانٍ متحفٍ وراء هذه الملفوظات السردية للنص، وهو المستوى العميق الذي يكون سابقا على النص ومضمرا فيه وهذا ناتج عن

(1) ينظر: السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سميائية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2000، ص19-18.

(2) فيصل الأحمر، معجم السميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الاختلاف ، ط1، بيروت، الجزائر، 2010، ص229.

افتراض غريماس أنّ ثمّة « مستوى من الفكر القبلي في اللّغة، فيه، تقدم كل التعارضات الأساسية شكلا وتشخيصا»[1]. إذن بوجود هذا الفكر القبلي في اللغة فلا مانع من وجوده في الملفوظ السردي وبعد وضعه نحوًا لسرد النص بناء على ثنائية المستوى في النص، معتمدا في ذلك على إرث سابق استمد منه فكر المربع، والذي قيل عنه بأنه « نسخة معدّلة من المربع المنطقي في الفلسفة السكولاستية أدخل عليه ياكبسون تمييزاً بين التناقض التدريجي وغير التدريجي»[2]. فضلا عمّا عرضه كلود ليفي شتراوس في تحليله للأسطورة، وبناء على تصريح غريماس نفسه « أن التمييز الذي قام به ليفي شتراوس منذ دراسته الأولى حول الأسطورة بين الدلالة الظاهرة للأسطورة المكشوفة في النص القصصي، ومعناها العميق.... قرّرنا بالتالي إعطاء البنية التي طوّرها شراوس مرتبة البنية القصصية العميقة»[3]. وهذا اعتراف من غريماس بفضل شتراوس وأثره في إبداعه للمربع السميائي وجوهر تكوينه.

فعلاقتا التعارض والتناقض مأخوذتان من تحليل شتراوس للأسطورة، إذن فالمعنى عند غريماس « يقوم على أساس اختلافي، وبالتّالي فتحديده لا يتمّ إلا بمقابلته بضدّه وفق علاقة ثنائية متقابلة»[4].

لقد أخرج غريماس المربع السميائي في نهاية الستينات، وهو إحدى التقنيات التي يسعى من خلالها إلى إبراز التقابلات ونقاط التقاطع بين النصوص[5]، بناءً على هيكل مجرّد ومختزل ذي قابلية للتطبيق على عدد كبير من النصوص، ويتسم باعتماده على عنصر المنطق كليًا[6] فالمربع السميائي هو تجريد اختزالي وخطاطة هيكلية سابقة لكل نص سردي.

يرى غريماس بأنّه لا يتم الوقوف على بنية عميقة إلا بعد تقطيع النص السردي إلى وحدات صغرى غير قابلة للتقسيم تسمى (معانم)، ثم يميز نمطين من الوحدات الدلالية:

(1) روبرت شولز، البنيوية في الأدب، تر: حنا عبود، منشورات اتحاد كتاب العرب، مصر، 1984، ص199.

(2) دانيال تشارلز، أسس السميائية، تر: د.طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2008، ص186.

(3) شلوميت ريمون كنعان، التخييل القصصي، الشعرية المعاصرة، ص24.

(4) فيصل الأحمر، معجم السميائيات، ص229.

(5) ينظر دانيال تشالز، اسس السميائية، ص186.

(6) ينظر: مجموعة من المؤلفين، السميائية، الاصول، القواعد التاريخ، تر: رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008، ص102.

المعاني الذرّية أو الذرّات المعنمية، والمعانم السياقية التي تشكل السياق اللساني للمعنى، حيث تمثل المعانم الذرية المستوى السميولوجي العميق بينما تمثل المعانم السياقية المستوى الدلالي[1]، وعليه يحصر غريماس المربع السميائي في المعاني الذرية، إلّا أن هذه المعانم غير مستقلة الدلالة في حد ذاتها، بل تكتسب دلالتها من علاقتها مع المعانم الأخرى، ويرى غريماس أن وظيفة هذه المعانم خلافية[2]، أما المعانم السياقية فلها وظيفة ربطية بين الدلالات فيما بينها، وتعمل على مستوى الإدراك.

كما تناول غريماس الأقطاب الدلالية للمربع السميائي التي تجمع بين المعانم الموصولة بعضها ببعض بعلاقات متداخلة فيما بينها[3]، وهذه الأقطاب تمثل مرحلة ثانية من محاولة اختزال الدلالات تحت محور دلالي واحد.

كما أنّ المربع السميائي يمثل « الأداة المستعملة في المستوى المنطقي الدلالي»[4] ويبني ويبني غريماس هذا المربع على فكرة أن الأشياء والمعاني تدرك عن طريق تضادها وتناقضها مع الأشياء الأخرى، وبما أن هذا المربع يمثل البنية المجردة للمعانم الذرية فانه يقوم على ثلاث علاقات هي: علاقة التضاد وعلاقة التناقض وعلاقة التضمين أو الاستتباع، حيث تمثل علاقة التضاد أكثر العلاقات تأثيرا وأهمية في صوغ هذا المربع، والآن يمكننا رسم خطاطة المربع السميائي اعتمادًا على ما قدمه النقاد لهذه الخطاطة[5].

(1) ينظر: مارسيلو داسكال، الاتجاهات السميولوجية المعاصرة، تر: حميد لحميداني وآخرون، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987، ص32.

(2) ينظر: حميد لحميداني، في الخطاب السردي، ص88.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص91.

(4) ينظر: مجموعة من المؤلفين، السميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، ص240.

(5) ينظر: دانيال تشالز، أسس السميائية، ص186.

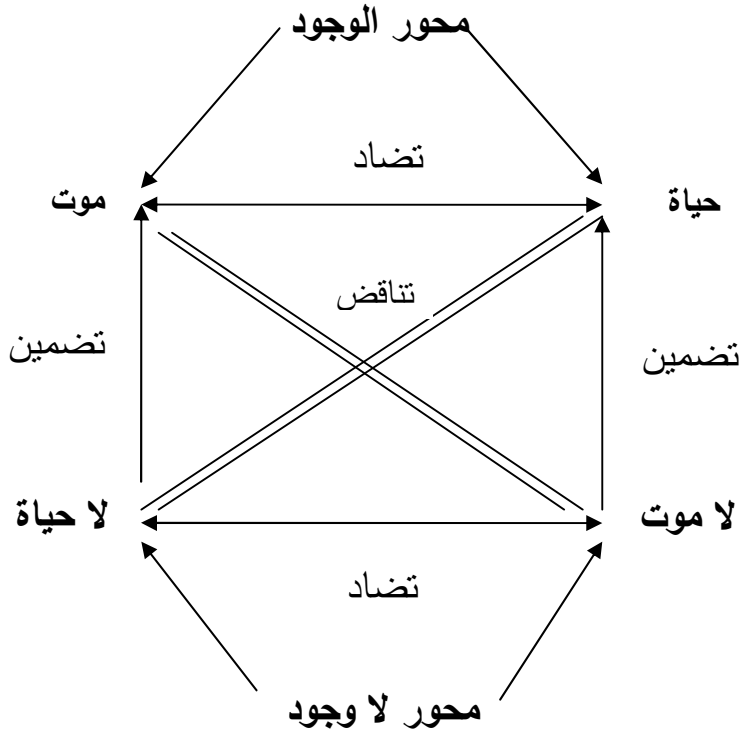

تتكون هذه الخطاطة من محورين وثلاث علاقات، أمّا المحاور فهي:

1- **المحاور:**

- **الأول:** محور الوجود ويضم قطبي الحياة والموت.
- **الثاني:** محور اللاوجود ويضم قطبي اللاحياة واللاموت.

2-العلاقات:

أ- علاقة التضاد وتكون:

- في محور الوجود التضاد بين الحياة والموت.
- في محور اللاوجود التضاد بين اللاحياة واللا موت.

ب- علاقة التناقض وتكون بين:

- قطب (الحياة) في محور الوجود وقطب (لا حياة) في محور اللاوجود .
- قطب (الموت) في محور الوجود وقطب (لا موت) في محور اللاوجود.

ج- **علاقة التضمين وتكون بين:**

- قطب (الحياة) في محور الوجود وقطب (لا حياة) في محور اللاوجود.
- قطب (الموت) في محور الوجود وقطب (لا حياة) في محور اللاوجود[1].

هذه كل العلاقات التي وردت في المربع السميائي الخاص بغريماس، واتسمت علاقة التضاد مقارنة بنظيراتها داخل المربع بالهيمنة الواضحة بسبب أنها العلاقة المؤسسة الأولى التي يعتمد عليها المعنم الذري لبناء علاقة نواتية تكون أساسا لعلاقة منطقية تعمد إلى استدعاء المحور الضد.

يمثل المربع السميائي مرحلة أبعد من النموذج العاملي، لأنه موجه لدراسة البنية العميقة في النصوص السردية عموما، فهو غير مضبوط لنص معين بل يمكن تطبيقه على كل النصوص السردية، بحكم أنّه سابق على تجلي الملفوظ السردي لذلك النص، إذن فهو أداة مجردة تقوم على هيكلة دلالية تعتمد على علاقة التضاد بوصفها مهيمنة علائقيا تفرض نفسها على مجمل العلاقات المنبثقة عن الخطاطة.

إن اعتماد غريماس علاقة التضاد في صياغته للمربع السميائي أعطى هذا المربع قوة وقابلية وليونة في تطبيقه على كل النصوص السردية، خاصة أن جل النصوص إن لم نقل كلّها منذ القديم حتى يومنا هذا تحمل في طياتها معانم ذرية متضادة، أحيانا تكون سهلة الاكتشاف وأحيانا تتطلب قراءة متأنّية وعميقة حتى يمكن الوصول إليها، هذا التضاد يمثل عنصر الصراع الذي يتجسد في أغلب النصوص بين الشخصيات والدلالات والعوالم المادية والمجردة، أضف إلى هذا الكثير ممّا يفهمه الإنسان في هذه الحياة بضده، فلم يكن للإنسان أن يفهم معنى الحياة لولا وجود الموت، إذن فغريماس صاغ مربعه السميائي على خلفية فكرة قويّة تضمن قبوله وانتشاره بين الدارسين.

المشروع السميائي للشخصية السرّدية عند فليب هامون:

إن تعدد زوايا النظر للشخصية كعنصر سردي وليد تعدد المناهج النقدية، حيث وجهت المناهج السياقية اهتمامها عند دراستها للشخصية تجاه بنائها النفسي وعلاقاتها الاجتماعية

(1) حميد لحميداني، في الخطاب السردي، ص93- 93.

وسجلها التاريخي لكن هذا التصور لم يدم طويلاً، خاصة بعد التحولات النقدية الكبيرة على الصعيد الثقافي والأدبي وظهور المناهج النسقية بأدواتها الإجرائية في المعالجة الداخلية للنصوص وأبعاد المعالجات الخارجية التي قالت بها المناهج السياقية، وقد شملت هذه الفكرة كل النصوص بما فيها السردية، وتتمثل أولى ثمار هذا التحول للمناهج النقدية في مجال السرد فيما جاء به الشكلاني الروسي فلاديمير بروب لعمل الشخصية في المتن الخرافي، وبهذا استطاع بروب إفادة النقد السردي بما يعرف (بالتحليل الوظائفي) أو نظرية الوظائف، حيث ركز فيها على وظيفة الشخصية، كما حدد الشخصيات بما اصطلح عليه (بدوائر فعل الشخصية) ثم جاء بعده سوريو واستعان بهذه الدوائر في دراسته للشخصيات المسرحية وحدث الأمر نفسه مع غريماس من بعده عندما استوعبها واستنبط منها (نظرية العامل) أو ما يعرف بالبنية العاملية، فقال بالعامل وبالممثل، وكلاهما امتداد لعنصر الشخصية.

ولكن الدراسة الأكثر تخصّصا ودقة في الشخصية السردية من المنظور السميائي جاء بها فليب هامون في كتابه « سميولوجية الشخصيات الروائية»[1]، وقد تحدث عنها عبد الفتاح كليطو وقدم للكتاب قائلاً: « إن دراسة فليب هامون المتعلقة بالوضع السميولوجي للشخصية الروائية لم تفقد أهميتها وما زالت، لمن يقرأها اليوم، تتسم بالنضج والعمق والرونق والحيوية»[2] وعدّها شريبط أحمد « من أهم الآراء التطبيقية التي ظهرت في الكتابات النقدية الحديثة»[3] كما ذكرت الدكتورة نبيلة زويش بأنّ « نظام الشخصيات الذي اقترحه فليب هامون بمثابة التكملة لمشروع غريماس فالبطاقة الدلالية لا تتشكل من الأدوار العاملية فقط بل يضاف إليها بعض العلامات الأخرى التي تملأ بياضها الدلالي»[4] ومن أبرز ما يميز هذه الدراسة هو تخصصها بموضوع الشخصية من المنظور السميائي، كما أنها لم تغفل الجهود النقدية التي

(1) فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 2013.

(2) المرجع نفسه، ص07.

(3) شريبط أحمد شريبط، سميائية الشخصية الروائية، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، بجامعة عنابة (السميائية والنقد الأدبي) 1995، الجزائر، ص198.

(4) ينظر: نبيلة زويش، الشخصية بين النظرية والتطبيق "اللّاز" و"العشق والموت في الزمن الحراشي" للطاهر وطار أنموذجا، ص09.

سبقتها في ميدان الشخصية واستفادت من توظيفها لصالحها، خاصة مجهودات كل من بروب وغريماس بالإضافة إلى الدراسات اللسانية السويسرية في قضية الدال والمدلول.

انطلق فليب هامون مثل غيره من النقاد من المنجز اللساني لتحديد الشخصية السردية على الرغم من أنّ هذه الأخيرة لا تتوافق مع محددات المنجز اللساني المتمثلة في اللفظة والجملة، « لتأخذ محددات الشخصية عنده نمطين: أولا ينظر إلى الشخصية بوصفها مكوّنا سرديا، وثانيا ينظر إليها بكونها علامة سميائية»[1]، ففي النمط الأول يقصد هامون بأن الشخصية في الحكي هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما يقوم به النص وأن « مقروئيتها محكومة بدرجة مشاركة القارئ _ كما أنّها _ مورفيم فارغ أي بياض دلالي وهي بذلك تحيل على نفسها... وتحتاج إلى بناء يقوم به النص لحظة التوليد، وتقوم به الذات المستهلكة لحظة التأويل»[2]، أي أنّ الشخصية تكون مجرد بياض دلالي يملؤه المبدع لخطة قراءته وتأويله لمّا يتلقاه ، إذن فمحدد الشخصية وفقا لهذا يأتي من مصدرين: الأول هو ما يعرضه المبدع عن طريق الأفعال والصّفات التي تبدو في النص، والثاني هو فهم القارئ وتأويله، وبهذا يكون فليب هامون قد تأثر بأطروحة رولان بارت التي يقول فيها بأن « الشّخصية الحكائية هي نتاج عمل تأليفي مشترك بين القارئ والمبدع»[3].

أما النمط الثاني من محددات الشخصية عند هامون فهو ينظر إليها بوصفها « مفهوما سيميولوجيًا في مقاربة أولى، بصفتها مورفيمًا مزدوج التكوين: إنها مورفيم ثابت ومتجل من خلال دال منفصل (مجموعة من الإشارات) يحيل على مدلول منفصل (معنى أو قيمة الشخصية)، وعلى هذا الأساس ستتحدد الشخصية من خلال شبكة علائقية من التشابهات والتراتبية والانتظام (توزيعها، هي ما يشدها على مستوى الدال والمدلول تزامنيا أو تعاقبيا إلى مجموعة أخرى من الشخصيات»[4]، أي أن مفهوم الشخصية عند هامون ليس منقطعًا عن

(1) فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص33.

(2) المرجع نفسه، ص31.

(3) ينظر: حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص93- 93.

(4) Voir : philippe HAMON, le personnel du roman, le systéme des personnages dans les rayons Macquart d Emile zola, Edition, librairie droz S.A, Genève, 1998, p 107.

المنجز اللساني بل يستمد مقوماته من هذا المنجز، وخاصة في قضية الدال والمدلول، وقد يكون تأثره بغريماس ناتجا من هذا الفهم، فإذا كانت رغبة غريماس من تبني النحو السردي هي صياغة نظرية للعامل لدراسة السّرد، فإن هدف هامون هو الوصول إلى إقامة نحو سردي خاص بعنصر الشخصية وهذا ما تحقق بعد ذلك في نظريته عندما استعار مخطط غريماس الخاص بالمربع السميائي والترسيمة العاملية.

ويرى هامون أنّ « الشخصية لا تمتلئ باعتبارها موفيمًا فارغًا في البداية، إلا في آخر صفحة من النص (أي لا معنى للشخصية ولا مرجعية لها إلاّ من خلال السياق) حيث تتم مجمل التحولات المختلفة التي كانت هذه الشخصية فاعلا فيها وسندًا لها»[1]، ولتكون مقترحاته أكثر شمولية وأهمية قال أن « الشخصية ليست حِكرًا على الميدان الأدبي»[2]، كما أنها ليست مقولة من طبيعة إنسانية دائمًا، فبالإمكان اعتبار الروح في مؤلفات هيجل شخصية، وكذلك الرئيس المدير العام،..... والمشروع والسلطة والسهم....بالنسبة للشركة، وكذلك الأمر مع البيضة والدقيق والزبدة والغاز، فهذه المواد تشكل شخصيات لا تكشف نفسها إلا في النص المطبخي[3]، أي أن مقولة الشخصية تتعدى حدود الإبداع الأدبي إلى عوالم أخرى وأيضا ليست حكرًا على الإنسان أو الكائنات الحية.

وباعتبار الشخصية مفهوما سيميولوجيا وأنها مورفيم، لكنها « على خلاف المورفيم اللساني الذي يمكن للمتحدث أن يتعرف عليه بسرعة فان السّمة الدلالية للشخصية ليست ساكنة، وليست مُعطاة بشكل قبلي... بل تُعد الشخصية دائما وليدة مساهمة الأثر السياقي... ووليدة نشاط استذكاري وبناء يقوم به القارئ»[4]، أي أنّ الاختلاف بين المورفيم اللساني والشخصية كمورفيم في النحو السردي هو أن الأول (المورفيم اللساني) معناه معطى قبلي وثابت، لكن الثاني (الشخصية كمورفيم) معناه معطى من قبل وغير ثابت بل هو وليد السياق النصي والنشاط العقلي الاستنكاري للقارئ، وهناك اختلاف آخر بين الشخصية عندما عدّها

(1) فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، ص42.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص30.

(3) المرجع نفسه، ص31.

(4) المرجع نفسه، ص 39-40.

هامون كعلامة مثل العلامة اللسانية، فالعلاقة بين مكوني العلامة اللسانية الدال والمدلول تكون علاقة اعتباطية أي غير مبررة بسبب، وجاهزة مسبقًا، أمّا بالنسبة لمكوني الشخصية (دالها ومدلولها) فهي سببية مبررة، لذلك قد يأخذ بعض الكتّاب زمنًا لاختيار أسماء شخصيات رواياتهم أو قصصهم حتى تتناسب والدور والصفات التي منحوها إيّاها.

قسم هامون العلامات إلى ثلاثة أنواع هي:

1- علامات تحيل على معطى في العالم الخارجي مثل أسماء الأشياء والحيوانات والأماكن وغيرها، أو تحيل على مفهوم مثل: الفكر، الحرية، الحب، وتسمى هذه العلامات بالعلامات المرجعية وهي موجودة في المعاجم.

2- علامات تحيل على محفل موضوعاتي وتتسم بمضمونها الذي يتحدد من خلال مقام للخطاب مثل الضمائر.

3- علامات تحيل على علامة منفصلة عن الملفوظ نفسه وتكون وظيفتها وظيفة ربطية أو اقتصادية، ويمكن تسميتها بالعلامات الاستذكارية وتمثلها أسماء العلم والضمائر المتصلة والمنفصلة[1].

لقد استثمر فليب هامون هذا التقسيم الثلاثي للعلامة وطبقه في سيميولوجيا الشخصية، حيث قسّم الشخصيات إلى ثلاث فئات:

1- فئة الشخصيات المرجعية: وتتمثل في الشخصيات والشخصيات المجازية (الحب الحرية) والشخصيات الأسطورية (سيزف، فينوس) وشخصيات اجتماعية (العامل الأب).

2- فئة الشخصيات الإشارية: وتتمثل في ألفاظ تدل على حضور المؤلف أو القارئ أو من ينوب عنهما في النص: شخصيات ناطقة باسمهم، شخصيات عابرة، رواة ومن شابههم، وهذه الشخصيات يصعب الإمساك بها أحيانا من قبل الدارس.

(1) ينظر: فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 34-35.

3-فئة الشخصيات الاستذكارية: وتتمثل في شخصيات تتمنى أو تتكهن بالمستقبل أو تسترجع الماضي كذكريات، ووظيفتها تنظيمة وترابطية بالأساس[1]، وبهذا يدخل كل ما يميز الشخصيات السّردية ضمن هذه الفئات الثلاث.

ناقش هامون في نظريته التي قال عن الشخصية السردية ثلاثة قضايا مثلت متن هذه النظرية وهي: مدلول الشخصية، ومستويات وصف الشخصية، ودال الشخصية.

1- مدلول الشخصية:

يعد فليب هامون الشخصية: « وحدة دلالية ذات مدلول منفصل قابل للتحليل والوصف حيث يتولد هذا المدلول من الجمل التي تتلفظ بها الشخصية أو من الألفاظ التي تقال عنها من قبل شخصيات أخرى في النص الإبداعي»[2]، كما أنّ صفات الشخصية ووظائفها من أهم محددات مدلولها وهي: محور الجنس ومحور الأصل الجغرافي ومحور الايدولوجيا ومحور الثروة[3]، وهي محاور غير ثابتة ومطلقة الوجود والترتيب بل يمكن التغيير فيها إذ دعت الحاجة واضطر الباحث إلى ذلك، « أمّا وظائف الشخصية فإنها تستخلص عن طريق محاور ستة: الحصول على متاع، مواجهة ناجحة»[4]، وبهذين الإجرائين اللذين يعالجان صفات ووظائف الشخصية يمكن الوصول إلى مدلولها.

ومن أجل الكشف عن « مدلول الشخصية بشكل أعمق يركز هامون على علاقة هذه الأخيرة بالشخصيات الأخرى عن طريق عقد مقارنة بين صفات هذه الشخصيات، ويتم تحديد صفاتها اعتمادًا على فكرة غريماس في المربع السميائي، فمثلا نأخذ محور الجنس ونخضعه لهذا المخطط فينتج الشكل»[5]، التالي:

(1) ينظر: سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية (رواية الشراع والعاصفة- نموذجا) دار مجدلاوي، ط1، 2003، الأردن، ص38-39.

(2) ينظر: فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، ص33.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص44.

(4) ينظر: المرجع نفسه ، ص45، - سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية ، ص45.

(5) ينظر: فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص46.

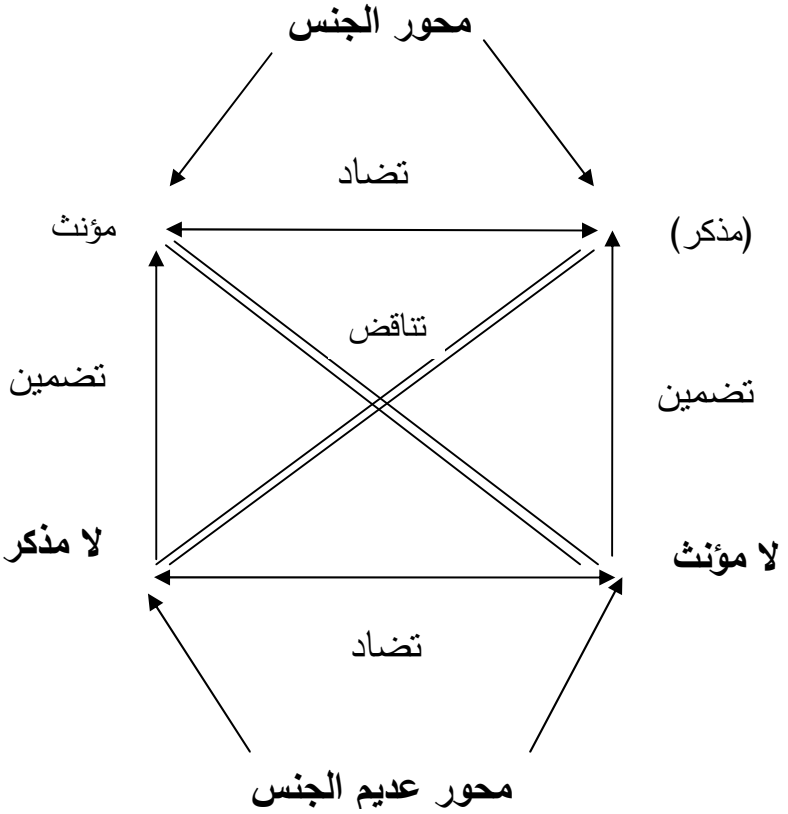

وينتج عن هذا الشكل العلاقات والمحاور المعروفة التي قال بها غريماس من قبل، وقد أوردناها سابقا إثر حديثنا عن مراحل صياغة غريماس لهذا المربع السميائي.

بهذا ينتهي هامون إلى تحديد المحاور التي يهتم بها للوصول إلى مدلول الشخصيات وهي: تعيين المحاور الدلالية، وتصنيف هذه المحاور إلى صفات ووظائف، وتحديد علاقة الصفات مع بعضها البعض[1]، بالاعتماد على خطاطة المربع السميائي.

2- مستويات وصف الشخصيات:

باعتبار الشخصية علامة فإنها ستخضع لنفس القوانين التي تحدد وجود العلامة من خلال التركيز على أنّها « وحدة مركبة، وحدة مكونة تتحدد أساسا من خلال علاقتها بقاموس يعود إلى الشخصية/ نمط أكثر عمومية، يمكن تحديدها كعامل، وهو ما يشكل المستوى العميق للتحليل، يشكل العامل قِسمًا من الممثلين»[2]، أي يتمثل العامل في مجموعة من الشخصيات

(1) ينظر: فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص50.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص51.

المضبوطة من خلال عدد من الوظائف والمواصفات، يسعى هامون في دراسته لمستويات وصف الشخصية إلى « إقامة نموذج عاملي منظّم لكلّ مقطع سردي»[1]، أي تقسيم العمل السّردي إلى مقاطع سردية مستقلة قابلة للاشتغال كقصص ومكمّلة كجزء من الأجزاء التي تشكل الكيان العام للنّص السردي، ويتم تفعيل هذا النموذج من خلال تحديده، إذ يتحدد هذا النموذج « بمشاركته في صور عاملية/ نمطية وفي كتلة نمطية، سنعمل على الإمساك بتواترها وتوزعها داخل الرواية»[2]، أي أنّ هامون يستعين بمحور التواتر والمحور التوزيعي للوصول إلى البنية العاملية للمقطع، « ففي محور التواتر نلاحظ أن أي موضوع كان سيتضمن رغبة وبرنامج وإرادة في الفعل»[3]، أما المستوى التوزيعي للعوامل يحدّد في:

1- « توكيل: المرسل يقترح موضوعا على المرسل إليه، أي أنّ هناك رغبة في الفعل.

2- قبول المرسل إليه للعرض أو رفضه.

3- في حالة القبول، هناك تحويل للرغبة التي ستجعل من المرسل ذاتًا محتملة.

4- انجاز لهذا البرنامج، تتحول الذات على إثره من ذات مُمْكنة إلى ذات محقَّقَة»[4].

ما عرضه هامون من محاور (المحور ألتوزيعي، محور التواتر) ومستويات تمثّل نواة للبنية العاملية لكل مقطع سردي من أي نص، يصل إلى سرد العناصر التي يمكن من خلالها تحديد الشخصية، وهي:

1- « علاقة الشخصية مع الوضعية- الوظائف.

2- خصوصية اندماجها في أقسام الشخصيات النمطية أو العامل.

3- علاقة الشخصية مع الشخصيات والعوامل الأخرى.

4- علاقة الشخصية مع سلسلة من الصيغ (الرغبة، المعرفة، القدرة المكتسبة والفطرية.

5- توزيعها داخل الحكاية.

---

(1) ينظر: فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص54.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المرجع نفسه ، ص54.

6- علاقتها بشبكة المواصفات والأدوار الثمينة التي تعد سندًا لها»[1].

وبهذه العناصر الستة لخّص هامون النقاط التي يجب التركيز عليها أثناء الدراسة لمستويات وصف الشخصية للوصول إلى النتيجة الصحيحة وهذه النقاط الستة يكون العمل بها من خلال ما اقترحه قبلها من إجراءات (المحور التواتري، المحور ألتوزيعي، المقطع السردي، البنية العاملية).

3-دال الشخصية:

يعرف فليب هامون دال الشخصية بأنّه « مجموعة متناثرة من الإشارات التي يمكن تسميتها بسمة الشخصية»[2]، حيث تختلف هذه السّمة من كاتب إلى آخر حسب اختياراته الجمالية والأسلوبية، ويتكون دال الشخصية من اسمها ولقبها، حيث يسهم هذان الأخيران في تكثيف مدلولها والتعبير عن هويتها خاصة داخل النص السردي، ولهذا نجد بعض الروائيين يدققون في اختيار أسماء رواياتهم بالاعتماد على معلومات ثقافية وعلمية لهذه الدوال كمدلولاتها الصوتية والنحوية[3]، أي أن بعض الأسماء لها دلالات معينة وثابتة اكتسبتها من الثقافة الاجتماعية أو العقيدة الدينية أو حقبة تاريخية، كما أنّ الأسماء والألقاب لها خاصّية من ناحية « التركيبة والطول والقصر، وربّما كانت الغاية من التدقيق في اختيار الأسماء والألقاب هو ضمان مشاركة القارئ في الكشف عن مدلولات هذه الشخصية الحاملة لاسم معين، فالاسم غالبا ما يعبّر عن خواص الشخصية الحاملة له»[4].

ومن الموضوعات التي ضمّنها فليب هامون نظريته في سميائية الشخصية الروائية موضوع تحديد الشخصية الرئيسة داخل النص الإبداعي وحدّد أساليب عدّة « منها بصريّة وتتعلق بالقدرات والطرق الطباعية للغة، مثلًا يُكتب اسم الشّخصية الرئيسة بخطّ غليظ ظاهر للقارئ، ومنها ما يتعلق بالجوانب الأسلوبية كأن يقرن الاسم بلقب يدل على السّيادة أو السلطة على شخصيات المجتمع الروائي، ومنها ما يتعلق بالمواصفات التي لا تمتلكها أي شخصية

(1) فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 57-58.

(2) المرجع نفسه، ص58.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص58-49.

(4) ينظر: المرجع نفسه ، ص 59-60-61.

أخرى في النص السردي، ومنها ما هو متعلق بالتوزيع الخلافي كأن تكون الشخصية الرئيسية حاضرة في كل أطوار العمل السردي من البداية إلى النهاية والظهور في اللحظات المهمة وأيضا هناك ما هو متعلق بالاستقلالية الخلافية، أي ظهور البطل غير مرتبط بشخصية ما كما يتميز باستقلالية القرارات والحركة في الفضاء السردي للنص بعيدًا عن أي تبعية، ومنها ما هو عائد إلى الوظيفة الخلافية كان تكون الشخصية الرئيسة تعمل على حل العقدة وتذليل العوائق في سبيل الوصول إلى الهدف، وتتلقى مساعدة من أطراف أخرى كما يعود أيضا تحديد الشخصية الرئيسة إلى تحديد عرفي مسبق مشترك بين الباث والمتلقي، وأيضا إلى التعليق الصّريح من قبل الكاتب كأن يسمي الشخصية الرئيسة بالبطل»[1]، هذه مجمل المقترحات التي قدمها فليب هامون كمحاولة للوصول إلى وضع مبادئ يمكن من خلالها تحديد الشخصية الرئيسة.

نلاحظ مما سبق أن فليب هامون قد أخضع الشخصية السردية في نظريته إلى مختبرين هما: الأول مخبر اللسانيات وتجلّى في استعانته بقضية الدال والمدلول وإخضاع الشخصية السردية لهذا المنظور بوصفها علامة على غرار العلامة اللسانية، وبالتالي حاول تطبيق ما جاءت به اللسانيات على الشخصية السردية عن طريق دال الشخصية ومدلولها، رغم اختلاف العلامة اللسانية عن العلامة السردية أي الشخصية، وخاصة في طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، فهي اعتباطية في العلامة اللسانية وتعليلية في العلامة السردية، ثم استعان بعد ذلك بالمخبر السميائي وكان ذلك باستحضاره لما قال به غريماس في البنية العاملية والمربع السميائي المعروف به، إضافة إلى هذين المختبرين يلمح إلى المرجعيات الخارجية للشخصية وكذلك إلى أثر المتلقي في صياغة مدلولات الشخصيات، فالنّظرية التي اقترحها هامون حاول من خلالها الإلمام بكل ما يتعلق بالشخصية السردية مع الإشارة إلى المنطلقات الأساسية، وهي المنطلقات السميائية التي تبناها فاتسمت هذه الدراسة بالشمول والتخصص في كل ما يخص الشخصية السردية.

(1) فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، ص 70-76.

الفصل الأول: نظام الشخصيات في رواية "الطلياني" لشكري المبخوت.

1. مدلول الشخصيات.
2. مستويات وصف الشخصيات.
3. دوال الشخصيات.

تدور أحداث رواية "الطلياني" "لشكري المبخوت" في البلاد التونسية، بين أحياء العاصمة وشوارعها، في النصف الثاني من القرن العشرين، يحكي السارد من خلالها عن بعض الأحداث الاجتماعية والسياسية في تونس، ويمثلها بشخصيات استمدها من البيئة التونسية.

مدلول الشخصيات:

إنّ مدلول شخصيات هذه الرواية هو « مدلول متواصل قابل للتحليل والوصف ويتولد... من الجمل التي تتلفظ بها الشخصية عن نفسها أو من الألفاظ التي تقال عنها من قبل شخصيات أخرى في النص»[1] وهذا ما يظهر جليًّا عندما يتكلم السارد، يتحدث "الطّلياني" عن نفسه، فيقول «تعرف كما يعرفون أنني لا أصلي ولا أصوم»[2] فمن خلال هذا الكلام نستطيع معرفة جزء مهم من حياة "الطلياني" بأنه ذلك الشخص المتمرد على سلطة المجتمع والدين، وتتلفظ أمّه باعتبارها شخصية أخرى عندما تغضب منه « ولد الحرام لا يُنْتَظر منه إلّا العَيْب»[3].

وفي موضع آخر «لم يعد يعنيني أمر ولد الحرام»[4] فنفهم من هذا أنَّ نسب شخصية "الطلياني" مشكوك فيه وغيْر سليم، كيف لا وهذه الشّهادة جاءت على لسان أمه التي أنجبته، ومن ثَمَّ فإن مدلول شخصية "الطّلياني" بدأ يمتلئ شيئا فشيئا ومن ثمة يتناوب الطلياني نفسه وغيره من الشخصيات على إضافة معلومات عنه لتكتمل بطاقته الدلالية ويتعرف عليه القارئ.

ويعتبر "فليب هامون" أن صفات الشخصية ووظائفها من أهم الموضوعات التي يتعدد من خلالها مدلولها «وحدد صفاتها ...بأربعة محاور هي: الجنس، الأصل الجغرافي، الإيديولوجيا، والثروة»[5].

(1) محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في السرد العربي الحديث، ص97.

(2) شكري المبخوت، الطلياني، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2014، تونس، ص06.

(3) الرواية، ص08.

(4) الرواية، ص36.

(5) محمد فليح الجبوري، المرجع السابق، ص99.

أي أننا من خلال هذه المحاور الأربعة يمكننا معرفة صفات شخصيات رواية "الطلياني" وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه المحاور ليست ثابتة، بل يمكن استبدال أحدها في حال عدم وجوده بمحور آخر يقوم مقامه في توضيح صفات الشخصيات.

وكأول ما يلزم قبل السّعي لمعرفة صفات الشّخصيات هو استخراج وتحديد هذه الشخصيات في رواية "الطّلياني"، وقد اعتمدنا في اختيارنا وترتيبنا لها على معايير مختلفة منها مساحة توزعها وحضورها في المسار السردي، وفاعليتها في سيرورة وتغيير أحداث الرواية.

1- الطّلياني (عبدالناصر)

نجد أنّ هذه الشّخصية هي الأكثر حضورا في المسار السردي للرّواية من بين كل الشخصيات الأخرى، إذ انطلقت أحداث الرواية منذ الصفحة الأولى منها وانتهت بها في الصفحة الأخيرة، فجاء في السّطر الأول من أوّل صفحات الرواية «لم يفهم أحد من الحاضرين في المقبرة...لِمَ تَصرّف عبد الناصر بذلك الشّكل العنيف»[1]، وورد في آخر سطر من الصفحة الأخيرة للرواية «ذلك اليوم المشهور الذي لم يفسده إلاّ اعتداء عبد الناصر على الشّيخ علاّلة إمام المسجد»[2] فهو شخصية محورية تدور جل أحداث الرواية حولها، إذ يعتبر البطل والفاعل الأساسي في رواية "الطّلياني" اسمه الحقيقي "عبد الناصر" لكن «الجميع في العائلة الموسّعة وفي الحي ينادون عبدالناصر بالطّلياني»[3]، فهذا الأخير هو لقب أطلق عليه واشتهر به وليس اسمه الحقيقي، ولهذا نجد أنّ السّارد في الرواية يراوح في ذكر هذه الشخصية أثناء سرده للأحداث بين لقبها تارة واسمها الحقيقي تارة أخرى، وأطلق عليه هذا اللقب بسبب ملامحه التي تشبه ملامح الإيطاليين كما جاء في قول السارد «الشابّ ذو الملامح الإيطاليّة»[4] وهو يقصد بهذا عبد الناصر.

(1) الرواية، ص05.
(2) الرواية، ص342.
(3) الرواية، ص24.
(4) الرواية، ص171.

الطلياني ذو نسب مشكوك فيه كما جاء على لسان شخصية زينب والدته وهي تقصده بالكلام «لم يعد يعنيني أمر ولد الحرام»[1]، رغم هذا فإنه ذو وسامة وطلعة بهية فاتنة مثلما ورد على لسان السّارد يصفه «فتنة للنّساء والفتيات بسبب ملاحة وجهه وقسماته، وابتسامته المرسومة على شفتيه وعينيه الأخاذتين ونظرته الساحرة وهيبته»[2]، وهي صفاته الجسدية التي تمكن القارئ من تشكيل صورته الذهنية.

ويخبرنا السّارد عن شخصيّة الطّلياني بأنّها مثقفة، حواريّة وقيادية فيقول: «كان عبد الناصر بفصاحته وثقافته المتينة وطريقته الحماسية في المناقشة.... أكثر طلبة اليسار مهارة في استقطاب العناصر»[3]، إضافة إلى ثقافته المتينة وفصاحته يظهر أنه طالب دخل الجامعة وتبنى التيار اليساري فيها نقابي، وهذا ما تجلّى صراحة في كلام السّارد واصفا له «كان بحكم موقعه القيادي في الهياكل النقابية المؤقتة معروفا لدى الجميع في كُلّيتِه ولدى الرفاق»[4]، أي أنه شخصيّة قيادية معروفة لدى الجميع، فتكشف هذه المعلومات عن دوره النقابي.

كان الزواج منعرجا مهما في حياة الطّلياني إذ «تعرّف على زينة في سنواته الأخيرة بالجامعة، تزوّجها في ظروف خاصّة جدّا، ليطلقها بعد سنتين تقريبا، كانت زينة منعرجا حاسما في حياته»[5] حيث أصبح بعدها يعيش «حياته أقرب إلى البوهيمية، يقضيها في الحانات والمطاعم وبيوت الخليلات....حياة...ملؤها الشّرب والعزف والقصف»[6] أي أنّه تزوج وطلق وأخذت حياته بعد ذلك مسارا مغايراً كما كانت عليه.

(1) الرواية، ص36.
(2) الرواية، ص33.
(3) الرواية، ص53.
(4) الرواية، ص52.
(5)الرواية، ص49.
(6) الرواية، ص265.

إضافة إلى ما سبق فالطّلياني متمرّد على العادات والتقاليد وحتى على الدين، و يظهر هذا جليّا في حديثه عن نفسه فيقول مخاطبا صديقه: «تعرف كما يعرفون أنّني لا أصلي ولا أصوم»[1] فبعرفنا هو نفسه بجانب من علاقته بالدين.

عمل الطلياني صحفيّا في تونس «بعد أن كان مجرّد مصحّح في الجريدة وصحفيّا بالمقابل»[2] أصبح بعدها مشرفا على ملاحق الجريدة ثم «التحق عبد الناصر بوكالة فرنسا للأنباء (أ.ف.ب)...ليفتح بعدها شركة عيون للاتصال والإشهار والإعلان»[3] أي أن الطّلياني تدرج في عمله بعد تخرجه في الجامعة من مصحّح في جريدة إلى كاتب مقالات إلى مشرف على ملحق الجريدة ثم التحق بوكالة فرنسا للأنباء ليؤسّس بعدها عملا ذاتيًا مستقلا، يتبين من خلال المعطيات السابقة أن مدلول هذه الشخصية المحورية قد امتلأ من خلال ما تلفظ به السارد ثمّ الطلياني نفسه وغيره من الشخصيات.

2- زينة :

لا تقل شخصيّة "زينة" قيمة وأهميّة عن شخصية "الطّلياني" إذ نجدها حاضرة بقوة في جل أحداث السّرد، كما أنها فعالة بدرجة كبيرة في تغيير مسار أحداث الرواية، وخاصة بالنسبة للشخصيّة البطل (الطّلياني) الذي تزوجها ثم انفصلت عنه.

لزينة اسم ثان حقيقي غير الاسم الذي اشتهرت به مثلها مثل الطلياني، إذ يدل هذا الاسم على جانب من أصولها كما جاء في قول السارد «تنحدر زينة واسمها الحقيقي" أنروز" من إحدى القرى البربرية بالشمال الغربي»[4] فهي أمازيغية الأصل والفصل «من فقراء الريف وفَلَّاحِيهِ»[5]، وهذا جليّ أكثر عندما يصف السّارد بيتها فيقول «والحديث عن البيت هو من باب المجاز: فراش بمثابة دكّة فوقها الملابس...لم تكن الغرفة كلها تتجاوز المترين عرضا والثلاثة أمتار طولا هي كل البيت بجوار غرفة النوم والأكل، قاعة الجلوس هذه مكان مغطى

(1) الرواية، ص06.
(2) الرواية، ص171.
(3) الرواية، ص295.
(4) الرواية، ص49.
(5) الرواية، ص108.

دون باب يستعمل للطبخ...وأقرب منه موضع للخلاء»[1] أي أن كل البيت بمرافقه هو مجرد غرفة واحدة فقط، للأكل والجلوس والطبخ والنوم وحتى الحمام، وعليه نتعرف على هذه الشخصية من خلال وصف السارد للمكان الذي تنتمي إليه والذي يمكننا من معرفة انتمائها للريف وكونها من طبقة فقيرة، تفتقر حياتها لأساليب العيش العصرية.

ورغم الفقر الذي ولدت فيه زينة إلا أنها ذات جمال طبيعي أخّاذ حيث يقول السّارد عنها «كانت أَنْرُوزْ ممشوقة القوام كالرمح، وجه قمحي وضّاح، شعر قصير سبط أملس بتسريحة مميزة ...لم تكن تستعمل المساحيق إلا نادرا تلبس الجينز دائما وحذاء رياضيا»[2].

ويضيف السّارد أيضا «عيناها الخضراوتان خضرة أخاذة غامقة يزيدها جحوظ لطيف في محجريها بروزا وإشعاعا»[3] فهي «امرأة طبيعية دون تصنع لكنّها تغمرك بأنوثة فيّاضة»[4] أي أنها ذات أنوثة عذراء فطريّة وعفوية «فقد كانت جمالا باذخا...لو اعتنت بإبراز أنوثتها لقلبت الدّنيا رأسا على عقب»[5]، وبهذه الصفات الجسدية تتشكل صورة هذه الشخصية.

عاشت زينة طفولة قاسية صنعت منها الفتاة القويّة الشخصيّة حيث «كانت زينة في جميع التحركات التلميذية في المعهد وفي المبيت رأس الحربة، تخطب في التلاميذ فتسحرهم...طردت من المعهد على خلفيّة المطالبة بنقابة لأبناء المعاهد ولكن نجابتها وحبُّ الأساتذة لها كان دائما ينقذها من الطّرد...معروفة بعدم سكوتها على الحق»[6].فهي تلميذة ذات ذات حِسّ نقابي مجتهدة محبوبة لدى أساتذتها فكانت شغوفة ونهمة للقراءة كما تقول هي عن نفسها: «كنت مغرمة بالتقاط أي ورقة مكتوبة...كنت أقرأ كتبي الدراسية جميعا ما إن نحصل

(1) الرواية، ص107.
(2) الرواية، ص49.
(3) الرواية، ص50.
(4) الرواية، ص63.
(5) الرواية، ص50.
(6) الرواية، ص44.

عليها...من دون مراعاة لسير البرنامج الدّراسي»[1]، يبدو من خلال هذه الصفات السلوكية أنّها تلتقي في بعض منها مع شخصية الطلياني.

كانت هذه الفتاة «حلمها أن تصبح أستاذة جامعية في الفلسفة»[2] فدخلت الجامعة وعاشت تلك المرحلة «تعارض الهياكل النقابية المؤقتة وتراها صادرت الحركة الطلابية ووجّهتها وجهة حزبية»[3]، تكتمل هذه صورة هذه الطالبة بحيث تحدو في مسار يشبه مسار الطلياني وفي هذا المستوى من تشكل مدلولها كشخصية تربها علاقة بشخصية الطلياني يمكن أن يتوقع القارئ من البداية التقاءهما.

فقد كانت «تدرس الفلسفة، ويالها من خطيبة مصقعة مقنعة ذات صوت قوي يبلع الأسماع»[4] أي أنّ زينة كانت واثقة الخطى في سبيل تحقيق حلمها كأستاذة فلسفة جامعيّة إضافة إلى أنها طورت من حسها النقابي وبرزت فيه كما كانت في أيام طفولتها تلميذة في المعهد.

تزوجت زينة عندما «قبلت عرض عبد الناصر بعقد القران شرط أن يبقى ذلك سرّا بينهما، وعلى شرط إكمال بحثها واجتياز مناظرة التبريز»[5] أي أنّها تزوجته قبل إتمام دراستها وتخرّجها في الجامعة «ليطلّقها بعد سنتين تقريبا»[6]من زواجهما و«صدر حكم الطلاق بالتّراضي »[7] استقرت بعد طلاقها من "الطلياني" مع باحث فرنسي في أواخر عقده الخامس و«عاشت معه دون صداق مصادق عليه بالمحاكم التونسية»[8] بسبب عدم إشهار إسلامه كشرط في القانون التونسي آنذاك، ولم تعد زينة إلى تونس إلا أحيانا في زيارات فقط.

(1) الرواية، ص72.
(2) الرواية، ص80.
(3) الرواية، ص54.
(4) الرواية، ص54.
(5) الرواية، ص121.
(6) الرواية، ص285.
(7) الرواية، ص285.
(8) الرواية، ص287

تعد شخصية الطلياني وشخصية زينة رئيستان مقارنة بالشخصيات الأخرى في مسار الحكاية إذ تشتركان في العديد من المميزات منها الحضور المتواصل في سيرورة أحداث الحكاية من البداية إلى النهاية، أضف إلى أنهما شخصيتان تشتركان في المصير الواحد أثناء مراحل معينة من الرواية، كما ميزهما السارد بمجموعة من المميزات الجسدية والذهنية كالذكاء والفطنة ومنحهما الشخصية القوية مقارنة بالشخصيات الثانوية الأخرى التي لم تحض بنفس المميزات من السارد.

وهناك شخصيات أخرى ثانوية أسهمت في سيرورة أحداث الرواية وتطورها، فكان ظهور هذه الشخصيات متذبذباً غير متواصل بصفة خطية، فهي تظهر حسب حاجة السارد لها، فمنها من ظهرت على فترات مختلفة واختفت في أخرى، ومنها من ظهرت مرة واحدة ثم اختفت كلية ومن بين الشخصيات الثانوية شخصية صلاح الدين.

3-صلاح الدين:

هو "الأخ الأكبر"[1] بالنّسبة لعبد الناصر كما صرح به السّارد، فقد تميز منذ صغره عن أقرانه إذ يعتبر «ولدا مثاليّا يحسد الأقرباء والجيران العائلة عليه»[2] ولأنه كذلك «كان متفوقا في في دراسته متأدبا، قليل الاختلاط بأترابه، حتّى أنه قلّما يلعب الكرة مع أبناء الحي...لا يدخّن ولا يثير مشاكل في البيت»[3] فهو الشخصية الهادئة المطيعة البارّة بالوالدين، ولهذا له حظوة كبير لدى أمّه كما صرّح به السّارد إذ يقول «صلاح الدين أهم شخص في العائلة ويعلم الجميع أن محله في قلب زينب قبل زوجها محمود وإن لم يجرؤ أحد على التّصريح بذلك»[4]، كيف لا وصلاح الدين الولد المتميز في صغره وكبره حيث أصبح «الباحث الجامعي المرموق والخبير لدى مؤسسات مالية دولية»[5] أي أنه الطالب الناجح في دراسته المتخرج من الجامعات التونسية والحاصل على مهنة مرموقة في إحدى الدول المتطورة جدا في أوروبا، فهو ميسور

(1) الرواية، ص17.
(2) الرواية، ص26.
(3) الرواية، ص30.
(4) الرواية، ص30.
(5) الرواية، ص06.

الجانب المادّي وهذا ما يظهر جليّا في قول السّارد عنه عندما يصف حاجة عبد الناصر إلى مساعداته المالية المنتظمة، فيقول عن عبد الناصر « يجب أنْ يُعْلِمَ الدّوائر المالية في سويسرا، كما كان يسمّي أخاه صلاح الدّين، لعلّه يتفهم الوضع الجديد ويرفع قيمة القسط الشهري من القرض»[1].

ويظهر عنصر الجاه والسّمو في شخصية صلاح الدين عندما يتحدث السّارد عنه قائلا: «فهو من كبار الخبراء يُعتمد عليه كثيرا في كل ما يتصل باقتصاد المغرب العربي وإفريقيا وسياستيهما المالية»[2]،يتبين للقارئ أن مدلول هذه الشخصية قد اكتمل من خلال ما تلفظ به السارد دون غيره من الشخصيات ولهذا نجده يضيف في مسوى لاحق: «انقطعت صلته بالبلاد ومنذ سنوات عديدة....خلال بعض العطل يأتي إلى تونس برفقة كَارْلَا زوجته ليصْطاف في شواطئ جَرْبَة»[3]، نفهم من هذا المعنى أنّه مغترب ومتزوج من أوروبية اسمها "كارلا".

فشخصية صلاح الدين الأخ الأكبر لعبد الناصر محبوب لدى كل العائلة وميسور الجانب المادي الذي حَصَّله في غُربته، هذا الأخير ساعده على الزواج والاستقرار والتدرُّج إلى أعلى المناصب في مجال عمله،أي أنه شخصية ناجحة على كل الصعد في الحياة.

ومن الشخصيات التي كان له دور مهم وبارز مقارنة بالشخصيات الثانوية الأخرى:

4- جنينة:

هي تلك الفتاة التي يناديها الطّلياني بالّاجنينة هي «ابنة الحاج الشاذلي»[4] ذلك الفنان الصوفي، توفيت والدتها «وعاشت يتيمة بعد أن سمعت صرختها الأولى»[5] كما جاء أيضا على لسان السّارد في حديثه عنها أنها «غادرت المدرسة في السنة الخامسة أو السادسة من التعليم الابتدائي»[6] فهي ليست بالمثقفة المتعلمة جيّدا، فبعد تسرّبها المدرسي «أصبحت جنينة

(1) الرواية، ص121.
(2) الرواية، ص13.
(3) الرواية، ص13.
(4) الرواية، ص324.
(5) الرواية، ص325.
(6) الرواية، ص333.

تقضي يومها في بيت الطّلياني تفعل بالضّبط ما تفعل أخواته خصوصا جويدة...علمتها الطبخ والغسيل وتنظيف البيت...والتطريز وغزل الملابس»[1] لأنها «تربّت كالأميرة خادمتان رهن إشارتها وعلالة يقوم بجميع الشؤون، وأبٌ عطوف تفرّغ لخدمتها على حدّ قوله»[2] ففي ظل هذه العيشة الرغدة «كانت جنينة تبدو أكبر من عمرها الحقيقي، امرأة كاملة مثيرة مغرية»[3] ويضيف السّارد أكثر واصفا إيّاها فيقول: «كانت تدير الرقاب إليها بعينيها الواسعتين وبشرتها المحمرّة وشعرها الليلي الفاحم»[4] فجنينة الجميلة الجذّابة المثيرة للرجال بجسدها ودلَعِها هي أيضاً «امرأة صناع تعرف كل شيء ممّا يلزم للدّار وتؤدي جميع المهام التي تؤديها النساء بإتقان وفنّ»[5] وكذلك صارت «زوجة إمام الحيّ وجارة عائلة الطّلياني تسكن معهم في نفس الزقاق»[6]، لكنّها بعد مرور السنين وتجاوزها الأربعين «بدأت تخرف ...وصغر عقلها لأنّها تخالط كثيرا الأطفال...ولا تؤدي واجبها الديني»[7] فقد أصبحت لا تصلي ولا تصوم ولا تؤدي واجباتها نحو زوجها رغم أنها متحجبة وزوجة إمام المسجد، لم تَصِل إلى هذه الحالة المزرية من الطيش إلا بعد وفاة والدها الحاج الشاذلي، لكن ما دام لها بعد وفاة والدها هو البذخ والغنى حيث ترك لها والدها «ثروة طائلة: عقارات وأراضي ...ومعاصر للزيتون...»[8]، يبدو أنّ حضور هذه الشخصية في مسار الحكاية كان لعلة إكمال الضورة الاجتماعية للأحداث التي جمعت كل هذه الشخصيات.

وهناك شخصية ثانوية أخرى لا تقل أهمّية عن الشخصيتين السابقتين (صلاح الدين، جنينة)، وهي شخصية علاّلة الدرويش، فمن هو علاّلة الدرويش؟

---

(1) الرواية، ص334.
(2) الرواية، ص325.
(3) الرواية، ص21.
(4) الرواية، ص325.
(5) الرواية، ص334.
(6) الرواية، ص09.
(7) الرواية، ص09.
(8) الرواية، ص326.

5- علاّلة الدرويش:

تتميز هذه الشخصية بسمات فيزيولوجية حدّدها السارد قائلاً عنها: «رجل بدين، قصير لا تخطئ العين حين تراه أمارات البلاهة والبلادة والغباء على وجهه، ولكنّه كان طيّعا خدوما لا يسمع منه إلا التنغيم والشكر»[1] فعلاّلة الدرويش يحمل صفات أشخاص من الطبقة الفقيرة المعدمة، ويظهر هذا جليّا عندما يتقوّل السارد عن أصله قائلا: «لا يعرف له أصل ولا فصل اكتشفوه أوائل الاستقلال طفلا مشردا بأسمال بالية، فاحتضنه بادئ الأمر صاحب الحمام»[2] أي أنه عاش التشرّد في طفولته وكبر عليه وهو الذي ليس له أصل أو فصل يعود إليه، "لكن التحوّل الحقيقي الأول في حياة علالة كان مع سي الشاذلي لينتدبه للعمل معه، فأصبح لعلاّلة غرفة في بيت سي شاذلي الكبير»[3].

وهذه أول مرة في حياته يصبح له غرفة خاصة به وعمل ثابت محترم فقد كانت «تعامله الخادمتان في البيت كسائر من في البيت وترعيان شؤونه»[4] فاكتسب احتراما ومكانة داخل بيت سي الشاذلي، فكانت مهمته «قضاء شؤون البيت أو العناية بالمسجد ونظافته أو إعداد الدفوف للإنشاد»[5] فكل هذه المهام الموكلة إليه تحفظ عزة نفسه، وزادت قيمته أكثر عندما «أصبح إمام الصّلوات الخمس بعد أن ورث من صِهره هذا المنصب دون أن يحتجّ أحد»[6] فأصبح إمام الحي وذا سلطة دينية بحكم منصبه الذي تولاّه، وأكثر من هذا «زواج علالة من جنينة»[7] جعله الوريث الشّرعي لسي الشاذلي في كل تركته، كيف لا وهو زوج ابنته الوحيدة، لكن بعد زواجه بسنوات أصبح علالة يردّد: «أن زوجته قد أصابتها لوثة ولا تصلح أن تكون زوجة لرجل ورع تقيّ مثله»[8] فقد أصبحت لا تقوم بواجباتها تجاهه كزوج، وقد حدث تحول في

(1) الرواية، ص327.
(2) الرواية، ص327.
(3)الرواية، ص327.
(4)الرواية، ص327.
(5)الرواية، ص329.
(6)الرواية، ص334.
(7)الرواية، ص330.
(8)الرواية، ص242.

في شخصيّته البليدة الغبية حيث «اكتسب بالمعاشرة والتجربة بعض الخبث والحيلة وطول اللّسان»[1] أي أنّه لم يبق على حالته الأولى يوم كان عاملا طيّعا لا يسمع منه إلا التّسليم والشكر، بل أصبح يتعامل مع الناس ببعض الخبث والحيلة.

وأهم شخصية أثرت في حياة علاّلة الدّرويش هي شخصية سي الشّاذلي، فما هي أهم الصفات التي أوردها السّارد عن هذه الشخصية الثانوية؟

6-سي الشاذلي:

سي الشّاذلي شخصيّة متعلمة ومتزوّج معروف النّسب فهو «أصيل جهة نابل واستقرّ في تونس بعد دراسته في الجامع الأعظم، وزواجه من أُمٍّ جنينة التي تنحدر من عائلة "بنْزَرْتِيَّة»[2] نلاحظ أن السّارد في كلامه هذا لم يذكر اسم زوجة سي الشاذلي بل اكتفى فقط بالكنية التي تطلق عليها وهي "أمّ جنينة" ممّا يؤكّد لنا أن سي الشاذلي له بنت تسمّى "جنينة" كانت سّبباً في تلقيب أمّها بتلك الكنية، إضافة إلى تعليمه الديني في الجامع الأعظم هو فنّان صوفي كما جاء على لسان السّارد قائلا: « سي الشّاذلي فنّان صوفي يحفظ الأناشيد الدّينية على الطريقة القادرية والشّاذلية»[3] نفهم من هذا أن شخصية سي الشاذلي لها إيديولوجيّة ذات توجّه ديني يتبع الطريقة الصوفيّة القادرية والشاذلية.

ويخبرنا السّارد صراحة في موضع آخر بأن سي الشاذلي شخص كريم جواد معطاء لا يعرف البخل هو زوجته فيقول: «يشهد الجميع أن سي الشاذلي وزوجته لم يكونا يبخلان بشيء عن السّائلين وعابري السّبيل»[4] ويضيف مشيدا بأعماله الخيرية التي انتفع منها الجميع قائلا عن الجامع «رَمَّمَ ما يحتاج منه إلى ترميم وغيّر محرابه تماما»[5] أي أنه رمّم مسجد الحي في كل ما يحتاج للترميم ودعمه بمحراب جديد عوضا عن القديم، ومن الأشخاص الذين لا يمكن

(1)الرواية، ص328.
(2)الرواية، ص326.
(3)الرواية، ص328.
(4)الرواية، ص326.
(5)الرواية، ص326.

لهم نكران فضل سي الشاذلي الكبير، شخصية علالة الدرويش الذي «انتشله ... من الخصاصة والفقر»[1] ثم زوّجه ابنته الوحيدة.

ما كان لسي الشاذلي أن يقوم بهذه الأعمال الخيرية وأن يكون كريما جوادا إلا بوجود ثروة كبيرة يملكها، فالسّارد يقول في هذا الشأن: «له ثروة طائلة: عقارات عديدة في المدينة العتيقة ...وأراضي...ومعاصر للزيتون...» [2].

فالشخصيته الرّجولية التي تملك من الأخلاق الكريمة والعلم الديني ما تملك، هي أيضا شخصية ثريّة لها أصلها البعيد الذي يعود إلى جهة نابل، ولها ميولاتها الفنية إلى الأناشيد الصوفية الدينية حيث «لم يسمعوا صوتا أصفى ولا أحلى من صوت سي الشاذلي»[3]وهي كهواية بالنسبة إليه وليست عملا يسعى للمال من ورائه، وبهذا تكتمل صورة الغني الذي يختلف عن سواه من الشخصيات بثروته، إذ تكفل السارد بالتعريف به على أساس أنّه لم يقم بإنجاز أدوار رئيسة.

7-الحاج محمود:

يبدأ السارد في تعريفه بالحاج محمود بالإشارة إلى زوجه فيقول: «زينب ...زوجها محمود»[4] فهذا الأخير متزوّج وله عائلة تتكون من ولدين وبنات ويظهر هذا في قول السّارد أيضا وهو يصف إحدى جلسات العائلة الليلية: «تعالى صوت عبد الناصر رغم محافظة صلاح الدين على هدوئه، خرج الأب ...وكان الجميع ينصت للأخوين...صرخ سي محمود في وجه ابنه الأصغر: متى تكف عن وقاحتك وأنت تتحدث إلى سيدك أخوك»[5] سي محمود له كامل السلطة الأبويّة على جميع أفراد العائلة «فالجميع في البيت يعرف أنه منظّم كعقارب الساعة»[6] تميز بالشخصية الوقورة الأنيقة في مظهرها المعتنية بهندامها إذ يخبرنا السّارد عن

(1)الرواية، ص327.
(2)الرواية، ص326.
(3)الرواية، ص329.
(4)الرواية، ص30.
(5)الرواية، ص16.
(6)الرواية، ص27.

هذا في قوله: «وقار الحاج محمود وأناقته في جبته السكرودة التونسية وشاشيّة الاسطنبولي، أو في بدلته الإفرنجية وقبعته المستديرة»[1] فهو المحترم في مجتمع، «وما يكنّه أهل الحي للحاج محمود وللعائلة كلها من تقدير»[2] ما هو إلا نتيجة لصفاته الشخصية سواء النفسية أم الفيزيولوجية أم الإيديولوجية، هو أيضًا «الموظف الكبير بوزارة المالية وابن العائلة ذات الأصول التركيّة»[3] فنسب سي محمود يعود إلى أصول تركية وفي «أواخر شهر جوان أو بداية شهر جويلية من سنة 1990 تاريخ وفاة الحاج محمود»[4] وتسنّت الفرصة السانحة لزوجته زينب بالسّيطرة الكاملة على أفراد الأسرة.

8- الحاجّة زينب:

يقول السّارد عن شخصيتها«زينب...زوجها محمود»[5] فهي سيدة بيت، «والأمّ القويّة التي التي كانت تسيطر على العائلة كلّها بدءًا من المرحوم إلى يُسْرَ أصغر بناتها، ولم يخرج عن طوعها إلاّ عبد الناصر»[6] فهي «الفاتقة النّاطقة في البيت»[7] و«سيّدة البيت الحديّدية»[8] التي التي كل من في البيت رهن طوعها من الابنة الكبيرة جويدة إلى سكينة وبيّة وصلاح الدين ويُسْرَ الصّغيرة باستثناء عبد الناصر الذي كانت كلّما أغضبها تغمغم «ولد الحرام لا ينتظر منه غير العيب»[9].

فالسّارد لم يورد في حديثه أي صفات فيزيولوجية عن زينب سواء من ناحية الهندام أم المواصفات الجسمية لها، فقد أشار بالقول إلى قوة شخصيتها وسيطرتها المطلقة على أمور البيت وأهله.

---

(1)الرواية، ص05.
(2)الرواية، ص05.
(3)الرواية، ص24.
(4)الرواية، ص08.
(5)الرواية، ص30.
(6)الرواية، ص12.
(7)الرواية، ص08.
(8)الرواية، ص27.
(9)الرواية، ص08.

9-حمادي:

لم يتكفل السارد بالتعريف بهذه الشخصية وإنّما تمّ ذلك من خلال شخصيات أخرى وما تلفظت به من ذلك، تقول شخصية العمّ حسن عن حمادي بأنّه «مزاجي لا يحبّ الكلام كثيرا...دائما في جيب سترته القذرة قارورة مشروب روحي يمزُّ منها مزّات وهو يشتغل، الجميع يهابه ويحبّه إشفاقا أو اعترافا ببراعته وروحه الفنّية»[1] فحمادي شخصية متقلبة المزاج صامتة مدمنة كحول، لكنه مهيب ومحبوب لأنّه «الوحيد القادر على جعل الجريدة تصدر بحله قشيبة»[2] كيف لا وهو «خريج مدرسة الفنون الجميلة»[3].

ومن أسباب مزاجيّته أنه كان «يعيش وحيدا بعد هروب زوجته عنه...بسبب رفضه تطليقها، نُسِجت حول حياته حكايات سمعها من الصحفيين»[4] فهو الشخص الفاشل في الجانب العاطفي مع زوجته التي هربت منه فانجرّ إلى السكر ليتجاوز وينسى أزمته وآلامه مع انهماكه في العمل طوال اليوم، فصمته رَسَم هالة من الهيْبة حوله فرض من خلالها احترام الآخرين له، إلّا أنّه «استلطف ..على غير عادته عبد الناصر منذ اللقاء الأول»[5] وساعده كثيرا في تعلّم سرّ مهنة الصحافة.

شخصية ثانوية أخرى ظهرت في مرحلة متأخرة من مسار الحكاية، سي عثمان المساعد دائما لعبد الناصر، فمن هو سي عثمان؟

10-سي عثمان:

لم يعطنا السّارد في الرواية أيّة مواصفات فيزيولوجيّة عن شخصية عثمان، بل ترك لنا أن نستنتج بأنفسنا بعض المواصفات من خلال تحديد مهنته، «فسي عثمان ضابط الأمن»[6] نفهم من هذا أنه شخصية ذات بنية جسمانية لا بأس بها، مهاب في بزته الرسمية حيث كان سي

(1)الرواية، ص163.
(2)الرواية، ص163.
(3)الرواية، ص164.
(4)الرواية، ص163.
(5)الرواية، ص164.
(6)الرواية، ص91.

عثمان طوق النّجاة لعبد الناصر كلما تأزّمت عليه الأحوال مع الدوائر الرسمية للأمن أو عجز عن تحقيق مأرب من مآربه، فهو الذي ساعده في «كلية مَنُّوبَة..والقَرْطَاجَنِّي...وفي خطر تصفيته هو وزينة... وبطاقة زينة عدد3...وجواز السفر لرحلة سويسرا ....والحصول على عمل»[1] فقد كان تبرير سي عثمان لعبد الناصر عن سبب مساعدته له دائما عند الحاجة هو أنّه «ابن حَيِّهم»[2] فهو يعرف والده الحاج محمود ويعرف أخاه صلاح الدين.

هناك شخصية أخرى من الشخصيات الثانوية تميزت بمساعدتها لعبد الناصر، وهي شخصية رئيف، فمن هو؟

10- رئيف:

تقول السارد عن شخصية رئيف بأنّه «الطالب في المعهد الأعلى لإدارة الأعمال ابن قرية قْلِيبَةُ، شابٌّ هادئ، عَمُول، نظيف، غير مُسيَّس...قليل الكلام، ابن عائلة أبوه صاحب قوارب صيد»[3] فطباع رئيف العالية تدلّنا على أنّه من عائلة راقية ثرية، حيث يملك والده قوارب صيد تدرّ عليه المال، وهو المنحدر من قرية قليبة الواقعة على شاطئ البحر، شابٌّ هدوؤه من قلّة كلامه وعدم تسيّسه، ونظافته وعمالته مع الناس من ثرائه المالي ومستواه العلمي.

في عامَيْه الأوّلين في الجامعة «قبِل عبد الناصر أن يشاركه البيت»[4] حيث كان رئيف «مثالا للجدّية والرغبة في توفير ظروف سكن جيّدة»[5] وذلك بإحضاره من قريته شاحنة محملة بكل أنواع الأثاث المنزلية الضرورية والكمالية، كما أنه كان يدفع أجرة المُعِينَة التي تأتي ثلاث مرات في الأسبوع لتنظيف البيت، فبهذا السلوك الراقي من رئيف ساعد كثيرا عبد الناصر على الاستقرار الكريم في بيته رفقة زوجته الجديدة زينة.

أما شخصية إريك فقد ظهرت بمثابة المنافس لعبد الناصر على زينة، فمن هو إريك؟

---

(1)الرواية، ص177.

(2)الرواية، ص91.

(3)الرواية، ص98.

(4)الرواية، ص99.

(5)الرواية، ص99.

11- إريك

إريك هو شخصية من فرنسا «يبدو حوالي في الستين، قد ينقص عنها سنتين أو ثلاثا وقد يزيد مثلهما، بلحيته الكثة المبيضة وشعره الرمادي من شدة تداخل البياض والسواد ...كان أنيقا أناقة الجامعيين والباحثيين الفرنسيين، ذا شخصية مميزة»[1] أي أنه رغم أناقته وشخصيته المميزة إلّا أنّ هذا لم يُخْفِ أمارات تقدمه في السّن، فقد تسلل الشيب إلى رأسه بعدما غمر كل لحيته الكثّة، «كان إريك من المناصرين لقضايا العرب وعلى رأسها القضية الفلسطينية»[2] وهذا ما كان سببا في زياراته المتعددة لتونس ودول عربية أخرى، هو علاقة بزينة كما جاء في قول السّارد: «يموت في حب زينة ويعاملها كدرة ثمينة ...عرفها وهي في الثانية والعشرين»[3]، «كان ذلك قُبَيْل أيّام من بداية علاقتها بالطّلياني»[4] أي أنّ إريك أحبّ زينة وتعرف عليها قبل ارتباطها بعبد الناصر، ولكن يومَها لم تُبْدِ انجذابها نحوه، حيث «ظَلاّ بعد ذلك يتراسلان»[5] إلى إلى أن انفصلت عن الطلياني (عبد الناصر) وذهبت إليه في فرنسا و«عاشت معه دون صداق»[6] وبهذا حصل إريك على زينة بعد سعيه وراءها لسنوات طويلة كانت حينها متزوجة من الطلياني.

يخبرنا السارد عن شخصية أخرى كانت بمثابة منافس لزينة، تتمثل هذه الشخصية في نجلاء، فمن هي؟

12- نجلاء:

تتميز نجلاء بجمال باذخ وهذا ما هو بادٍ من وصف السارد لها: «حاجبيها المهللين ...حاجبان وأهداب، جبين مبهج على عينين عسليتين براقتين جبين واضح وخد أسيل، قامة ممتدة وقوام نحتته رياضة كرة الطائرة ...دخلت المعهد العالي للرياضة والتربية البدنية لتصبح

(1)الرواية، ص288.
(2)الرواية، ص288.
(3)الرواية، ص289.
(4)الرواية، ص288.
(5)الرواية، ص289.
(6)الرواية، ص287.

أستاذة الرياضة...تنتقي ملابسها الرياضية من أجود الماركات العالمية»[1] فنجلاء فتاة ذات جمال أخّاذ، وجسم مُغْرٍ منحوت بسبب ممارستها الدائم للرياضة، كما أنها ذات وظيفة محترمة تُؤَمِّن لها الجانب المادي، فهي أنيقة الملبس إذ تنتقي ملابسها من أجود الماركات العالمية.

يضيف السّارد واصفا نجلاء: «شعرها طويل مسترسل يلمع من أثر الزيوت...وجهها مُنمَّص بعناية»[2] أي أنها تعتني بجمالها من خلال استعمالها للمراهم والدهون والزيوت وزياراتها لدور التجميل، كانت معجبة بزوج صديقتها زينة ألاَ وهو عبد الناصر، وهذا ما يصرح به السّارد في قوله: «تنظر إليه نظرة إعجاب تعبر عنها ابتسامتها»[3] كان هذا يوم زيارتها لصديقتها في بيتها بحضور زوجها، «كانت نجلاء تكبر عبد الناصر بسنة أو سنتين...إنها البنت الكبرى لوالدين لم ينجبا إلا الإناث»[4] فنجلاء في أواخر عقدها الثاني من عمرها من عائلة تفتقد عنصر الذكور.

ثم يضيف السّارد لإطلاعنا أكثر عن حالة نجلاء الاجتماعية بأنها مطلّقة بعدما تزوّجت قريبا لها، حيث إنّ «تجربتها لم تدم إلّا ثلاثة أشهر تقريبا قبل أن تصبح في عرف القانون ناشزا بفرارها لبيت أبيها»[5]أيْ أنّ زواجها كان مشروعا فاشلا بفعل الطّباع السيّئة لزوجها، ومنذ ذلك الحين صارت نجلاء ترى أن «السّبيل إلى حريتها الحقيقية لا يمكن أن يمرّ عبر رجل يستعبدها»[6] أي أنّها كانت ترفض الزواج مرة ثانية بسبب ما خلفته تجربتها الأولى الفاشلة في نفسيتها وحياتها ككل، ونتيجة لدخولها دائرة معارف وأشخاص جدد وهي المطلقة امتهنت نجلاء «العهر ببطاقة شبه رسمية»[7] وبهذا انتهت نجلاء في وسط عفن وصار عبد الناصر يعافها وأبعدها عنه.

---

(1)الرواية، ص178.

(2)الرواية، ص178.

(3)الرواية، ص178.

(4)الرواية، ص186.

(5)الرواية، ص187.

(6)الرواية، ص190.

(7)الرواية، ص294.

ما لاحظناه في تقديم السارد لشخصيات الرواية أن أغلب مدلولاتها جاءت على لسانه، إلّا في بعض الأحيان القليلة وردت إشارات يسيرة على لسان شخصية ما تصف نظيرتها، والجدير بالذّكر أكثر أن السارد كان يروي أحداث الرواية على لسان أحد أصدقاء البطل وهو ما يظهر جليّا في هذا القول: «فصديقي يحتاج إليّ»[1] فقد قال هذا القول عندما توفي الحاج محمود والد عبد الناصر (البطل) وأراد هذا الأخير البوح بكل أسرار حياته ليلتها، فاختار صديقه الحميم وهو سارد الرواية ليقص عليه كل ما ورد من أحداث وأسرار.

وبعد إيرادنا لأهمّ وأبرز الشخصيات الفاعلة في المسار السردي للحكاية، يمكننا أن ندرسها من خلال الجدول الذي اقترحه "فليب هامون" و«الذي يحتوي على أربعة محاور هي: الجنس: الأصل الجغرافي، الايديولوجيا، الثروة»[2] وهذه المحاور الأربعة حاضرة كلها في الرواية لكن بتفاوت بين الشخصيات، كما يظهر في هذا الجدول(+ حاضر، 0 غائب):

المحاور / الشخصيات	الجنس	الأصل الجغرافي	الايدولوجيا	الثروة
عبد النصر (الطلياني)	+	+	+	0
زينة (أنزور)	+	+	+	0
صلاح الدين	+	+	0	0
جنينة	+	+	0	+
علالة الدرويش	+	0	+	+
سي الشاذلي	+	+	+	+
الحاج محمود	+	+	0	0
الحاجة زينب	+	0	0	0
حمادي	+	0	0	0
سي عثمان	+	+	+	0

(1) الرواية، ص317.

(2) محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في السرد العربي الحديث، ص99.

رئيف	+	+	0	+
إريك	+	+	+	0
نجلاء	+	+	0	0

1-نلاحظ من خلال الجدول أنّ شخصية (الطلياني وزينة وسي عثمان وإريك) محدّدة بنفس المحاور الدلالية المتمثلة في (الجنس، الأصل الجغرافي، الإيديولوجيا)، في حين أنّ شخصية (صلاح الدين ونجلاء والحاج محمود) محددة بنفس المحاور المتمثلة في (الجنس، الأصل الجغرافي)، وبالتالي فهي من محور خاص بها غير المحور الذي تنتمي إليه شخصية (الطلياني وزينة وسي عثمان وإريك).

2-وهناك محور ثالث آخر تنتمي إليه كل من شخصية (رئيف، واللاّجنينة) وهو محددة بثلاث محاور هي (الجنس، الأصل الجغرافي، الثروة).

3-كما يوجد محور رابع ويضم كلاً من شخصية (الحاجة زينب، حمادي) وهو المحور الوحيد الذي حدد بمحور واحد فقط ألا وهو محور (الجنس).

4-أضف إلى ما سبق لدينا محور خامس ويتكون من شخصية واحدة فقط هي شخصية (علالة الدرويش) ويتحدد هذا المحور بثلاثة محاور هي: (الجنس، الايدولوجيا، الثروة)، وهناك محور سادس تميّز بنفس ميزة القسم الخامس من ناحية ضمّه شخصية واحدة وهي شخصية (سي الشاذلي)، ويتحدد هذا القسم بالمحاور الأربعة كلها وهي (الجنس، الأصل الجغرافي، الايدولوجيا، الثروة).

الملاحظة الأبرز في الجدول أنّ كل الشخصيات تشترك في أنّها محددة بمحور (الجنس)، فلا توجد أي شخصية مستثناة من التحديد بهذا المحور.

نستنتج من كل هذا أنّ الشخصيات المكونة للمتن الحكائي والمنتقاة وفق معايير ذكرناها سالفا أنها تنقسم إلى ستة أقسام بحسب المحاور التي حددت من خلالها، وتتقابل من خلال هذه الأقسام الستة شخصية (سي شاذلي) الأكثر وضوحا وتحديدا مع شخصيتي (الحاجة زينب، حمادي) الأكثر غموضا بين كل الشخصيات بسبب تحديدها بمحور واحد فقط وهو محور الجنس.

كما تتقابل شخصية (سي شاذلي) أيضا مع كل من شخصية (صلاح الدين +نجلاء+الحاج محمود) باعتبار هذه الأخيرة غامضة بسبب تحديدها بمحورين فقط هما (الجنس +الأصل الجغرافي) مقارنة بشخصية (سي الشاذلي) المحددة بأربعة محاور (الجنس+الأصل الجغرافي+ الايديولوجيا+الثروة).

وتتقابل كل من شخصية (سي الشاذلي) +(الطلياني+زينة+سي عثمان+إريك) +(رئيف+اللاجنينة) +(علالة+الدرويش) والمحددة بثلاثة محاور فما فوق أي أنها أكثر وضوحا مقابل الشخصيات الأكثر غموضا والمحددة بمحورين فأقل، وهي (صلاح الذين +نجلاء+الحاج محمود)+(الحاجة زينب+حمادي).

نلاحظ أيضا أن كل الشخصيات تتحدد من محورين على الأقل ما عدا شخصيتي (الحاجة زينب+حمادي) فهما الشخصيتان الأكثر غموضا بالنسبة لكل الشخصيات الأخرى لأنهما تتحددان بمحور واحد فقط هو محو الجنس.

كذلك «من الأمور التي تكشف عن مدلول الشخصية عند "هامون" علاقة الشخصية بالشخصيات الأخرى عن طريق عقد مقارنة بين صفات هذه الشخصيات...اعتمادا على فكرة مخطط غريماس في المربع السميائي»[1] والذي يعيننا في الوصول «إلى نظام الدلالة المتموضع في المستوى العميق»[2]حول شخصيات المتن السردي الذي ندرسه، فمثلا نأخذ محور الثروة ونخضعه بالدراسة من خلال هذا المخطط.

(1)محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في السرد العربي الحديث، ص99.

(2) راضية لرقم، الخطاب السردي في الشعر العربي القديم، دار التنوير، ط1، 2013، الجزائر، ص103.

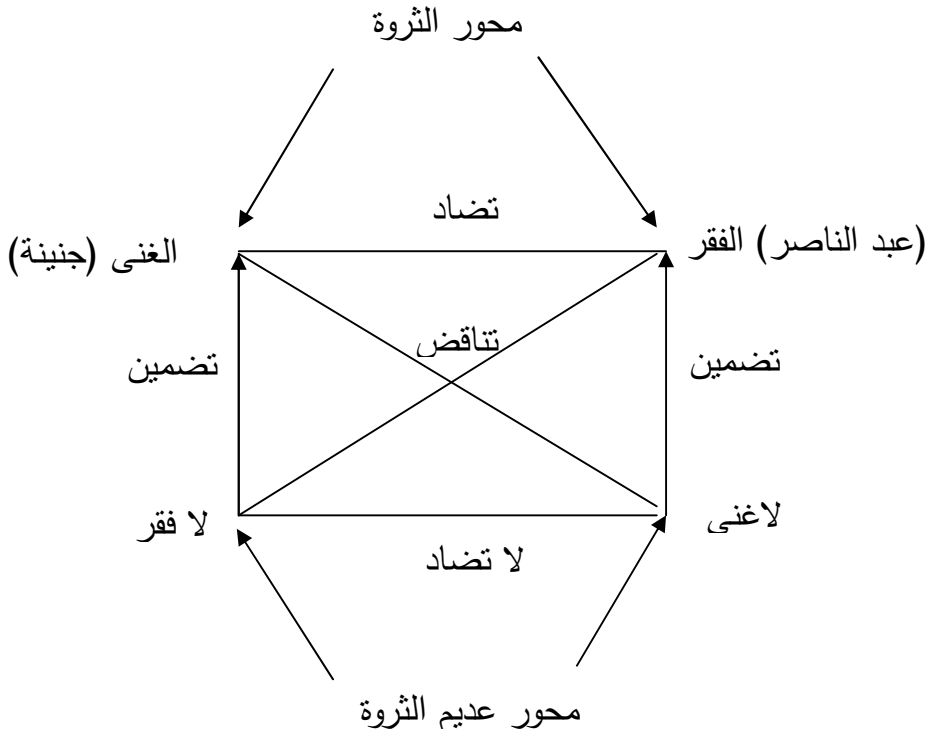

علاقة التّضاد تضم عبد الناصر في قطب (الفقر) ضد جنينة في قطب (الغنى) في محور الثروة، أمّا علاقة التناقض فهي تبين أن عبد الناصر في تناقض مع قطب (اللاّغنى) من محور عديم الثروة.

ومن خلال علاقة عبد الناصر التضادية مع محور الثروة وعلاقته التناقضية مع محور عديم الثروة، وكذلك علاقته التضامنية مع قطب (اللاّغنى) تثبت لنا صفة من صفات هذه الشخصية ألا وهي الفقر.

أمّا شخصية "جنينة" والتي هي علاقة تضاد مع قطب (الفقر) في محور الثروة، وعلى علاقة تناقض مع قطب (اللاغنى) في محور عديم الثروة وكذلك في علاقة تضمين مع قطب (اللافقر) في محور عديم الثروة، يثبت لنا من خلال كل هذه العلاقات صفة الغنى والثروة في شخصية جنينة.

مستويات وصف الشخصيات:

من أجل دراسة شخصيات النص الروائي بطريقة تحليلية أكثر يتوجب علينا دراسة البنية العاملية للمتن الروائي «ولضبط العملية التحليلية عملنا على انتقاء الذوات الكبرى المهيمنة نصيا وربطها بالبرامج السردية لتبيان أهم الاتصالات والانفصالات بين الذوات والموضوعات حتى يتسنى لنا توضيح كيفية انتشار مختلف القيم وفق بُنى عاملية متميزة»[1]، وبسبب كثرة الذوات ورغباتها وتشابكها مع بعضها البعض ارتأينا «اعتماد نظام المقطوعات نظرا لقدرته على تفكيك الوحدات الألسنية للخطاب إلى أجزاء شبه مستقلة قابلة للاشتغال كقصص منفردة»[2] حيث يعرف غريماس المقطوعة السردية بأنها «وحدة مستقلة عن وحدات الخطاب السردي قابلة للاشتغال كقصص، كما يمكن أن توجد مكملة كجزء من الأجزاء التي تشكله، ويحدد المكان الذي تحتله وظيفتها في التناسق العام للبنية السردية»[3].

ولهذا اخترنا أهم المقطوعات التي تكونت منها الرواية، إذ تحتوي هذه المقطوعات على ذوات واضحة يمكن تلخيصها في أربع جمل يدور حولها الخطاب السردي وهي:

1- عبد الناصر يريد تغيير حال المجتمع.

2- عبد الناصر يريد الزواج من زينة.

3- زينة تريد الطلاق من عبد الناصر.

4- عبد الناصر يريد الانتقام من علالة الدرويش.

1_ الترسيمة العاملية الأولى (عبد الناصر يريد تغيير حال المجتمع)

من خلال قراءتنا للجملة التي تلخص المقطوعة السردية الأولى نلاحظ أن الذات (عبد الناصر) تسعى إلى الانتقال من الحالة البدئية إلى الحالة النهائية المعاكسة لها تماما فالدكتاتورية التي يعيشها الناس كما جاء على لسان زينة وهي تحاور عبد الناصر «أنت

(1)السعيد بوطاجين، الإشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد "لابن هدوقة"، منشورات الإختلاف، ط1، 2000، الجزائر، ص10.

(2)المرجع نفسه، ص20.

(3)Algirdas Julian Greimas, Du Sens, Essai Sementique, Ed, Senil, Paris, 1970, P17.

تصادر حقّي في التعبير شأنك شأن نظام بورقيبة»[1] هذه الدكتاتورية كعامل المرسل حفّزت عبد الناصر كذات ترغب في تغيير حال المجتمع كموضوع من أجل الشعب كمرسل إليه.

وقد كان «التّيار السياسي الذي يتزعمه عبد الناصر في كلية الحقوق»[2] أحد عناصر الكفاءة التي تمتلكها الذات إضافة إلى ثقافته الواسعة وفصاحته «فهو أكثر طلبة اليسار مهارة في استقطاب العناصر»[3] فزعامة التيار اليساري الطلابي بالنسبة لعبد الناصر ليست قيمة بل هي أداة تمكنه من تحيين رغبته ومن ثمّ تحقيق الذات بالكيفية التي يريدها، ولا تتحقق الذات في تصوره إلا بتغيير حال المجتمع وتخليصه من الدكتاتورية السائدة واستبدالها بالحرية الديمقراطية.

«وللتمثيل على ذلك نقترح الترسيمة التالية»:[4].

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
تغير حال المجتمع		زعامة التيار اليساري الطلابي		الحرية والديمقراطة

إن أهم مرحلة في هذه الترسيمة هي المرحلة الأخيرة أي الغائية، وقد جاءت سلبية، مما يعني عدم تحقق حالة التوازن واستمرار للحالة الأولى وهي حالة اللاتوازن، إذ عجزت الذات في تحويل الحالة البعدية غير المتوازنة إلى حالة العكسية النقضية، أي عدم تحقق رغبة الذات بسبب وجود عوامل ضدية، رغم أن هذه العوامل لم تكن ذواتا حقيقية، وذلك لعدم سعيها وراء برامج سردية خاصة بها تسعى لتحقيقها وإفشال البرنامج السردي للذات الرئيسة (عبد الناصر)، إذ يَمثُّل عامل المعارض فيما يلي:

(1)الرواية، ص61.

(2)الرواية، ص54.

(3)الرواية، ص53.

(4)السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص26.

- دوائر الأمن التي تعتبر الأداة الفاعلة في يد السلطة، والتي من خلالها تعاقب كل من يظهر مجرد محاولة بسيطة لتغيير الحالة السائدة، وهذا ما هو باد في كلام السارد على لسان شخصية عبد الحميد مخاطبا عبد الناصر الذي أصبح صحفيا، يحذر عبد الحميد عبد الناصر من قول الحقيقة لأنه: «ببساطة سيتهم بالتخابر مع بلدان أجنبية أو بيع أسرار أمنيّة» [1] وهو ما يظهر جليًّا في قول عبد الناصر: «فهمت إذن نعرف الحقيقة ولا يجوز لنا قولها»[2] ، فقد كان جهاز الأمن الذي يتجسّس على كل فرد في المجتمع، يقول عبد الحميد: «ركّز في كل واحد منا شرطيا وواشيا»[3]، ما كاد يتسبب لعبد الناصر دخول السجن لولا شخصية سي عثمان ابن حيهم رجل البوليس الذي أنقده عدة مرات.

لم تنجح الذات في تحقيق رغبتها رغم وجود مساعد لها حيث يمثل المناضلون الطلبة في اليسار الطلابي الذي يتزعمه عبد الناصر عاملاً مساعداً، فبطاعتهم له وولائهم الدائم لمبادئ التيار وجد فيهم عبد الناصر الذراع اليمنى له.

بالإضافة إلى عامل الأصدقاء المناضلين في الجامعة، هناك عامل مساعد آخر ألا وهو انتقال عبد الناصر للعمل في الصحافة التي تعتبر أهم الأدوات التي من خلالها يمكن تغيير فكر وأحوال دول بكاملها، كيف لا وهي التي يصطلح على تسميتها بالسلطة الرابعة.

لقد انتهت كل التحولات الممكنة لإنجاز الفرضية بالفشل بالتالي استمرار الوضع الأصل والحالة البدئية، والآن « بإمكاننا سميأة الجملة النواة بالاعتماد على الترسيمةالعاملية التي اقترحها غريماس في كتابه الدلالة البنيوية»[4] وهي كالتالي:

(1)الرواية، ص202.

(2)الرواية، ص201.

(3)الرواية، ص211.

(4)السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص32.

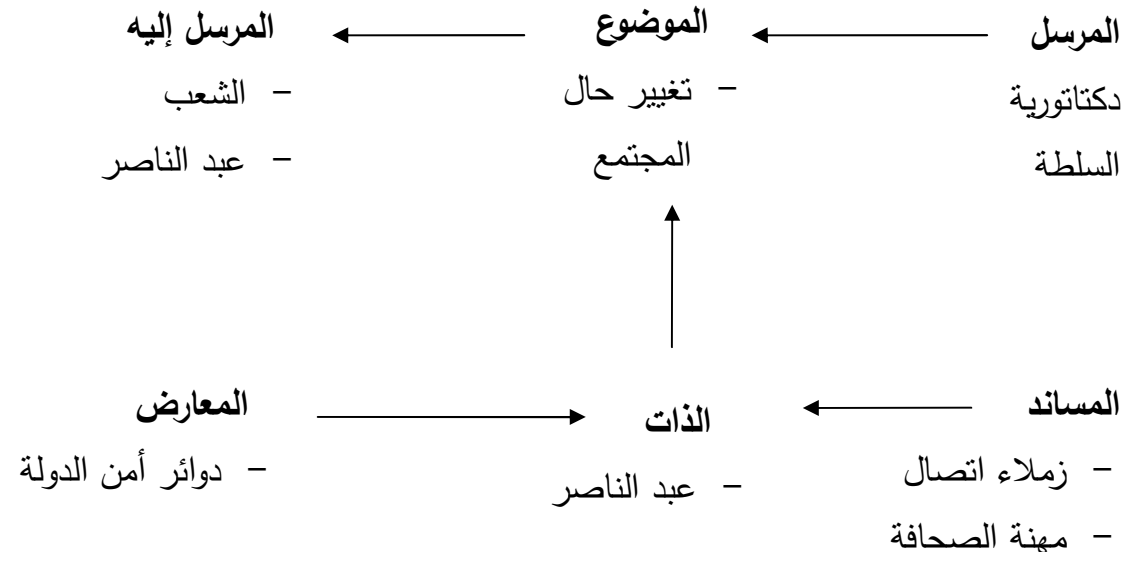

نلاحظ أن هذه الترسيمة العاملية تتركب من ثنائيات ثلاث «متباينة من حيث الطبيعة والدور العالمي الذي تقوم به»[1] وهي كالتالي:

- **ثنائية المرسل والمرسل إليه:**

إن السلطة الدكتاتورية هي الحافز الذي دفع الذات (عبد الناصر) إلى اقتناعها بوجوب الحصول على الموضوع (تغيير الحال) وحفزه على التغيير ببث الرغبة فيه من أجل إنجاز هذا الفعل، فعامل المرسل يتمظهر كعامل مجرد مفرد غير مشخص.

أما المرسل إليه والذي يتعلق في هذا الموضع بالممثلين (الشعب+عبد الناصر) اللذين لم يستفيدا من الموضوع القيمي الذي كانت ترغب الذات الاتصال به، والمتمثل في تغيير حال المجتمع من سلطة الدكتاتورية إلى كنف الحرية والديمقراطية.

- **ثنائية الذات/الموضوع**

يشتغل الممثل (عبد الناصر) في هذه الترسيمةالعاملية دورا عامليا متمثلا في عامل الذات، ويتجلى ذلك من خلال سعيها الهادف إلى تحقيق رغبتها الموجهة نحو الاتصال

(1)السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص33.

بالموضوع المرغوب فيه (تغيير حال المجتمع) بسبب اقتناع الذات بوجوب تحقيقها الاتصال بالموضوع القيمي كي تتخلص من قيود السلطة الدكتاتورية.

أما الموضوع فيتمثل في قيمة من القيم الإنسانية النبيلة التي تعد من دعائم الحضارات الراقية التي تسعى دائما إلى التغيير نحو الأفضل، فالذات (عبد الناصر) يقوم بمحاولة تغيير الحال البائس من أجل وضعية أفضل، فالموضوع يتمثل في قيمة سامية ضرورية لاستمرار الإنسان وتطور حضارته، إن التغيير من السيّء إلى الأحسن دأب كل أمة ناجحة، وسعي الذات (عبد الناصر) إلى التغيير من حالة الدكتاتورية المستبدة إلى حالة الحرية والديمقراطية وذلك من أجل حذو الدول المتطورة، ويتجلى لنا أن عامل الذات في هذه الثنائية كعامل مفرد ومشخص، في حين يتمظهر الموضوع كعامل مجرد ومفرد غير مشخص.

ثنائية المساند/المعارض

يبدو لنا من خلال هذه الترسيمة العاملية أن عامل المساند غير مفرد وغير مشخص، حيث يتمثل العامل الأساس المساند للذات في تحقيق هدفها هو وجود زملاء النضال في مرحلة الجامعة الذي يسعون في نفس الطريق الذي تسعى فيه الذات (عبد الناصر)، وبعد مرحلة الجامعة اشتغاله في مهنة الصحافة، هذه المهنة تعتبر عاملا مساندا ثانٍ للذات في تحقيق رغبتها.

أما عامل المعارض فهو مفرد وغير مشخص، حيث يتمثل في هيئة رسمية وهي (دوائر أمن الدولة) التي أهمت في عدم تحقيق الذات لهدفها حيث عجزت هذه الذات عن تخطي عقبة المعارض، يدو أن الذات الفاعلة والمتمثلة في شخصية عبد الناصر عاشت حالة الانفصال عن الحرية والديمقراطية التي يمكن اعتبارها موضوع قيمة، وكان يفترض أن تتصور علاقة المرسل بالموضوع القيم على النحو الآتي:

ذ$_1$ م$_1$ n$_1$ ⟵ ذ$_1$ م$_1$ u$_1$

لم يتم الانفصال عن الحالة الأولى والانتقال للاتصال بالموضوع القيمي نظراً لعدم اكتمال عناصر لكفاءة لدى هذه الذات حيث كانت تريد وترغب وكان واجب الفعل متوفراً لكنها عجزت

نظرا لعدم توفر عنصر معرفة الفعل وقدرة الفعل نظراً لمواجهة الذات المعارضة المتمثلة في السلطة والتي كانت تمثل البرنامج السردي الضديد.

2_ الترسيمة العاملية الثانية: (عبد الناصر يريد الزواج من زينة)

يمثل (عبد الناصر) في هذه الترسيمة الجملة الذات التي تسعى وراء موضوع الزواج من زينة، أي الانتقال من حالة بدئية متمثلة في العزوبية إلى الحالة الضدية العكسية وهي الزواج فجمال زينة المتّسم «بأنوثة فياضة»[1] و«الممشوقة القوام كالرمح...» [2] ذات «جمال باذخ...لو اعتنت بإبراز أنوثتها لقلبت الدنيا رأسا على عقب»[3] فكل هذه العلامات في زينة كانت بمثابة العامل الذي أثار رغبة الذات (عبد الناصر) وحفزها للسعي من أجل الاتصال بالموضوع المتمثل في (الزواج من زينة) أي: ذ$_1$ u$_1$ م$_1$ ⟵ ذ$_1$ n$_1$ م$_1$

ذ$_1$= ذات غبد الناصر في حالة انفصال عن زينة التي تمثل م$_1$ أي الزواج.

أما جمال ووسامة عبد الناصر فهي بمثابة الكفاءة المكتسبة التي تعينه على تحقيق رغبته، فهو لشدة جماله يعتبر «فتنة للنساء والفتيات بسبب ملامحه ووجهه وقسماته وابتسامته...ونظرته الساحرة وهيبته»[4] إضافة إلى «تعرف الطّلياني على زينة»[5] زاد تعلقها به بعد حادثة الكلّية التي علقت عليها قائلة له: «شعرت معك أنني في حماية أسد لا يريد بي سوءً»[6]حيث أبانت له عن إعجابها الشديد، وتعلقها به، وبالتالي تعتبر هذه العلامات كلها أداة بالنسبة لعبد الناصر تمكنه من تحيين رغبته ثم تحقيقها.

والآن يمكننا تمثيل كل ما سبق بهذه الترسيمة:

الفرضية	⟵	**التحيين**	⟵	**الغائية**
الزواج من زينة		التعرف عليها والاهتمام بها		ايجابية

(1)الرواية، ص63.
(2)الرواية، ص49.
(3)الرواية، ص50.
(4)الرواية، ص33.
(5)الرواية، ص49.
(6)الرواية، ص103.

ما شد انتباهنا في هذه الترسيمة بعد تقديمنا لمرحلتيها الأولى والثانية هو المرحلة الأخيرة منها، وهي الغائية التي تميزت بالإيجابية ما يعني تحقق حالة التوازن وعدم استقرار الحالة الأولى وهي حالة اللاّتوازن، حيث نجحت الذات في تحويل الحالة البدئية الأولى إلى حالة ضديّة ثانية عكسية، أي أن الذات قد حققت هدفها، أي أن (عبد الناصر) الذات نجح في (الزواج من زينة) وهذا ما يتجلى صراحة في قول السّارد: «قبلت عرض عبد الناصر بعقد القران»[1] «ليتزوّجها في ظروف خاصة جدا»[2] كان نجاح الذات في تحقيق رغبتها مربوطا بفعل مساند تمثل في شخصية (يسر) وهي الأخت الصغرى»[3] لعبد الناصر حيث كانت «الشّاهد على الصداق والوحيدة التي سمعت بالأمر من بين أفراد العائلة»[4] إضافة إلى أخيه الأكبر صلاح الدين الذي يساعده ماليّا كل شهر، «لعلّه يتفهم ويرفع قيمة القسط الشّهري»[5] وهذا الأخير (صلاح الدين) هو أيضا بمثابة مساند لأنّه وفر المال بإعانته لعبد الناصر أي وفر للذات إحدى أدوات الكفاءة مع أخته (يسر) التي كانت الشاهد في وثيقة الصّداق أي داعمة له بحضورها وأيضا بتستّرها عليه أمام العائلة (الأب، الأم، الأخوات) والمجتمع ككل وهذا الأخير(المجتمع) يعتبر معارضا لرغبة الذات، لأن سلطته المتمثلة في العادات والتقاليد المتّبعة في الزواج تتنافى وما قام به عبد الناصر، بسبب زواجه من دون علم والديه والعائلة ككل وكذلك من دون التّقدّم لخطبة وطلب يد زينة من والدها، وهذا هو السائد والمعمول به في المجتمع التونسي كعرف وعادة مستمدة من تشريع الدين الإسلامي.

يعتبر (عبد الناصر) الذات الفاعلة والراغبة في الموضوع وكذلك المستفيد منه، أي الممثل الذي يشغل عامل المرسل إليه، وبالتالي فإنّ شخصية عبد الناصر شغلت عاملين اثنين في الترسيمة العاملية نفسها كممثل وهما عامل الذات وعامل المرسل إليه.

(1)الرواية، ص121.
(2)الرواية، ص49.
(3)الرواية، ص08.
(4)الرواية، ص121.
(5)الرواية، ص 121.

ولتوضيح كيفية تمثيل (عبد الناصر) لعاملين اثنين من الأدوار العاملية في المقطوعة السابقة نعتمد الترسيمة العاملية التالية:

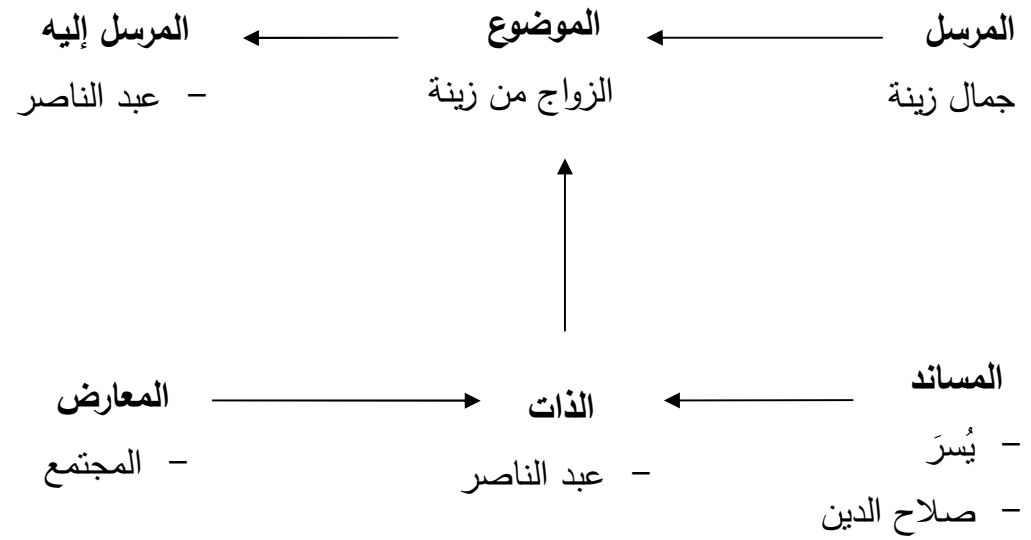

يتضح في هذه الترسيمة العاملية أنها تتكون من ستة عوامل تنتظم في ثنائيات بناءا على علاقات تحكم كل ثنائية، نوضحها كالآتي:

ثنائية المرسل /المرسل إليه

يعتبر (جمال زينة) هو الدافع الرئيس الذي حفز الذات (عبد الناصر) للاتصال بالموضوع القيمي، الذي أقنعها بالقيام بفعل عرض فكرة الزواج من زينة، فالمرسل عامل حيث أنه مفرد غير مشخص، فهو غير وارد كشخص معين أو هيئة بل متولد عن سنن وقوى فطرية غريزية تتحكم في رغبات الأشخاص.

أما بالنسبة للمرسل إليه كعامل فيمثله (عبد الناصر) بحكم أنه المستفيد من إنجاز الذات كعامل والتي يمثلها هو أيضا، فشخصية (عبد الناصر) قد شغلت دورين تمثيليين لعاملين مختلفين هما الذات والمرسل إليه، وهذا الأخير هو مفرد مشخص.

ثنائية الذات/الموضوع

يعد (عبد الناصر) الممثل الذي يشغل دور الذات في الترسيمة العاملية، التي تسعى من أجل تحقيق رغبتها الموجهة نحو الاتصال بالموضوع المرغوب فيه (الزواج من زينة) نتيجة

الحوافز التي دفعتها إلى الاقتناع بوجوب العمل لتحقيق الاتصال بالموضوع، فالذات المتمثلة في (عبد الناصر) تتمظهر مفردة ومشخصة.

أما الموضوع فيتمثل في سنة كونية من سنين الوجود لدى جميع الكائنات الحية ألا وهو الزواج الذي يضمن استمرار كل فصيل حي في الوجود، فالموضوع (الزواج من زينة) يحمل قيمة وجودية كونية تعد كحافز للذات إضافة إلى الحوافز الجمالية صراحة في المقطوعة السردية كذا تسعى الذات إلى تحقيق الاتصال بالموضوع حيث تقي سلالتها من الإندثار وتكتسب شيء من السكينة والسعادة بسبب حصولها على القيم الموجودة في الموضوع كالجمال ويتجلى عامل الموضوع كعامل مفرد مشخص.

ثنائية المساند/المعارض:

نلاحظ من خلال تأملنا لدورة الاشتغال وجود ممثل واحد يشغل محل العامل المعارض ألا وهو (المجتمع) غير المشخص والمفرد، حيث بسبب العادات والتقاليد والقيود الاجتماعية السائدة في المجتمع التونسي، كل هذا كان عائقا ضد تحقيق رغبة الذات في الاتصال بالموضوع لكن بوجود المساند كعامل يشغله ممثلان (يسر + صلاح الدين) استطاعت الذات تجاوز عائق المعارض الذي لم يكن ذاتًا لها برنامجها السردي الضديد، فكانت (يسر) بشهادتها في صداق (عبد الناصر) مع (زينة) وكتمانها للسر أمام العائلة مساندة للذات في مسعاها، أيضا (صلاح الدين) بدعمه للذات(عبد الناصر) بالمال وكتمه للسر أيضا أمام العائلة مساندا له، ويتجلى لنا أن عامل المساند مشخص غير مفرد إذ يشغله ممثلان إثنان.

توفرت مجمل عناصر الكفاءة في الذات الفاعلة عبد الناصر حيث امتلك واجب الزواج من قيمته في المجتمع، إذ كان يرغب ويريد زينة لأنه عشقها وعرف كيف يستميلها إليه، فتمكن من الحصول على موافقتها لأنها تشاركه الكثير من المبادئ، أضف إلى هذا مساعدة أخويه وضعف الذات المعارضة "المجتمع" بحكم أنهما كانا يعارضان العادات والتقاليد.

3_ الترسيمةالعاملية الثالثة (زينة تريد الطلاق من الطلياني)

تمثل (زينة) في هذه الترسيمة العاملية عامل الذات التي تسعى إلى الاتصال بالموضوع المتمثل في (الطلاق من عبد الناصر)، ولن يتحقق لها هذا إلا من خلال الانتقال من الحالة

البدئية المتسمة باللاتوازن إلى الحالة النهائية الضديدة المتسمة بالتوازن، ألا وهي الانفصال عن (عبد الناصر)، فخيانة هذا الأخير (لزينة) مرتين يعتبر حافزًا قوياً دفع الذات للاتصال بالموضوع، فكانت الخيانة الأولى في رحلتهما السويسرية إذ «ما لم يعرفه الطلياني أن زينة قد أحست بشيء ما غريب في نظرات زوجها إلى أنجليكا»[1] كما أحست «لأول مرة في حياتهما بالغيرة من امرأة»[2] لكن عبد الناصر انساق وراء جاذبية أنجليكا خاصة بعد انفرادها به في السهرة، إذ عاد ليلتها عبد الناصر إلى فراشه «ولم يستطع أن ينظر إليها خشية أن تكون قد رأته أو خجلا منها»[3]، وبعد العودة من تلك الرحلة السويسرية فترت علاقتهما إذ «أصبح الزواج مجرد مساكنة»[4]، أما المرة الثانية التي خانها فيها فهي بعد عودتها من جنازة والدتها حيث تفطنت لخيانته لها في غيابها حيث قالت له «في المرة القادمة قل لها أن تجمع أغراضها الشخصية قبل أن تغادر الدار»[5] وهي تقصد بكلامها السلسلة الفضية التي وجدتها ثم خاطبته خاطبته بعدها رغم تنكره للأمر قائلة له: «انتهى الموضوع بالنسبة إلي أنت حر وأنا حرة»[6]، بعدها بأشهر قليلة سافرت زينة إلى فرنسا ثم «عادت بعد أسبوع لتطلب الطلاق لأنها ستستقر في فرنسا»[7]، كل هذه الأمارات تصب في صالح الذات لتحقيق رغبتها في الاتصال بالموضوع بالموضوع والآن يمكن توضيح ما سبق في هذه التّرسيمة المبسّطة.

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
الانفصال عن عبد الناصر		الاقتناع بخيانة الزوج الذهاب إلى باريس		الطلاق واسترداد الكرامة والحرية

(1)الرواية، ص 134.
(2)الرواية، ص 135.
(3)الرواية، ص 139.
(4)الرواية، ص 160.
(5)الرواية، ص241.
(6)الرواية، ص241.
(7)الرواية، ص283.

نلاحظ في الترسيمة أن الغائية إيجابية أي تحقق الرغبة التي سعت من أجلها الذات (زينة) ألا وهي الانفصال عن عبد الناصر، أي أنّ الذات استطاعت تحويل الحالة البدئية إلى حالة نقيضة فانتقلت من وضعية اللاتوازن في الحالة البدئية إلى حالة التوازن في الحالة النهائية.

استطاعت الذات تحقيق النجاح في الاتصال بالموضوع رغم العراقيل التي واجهتها في البداية من عبد الناصر لها: «أنها ستندم يوما ما ولن يقبل أن تعود إليه»[1]، بعد أن سعى بكل ما يملك من أساليب الإقناع أن يثنيها عن قرارها، «لكن إصرارها كان قويا على الانفصال حتى بلغ بها الأمر إلى حدّ تهديده بخيانته»[2]، كل العراقيل التي قام بها عبد الناصر في سبيل إرجاع زينة عن قرارها لا تصل لأن تكون ممثلا لعامل المعارض، لأن الطلاق في النهاية كان بالتراضي كما جاء على لسان السارد: «صدر حكم الطّلاق بالتّراضي»[3].

لقد نجحت الذات (زينة) في تحقيق رغبتها واتصلت بالموضوع (الطلاق من عبد الناصر) من دون أي مساعدة تذكر، فعامل المساند في الترسيمة العاملية خال ولا يمثله أي ممثل والأمر نفسه بالنسبة لعامل المعارض إذ لا يوجد أي ممثل يقوم بهذا الدور والآن يمكننا التوضيح أكثر «لكيفية تمفصل العوامل وانتظامها في الترسيمة العاملية»[4]، التي تمثل فيها زينة عامل الذات: الذات:

(1)الرواية، ص 284.

(2)الرواية، ص 283.

(3)الرواية، ص 285.

(4)السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص86.

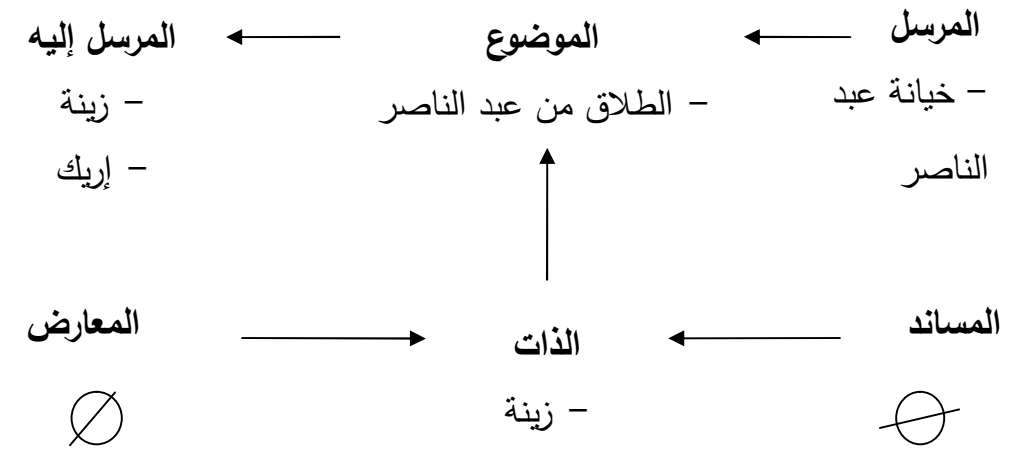

– تتبني هذه الترسيمة العاملية على ثنائيات ثلاث، إذ تحكم كل ثنائية علاقة خاصة بها، وهي كالآتي:

ثنائية المرسل/ المرسل إليه:

تعد (الخيانة) كفعل ذي قيمة سلبية هي الدافع الأساسي الذي حفز الذات (زينة) للاتصال بالموضوع (الطلاق من عبد الناصر) واقتناعها بأنه الحل الأنسب للانتقال من حالة اللاتوازن إلى حالة التوازن، فالمرسل مفرد غير مشخص.

أما بالنسبة للمرسل إليه فيقوم بدور الممثل له (زينة+ إريك) وهي المستفيد الأول والرئيس ويأتي بعدها (إريك) الذي تعرفت عليه في رحلتها الصيفية « أواخر شهر جويلية»[1]، إلى باريس، لتستقر بعد طلاقها معه « في إحدى ضواحي مدينة باريس»[2]، والمُلاحظ جيدًا يرى أن شخصية (زينة) قامت بتمثيل دورين عامليين اثنين في الترسيمة العاملية وهما: (الذات) و(المرسل إليه) فهي الذات التي كانت تسعى للاتصال بالموضوع وتحقيق رغبتها للاستفادة منه، وهذا ما زاد في تحفيزها ورغبتها في الاتصال بالموضوع، أما شخصية (إريك) فقد استفادت من الموضوع بحكم علاقة سابقة بينها وبين شخصية (زينة) بسبب عدم اكتمال إجراءات الطلاق، فعامل المرسل إليه مشخص غير مفرد.

(1) الرواية، ص282.

(2) الرواية، ص285.

ثنائية الذات/ الموضوع:

تقوم (زينة) كممثل بدور عامل الذات المفرد التي تريد تحقيق رغبتها المتمثلة في (الطلاق من عبد الناصر) كموضوع ترغب الذات في الاتصال به، إذ سببت الخيانة كقيمة سلبية حافزًا ودافعا أقنع الذات بأن الانفصال عن الحالة الأولى (الزواج) والانتقال إلى الحالة الثانية (الطلاق) هو الحل الأنسب والأقرب، فعامل الذات هنا مفرد ومشخص تمثله (زينة)، أما عامل الموضوع فغير مشخص مفرد، وتتجلى قيمته من خلال الفائدة التي يمكن أن تحققها الذات بعد حصولها عليه.

ثنائية المساند/ المعارض:

لا وجود لبرامج سردية ضديدة أو عراقيل تمنع الذات من تحقيق رغبتها ولذلك فعامل المعارض خال من أي ممثل في هذه الترسيمة العاملية ما عدا بعض الانطباعات التي أبداها (عبد الناصر) في أول الأمر ثم سرعان ما تخلى عنها، فالأمر لا يصل لأن يكون ممثلا لعامل المعارض.

أما بالنسبة للمساند فالحالة نفسها، إذ لا وجود لمساند للذات في سبيل تحقيق رغبتها فالذات وحيدة في طريقها إلى هدفها، لا مساند ولا معارض لها.

4_ الترسيمةالعاملية الرابعة: (عبد الناصر يريد الانتقام من علاقة الدرويش- الإمام-).

يمثل (عبد الناصر) دور عامل الذات الفاعلة في هذه الترسيمة العاملية، إذ يحفزه عامل المرسل الذي تمثله (ذكريات الطفولة) الخاصة به، فتحثه وتنمي فيه الرغبة في الاتصال بالموضوع والعمل على تحقيقه بالانتقال من الحالة البدئية (ألم الذكريات) إلى الحالة الضديدة (لذة الانتقام).

إن قوّة (عبد الناصر) الذات وعنفوان الشباب فيه، إضافة إلى بلوغه الفزيولوجي ونضجه العلمي كانت هذه العوامل كلّها حليفة لعناصر الكفاءة التي تمتّع بها (عبد الناصر) الذات الفاعلة من أجل النجاح في تحقيق رغبته، يقول السّارد عن الواقعة: « من كانوا في الدائرة الأولى رَأَوْا عبد الناصر يوجّه ضربة بحذاء "البرودكان" إلى وجه الإمام الذي كان في الحفرة

يستعد لدفن المرحوم، كانت صَرْفَتُها مسْموعة مما يدلّ على قوتها»[1]، لم يقم عبد الناصر بهذا الفعل إلاّ لسبب وجيه دفعه، ألا وهو (ذكريات طفولته) التي تمثل عامل المرسل، فعبد الناصر مازال يذكر تلك الذكريات التي باح بها لصديقه ليلة قبل يوم الدفن « أنّ علاّلة (الإمام) كان يتدرّب عليه للانتصاب، كان عنّينًا ولا شكَ»[2] حيث سرد عبد الناصر لصديقه أكثر من خمس محاولات تعرض فيها لذلك الفعل المقزز وهو في سن البراءة وما زاد ألمه هو تقدم علاّلة بصفته إمام مسجد الحي « داخل الحفرة على يساره يتسلم الجثّة استعدادا للحدها»[3]، في هذه اللّحظة بالضّبط لم يتمالك عبد الناصر نفسه ليفرغ كافة مكبوتاته وحقده الدّفين في صدره منذ الطفولة تجاه علاّلة الدرويش لينتقم منه رغم أن المقام لا يسمح بذلك فهو في المقبرة وسط مراسيم دفن والده.

وللتمثيل لما سبق نقترح الترسيمة التالية:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
الانتقام من علالة الدرويش (الإمام)		القوة+ مراسيم الدفن		إيجابية – الراحة النفسية من آلام الطفولة

يتبيّن لنا من الترسيمة السابقة أن الغائية إيجابية ما يعني أن الذات (عبد الناصر) قد نجحت في تحقيق رغبتها والاتصال بالموضوع (الانتقام من علالة الدرويش إمام مسجد الحي) فقد اكتسبت كفاءة أمّنَت لها القيام بالفعل المرغوب فيه، وخاصة في ظل غياب عامل المعارض الذي قد يكون عائقا للذات في سعيها لتحقيق هدفها ما عدا بعض الأفكار التي ساورته قبل حادثة الانتقام وهو ما تحقق بالفعل لكن بعد تحقيق لرغبته، فقد قوبل فعله باستهجان كبير من قبل الجميع وخاصة أفراد العائلة، فأخته جويدة الكبرى اتهمته بالانحراف بسبب « الكتب الفاسدة

(1) الرواية، ص07.
(2) الرواية، ص321.
(3) الرواية، ص07.

التي كان يقرؤها التي ... تدعو إلى الكفر والفساد»[1] أما أمه فقد اتهمته بالصّعلكة، وخاله « أرجع الأمر إلى فساد متأصل... بشربه للخمر وعيشه البوهيمية»[2].

إذن فقوّة (عبد الناصر) الذات وعنفوان الشّباب بالإضافة إلى مراسيم الدفن كانت بمثابة الأداة الضرورية التي مكنت عبد الناصر من تحيين رغبته، ومن ثم تحقيق الهدف بالطريقة التي يريدها، إذ لا يمكن تحقيق هدفه إلا بالانتقام من علاّلة الدرويش.

تبدو الذات الفاعلة (عبد الناصر) في هذه الترسيمة العاملية وحيدة في سعيها لتحقيق هدفها، إذ لا يوجد أي مساند يدعمها ويقدم لها المساعدة في أي مرحلة من المراحل، كما أنها تبدو في سهولة من أمرها للوصول إلى هدفها لأن عامل المعارض غائب تماما، فلا توجد أي عقبات وعراقيل في طريق هدفها.

بعد وصول الذات للهدف يكون عامل المرسل إليه هو المستفيد والذي يمثله (عبد الناصر)، حيث كان من قبل ممثلا لعامل الذات الساعية لتحقيق الموضوع، ليكون بعدها المستفيد الأول والوحيد من تحقق الهدف.

والآن يمكننا توضيح الأدوار العاملية لهذه المقطوعة من خلال التمثيل بالترسيمية العاملية التالية:

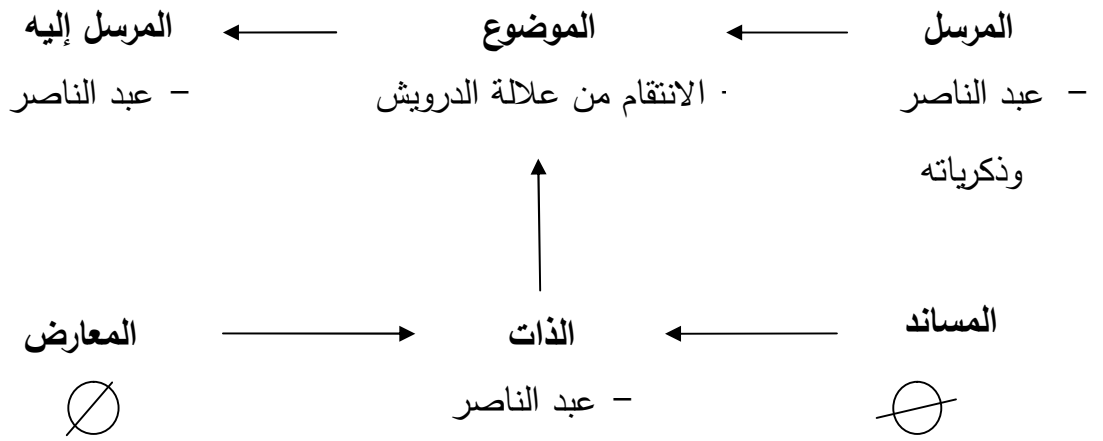

(1) الرواية، ص08.

(2) الرواية، ص09.

تُقرأ هذه الترسيمة على نحو يسعى عبد الناصر لتحقيق موضوع قيمي يتمثل في الانتقام من علالة الدرويش ليرتاح من ألم ذكريات طفولته.

وتتبني هذه الترسيمةالعاملية من ثلاث ثنائيات من حيث العلاقة التي تحكم كل ثنائية والدور العاملي الذي تقوم به.

ثنائية المرسل/ المرسل اليه:

تعتبر ذكريات الطفولة هي الدافع الأساس الذي حرك الرغبة في الذات للانتقام، وتظهر ذكريات الطفولة كممثل مفرد غير مشخص لعامل المرسل، الأمر نفسه بالنسبة لعامل المرسل إليه (المستفيد) إذ تمثله شخصية عبد الناصر وحدها أي أنّها ممثل مشخص ومفرد.

ثنائية الذات/ الموضوع:

إن الذات في هذه الترسيمة مفردة مشخصة يمثلها (عبد الناصر) وهي تسعى وراء تحقيق رغبتها والحصول على الهدف (الانتقام من علالة الدرويش) فهي وحيدة في مسعاها بسبب غياب عامل المساند وكذلك المعارض.

أما عامل الموضوع فهو المتمثل في تحقيق عبد الناصر انتقامه، فهذا الأخير يحمل قيمة معنوية تتمثل في إشفاء غليله الذي يكنّه لعلاّلة الدرويش منذ الطفولة بسبب الأفعال المشينة التي تعرض لها من قبله، ويتجلى لنا الموضوع مفرداً غير مشخص.

ثنائية المساند/ المعارض:

لا توجد أي عراقيل تعيق الذات في سعيها لتحقيق هدفها فخانة عامل المعارض تفتقر لأي ممثل يقوم بدورها، والأمر نفسه بالنسبة لعامل المساند، فهو خال أيضا من أي ممثل يقدم مساعدة للذات من أجل تحقيق هدفها، ما عدا بعض المؤهلات التي اتصفت بها الذات والتي جعلناها عناصر للكفاءة (كالقوة، مراسيم الدفن)، والأمر نفسه بالنسبة لعنصر المعارضة فقد ساورت الذات لحظات بعد القيام بفعل الانتقام بعض الأفكار المتعلقة بقيم مجردة تحكم المجتمع التونسي (احترام رجل الدين، ردة الفعل من المجتمع كيف تكون؟) لكنّها لم ترق لأن تمثل عنصر المعارض بسبب زمن ظهورها بعد تحقيق الذات لرغبتها.

المثلثات العاملية:

أثناء تحليلنا للبنى العاملية أهملنا شخصيات ولم نشر إليها لا من بعيد ولا من قريب وهذا التغاضي له أسباب عديدة نذكر منها:

ورود بعضها كشخصيات مرجعية تاريخية، مثل شخصية "الحبيب بورقيبة" التي تواتر ذكرها في الرواية عدة مرات وفي أزمنة مختلفة وشخصيات مختلفة (زينة، الحاجة، زينب، عبد الناصر، سي عبد الحميد،....) حيث قالت زينة: « إذن أنت تصادر حقي في التعبير شأنك شأن نظام بورقيبة»[1] أي أن بورقيبة شخصية حاكمة ذات سلطة ونفوذ وهو الذي تربّع على عرش تونس سنين طويلة.

كما وردت شخصية أخرى كشخصية تاريخية مرجعية ألا وهي شخصية "زين العابدين بن علي" الذي قام بانقلاب على حكم الحبيب بورقيبة حيث جاء على لسان سي عبد الحميد وهو يخاطب عبد الناصر الصحفي العامل معه في نفس الجريدة « افعل ما تشاء، ما يهمني هو الصفحة الأولى ودعم التغيير وبن علي، أفهمت؟»[2].

وما نلاحظه أن هاتين الشخصيتين « ممتلئتان بمعنى ثابت ومحدد ثقافيا وتاريخيا، قامتا بأدوار محددة ترتبط قرائيا بقدرة فهم القارئ وسعة ثقافتة»[3]، بمعنى أن كل من هو مطلع على تاريخ وثقافة تونس يعرف قيمة شخصيتي ودور "بورقيبة و ابن علي" في تاريخ المجتمع التونسي.

كما وردت شخصيات مرجعية تاريخية أخرى، كما جاء على لسان زينة « طيب ليس هتلر، الجورجي صاحب الشّنَب هو خُمَينِي الاتحاد السُّوفيَاتِي كلّهم فاشيّون بألوان محلّية»[4] فكل هذه الشّخصيات: هتلر جوزيف ستالين الذي كنّته بجورجي نسبة إلى موطنه الأصلي

(1) الرواية، ص61.

(2) الرواية، ص237.

(3) انظر: فليب هامون، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، ص40.

(4) الرواية، ص57.

جورجيا، وخميني زعيم الثورة الإسلامية في إيران، كل هؤلاء الشخصيات هي شخصيات محددة المعنى وثابتة وتحيل على حقبة تاريخية معينة وثقافة وحيز جغرافي محدد.

وهناك شخصيات أخرى ذكرت في مسار الحكاية من هذا النوع ولا يسعنا المقام للتفصيل فيها منها: فلادمير لِنِينْ، مَاوْتسِي تُونْغْ، أنْور خُوجَة.

ومن الشخصيات الأخرى التي لم نذكرها أثناء تحليلاتنا للبنى العاملية بسبب ظهورها المفاجئ للحظة ثم غيابها الكامل بعد ذلك شخصية، ريم، نجلاء، نجم الدين، سي حمادي، جويدة.

ولم نذكر شخصيات أخرى أيضا لورودها ممثلة لأدوار منفذة مثل: مدير المعهد، رئيس التحرير في الجريدة، عناصر الأمن ، الأساتذة...

كما أننا لم نورد شخصيات أخرى لأنها جاءت على مستوى الحوار أو السرد، ولم تدفع أو تسهم في حركة الأحداث في الرواية منها: الطبقات الاجتماعية (البورجوازية، الكادحة، المثقفة)، الشعب التونسي، العرب....

سي الشاذلي:

تسعى هذه الذات نحو موضوع واحد في صيغته ومتعدد في معناه ونتائجه، "فسي الشاذلي" الذي يسعى دائما إلى فعل الخير بمساعدته لكل محتاج وضعيف كما جاء على لسان السارد: « يشهد الجميع أن سي الشاذلي وزوجته لم يكونا يبخلان بشيء على السائلين وعابري السبيل وضعاف الحال من أهل الحق»[1] فسي الشاذلي الصوفي المتديّن التّقيّ الذي لا يرقى الشك إلى تقواه « فهو حاضر في الصّلوات الخمس متفرغ دائما في استعداد تامّ»[2]، كل هذه السمات والقيم الدلالية في شخصية سي الشاذلي هي تأكيدات نصية تدعم الفعل الذي قام به في سبيل تحقيقه للموضوع، فعلالة الدرويش « ممّن انتشلهم سي الشاذلي من الخصاصة والفقر... فأصبحت لعلالة غرفة في بيت سي الشاذلي الكبير، غرفة محترمة بفراش وفير وخزانة

(1) الرواية، ص326.

(2) الرواية، ص327.

ملابس... تعامله الخادمتان كسائر من في البيت وترعيان شؤونه»[1]، فكانت مساعدة سي الشاذلي لعلالة الدرويش بدافع من قيمة الفعل الدينية والأخلاقية والإيمانية، ولكن هذه الدوافع لم يذكرها السّارد علنا وبصراحة بل هي من قراءتنا الاستنتاجية لسيرورة الأحداث السردية وسمات الشخصية المساعدة.

واستمرت مساعدة سي الشاذلي لعلالة الدرويش إلى درجة أنّ أهل الحي تفاجأوا ممّا سمعوه وهو « خبر زواج علالة من جنينة»[2] وهنا نشير إلى أن الذات أصبحت المستفيد الأوّل من تحقيق رغبتها وبهذا تشغل بالتمثيل عاملين من العوامل الثلاثة التي ينبني عليها المثلث العاملي، إضافة إلى استفادة الذات من تحقيق رغبتها هناك ممثل ثان يشاركها في تمثيل عامل المرسل إليه وهو المجتمع الذي تزيد في تماسكه وقوته مثل هذه الأعمال الإنسانية التي تهتم بالأشخاص الضّعاف فتحتويهم ليكونوا صالحين في مجتمعهم.

ولم نورد جنينة كشخصية مستفيدة من الموضوع لأن زواجها لم يكن طبيعيا ولم يجلب إليها إلاّ التعاسة والألم، إذ إنّها تزوّجت برجل ناقص من كل الجوانب الفكرية منها والفيزيولوجية وحتى في وظائفه البيولوجية، إذ يتقول عنه السّارد « كان عنِّينًا ولا شكّ»[3] ولهذا نجد السارد يؤكد بتكرار سردي للفكرة وبصيغة أخرى إذ يتقوّل على لسان عبد الناصر: « أقسم أنّه لم يمسسها أبدا منذ زواجهما»[4] وبهذا فإن شخصية جنينة لم تكن لتستفيد من تحقيق الذات (سي الشاذلي) لرغبتها في مساعدة علالة الدرويش.

والآن نمثل ما فصلناه من قبل في هذا المثلث ألعاملي:

(1) الرواية، ص330.
(2) الرواية، ص330.
(3) الرواية، ص 321.
(1) الرواية، ص335.

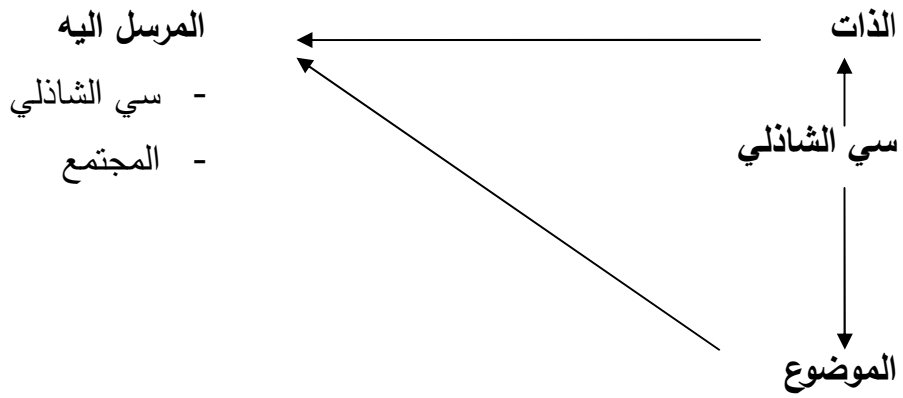

نلاحظ أن الذات في علاقتها مع الموضوع وحيدة ومنفردة إذ لم يدعمها أي طرف آخر كمساند له في سعيها لتحقيق رغبتها، ولم يشاركها أيضا أي ممثل في العمل على الاتصال بالموضوع وتحقيقه، كما أنها لم تجد أي عراقيل بسبب غياب طرف المعارض الذي يسعى من أجل إنجاح برنامج سردي ضديد، ويعود غياب هذين الطرفين المساند والمعارض لأمرين، الأول أن الذات (سي الشاذلي) ذات كفاءة عالية جدًا في قدرتها على تحقيق رغبتها، فهو الغني الثري يملك « عقارات عديدة في المدينة القديمة من حوانيت وبيوت متوسطة وكبيرة وأراض... ومعاصر للزيتون...» [1].

أمّا الأمر الثاني الذي تسبب في غياب عنصر المعارضة فهو طبيعة الفعل الذي سعت الذات للقيام به، فهو ذو طابع إنساني ديني رفيع له قيمة ايجابية لدى العنصر البشري، كما أن شخصية سي الشاذلي المتدينة المتصوفة لم تكن على عداء أو صراع مع أي شخصية من شخصيات مجتمع المتن الروائي.

الحاج محمود والحاجة زينب (زوجته).

تتميز الذات كعامل في هذا المثلث أنها غير مفردة ومشخصة فهي تتكون من ممثلين (الحاج محمود+ الحاجة زينب) اللذين يسعيان لتحقيق رغبتهما المتمثلة في (مساعدة جنينة)

(1) الرواية، ص 326.

حيث تدفعها الرأفة كمحفز من أجل السعي في تحقيق الموضوع، حيث يعتبر سن كل منهما عنصر كفاءة، فهما الزوجان الناجحان المستقران المكونان لعائلة تتكون من أربعة فتيات وولدين، فخبرتهما في الحياة تساعدهما في مسعاهما، إضافة إلى عنصر الجوار بحكم أنّ جنينة هي جارة العائلة في نفس الزقاق، أما عنصر الرأفة كمحفز فهو متولد عن حالة جنينة الاجتماعية، فهي التي توفيت والدتها « وعاشت يتيمة بعد أن سمعت صرختها الأولى»[1] فعاشت طفولتها في « بيت الطلياني تفعل بالضبط ما تفعله أخواته»[2] أي أنها عاشت في بيت الحاج محمود والحاجة زينب والدي الطلياني (عبد الناصر) « وإذا تتبعنا مجرى السرد جملة فجملة نكون مضطرين إلى اقتراح مثلثين عاملين اثنين: الأول نفسي والثاني إيديولوجي»:[3]

الأول: المثلث النفسي:

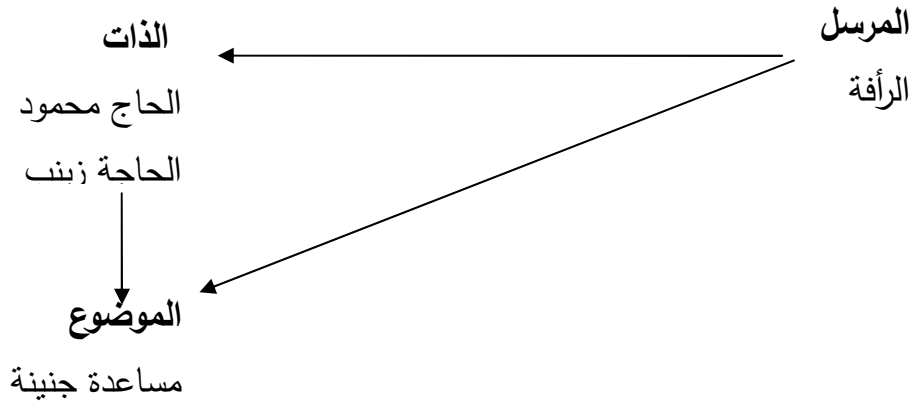

ثانيا: المثلث الايديولوجي:

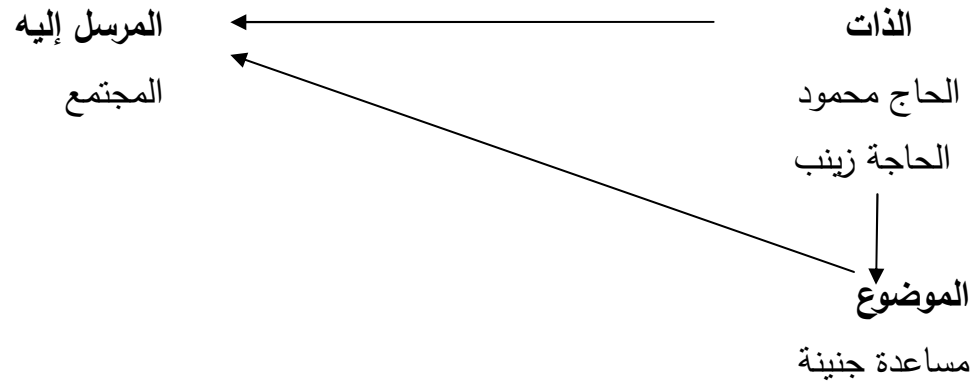

(1) الرواية، ص 325.

(2) الرواية، ص 334.

(3) السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص122.

نلاحظ في المثلث الأول أن الحافز الأساس الوحيد هو نفسي والذي دفع بالذات إلى السعي لتحقيق رغبتها ومساعدة جنينة وبذلك تصبح الاستفادة ذاتية، فيجبران (محمود+ زينب) خاطرهما ويريحان ضميرهما الذي أنبهما على جنينة المسكينة، إضافة إلى هذا أيضا يصرح السّارد قائلا عن تلك الحادثة التي كانت في وقت الضّحى من إحدى الأيام الصّيفيّة: « نَهَضَ الحاج محمود منزعجا من قطع قيلولته، وأخذت الحاجة زينب تولول بسبب هذه الجيرة المقلقة التي تقتحم عليهم سكونهم وهدوءهم حتى في مثل هذه الأوقات، صرخ الحاج في وجه زوجته:

- أيّ همّ هذا الذي أصابنا به الله.
- وماأدراني أنا، مثلي مثلك البنت ضاعت...» [1].

معنى هذا أنّ جنينة بشجارها مع زوجها علاّلة الدرويش وعلوّ صياحهما جرّاء الخصام تسبّبا في إفزاع وقلق الحاج محمود وعائلته بحكم الجوار فالمساعدة كانت من أجل إيقاف الخصام الذي سبب لهما الفزع والقلق إلاّ أنّ السياق السّردي للأحداث يتراوح بالمعنى السّطحي الظاهر لِلّفْظِ ليمنحه قيمة ومعنى أعمق وأبعد، وبالتّالي سيحل المرسل إليه مكان المتلقي الصّريح، ومنه انزياح المثلث العاملي من طابعه النفسي الأوّل إلى الطابع الإيديولوجي، وهذا ما يظهر في قول السّارد على لسان زينب وهي تخاطب جنينة: « البكاء لا ينفع... انظري إلى نفسك وبيتك وزوجك، ماذا يقول الناس عنّا؟»[2]، ثم على لسان الحاج محمود « ما تفعلينه يابُنَيّتِي لا يرضي الله ورسوله»[3]، وبالتالي فالمستفيد من الأمر هو المجتمع الذي يقدس علاقة الزواج ويفرض أن يكون منبع سكينة وحب ورحمة بين الطرفين مهما عظمت مشاكلهما، وليس كما هو الحال بين جنينة وعلالة الدرويش اللذين أزعجا كل الحي بشجارهما.

(1)الرواية، ص 336.
(2)الرواية، ص 337.
(3)الرواية، ص 339.

دوال الشخصيات:

ورد في مشروع فليب هامون الذي قدمه لنا حول نظام الشخصية الروائية أنه«يتم تقديم الشخصية، ووضعها على خشبة النص اعتمادا على دال منفصل»[1] أي أننا لا يمكن أن نقدم شخصية وندرجها في متن النص إلاّ بدال يدل عليها، «ويعرف هامون دال الشخصية على أنه مجموعة متنافرة من الإشارات التي يمكن تسميتها ب"سمته"، وهذه السّمة تختلف من كاتب إلى آخر بحسب اختباراته الجمالية والأسلوبية، ويدخل في دوال الشخصيات أسماؤها وألقابها»[2] أي أنّ اسم الشخصية يسهم بدرجة كبيرة في توضيح وملء مدلول الشخصية، كما أنّه « غالبا ما يعلن عن الخواص التي تنسب إليه»[3] أي من خلال الاسم فقط يمكن للمتلقي تحديد بعض خصائص الشخصية من دون التمحيص في المتن السردي.

لقد قدم لنا "شكري المبخوت "جلّ شخصيات روايته "الطّلباني" بأسماء عربية لها خلفيّات دينيّة وأخرى اجتماعية، كما قدم لنا شخصيات بأسماء أعجميّة، لكن اللاّفت في الأمر أن هذه الشخصيات ذات الأسماء الأعجمية لم تكن إلا شخصيات مرجعية لم تشارك في دفع وتغيير مسار الأحداث المسرودة، ماعدا شخصية واحدة وهي شخصيّة "إريك"، وسنركز في دراستنا لدوال الشخصيات على الأكثر فاعلية منها في أحداث الرواية أكثر.

إن الأسماء العربية التي حملتها شخصيات رواية "الطلياني" لشكري المبخوت منحتها انتماء عربيا وحددت هويتها وأصالتها، كما زادتها قوّة وعمقا دلاليا في التعبير عن الواقع والمجتمع العربي التونسي.

تعتبر شخصية عبد الناصر أو "الطلياني" وهي الشخصية البطلة بحكم «ما تمتاز به عن غيرها من شخصيات الرواية من خلال حضورها المهيمن في الأحداث وفاعليتها واستقلالية حركتها وحضورها»[4]، حيث يعد اسم "عبد الناصر" اسما مركبا من كلمتين هما: "عبد"

(1) فليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، ص58.

(2) محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص101.

(3) المرجع نفسه، ص101.

(4) أنظر: محمد فليح الجبوري، سميولوجية الشخصيات الروائية ، ص101.

و"الناصر" فالأولى لها دلالة «الإنسان حرٌّ كان أو رقيقًا»[1] وفي هذا الموضع تحمل دلالة الرق والعبودية لله وهي مضاف والكلمة الثانية "النّاصر" مضاف إليه وهي على وزن "الفاعل"، ولها دلالة النّصر والغلبة وتعد معاني اسم من أسماء الله الحسنى وهو "الْوَالِ" فاسم "عبد الناصر" من «أسماء العبودية والتّيمُّن»[2] أي يحمله الإنسان بأن يكون عبدا لله ومنصورا منه.

فمن خلال الاسم نستطيع الاستنتاج أن شخصية عبد الناصر من أسرة عربية تدين بالإسلام وتحرص على انتمائها إليه حتى من خلال أسماء أولادها، وهذا ما يظهر بالفعل في سلوك وردة فعل العائلة بشأن حياة عبد الناصر البوهيمية، الأمر الذي كسر أفق التوقع لدى المتلقي وكشف له عن حالة عكسية ضدية، فالشخصية التي تحمل الاسم ذي الدلالة الدينية هي ذات طباع فاسدة أخلاقيا بشربها للخمر وممارستها للزنا واقتناعها بالفكر اليساري المتطرف ودفاعها عنه.

إضافة إلى اسم البطل "عبد الناصر" هناك لقب أطلقه عليه السارد على لسان أشخاص المجتمع الحكائي، ألا وهو "الطلياني" والذي يتصدّر الواجهة في الرواية كعنوان لها، وهو لقب أُطلق عليه بسبب الشّبه الكبير بينه وبين الإيطاليين، إذ يقول السّارد عنه: «الشّاب ذو الملامح الإيطالية»[3].

أمّا "زينة" هو اسم استوحاه السّارد من الثقافة الشعبية العربية لشخصية أنثوية ذات أصول أمازيغية، وهو اسم مفرد غير مركب ومؤنث اسم «"زين": والذي معناه الحسن وهو ضد العيب»[4] ويتوافق مع معنى اسم المؤنث في معناه الذي مفاده «كل ما يزين سُمُوّ الخصال ورفعة الشأن، وهو تأنيث دارج، وفي معنى آخر هي كل ما يُتَزَيَّنُ به»[5].

(1) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1989، ص64.
(2) المرجع نفسه، ص26.
(3)الرواية، ص 171.
(4)أنظر: شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص51.
(5) المرجع نفسه، ص120.

وبالتّالي هناك تطابق بين الاسم الذي تحمله الشخصية وسماتها الفيزيولوجية، حيث جاء في وصف السارد لها بأنها «كانت جَمَالاً باذِخًا»[1] وهو ما يتطابق تماما والمعنى الدلالي المعجمي للاسم.

ومن الأسماء المركبة في الرواية نجد أيضا اسم "صلاح الدين" فهو مركب من مضاف ومضاف إليه، أما كلمة "صلاح" فمن معانيها «كمال وخير»[2] ومعنى لفظة "الدين" الدّيانة والعقيدة، فصلاح الدين اسم من أسماء «العبودية والتّيمُّن»[3]، يسمى به الطفل تيمنا بأن يكون صالحا وكاملا وخادما للدّين، وهو من الأسماء العربية المنتشرة في جل الوطن العربي الإسلامي، أيضا له قيمة تاريخية ثابتة تتمثل في شخصية "صلاح الدّين الأيوبي" القائد العسكري الكردي الذي حرّر القدس من الصليبيين وتصدّى للحملة الصليبية الثالثة على الشام ونلاحظ أن هناك تطابقا كبيرا بين المعنى المعجمي للاسم وسمات شخصية صلاح الدين في الرواية، حيث تميّزت هذه الشخصية بالتأدّب والأخلاق العالية والاجتهاد والنجاح منذ الصغر إذ يصفه السّارد: «ولد مثالي يحسد الأقرباء والجيران العائلة عليه»[4]، وبهذا نستطيع القول أن شكري المبخوت وفق إلى حد كبير في اختيار الاسم المناسب لهذه الشخصية التي تنتمي إلى عائلة تونسية تولي الدين وتاريخ أمّتها قيمة من خلال أسماء أبنائها.

أما اسم "جنينة" الذي يدل على شخصية مؤنث، فقد ورد بصيغة عامية دارجة، وهو قريب في جذره من كلمة "جنان" والتي تعني «جمع جَنّة، الحديقة ذات الشجر، والفردوس الأرضي أو السماوي»[5]، فهذا الاسم يدل على معاني الجمال في الأرض والسماء، كما أنّ تصغير كلمة "جنان" في العامية هي "جنينة" وهو من باب تصغيرها وتحبيبها، وهذا ما نلمسه في شخصية جنينة التي كانت محبوبة فهي «المرأة الكاملة المثيرة المغرية»[6]، كما وصفها السّارد، إضافة

(1)الرواية، ص 50.
(2) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص60.
(3) المرجع نفسه، ص29.
(4) الرواية، ص26.
(5) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص108.
(6)الرواية، ص 21.

إلى هذا المعنى هناك معنى آخر بعيد يقصده بهذا الاسم لهذه الشخصية وهو أنها مثل الحديقة في جمالها الباذخ وكذلك مثلها في حرمتها المنتهكة من كل الناس، فالحديقة يدخلها كثير من الناس على حسنها، والأمر نفسه مع "جنينة" زوجة الإمام العِنِّين التي «تُلاعب وتُخالط الأطفال والمراهقين من أولاد الحي وقبلهم الأخوان صلاح الدّين وعبد الناصر»[1] فهي ليست المنيعة الشريفة المحفوظة المصونة مثل النساء غالبا.

ونجد أيضا من الأسماء المركبة اسم "علالة الدرويش" وهو لشخصية من جنس ذكر في الرواية، يتكون من لفظتين هما:

علّالة: وهي مشتقة من اسم "علّال" والذي معناه «شارب بعد الشُّربِ تباعًا، وساقٍ ثانية أو تباعًا»[2]، أي أنه تابع فعل الشّرب أو السّقي.

الدّرويش: «زاهد متعبّد، والكلمة فارسية معناها فقير»[3] أي الزّهد بما فيه من تعبّد وإعراض عن ملذّات الحياة المادّية.

وكل هذه المعاني تتوافق وشخصية علالة الدرويش الذي كان في البداية الفقير المعدم ثم صار الخادم التابع لسيده الذي أكرمه ثم صار بالوراثة من سيّده إمام المسجد الذي لا يفارقه إلّا للحاجة، وبالتالي نلاحظ تطابقا كبيرا بين معنى اسم الشخصية وسماتها التي اتصفت بها في المتن الحكائي، ومنه نستطيع القول إن السّارد وُفق كثيرا في المطابقة بين المعنى المعجمي للاسم الذي اختاره للشخصية والسمات التي منحها إياها والقيم التي شحنها بها.

ومن الأسماء المركبة أيضا التي وردت في الحكاية اسم "الحاج محمود" وهو لشخصية مذكر، مركب من لقب إضافة إلى اسمه الحقيقي، ولقب "الحاج" يطلق في جل البلدان الإسلامية العربية على الفرد الذي قام بأداء الفرض الخامس من قواعد الإسلام ألا وهو الحجّ وهذا ما قامت به شخصية محمود، أما الجزء الثّاني من الاسم "محمود" ومعناه «حسن السّيرة

(1) ينظر الرواية، ص341-342.

(2) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص67.

(3)المرجع نفسه، ص44.

مشكور»[1] وجاء في مرجع آخر معناه «ممدوح السّيرة»[2] كما أنّه مشتقّ من الفعل الثّلاثي "حَمَدَ" وهو على وزن "مفعول" أي وقع عليه فعل الحمد، كل هذه المعاني المعجمية السّابقة تتوافق وشخصية الحاج محمود، ذات السمات الرّفيعة من هندامها إلى أخلاقها وحتى سمعتها وهذا يترجم «ما يكنه أهل الحي للحاج محمود وللعائلة كلها من تقدير»[3]، ومنه فإن السارد أصاب في اختياره الاسم المناسب الذي يتوافق والسّمات التي منحها لهذه لشخصية في المتن الحكائي.

يعتبر اسم الحاجة زينب من الأسماء المركبة أيضا ، وهو اسم لشخصية مؤنث مركب من الاسم الحقيقي ألا وهو "زينب" ولقب يصحبه ويلازمه وهو "الحاجة"، ودلالة هذا الاسم أنه يُعْلم السَّامع بأنّ هذه الشخصية مؤدّية لفريضة الحج، فهو لقب يطلق على الرجال والنساء في جل البلدان العربية الإسلامية، لكن تضاف له تاء التأنيث إذا أطلق على أنثى، أما الدلالة المعجمية لاسم "زينب" فهي «نوع من الشجر الطّيّب الرائحة»[4] وجاء في موضع آخر مفاده «منعّمة البدن، وشجر حَسَن المنظر طَيّب الرائحة»[5]، وكلا التفسيرين يفيد دلالة واحدة وهي الشجرة الجميلة المنظر الطيبة الرائحة وكل هذه المعاني تتناسب وشخصية الحاجة زينب الإنسانية التي ساعدت جنينة جارتها اليتيمة و«علّمتها الفصالة والخياطة»[6] وتخاطبها قائلة لها: «أنت الآن في عيون الجيران ابنة زينب»[7] فطيبة الحاجة زينب في المجتمع الحكائي هي نفسها التي يحملها اسمها كمعنى له في المعاجم، ومن ثمة يبدو أن المؤلف قد انتقى الاسم من دلالته المتداولة في المعنى المعجمي والمجتمعات الإسلامية، فهو اسم لإحدى بنات الرسول محمد

(1) حنا نصر الحتّي، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2003، ص60.

(2) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص80.

(3)الرواية، ص 05.

(4) حنا نصر الحتي، المرجع السابق، ص85.

(5) شفيق الأرناؤوط، المرجع السابق، ص120.

(6)الرواية، ص 334.

(7)الرواية، ص 337.

صلى الله عليه وسلم وخير ماعرفت به طيبتها، وبالتالي نجح السارد أيضا مع هذه الشخصية في اختيار الاسم المناسب لها.

"سي عثمان" اسم مركب أطلق في الرواية على شخصية ذكورية، يتكون من الاسم الحقيقي للشخصية وهو "عثمان" ويلزمه دائما بالسبق لفظة "سي" وهي مختصرة للفظة "سيد" فهي عاميّة الاستعمال في الأوساط الشعبية بين سكان دول الشمال الإفريقي (تونس، الجزائر المغرب) تطلق بمعية الإسم وتتصدره تعبيرا وإعلاءً لقيمة الشخص واحتراما له، أمّا الدلالة المعجمية لاسم "عثمان" فهي «فرخ الثعبان أو الحُبَارى»[1] وجاء في موضع آخر «وقيل فرخ الحيّة ما كانت، وكنية الثّعبان أبو عثمان»[2] وكلا المعنيين متوافقان، وهذا ما نجده في شخصية "سي عثمان" «رجل البوليس»[3] الذي يتتبع كل صغيرة وكبيرة بمكر ودهاء خدمة للدولة التي تتبع المعارضين أينما وجدوا بالتجسس، فشخصية "عثمان" تشترك مع الثعبان في خاصية التسلل خلسة نحو الهدف والحصول عليه مرة واحدة مثل الثعبان لحظة صيده.

نفس اللقب الذي تحمله شخصية "الشاذلي" الذي لازمه بالسبق لفظة "سي" والتي تطلق كما ذكرنا سابقا للإعلاء من شأن الشخص أما معنى الاسم الحقيقي "الشاذلي" فيعود إلى الطريقة إلى «القادرية الشاذلية»[4] الدينية التي يتبعها "سي الشاذلي"، وقد تأسست هذه الطريقة على يد «أبو الحسن الشاذلي...نسبة إلى شاذلة وهي موضع في جبل زعفران على القرب من مدينة تونس»[5]، وهي طريقة صوفية، وهذا ما يتوافق تماما مع سمات شخصية سي الشاذلي، فهو «فنان صوفي يحفظ الأناشيد»[6] الدينية، وكانت «دراسته في الجامع الأعظم»[7]، وبالتالي

(1) حنا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربية والمغربية، ص51.

(2) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مج04، دط، القاهرة، دت، ص2809.

(3) الرواية، ص176.

(4) الرواية، ص328.

(5) خالد بن ناصر العتيبي، الشاذلية عرض ونقد، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، مج01، الرياض، 2011، ص114.

(6) الرواية، ص328.

(7) الرواية، ص326.

وبالتالي فالسارد منح هذه الشخصية كل السمات التي تتطابق تماما والمعنى المعجمي الدلالي الممتلئ مسبقا، أي أنه نجح نجاحا كبيرا في اختيار الاسم المناسب لهذه الشخصية.

ويوجد اسم آخر لشخصية أخرى لازمته لفظة "سي" وهو "سي حمادي" الرجل العامل في الجريدة، ويعني اسمه "حمادي" المشتق من الفعل الثلاثي "حَمَدَ" والقريب جدا من اسم «حمّاد: كثير الحمد لله»[1]، وهذا ما تتميز به الشخصية ولو بصفة غير ظاهرة، فحمّادي الذي تخلت عنه زوجته ويعيش الوحدة والتّشتّت والضّياع، إلاّ أنّه لا يشتكي لأيّ أحد، فهو متقبّل لقدره حامد بِصَمتِه الذي يُخْفِي كلّ آلامه.

أيضا من الأسماء التي وردت في الرواية، اسم "نَجْلاء" وهو لشخصية مؤنثة ويعني «واسعة العينين»[2] وورد في موضع آخر «وطعنة نَجْلاء أي واسعة بيّنة النّجل»[3]، أي أن خاصيّة السعة هي المعنى العام الذي تشترك فيه المعاجم حول هذا الاسم، وهو ما لمسناه في شخصية نجلاء من سمات في بنيتها الفيزيولوجية حيث يقول السّارد: «حاجبيها المهللين....وأهداب من سواد مبهج على عينين عسليتين براقتين، جبين واضح....»[4] وبالتالي وبالتالي أصاب السّارد أيضا في اختيار هذا الاسم خاصة أنّه ركّز في وصفها على عينيها الواسعتين.

أمّا اسم "رئيف" فقد حملته شخصية ذكورية، وهو مقتبس من الرأفة وفعلها الثلاثي "رَأَفَ"، وجاء في معنى هذا الاسم « رئيف: رحيم»[5] أي الرأفة من الرحمة، وهذا ما تحمله الشخصية التي تميزت بالأخلاق السّامية، حيث يقول السّارد: « رئيف طالب في المعهد الأعلى لإدارة الأعمال... شابٌ هادئ، عمول، نظيف، غير مُسَيّسَ»[6] وبالتالي نستطيع القول عن دال هذه الشخصية أنّه اسم على مسمى.

---

(1) ينظر: شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية والمغربية، ص41.

(2) المرجع نفسه، ص144.

(3)ابن منظور، لسان العرب، مج06، ص4326.

(4) الرواية، ص 178.

(5) حنّا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، ص39.

(6) الرواية، ص98.

أمّا بالنسبة لاسم "إريك" فهو أجنبي تحمله شخصية أجنبية فرنسية، وبالتالي فقد وفق الكاتب في اختيار هذا الاسم الأعجمي لشخصية غير عربية، وخاصة أن هذا الاسم ينتشر بصفة كبيرة في أوروبا، وبالتالي وفق السارد في اختياره لهذا الاسم كي تحمله شخصية فرنسية دخلت مجتمع شخصيات الرواية.

أمّا بالنسبة لأسماء الشخصيات المرجعية التي وردت في الرواية فهي كلها معروفة وممتلئة المعنى وثابتة، كما أنها معروفة لدى غالبية الطبقة المثقفة في العالم، فاسم "هتلر" هو "لشخصية تاريخية حكمت ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية، وكانت هي السبب في اندلاع الحرب العالمية الثانية، شخصية نازية تسببت في قتل ملايين الناس حول العالم"[1]، وانتهت بانتهاء الحرب العالمية الثانية.

كذلك الأمر بالنسبة لشخصية "ستالين"[2] فهو زعيم الاتحاد السوفيتي أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها حتى سنة 1953 سنة وفاته، وهو شخصية عرفت بالديكتاتورية والسلطة العسكرية المطلقة، فتسبّب في قتل ملايين الناس من بني بلده وغيرهم.

أما شخصية "مَاوْتْسِيتُونْغْ"[3] زعيم الحزب الشيوعي الصّيني الذي أخذ على عاتقه تمدّن وتطور الصّين، وهو مؤمن بالشيوعية، إذ يعتبر من القادة الشيوعيين البارزين في العالم والذين غيروا مسار تاريخ شعوبهم.

"فْلادِيمِير لِينِينْ"[4] وهو أيضا اسم لشخصية مرجعية معروفة يعود أصله إلى روسيا حاليّا، وهو أحد أشهر المنظّرين للايدولوجيا الشيوعية والقادة السياسيين الأكثر شهرة في روسيا والعالم.

1ينظر: محمد فؤاد شكري، ألمانيا النازية دراسة في التاريخ الأوروبي المعاصر، مؤسسة هنداوي سي آي سي، 2017، المملكة المتحدة، ص08.

2 ينظر: فرج جبران، ستالين، ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، القاهرة، ص09.

3 ينظر: كلود روا، تر: ظريف عبد الله، حياة ماوتسي تونغ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، دت، دط، القاهرة، ص03-05.

4 https://foulabook.com/ar/author.

ورد في الرواية أيضاً اسم عربي لشخصية مرجعية تاريخية ألا وهي شخصية "بورقيبة"[1] وهو رئيس تونس بعد خروج الاستدمار الفرنسي منها فحكمها لسِنِين طويلة، تميّزت مرحلته بالدّيكتاتورية المطلقة المبنية على حكم الفرد الواحد والبوليس والعسكر، ثم جاء بعده بانقلاب عسكري الرئيس "بن علي"[2] وهذا الأخير أيضا ذكر كشخصيّة مرجعية تاريخية في الرّواية تدل على مرحلة معينة من الحياة السياسية والحكم في تونس، كما حضرت شخصية أخرى وهي شخصية "الخُمَيْنِي" الذي حكم إيران بعد انقلاب عسكري على حكم "الشّاه".

كل هذه الشخصيات المرجعية التي ذكرت في الرواية وَرَدَتْ في حوارات بين الشّخصيات الفاعلة أثناء نقاشها لمواضيع فكرية سياسيّة وإيديولوجية، وتشترك كل هذه الشخصيات في أنها تاريخية تميّزت بالقيادة والحكم الديكتاتوري الجائر، فكان حضورها في سياق الحكاية مرتبط بالموضوع القيمي الذي سعى لتحقيقه البطل عبد الناصر، وهو تغيير الأوضاع الاجتماعية البئيسة والانتقال من حكم السلطة المستبدة إلى الحكم الديمقراطي الذي يحفظ كرامة الإنسان ومسعى هذه الشخصية بمثابة البذرة التي زرعت في البلاد العربية وصارت مرجعية لثوراتها بدءً بتونس، ومن ثمة يمكن أن نتبيّن من خلال البطاقات الدلالية التي أُعطيت للشخصيات وأدوارها العاملية كمعطيات نصية أنّها تحيل إلى مرجعيات خارج نصية لا تختلف كثيرا عن صورة المجتمعات العربية.

1 https://army.alafdal.net/t32053-topic.

2 https://www.aa.com.tr/ar.

خلاصة:

لقد ضمّن الروائي "شكري المبخوت" روايته "الطلياني" شخصيات عديدة ومختلفة من ناحية طبيعتها كشخصيات مرجعية تاريخية، وشخصيات عاملية فاعلة في دفع وتطور الأحداث السردية داخل الرواية، ومن خلال دراستنا لنظام هذه الشخصيات في المتن السردي توصلنا إلى النتائج التالية:

1. ظهور شخصية البطل منذ الصفحة الأولى للرواية وحضورها المستقل وحركتها الدائمة في عوالم السرد حتى آخر صفحة.
2. تميز كل شخصيات الرواية باشتراكها في محور الجنس، فقد حددها السارد واحدة واحدة وبصراحة مطلقة.
3. لم تظهر شخصيات الرواية مرة واحدة، بل ظهرت بالتدرج وكذلك الأمر بالنسبة لبطاقاتها الدلالية فقد امتلأت مع سيرورة الأحداث وتطورها، حيث لم يصرح بها السارد دفعة واحدة في مقطوعات وصفية مباشرة.
4. تميزت الأدوار العاملية التي قام بها العديد من الشخصيات بعدم الثبات والاستقرار على عكس دوالها فقد تميزت بالثبات منذ البداية إلى النهاية، حيث لم نشهد تغير اسم أي شخصية أثناء قراءتنا وتحليلنا للرواية.
5. تنوع دوال الشخصيات نتج عنه تنوع في الخلفيات والدلالات التي اعتمدها السارد لحظة اختياره لدال كل شخصية.
6. تميز عنصر الشخصية في الرواية كامتداد للمجتمع التونسي العربي الإسلامي بمختلف أطيافه، وجسّد حقبة تاريخية بمعضلاتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والإيديولوجية في تونس.
7. يمكن القول أنّ نظام الشخصيات قد وسم الرواية بصفات تبين انتماءها للمجتمع التونسي.

الفصل الثاني: نظام الشخصيات في رواية "الآفة" لعبد الله العروي.

1. مدلول الشخصيات.
2. مستويات وصف الشخصيات.
3. دوال الشخصيات .

تتخذ رواية "الآفة" لعبد الله العروي من المغرب وأمريكا المكانين البارزين اللذين تدور فيهما أحداث الرواية بشخصياتها، وعلى رغم من اختلاف أصول هذه الشخصيات التي تعود إلى مناطق بعيدة ومتباينة من العالم، أمّا بالنسبة لطريقة تقديم الشخصية فقد اعتمد عبد الله العروي" تقنية «التقديم غير المباشر، حين يكون مصدر المعلومات عن الشخصية هو السارد حيث يخبرنا عن طبائعها وأوصافها، أو يوكل ذلك إلى شخصية أخرى من شخصيات الرواية في هذه الحالة يكون السارد وسيطا بين الشخصية والقارئ»[1]، فظل السارد على مدى المسار السردي هو الوسيط بين القارئ والشخصية، وكان حضوره مكثفا على الرغم من عدم مشاركته في أحداث القصة المسرودة، ولهذا بقي سارداً متماثلاً حكائياً ومتباينًا حكائياً.

مدلول الشخصيات:

يعتبر "فليب هامون" « أن مدلول الشخصية ... يتولد من الألفاظ التي تقال عنها من قبل شخصيات أخرى في المتن السردي أو من الجمل التي تتلفظ بها الشخصية عن نفسها»[2] وهذا ما سنركز عليه بالدراسة والتحليل كأول إجراء في تحديدنا لمدلول الشخصيات في رواية "الآفة" ونعتمد في عرضنا للشخصيات بالترتيب على معيار حضورها في المتن الروائي وكذلك استقلاليتها وفاعليتها في سيرورة الأحداث وعلاقتها بغيرها من الشخصيات.

1- هلال كروم:

تعد شخصية "هلال كروم" من أبرز الشخصيات التي أولاها السارد أهمية كبيرة في مختلف مستويات الحكاية، فقد تحدث بالوصف عن حياة هذه الشخصية منذ بداياتها الأولى إلى يوم وفاتها وعن الأسباب الكامنة وراء حادثة الوفاة، حيث يخبرنا السارد عن نسب هلال كروم فيقول مفصلا: « والدته رحمة زرهوني.... أما والده فلا يعرف عنه إلاّ قليلا.... من أولاد سيدي الشيخ الشراقة.... قادَ المقاومة بحزم ونباهة إلى أن استشهد في إحدى المعارك»[3]، أي أن هلال كروم يتيم الأب يعيش مع أمه رحمة زرهوني وهو من عائلة ثورية مقاومة في الرّيف

(1) محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010، ص44.

(2) ينظر: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص98.

(3) عبد الله العروي، الآفة، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص45.

المغربي، تعود أصول عائلتة إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ الشراقة نسبة إلى الجهة الشرقية التي يسكنونها من البلاد، والده « لاذ بالوطن الغربي إثر غارة فاشلة على معسكر الاحتلال تلتها ملاحقة عنيدة أرغمته على الاحتماء بزاوية بودشيش»[1].

وجد « اسم ... كروم ضمن الفوج الأول، أثناء الدراسة تفوق في الرياضيات»[2]، أي أن هلال كروم دخل المعهد النموذجي الذي قامت سلطات الاحتلال بتأسيسه وتميز عن أقرانه بنبوغه في الرياضيات، وبعد مرور الأيام والسنين أصبح هلال شابا « طويل القامة نحيل الجسم، أسمر اللون، أجعد الشعر، متقارب العينين مقوس الأنف، رقيق الشفتين، نضيد الأسنان، كل شيء في هندامه وقوامه ينمّ عن الأناقة وشرف المحتدّ، يُخيّل لمن يراه عالي الرأس ممتد العنق، أنّه نقل نقلا من ساحل الأحابيش»[3]، فهلال شاب ناضج كامل البنية الجسمية جميل الطلعة بسماته وهيئته، وبعد التخرج من المعهد « عين هلال كروم في محطة لتحليل التربة»[4]، أي أنّه أصبح مستقرا يملك مهنة ومنصب عمل وراتباً يتقاضاه، ولكن بسبب دخول البلاد مرة أخرى في ثورة ضدّ المستعمر « جرى في عروق هلال كروم دم والده الشهيد غادر في الحين مقر عمله وتطوع ليقود إحدى فيالق الثوار»[5]، بمعنى أن "هلال" نهج سبيل والده الشهيد على الرغم من تربيته الأكاديمية في المعهد النموذجي للسلطات الاستعمارية، ثم يخبرنا السارد عن طباعه قبل التحاقه بالثورة فيقول: « كان معروفا بجده وصراحته، بميله إلى الوجوم والعزلة... كان أيضا محبوبا بسبب استقامته واستعداده الدائم لمواساة المحتاج»[6] نستنتج من هذا أن هلالاً يحمل روحًا مرهفة بالحسّ الإنساني، ثمّ بعد أن خمدت الثورة وعرفت البلاد نوعًا من التراضي والهدوء يخبرنا السارد أن هلال ظهرت عليه أعراض غريبة، حيث أصبح عندما يسال عن تلك الأحداث « التي شارك فيها أو ساهم فيها والده الشهيد، فيلفظ كلمة

(1) الرواية، ص45.
(2) الرواية، ص46.
(3) الرواية، ص45.
(4) الرواية، ص09.
(5) الرواية، ص47.
(6) الرواية، ص35.

أو كلمتين ثم يتوه... لا أحد يدرك مما يحكي فاتحة ولا خاتمة لا القائل يبين ولا السامع يدرك إلى أن يذهل الاثنان»[1] أي أنه يدخل في حالة من الهذيان فلا يُفهم ما يقوله، وبع أن ظهرت عليه هذه الأعراض التي أطلعنا عليها السارد: « يُسْتَدْعى هلال كروم إلى الشّط الأخر»[2] من أجل المشاركة في تجربة علمية رائدة تتواءم والأعراض التي بدت عليه، ثم يضيف السارد عن وصوله إلى الشط الآخر قوله: «كان يقيم هلال في نزل... صادف إجراء التجربة الوقائية... على محاربة أي حريق طارئ»[3] ولكن حدث أنّ « حريقًا اندلع من غرفته وأنّ تجربة وقائية تحولت إلى مأساة ذهب ضحيتها خمسة عشر شخصا من ضمنهم هلال»[4]، وينتقل السرد بعد ذلك لشخصية مشاركة في الأحداث وتتكفل بنقل أخبار هلال كروم وهي شخصية المندوب ومن ثمة يصبح السارد متضمنا في الحكاية ومتماثلا فيها.

فهلال هو ذلك الطفل ابن الشهيد الثائر، عاش يتيما ودخل المعهد النموذجي وتفوق في دراسته إلى أن تخرج مهندسا، فشغل منصب عمل في محطة تحليل التربة، ثم اتبع طريق والده في الجهاد ضد المستعمر مقتنصًا فترة نشوب الفوضى، عاد بعدها إلى كنف الحياة الطبيعية بعد هدوء الثورة وفشلها، ليتميّز بأعراض غريبة مسّت ذاكرته وكانت سببا في استدعائه إلى الشط الأخر من اليابسة (أمريكا) للمشاركة في تجربة علمية رائدة كما وصفت على لسان المندوب، ثم يلقى حتفه هناك بعد المشاركة في التجربة العلمية ويعود إلى وطنه جثة هامدة .

2-زكي خليفة:

يقدم لنا السارد شخصية زكي خليفة بطريقة غير مباشرة وذلك على لسانه غير مفسح المجال للشخصية كي تقدم نفسها بنفسها، حيث يقول عنه مخبرًا إيّانا عن أصله ونسبه: «زكي ابن الحاج خليفة بن عزّوز... أصل الفرقة عين الساقية، نهر أمّ الربيع الذي يصب في بحر الظّلمات، كان أبوه وجدّه من قبل خليفة القائد في إحدى قرى النّجد الذي يفصل شمال القطر

(1) الرواية، ص48.
(2) الرواية، ص36.
(3) الرواية، ص37.
(4) الرواية، ص38.

عن جنوبه»[1]، أي أنّ زكي خليفة ذو نسب معروف وأصل محدّد المكان جغرافيا، خدم والده وجدّه القوّة الاستعمارية من خلال توليهما منصب القائد الوسيط والمسؤول عن القرية أمام المستعمر، وهذه الخدمة مقابل فوائد متبادلة، إذ يظهر في قول السارد: « جاء الأمر للخليفة أن يرسل أحد أبنائه إلى المعهد النموذجي الذي أسّسه المشير، استغنى الخليفة عن أصغر أبنائه الذي مكث في المعهد خمسة عشر سنة، تدرّب أثناءها على الحرف الجديد واللسان الجديد والمنطق الجديد»[2]، يعلمنا السّارد هنا أيضا أن زكي خليفة شخصية عارفة للغة المستعمر إضافة إلى اللغة التي يتحدث بها، وكان هذا في مرحلة زمنية طويلة دامت أكثر من عقد ونصف عاشها بين أسوار المعهد، كما يطلعنا على أمر أخر مهم وهو مرتبة زكي داخل العائلة، فهر الابن الأصغر لوالده، في هذه المرحلة التي عاشها زكي في المعهد حدث أمر مهم يخبرنا السارد به قائلا: « بعد ثلاث سنوات من التحاق زكي خليفة بالمعهد عُزِلَ أبوه... فلزم داره حتى مات من وطأة الهمّ والغمّ»[3]، وبالتالي لم يبق له سوى والدته وإخوته، ثم يقول السارد مخبرا عن حال عائلة زكي فيقول: « شاخت الأمّ وتفرق الأولاد، دون أن يولي إلى ذلك اهتماما، مرضت والدته مرضها الأخير فزارها على عجل.... علم بوفاتها وهو يتهيأ للسفر إلى الخارج.... فلم يخطر على باله أن يؤجل الرّحلة»[4]، ندرك من هذا أن شخصية زكي لم تجمعها روابط أسرية قوية حتى مع أقربهم إليه والدته التي لم يؤخر سفره بعد علمه بموتها ولم جنازة والدته بسبب تزامنها وسفريته إلى الخارج، ويضيف السّارد قائلا: «لم يمكث في البلدة إلا ليلة وغادرها غاضبا... واعدا نفسه ألا يعود إليها إلا مضطرا»[5].

كما يطلعنا السارد عن هيئة زكي قائلا: « كان يميل إلى القصر والسمنة والبياض»[6] وهو صاحب مهنة حصل عليها بفضل شهادة تخرجه من المعهد، ويظهر ذلك في قول السارد:

(1) الرواية، ص07.
(2) الرواية، ص08.
(3) الرواية، الصفحة نفسها.
(4) الرواية، ص09.
(5) الرواية، الصفحة نفسها.
(6) الرواية، ص08.

«وبعد تخرجه أُلْحِق زكي خليفة بمصلحة الأرصاد»[1]، وهو صاحب مهنة تابعة لسلطة المستعمر يتصرف فيها بأوامر المشير.

يسكت السارد الخارج حكائيا وتأخذ الكلمة شخصية كروم لتروي قصتها: « لما كانت الأمور منتظمة، جارية على المعتاد، قاسمتني المسكن امرأة وابنة لها أنجبتها مع غيري... تعلقت بها أشدّ ما يكون التعلّق وكأنها من صلبي...قررت تلك المرأة مغادرة البيت... وأخذت معها ابنتها دون اعتبار لمشاعري... تألمت للحادث»[2]، وهذا ما يؤكده قول السارد: « عن زكي خليفة، والدها الرسمي والعاطفي»[3]، أي أن حبّ زكي لتلك البنت الصّغيرة التي هي من غيره أوصله إلى حدِّ منحه لها لقبه واسمه ليكون والدها في الوثائق الرسمية، لكن لم تدم علاقته بهذه الطفلة التي أحبّها كابنةٍ له.

يأخذ السارد الكلمة ويطلعنا عن شخصية زكي والتغيرات التي حدثت في حياته فيذكر أنّه بعد أن «مرّت الأعوام غادر زكي خليفة مصلحة الأرصاد وأُلحق بالمندوبية... ثم انتقل إلى المَرْقَب»[4] كانت الأحداث الموالية نتيجة التغيير الذي حدث في حياته ومواجهته لوقائع جديدة لم يتوقعها، حيث يقول زكي: «تلقيت منذ أسبوعين خطابا من ابنتي نورا... أخبرتني عن وضعها الحالي»[5]، وقبلها كان قد تلقى دعوة «إلى مناظرة عالمية حول تقلّبات الطّقس»[6] قاطعه المندوب أثناء حديثه عن نورا الفتاة التي يحبّها كابنته وقال له: « لكلّ هذا تفضل أن تسافر إلى هناك تعيد الاتصال بابنتك، وتشارك في هذه المناظرة»[7]، رَحَلَ إلى أرض المغيب وشاركَ في المناظرة وقابلَ ابنته: « انتهت الزيارة في جو عائلي حميم وغادر زكي مفعمًا»[8] يتحول مسار سرد هذه الأحداث وينقل السارد وصول جثمانه إلى بلده ويتجلى هذا في قوله:

(1) الرواية، ص09.
(2) الرواية، ص16.
(3) الرواية، ص215.
(4) الرواية، ص24.
(5) الرواية، ص16.
(6) الرواية، ص201.
(7) الرواية، ص17.
(8) الرواية، ص24.

«ويعيدًا، بعيدا.. في الشاطئ الأخر من المحيط ينتظر المندوب ... وصول السلطار اليومي ليتسلم الجثمان»[1]، أي أن زكي عاد إلى بلده في التابوت ميتا مثله مثل زميله السّابق في المعهد "هلال كروم".

ومجمل البطاقة الدلالية التي يتكفل بتقديمها كل من السارد الخارج حكائيا والشخصية المعنة نفسها ندرك أنّ زكي شخصية لم تعش العوز والفقر بسبب عمل والده وجدّه لصالح السلطات الاستعمارية، مما ضمن له أيضا التعليم وإتقان لغة ثانية مع لغته العربية التي يتكلمها، عاش الغربة عن عائلته وهو الأصغر بينهم، حيث دامت مدة تعلمه خمس عشرة سنة من حياته، أي أنه دخل المعهد طفلا وخرج منه شابا يافعا، وهذا ما جعله جافا في علاقته مع أسرته فقطع صلته بعائلته إلى درجة عدم حضوره جنازة والدته وآثر عليها رحلة إلى الخارج بفضل درجته العلمية وشهادة تخرجه من المعهد حصل على وظيفة، لم يتزوج لكنه تعرف على طفلة هي ابنة امرأة عاشرته الغرفة فأحبها كابنته التي من صلبه ومنحها اسمه ليكون لها الأب الرسمي في وثائقها، رحل مرتين إلى الشط الأخر للمحيط في رحلتين بطابع علمي، عاد في المرة الأولى سالما، لكنه في المرة الثانية لقي نفس المصير الذي لقيه قبله زميله هلال كروم فعاد في التابوت جثة هامدة.

3-فراد بَالْمَر (المندوب):

يقدم لنا السارد شخصية المندوب "فراد بالمر" بطريقة غير مباشرة وذلك على لسانه كوسيط بين الشخصية والقارئ، حيث يقول واصفًا إيّاه: « ورث المندوب عن أبيه سحنته الزيتية وعن والدته تفاريق وجهه، تحلُمُ به كلُّ فتاة خطيبًا وكل أبٍ ولدًا أو صهرًا.. معتدل القوام وافر الشّعر، ناصع الطّرف، قائم الأنف، سويّ الأسنان سخيّ الابتسام تأدبا واحتفاء لا خنوعًا وتملقًا»[2]، ثم يضيف السّارد مؤكدا على وسامة فراد بالمر قائلا: « كان وسيما وطموحًا»[3]، ثم ثم يذكر بعد ذلك نسبه، «فأبوه من سلالة سردينية استقرت مبكرا في توسكانيا، ثم بعد ثلاثة

(1) الرواية، ص226.

(2) الرواية، ص79.

(3) الرواية، السفحة نفسها.

قرون نزحت إلى أمريكا سكنت بلدة شاطئية من نيوجرزي... لم يرد جد المندوب أن يحشر مع الجائعين والمتشردين فقرّر أن يرخّم اسمه بالميري إلى بالمر وفديريكو إلى فراد»[1]، أي أنّ أصول المندوب فراد بالمر تعود إلى القارة الأوروبية وبالضّبط إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط الشمالية من مدينة سردينيا الإيطالية، وتفاديا من جدّه كي لا يُحْشَرَ في التّصْنيف الاجتماعي مع الفقراء ذوِي الأصول البعيدة عن تلك البلاد غيّر اسمه وحوله من "فديريكو بالميري" إلى "فراد بالمر" حتى يتوارى بين السّكان الأصليين الذين عمّروا تلك البلاد قبله، ولم يكتف بهذا بل « أوصى ابنه الذي سمّاه على الطريقة الأمريكية بفراد بالمر الثاني أن يغادر نيوجرزي العامِّيَة ويجرّب حظه في مدينة عريقة كبوسطن»[2]، عاش فراد بالمر الثاني في المدينة العريقة كما أوصاه والده، حيث كان مجتهدا متعلما كما يصفه السارد قائلا: « كان مواظبا على دروس ليلية في الاقتصاد والقانون... تعرف هناك على ليلى لوهانس طاردها ضايقها، حاصرها حتى نزلت عند رغبته ورضيت به زوجا»[3]، بمعنى أن فراد بالمر أثناء دراسته تعرف على فتاة فأحبها وتزوّجها رغم أنّه « كان مسجّلا في جامعة الدّولة»[4]، وهذه الجامعة هي التي كانت السّبب في تعرفه على الدكتور "رودني كون" الذي « دعاه إلى الوفاء وإلى الطموح... انتقل من أمهرست إلى هارفرد ليدرُسَ اللّغات القديمة ويتدرب على تقنيات النّبش والحفر، تخرج في هارفرد بامتياز فقفز بضعة أميال ليحطّ بفلاتشر، معهد القانون والدّبلسة بعد أربع سنوات كان على كامل الاستعداد ليجتاز بنجاح مباراة الخارجية بمساندة قوية من الدكتور كون»[5]، أي بانتقال فراد بالمر من جامعة أمهرست إلى جامعة هارفرد درس اللغات القديمة وتعلّم الدّبلسة كما نصحه الدكتور كون وحصل على شهادة التخرج، ليعمل بعد ذلك لصالحه حيث أرسله في رحلة علمية طويلة المدة وهذا ما يظهر في قول السارد عن فراد بالمر « حل بالبصرة، فعاش منزويا في سواد شامل وقيظ متصل... تعرف بالصدفة على امرأة.... تمناها

(1) الرواية، الصفحة نفسها.
(2) الرواية، ص79.
(3) الرواية، ص80.
(4) الرواية، الصفحة نفسها.
(5) الرواية، ص83.

رفيقة وشريكة، إن كان هو متوسّطيّا تمركن فهي سلافيّة تجرمنت»[1]، وبعد أن « تعرّف بالمر على أدريانا فَنّيشْ انتهى بذلك انزواؤه»[2]، حيث ساعدته منذ أن عرفها في عمله وكانت له خير رفيقة فارتحلت معه حيث ما حل وارتحل إلّا إذا رفض هو مرافقتها له، «ثم بعدها جاء الأمر من الرّسميين بالانتقال من وطن جلجامش إلى أرض سبأ»[3] فعمل فيها مدة زمنية معينة للوصول إلى أهداف محددة من قبل أستاذه الدكتور رودني كون، فحقق أهدافه المسطّرة بمعيّة أليفته أدريانا فنّيش، ولكن سرعان ما وصله أمر جديد ليشدّ الرّحال وحده تاركًا رفيقته، « ها هو في ساحل الأحابيش... مهمّتك الآن أن تحصي وتنتقي التعاشيب، سِرّ الخلود... قهر المفازات والخروج منها»[4]، هكذا كان خطاب أستاذه والرّسميين محدّدًا للأهداف التي سيعمل من أجل تحقيقها، ولهذا قام بنفس الأمر الذي فعله جده الأول عندما رخّم اسمه من فيديركو بالميري إلى فراد المر، حيث كان اسمه « فراد بالمر الثالث القنصل والباحث المتجول، فأصبح "فَرِيد الْمِيرِي المُنْجد" مِنْ بني مِيرْ، فرع من توات القبيلة المنتشرة في مجموع شمال إفريقيا»[5] وبالتّالي تقمّص تقمّص شخصية عربية حتّى يسهل عليه الاندماج أكثر في المجتمع الحبشي ويأخذ ما يريده من أسرار ثم بعد نهاية مهمته في ساحل الأحابيش انتظرته رفيقته أدريانا فنّيش « فعاد إليها محمّلا بمزاود العقاقير والأعشاب»[6]، أرسلت كل هذه المواد التي عاد بها إلى أمريكا ومخبر أستاذه الدكتور كون، وبعدها « عين مندوبا في البلد الذي ادّعى الانتماء إليه»[7] أي أنه عين مندوبا في المغرب، ولهذا قدمه لنا السّارد تحت لقب المندوب إضافة إلى اسمه الحقيقي، وهو لقب مهنيّ فاستقر به الحال هناك بمعية رفيقته وأليفته أدريانا فنّيش.

(1) الرواية، ص84.
(2) الرواية، ص85.
(3) الرواية، ص86.
(4) الرواية، ص87.
(5) الرواية، ص88.
(6) الرواية، ص89.
(7) الرواية، ص90.

يتبين من خلال البطاقة الدلالية لهذه الشخصية والتي تكفل بتقديمها السارد الخارج حكائياً أنّ المؤلف يتبع الطريقة نفسها حيث يكثف التعريف بالجانب الجسدي وذلك من خلال الوصف ثم يضيف إليه ما يرد من خلال التطور الذي يعرفه تقدم المسار الحكائي، ومن ثمة يجمع السارد بين الوصف والسرد من خلال ما تتلفظ به الشخصية نفسها عن نفسها.

4- مارتن روس:

يقدم لنا السارد هذه الشخصية مثلها مثل الشخصيات الأخرى على لسانه فيقول: « مارتن طبيب باحث، مارس الطب قبل أن يتحول بأمر إلى باحث... كان رجلا نشيطا جريئا يقفز من فكرة إلى فكرة ... يعمل على مبدأ: لكل مبادرة غاية ولكل مهمّة أجل»[1] فمارتن شخصية تتّصف بالنّشاط والجرأة والحيوية بسبب مجال عمله الأوّل ألا وهو الطب ليكون بعدها باحثا كما أنه منظّم الفكر بسبب مبدأ عمله وهو أنّ لكل مبادرة غاية كما أنّه كان صبورًا على أعماله لأنّه يؤمن بفكرة أن لكلّ مهمّة أجل محدد، إضافة على هذا يخبرنا السّارد عن مسقط رأس روس وأصله البعيد فيقول: « وُلد ونشأ كما وُلد ونشأ أبوه في قاعدة الغرب الوسيط.... مدينة الناطحات بألواح الزجاج والإسمنت المقوى... حلّ بها صمويل روس جد مارتن روس في ختام غربة دامت عقودًا من الزمن قادت آباءه من شرق أوروبا إلى غربها...، أقاموا فيها ما يزيد على قرن ينتقلون بين قراها وسط خليط من الأجناس والملل والألسن»[2]، نفهم من هذا أن مارتن روس « وليد شيكاغو، المدينة الهجينة العنيفة»[3] ذو أصول بعيدة تعود إلى شرق أوربا أوربا حيث كانت نقطة انطلاقة جده الأولى نحو الغربة إلى أن وصل أمريكا، ثم يضيف السارد أيضا واصفا سماته وهيئته الفيزيولوجية فيقول: « ورث الدكتور روس عن أجداده شعرًا كثًّا جزري اللون تشتعل طاقاته كلّها إن مسّها الضوء، بدأ الشعر يرهف ويتساقط بعد الثلاثين كاشفا عن جمجمة مكوّرة وردية دهنيّة، ورث كذلك بشرة حليبية منمّشة، عينين لوزيّتين جاحظتين ألجأه

(1) الرواية، ص127.
(2) الرواية، ص127.
(3) الرواية، ص59.

الحسر إلى اخفائهما بنظّارة واسعة سميكة»[1]، أي أن مارتن ورث الكثير من سمات وجهه عن والده، فهو كثير الشبه به ليس في سمات الوجه فقط، بل حتى في البنية الفزيولوجية للجسم حيث يذكر السّارد أنّه « ورث عنهم أيضا بدانة الجسم وقصر القامة واتساع الصدر، خصر الأوصال ونتوء العجز»[2]، بمعنى أن مارتن روس « رجل ضخم الخلقة قصير القامة، أصلع يخفي عينيه بنظارة سميكة ويفتر عن أسنان حادة متباعدة»[3]، ومن خلال البطاقة التي يُبَئِّر فيها السارد الصفات الجسدية نتمكن أيضاً من التعرف على صات والده، وبذلك يكون السارد وكأنه يضرب عصفورين بحجر واحد، فهو يعرف بالأب من خلال ملامح الابن نظراً لتشابههما الكبير.

دخل مارتن المدرسة مثل أبناء مدينته وتدرج إلى أن وصل إلى الدراسات العليا عندما وجهه والده إلى دراسة الطب كما يخبرنا السّارد عن هذا وأكثر في قوله: « وجّهَهُ أبوه إلى مهنة الطّب حتى يكون حرًا.... عاش مارتن روس مع أبويه إلى أن توفّيا في حادث سير، تاركين له ثروة لا بأس بها، ومنزلا عائليا مكونا من طابقين... احتفظ بالطبّاخة الزّنجية نفسها والبستاني الياباني نفسه.... لم ينظر قط إلى امرأة وتخيّلها أو تمنّاها زوجة له»[4] نستنتج من هذا أن مارتن روس من عائلة ثرية لها منزلها الفاخر وعاملة البيت وبستاني حديقتة، رغم كل هذه النّعم والرفاهية إلا أن روس لم يسمع يومًا إلى غرائزه أو يعطي نفسه حقّها في امتلاك شريكة حياة بل عاش وحيدا غير آبه للأمر، وانكب على بحثه فهو « يبحث في آفة النسيان»[5] بعد أن كان طبيبا وترك هذه المهنة وتحوّل إلى باحث بعد « أن انتقل إلى مقرّ الأكاديمية وراح يشتغل مع زملائه لاسيما الدكتور كوون»[6]، أي أنه ودّع مدينة شيكاغو والتحق بالوجه الشرقي للبلاد حيث تقع الأكاديمية، هناك تعرّف على العديد من الباحثين منهم الدكتور رودني كوون الذي

(1) الرواية، ص128.
(2) الرواية، الصفحة نفسها.
(3) الرواية، ص112.
(4) الرواية، ص129.
(5) الرواية، ص72.
(6) الرواية، ص147.

أجرى بمعيّته العديد من الدّراسات والبحوث حول آفة النّسيان، يظهر من خلال ما سُرد أنّ السارد ينتقل في تعريفه بالشخصية إلى الجانب الاجتماعي ومكانتها ووظيفتها وعلاقتها بغيرها من الشخصيات.

5-رودني كوون:

تعتبر شخصية رودني كوون من أبرز الشخصيات العالمة الباحثة من أبناء البلد، حيث يذكر السّارد أنّه « ولد في فلادلفيا.... أرقى وأبهى مدينة في البلد آنذاك تلقّب بلندن الثانية»[1] ثم يضيف قائلا عنه: « سليل أسرة أميرية في إيطاليا عهد النّهضة.... معتدل القامة، ودقيق الأطراف، بشرته عاجيّة صافية ، شعره فضّي منسدرٌ، جبهته عريضة عالية، نظرة ثاقبة، وأنفه متوسّط حاد، فمه ضيق يكشف عن أسنان بيضاء فضّية، لا يزاول أيّة رياضة سوى المشي السريع يأكل ما تهيّأ... لا انحناء كتف لا تقوس ظهر، لا تمطّط خصر»[2]، فرودني كوون المولود بأمريكا وفي مدينة فلادلفيا هو ذو أصول بعيدة تعود إلى ما وراء المحيط الأطلسي وبالضبط إلى جنوب أوروبا في إيطاليا، حيث احتفظ بالجمال الإيطالي بأنفه المتوسط الحاد وفمه الضيق وشعره المنسدر، كما أنه حافظ على أناقته ورشاقة قوامه رغم تقدم العمر به وذلك بفضل ممارسته لرياضة المشي السريع، ثم يضيف السارد متحدثا عن صغره فيقول: «شغف رودني كوون من صغره بمطالعة الأساطير والملاحم»[3]، أي أنّه إضافة إلى تعليمه الأكاديمي أحبّ رودني المطالعة وشغف بها منذ صغره إلى أن كبر « فقرأ الكثير عن أهل الرّيف... نال منحة، استقلّ باخرة تربط الوجه الشرقي بِبَرّ اليونان»[4]، أي أنه بعد أن « التحق بالمعهد في سنّ الثانية والعشرين»[5] قام برحلة إلى الضفة الأخرى للمحيط الأطلسي حيث «صادفت رحلته في ربوع الريف انطفاء الثورة، تنقل بين سبته وطيطوان، مليلة وأجدير ، يلتقط المناظر ويصوّر

(1) الرواية، ص58.
(2) الرواية، ص105.
(3) الرواية، ص105.
(4) الرواية، ص107.
(5) الرواية، ص105.

البشر... تاقت نفسه إلى زيارة أرض الميعاد... حجز في باخرة متجهة إلى الإسكندرية»[1]، أي أنّ رودني حقق ما رغبت فيه وأحبته نفسه منذ الصّغر وهو زيارة الرّيف المغربي والتجوال فيه ثم شدته الرغبة لزيارة فلسطين أرض الميعاد بالنسبة لليهود، فحجز وزارها ثم عاد « بعد ثلاثة أسابيع حل من جديد بمدريد، استعاد أمتعته وقفل راجعا إلى بلده»[2]، وبالتالي حقّق "كوون" هدفين مهمّين سعى إليهما في حياته وهما: تصميمه على الالتحاق «بمعهد بيبودي الشهير»[3] أولا بعد أن كان قد « سجل في جامعة هارفرد ليدرس علم الأجناس البائدة»[4]، أما الهدف الثاني وهو زيارة الريف المغربي والتجوال فيه، وبعد كل هذا « ترشّح لنيل شهادة الدكتوراه بالمادة التي عاد بها من سفرته ... تنافست الجامعات في توظيفه، فاختار الالتحاق بمعهد بيبودي»[5] ومنذ ذلك الزمن اشتهر بأنّ « كون يبحث في سرِّ البقاء»[6]، كما أنه صار بعد ذلك « المكلّف منذ عقود بحفظ سجل الأجناس بمتحف بيبودي»[7]، ثم عمل طوال تلك السنين بمعية الدكتور مارتن روس على تجارب مختلفة تتقاطع أهدافها العلمية في نتائجها.

6- عنان رستم:

يبدأ السارد كما فعل مع الشخصيات السابقة بوصف الشخصية وتقديم أهم سمات "عنان رستم"، فهو ذو « الوجه العريض الناصع، والخدين الناتئتين والأنف القوي المحدّب، والشعر الأسود السلس، والشفتين المكتنزتين والشّنبات الكثيفة»[8].

نستطيع الحكم من خلال عرض الوجه ونتوء الخدين والأنف القوي والشفتين المكتنزتين أن عنان رستم ذو بنية مرفولوجية قوية، وهذا ما يؤكده قول السارد في موضع أخر من الرواية

(1) الرواية، ص108.
(2) الرواية، ص109.
(3) الرواية، ص58.
(4) الرواية، الصفحة نفسها.
(5) الرواية، ص109.
(6) الرواية، ص72.
(7) الرواية، ص105.
(8) الرواية، ص18.

« عنان رستم: الضخم الخلقة الرّهيف المشاعر »[1]، فهو شخصية ذكورية قوية البنية إلاّ أنّه ذو مشاعر حسّاسة جدًا، ويبدو أنّ السارد يحاول أن يميز بين هذه الشخصيات من خلال صفاتها الجسدية أولاً لتتشكل على مستوى ذهن المتلقي الصورة الفيزيولوجية للشخصية.

ثم يخبرنا السارد عن أصله مع المزيد من سماته وطبائعه قائلا: « عنان رستم من أبناء تركيا الفتاة، تشير قسمات وجهه وقوة جسمه، وبرودة أعصابه واستقامة أخلاقه إلى أصول عريقة في جبال القوقاز أو وهاد آسيا الوسطى، ولكن روحه تولدت عن تلقيح تركيا التوازنية بعقائد ألمانيا الجرمانية»[2]، بمعنى أنّ عنان رستم الذي يمتلك قوة الجسم واستقامة الأخلاق وبرودة الأعصاب يمكن أن يُعْرَف نسبه من خلال هذه الصفات بأنّه يعود إلى جبال القوقاز أو ربّما أواسط آسيا، بروحه التي تشبعت بثقافة تركيا التي ولد فيها.

والده أُرْهَان رستم يقول السارد: « كان أبوه ضابطًا في الجيش العثماني، عضوا في خلية ماسونية، خدم في ليبيا.... ثم خيّم في مقدونيا، ثم حرس الدَرْدَنِيلْ.... وانخرط في الجيش الوطني... ثمّ أسندت له مهمة السّهر على أمن محطة اسطنبول الكبرى»[3]، أي أن أرهان رستم والد عنان عاصر مرحلة سقوط الإمبراطورية العثمانية وقيام الدولة التركية الحديثة، والأمر نفسه بالنسبة لعنان الذي كان وقتها في بداية حياته.

تلقى عنان رستم تعليمه الأكاديمي كما يلزم بصفته ابن ضابط في الجيش الوطني للجمهورية التركية، وعندما وصل في تدرجه التعليمي إلى مرحلة الجامعة يذكر السّارد أنه «توجه إلى دراسة الهندسة... وتعلم لغة الفائز الذي قطع المحيط وهزم الإمبراطورية العملاقة»[4]، أي أنّه بالإضافة إلى دراسته تخصّص الهندسة تعلم اللغة الانجليزية لغة أمريكا التي جاءت من وراء المحيط وساعدت دول التحالف في الحرب العالمية الأولى لتهزم دول المحور بما فيهم تركيا التي كانت تمثل عاصمة الدولة العثمانية الكبيرة.

(1) الرواية، ص69.
(2) الرواية، ص159.
(3) الرواية، ص159.
(4) الرواية، ص160.

ويضيف السّارد أن عنان « سجل نفسه في معهد موسيقى»[1]، فكان هذا المعهد سببا في تعرفه على "فاتن بيلاك" يظهر هذا في قول: « بعد أسابيع قليلة أن تَعَارَفَ عنان رستم وفَاتِنْ بِيلَاك»[2]، استمرت علاقتهما كصديقين وزميلين في معهد الموسيقى حيث كانا يلتقيان فيه باستمرار، وتوطدت علاقتهما أكثر وصارا مجتهدين إلى أن « رأت حكومة الجمهورية أن تكافئ الشابين... بمنحة سخية تمكنهما من السفر إلى الخارج لنيل أعلى درجة ممكنة كل واحد في تخصصه... رفض عنان وفاتن التوجه إلى أوروبا... وفضّلا الغرب الوطيد البريء الذي نما خلف المحيط... حل عنان وفاتن بقاعدة الوجه الشرقي، التحق الأول بمدرسة العلوم التطبيقية وسجلت الثانية في معهد الفنون»[3]، لكن الأوضاع لم تسر كما خطط لها من طرف عنان وفاتن، إذ يقول السارد: « غادر الاثنان المدينة التي سَعدا فيها وتأقلما مع جوّها الطبيعي والثقافي، فاتن عائدة إلى وطن أمها وعنان موغلا في الغرب ليعمل في إحدى المدارس الفئوية الخاصة بأبناء الجاليات»[4]، افترق عنان وفاتن، قفلت هذه الأخيرة عائدة إلى ألمانيا بلد والدها وأمها أما عنان فقد أوغل في الغرب الأمريكي ليعمل في سلك التعليم من أجل إعالة نفسه بسبب نهاية المنحة التي خصصتها له بلاده تركيا، لكن بعد أن « غاب عنان رستم بضع سنين.. عاد، وذهب إلى معهد بيبودي ليزور الدكتور كوون ويشكره على عنايته»[5]، فقد كانت لعنان علاقة جيدة بالدكتور كوون قبل هجرته نحو الغرب، وبعودته الجديدة اقترح عليه كوون أن يكون مساعدًا شخصيا له، فلم يكن من عنان إلا القبول، حتى « أصبح لسان كوون الناطق وقلمه الراقم، يصله ببروس من جهة وبالمر من جهة أخرى»[6]، ومنذ ذلك الوقت استقر عنان

(1) الرواية، ص159.
(2) الرواية، ص161.
(3) الرواية، ص162.
(4) الرواية، ص170.
(5) الرواية، ص170.
(6) الرواية، ص120.

في أمريكا يخدم الدكتور كوون بطواعية تامة تعرف بعدها على فتاة أمريكية تدعى إيمِي وِلْيَمْز « بعد تَمنُّع لم يطُل خضع لجاذبيتها»[1]، فعاش معها كصديق، فمن هي إيمي وليمز؟.

7- إيمِي وِلْيَمْزْ:

يقدم لنا السّارد هذه الشخصية الأنثوية على لسانه، أي بطريقة غير مباشرة كغيرها من الشخصيات الأخرى داخل مسار الحكاية، فيصفها وهي في لحظة حركة فيقول: « فتاة فتخاء بضّة تمشي كالزّلال.... شعرها الغزير الطويل العسلي يتطاير من خلفها... وكذا مطارف معطفها الواسع المفتوح»[2]، أي أن "إيمي وليمز" فتاة بيضاء ذات جمال أخاذ وجاذبية لا تُقاوم خاصة بشعرها المنسدل الغزير، وهذا ما يؤكده قول السّارد عنها في موضع أخر فهي « أنثى في أوجّ القوّة والجاذبية»[3]، كما أنها أمريكية أصيلة ولا يخطئ أي أحد في معرفة هذا بسبب سماتها الجسدية وهذا ما أكده قول السارد عنها: «أمريكية وصهباء، سماتها تؤكد النّعت: القامة الممشوقة، البشرة النيرة، الشعر العسلي اللامع، الحدقة الزرقاء الصافية، ودمها لو حلل لما وجدت فيه قطرة من غير قبائل الإنْجِلْز والسَّاكْسُون عَبَدَة الشَّمْس»[4]، نفهم من هذا أنها طويلة القامة مقارنة بالنساء، وذات قوام رشيق وبشرة فاتحة شديدة البياض، يعود أصلها إلى قبائل الإنجلز والسّاكسون الأوروبية، فهي أمريكية المولد والنشأة، أوروبية الأصل والدم « نشأت وتربّت في الغرب الوسيط... عاشت إيمي منذ ولادتها في الغبطة والسّرور، بين أبيها الحنون وفيونا البريئة الوفية، وسمسون كلبها الكولي... وقتها موزّع بالتساوي بين تهذيب الذهن وترييض الجسم وعبادة الخالق ومساعدة الضعفاء»[5]، بمعنى أن هذه الفتاة عاشت البذخ والسعادة وحياة وحياة الرفاهية العالية مع أبيها الذي سكن الغرب الوسيط من أمريكا، كانت وحيدة أبيها ولم يكن لها إخوة يزاحمونها في اهتمام الوالد أو الخادمة فيونا التي تتصف بالبراءة، امتلكت كلبا مثلها مثل أبناء الأثرياء، واعتنت بنفسها في كل الجوانب، سواء العلمية والثقافية أو البدنية، أو

(1) الرواية، ص175.
(2) الرواية، ص174.
(3) الرواية، ص204.
(4) الرواية، ص187.
(5) الرواية، ص187.

العقائدية كما أنّها اتصفت بالإنسانية وحب الآخرين فعملت على مساعدة الضعفاء، وهذا ما يؤكده قول السّارد عنها: « إيمي عاطفية أكثر من اللازم»[1]، يقدم السارد كما فعل مع الشخصيات السابقة الصفات الجسدية للشخصية ويحدد هويتها الأمريكية، ثم ينتقل للجانب الاجتماعي ويروي قصة رحيلها من ذلك قوله: وعندما قاربت الخامسة عشر من عمرها حدث ما لم ترغب فيه حيث «حلّت الأسرة بأعضائها الأربعة في إحدى ضواحي قاعدة الغرب الوسيط، كان المنزل فسيحا فاخر التأثيث، محفوفا بالأشجار يُطل على بحيرة غير محدودة»[2]، ارتحلت إيمي برفقة والدها والعاملة فيونا وكلبها سمسون إلى إحدى قواعد الغرب فسكنت منزلا فاخرًا من كل النواحي بأثاثه وتصميمه وحديقته التي تحيط به وحتى المكان الذي يوجد فيه، فزادت الرفاهية والرخاء في حياتها، استقرت في بيتها الجديد ثم « التحقت بمدرسة خاصة استعدادا لولوج الجامعة»[3] فأخذت تتردد على مدرستها بانتظام وتزور المكتبات القريبة إلى أن عادت في إحدى الأيام إلى البيت لتجد « والدها جالسا في مقعد وبجانبه ممرضة بزيها المهني الأبيض»[4]، فارتابت من المظهر الذي رأته وراحت تسعى لضمه إليها، لكنه لم يحرك ساكنا، وبعد أيام استعاد المسؤولون جسم جورج وليمز والدها ولم يعد لها من يحميها، بعد اليوم، « حضر جندي... وقال بصوت صارم أن على الفتاة والمربّية أن تفرغا في الحين المنزل الذي هو ملك الحكومة»[5]، وبالتالي أصبح حال إيمي التشرد والضعف بعد أن عاشت الثراء والرفاهية ونجحت في امتحان الالتحاق بالجامعة، فلم يكن لها إلاّ أن « رافقت فيونا إلى الملجأ ثم قصدت مركز جامعة الولاية لإثبات تسجيل اسمها في قائمة الطلبة ولضمان مسكن»[6]، ثم عاشت فيها والمعهد الذي يعمل فيه الدكتورين روس وكون، قابلت روس وسألته « ماذا حدث

(1) الرواية، ص20.
(2) الرواية، ص189.
(3) الرواية، الصفحة نفسها.
(4) الرواية، ص191.
(5) الرواية، ص197.
(6) الرواية، ص198.

لجُورْج وليمز؟»[1] وهي تريد معرفة هذا من أجل إشفاء غليل قلبها وفضولها وليس لتنتقم كما تذكر هي قائلة: « لا أجري وراء ثأر أو انتقام، أود أن أطوي الصفحة وأغلق الكتاب»[2]، وهكذا عاشت تجري وراء لغز وفاة والدها وتسعى إلى تحذير كل الغرباء الجدد الذين يزورون المعهد خوفا من أن يلقوا نفس مصير والدها، ويعرض السارد بالطريقة نفسها لتعريف القارئ بالجانب الاجتماعي عن حياة الشخصية ليُكمل البطاقة الدلالية التي يعطيها لها.

8- فاتن بيلاك:

شخصية أنثوية ولدت في تركيا وتتميّز بالعديد من السمات الجسمية التي تدل على ذلك حيث يخبر السارد أنّها كانت « مزيجا حقيقيا كمًّا ودَمَا، من الجنسين التّركي والألماني»[3]، ثم يضيف السارد واصفًا لخلقة فاتن بيلاك فيقول: « طويلة القامة، متينة الخلقة، سوية الهندام ناصعة البشرة، مستديرة الوجه، ترتدي معطفا شبه عسكري يصل إلى منتصف الساق، وعلى رأسها بيريه مائل يخفي معظم شعرها الأسود اللامع الذي يضاعف من بريق عينيها الزرقاوتين»[4]،يجمع الارد في وصف هذه الشخصية بين صفاتها الجسدية ولباسها ونسبها (التركي الألماني) ويحاول أن يقدمها بصفات جسدية يتجلى من خلالها كونها من جنسين مختلفين، كما نفهم من خلال هندامها السويّ الذي تتميز به أنّها من عائلة راقية ذات مكانة وحظوة في المجتمع التركي، وهو ما يؤكده قول السارد: « أبوها يدعى بيلاك، وأنه من كبار مسيّري الجمهورية.... ووالدتها ألمانية، عازفة بيانو، كان لها صيت قبل الحرب» [5]، عاشت بيلاك صغرها في تركيا وتلقت تعليمها الأكاديمي هناك، إضافة على هذا فقد كانت « ترى نفسها في مستقبل الأيام فنانة ومُربّية»[6] لذلك دخلت المعهد الموسيقي مع دراستها للغات تعرّفت بعد ذلك على عنان رستم فكان « كلامهما جادًا، مجتهدًا، طموحًا، رشيدًا قبل الأوان»[7]

(1) الرواية، ص199.
(2) الرواية، الصفحة نفسها.
(3) الرواية، ص161.
(4) الرواية، الصفحة نفسها..
(5) الرواية، الصفحة نفسها.
(6) الرواية،ص161.

الأوان»[1] ولهذا فقد منحتهما الجمهورية التركية منحة سخيّة مكّنتهما من السفر إلى أمريكا، « حلّ عنان وفاتن بقاعدة الوجه الشرقي... سجلت الثّانية في معهد الفنون»[2]، وأثناء عيشها مع أليفها عنان حدثت العديد من الوقائع في تركيا، حيث عادت والدتها الألمانية إلى مسقط رأسها وتوفّي بعدها والدها، فعمدت أمّها إلى إعادتها إلى بلدها، وبالفعل « غادرت فاتن عائدة إلى وطن أمّها»[3] وتركت حبيبها عنان رستم وحده متّجهًا نحو الغرب الأمريكي العميق، يتكرر التقديم نفسه حيث يقدم السارد معلومات أخرى تتعلق بالمشوار الدراسي والمستوى العلمي والانتقال من مكان إلى آخر.

9- أدريانا فَنّيش:

شخصية أنثوية، قدمت نفسها بنفسها من ناحية الأصل الجغرافي والعرق، فتقول وهي تعرف بنفسها لفْراد بَالْمَر بعد لقائه أوّل مرة: « هل سمعت بمنطقة السُّودات، المنطقة الحدودية التي اشتعلت بسببها الحرب العالمية الثانية؟، إنّي انتمي إليها، تصور ذلك إنّها سلافية الدّم جرمانية الثّقافة واللّسان»[4]، فهي السلافية العرق اكتسبت الثقافة الألمانية لأنها كما صرحت قائلة: «عشت في ألمانيا الجديدة»[5]، وبعد بلوغها سنّ الشباب تعرفت على فتى كما ذكرت تقول: «رأيت فيه فتى من آشور»[6]، يعود سبب تعارفهما إلى اشتراكهما في المهنة، حيث كانا فنّانين يتقنان فنّ النّحت، ثمّ تضيف: « عشنا جنبا إلى جنب دون عهد مكتوب وفي وفاء تام قرر الشباب الأشوري العودة إلى وطنه فرافقته دون تردّد أو ريبة»[7]، عاشت معه في العراق مدة من الزمن ولكن شاءت الأقدار أن افترقا من دون ندم أو حزن حدث معهما.

(1) الرواية، ص162.
(2) الرواية، ص162.
(3) الرواية، ص170.
(4) الرواية، ص84.
(5) الرواية، ص85.
(6) الرواية، الصفحة نفسها.
(7) الرواية، الصفحة نفسها.

تعرفت بعد ذلك على المبعوث والباحث الدبلوماسي فراد بالمر في مدينة البصرة، الذي رغب فيها وسعى إلى إقناعها بالبقاء بالقرب منه فقال: « أنت في حمايتي أنا... أحبّ أن تزورينَني في محلّ إقامتي وأن راقك تستقري به»[1]، فعاشت بعدها إلى جانبه ما تبقى من حياته تساعده في أعماله وتنتقل معه حيث حلّ وارتحل بأوامر من مسئوليه « بعد أرض جلجامش ومدنها المدمّرة... وبعد وطن سبأ وبيوتها العالية المنقوشة، وبعد ساحل الأحابيش... توجّهت أدريانا مجددًا نحو المغيب»[2]، فبعد طوافها برفقته في العديد من بلدان الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية استقرت بمعيته في بلاد الريف، المغرب الأقصى.

10- نورا كليف:

هي شخصية أنثوية يقول عنها السّارد: نورا كليف، هكذا تَرْسُمُ اسمها منذ أعوام»[3]، أي أنّه هذا هو اسمها الحقيقي والرّسمي على وثائقها، ثم يضيف أنّها « ورثت عن والدتها حروف الوجه لا شدّة العضلات وقوّة الهيكل»[4]، فهي تشبه والدتها في ملامح وجهها فقط ومختلفة عنها في متن هيكلها فهي « فتاة قصيرة... شديدة السّمرة»[5]، يعرفنا السارد هنا عن شخصيتين شخصيتين متشابهتين في الملامح الابنة والأم وهي الطريقة التي استخدمها قبلاً، إضافة لهذه المواصفات تبدو «رشيقة نحيفة شهلاء، حيوان أليف، عليلة ماثلة للشفاء بعد أن يئس منها الأطباء»[6] أي أنّها تعاني من مرض وهي في رحلة العلاج والشفاء، فنحافتها ناتجة من علتها. علتها.

(1) الرواية، ص86.
(2) الرواية، ص90.
(3) الرواية، ص215.
(4) الرواية، الصفحة نفسها.
(5) الرواية، ص177.
(6) الرواية، ص215.

بعد أن حلّت بأمريكا صار «عنان رستم خليلُها وحاميها... أمرها بألاّ تحوم بساحة الأكاديمية»[1]، فكان هذا التّحذير لها بِسبَبِ خوفه عليها من سياسة الأكاديمية تجاه أمثالها من المغتربين.

يُعْتَبَرُ « زكي خليفة والدها الرّسمي والعاطفي، لم تعرف عنه لسنين سوى أنّه يسكن بلدًا وراء البحر»[2]، نفهم بأنّ زكي خليفة ليس والدها الحقيقي بل منحها اسمه فقط، فهي تحمل لقب "كليف" الذي تُرْجِم من العربية "خليفة" إلى الانجليزية، فأُبدل حرف الخاء بحرف الكاف وحذفت التاء المربوطة، أمّا « أمّها سلطانة... قطعت القارّة من وجه إلى وجه... إلى قاعدة الغرب البعيد»[3]، أي أنّها انتقلت من شرق أمريكا إلى غربها البعيد وتركت ابنتها وحيدة بعد أن أتت بها إلى هنا من الريف المغربي، لتعود بعد ذلك إلى وطنها الأول بمعية جثمان والدها الذي زار أمريكا مرة ثانية.

11- الصّابُونْجِي:

يطلعنا السارد على هذه الشخصية الذّكورية في أغلب ما تميزت به من صفات وسمات فيقول: « الصّابونجي اسم عثماني... مُحرّف عن صَبّان وهو الاسم الذي كانت تحمله عائلته عند مغادرتها الأندلس»[4]، فالاسم الحقيقي الأصلي لهذه الشخصية هو صبّان، لكن حُرِّفَ وزِيدَت فيه جيم وياء بعدما دخلت الأسرة إلى الأراضي العثمانية آتية من الأندلس، حيث جاء الصّابونجي «لاجئا إلى أرض السّلطة، استقرت الأسرة في صالونيكا... قبل أن يحملها المدّ العثماني إلى أنطاكيا ثمَّ حَلَبْ ثمَّ دمشق وأخيرا الإسكندرية»[5]، أي أنّ أسرة الصابونجي لم تعرف الاستقرار إلا بعد ترحال طويل بعد سقوط الأندلس ولجوئها إلى أرض العثمانيين حيث مكثت هناك في مدينتين هما: صالونيكا، وأنطاكيا، ثم ارتحلت إلى الشام لتمكث مدة من الزمن في أشْهَر مدينتين فيها هما دمشق وحلب، ولم يسعفها الحال فشدّت الرحال مرة أخرى اتجاه

(1) الرواية، الصفحة نفسها.
(2) الرواية، ص215.
(3) الرواية، الصفحة نفسها.
(4) الرواية، ص54.
(5) الرواية، الصفحة نفسها.

أرض الفراعنة مصر واستقرت بمدينة الإسكندرية فعاش فيها الصابونجي مدة من الزمن سمح له بأن يترأس جوقة موسيقية كما يذكر السارد قائلا: «أثناء مكوثه في الإسكندرية كان يترأس جوقة تُحيِي الأفراح.... اِلتَقَى جماعة من المغاربة في طريقهم إلى الحج... قال له شيخ المغاربة: أمثالك هنا كثر لا مِيز لك عن غيرك... تابع الرّحلة معنا إلى بلد المغيب تجد هناك رجال عزّ ورخاء»[1].

فكان سبب انتقال الصابونجي من الإسكندرية إلى المغرب وفد الحجيج الذي نصحه شيخهم ووعده بأن يجد حظوة وشأنًا وعزًّا أكثر مما هو فيه إذا انتقل إلى أرض المغيب أي المغرب، فكان له ما وعد الشيخ به حيث «جاء أَصْلاً ليدرب الحرس ثم تسلل إلى حاشية الخليفة»[2]، فعاش في كنف السلطة فحصل على منصب عمل كفنّيّ في المعهد النموذجي .

بعد الانتهاء من تقديمنا لأهم الشخصيات الفاعلة في المتن السردي لرواية "الآفة" لاحظنا أنّ الشّخصيات قدّمها لنا السّارد بطريقة غير مباشرة، فكان دائما الوسيط بين الشخصية والقارئ ولم يُتِح المجال لأيّ من شخصيات الرواية أن تقدم لنا نفسها.

تعد صفات الشخصيات من أهم العناصر التي من خلالها يتحدد مدلول الشخصية، لذلك يحدد فليب هامون « صفات الشخصية بأربعة محاور هي: الجنس والأصل الجغرافي والايدولوجيا والثروة، حيث يمكن وصف هذه المحاور بأنها معايير يمكن عن طريقها دراسة صفات الشخصية»[3]، وللإشارة فان هذه المحاور الأربع ليست مطلقة الترتيب والحضور، إذ يقول فليب هامون بأنّ « المحاور الدلالية هي الأخرى يجب أن تصنف حسب استخدامها في تمييز كلّ شخصيات الرواية أو البعض منها»[4]، أي أنها ترتب حسب قدْرِ حضورها بين الشخصيات ، فالمحور الأكثر حضورًا ثم الأقل فالأقل، كما يمكن استبدال محور بمحور في حال غياب أحد المحاور الأربعة المحدّدة مسبقا، وهذا ما سنعمد إلى تطبيقه الآن في الجدول الآتي، لأنّ محور الايدولوجيا لا وجود له في صفات الشخصيات التي حدّدناها سابقا، ولهذا قد

(1) الرواية، ص54.

(2) الرواية، ص46.

(3) محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص99.

(4) فليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، ص43.

استبدلناه بمحور السّلطة، وهو الأكثر بروزا وحضورًا في صفات الشخصيات لذلك وقع اختيارنا عليه هو بالضبط،(+حاضر، 0 غائب).

المحاور / الشخصيات	الجنس	الأصل الجغرافي	السلطة	الثروة
هلال كروم	+	+	+	0
زكي خليفة	+	+	0	0
فراد بالمر	+	+	+	0
مارتن روس	+	+	+	+
رودني كوون	+	+	+	+
عنان رستم	+	+	0	0
ايمي وليمز	+	+	0	+
فاتن بيلاك	+	+	0	0
أدريانا فنّيش	+	+	0	0
نورا كليف	+	+	0	0
الصابونجي	+	+	0	0

الملاحظ في الجدول أنّه يضمّ خمسة أقسام، كل قسم محدد بمحاور غير المحاور التي تتحدّد بها الأقسام الأخرى، حيث يضم القسم الأول كلاً من شخصيتي (مارتن روس + رودني كون) المحددتين بالمحاور الأربعة (الجنس+ الأصل الجغرافي+ السلطة+ الثروة.

أما القسم الثاني فيضم شخصيتي (فراد بالمر+ هلال كروم) اللتين تتحدّدان بمحاور ثلاثة هي (الجنس+ الأصل الجغرافي+ السلطة).

ويضمّ القسم الثالث شخصية واحدة وهي (إيمي وليمز) التي تتحدد بثلاثة محاور (الجنس + الأصل الجغرافي+ الثروة).

أما القسم الرابع فهو محدد بمحورين فقط هما (الجنس + الأصل الجغرافي) ويضمّ أكبر عدد من الشخصيات في الجدول السابق وهي: (زكي خليفة+ عنان رستم+ فاتن بيلاك+ أدريانا فنّيش+ الصابونجي).

في حين أنّ الحال نفسه بالنّسبة للقسم الخامس مع القسم الثالث في عدد الشخصيات التي يضمانها وهو واحد، لكن الاختلاف في المحاور المحددة لكل شخصية، فشخصية القسم الثالث تتحدد بثلاثة محاور كما بيّنا سابقا في حين أنّ شخصية القسم الخامس تتحدد بمحور واحد ألا وهو (محور الجنس) لشخصية (نورا كليف).

نستنتج من هذا أن شخصية (مارتن روس، رودني كوون) تتقابل مع شخصية (نورا كليف)، حيث تُعدّ هذه الأخيرة أقلّ تحديدا من خلال المحاور الدلالية في الجدول بمحور واحد (الجنس) مقابل شخصيات القسم الأول (مارتن روس+ رودني كوون) التي تتحدّد بالمحاور الأربع كلها، إذن شخصية نورا كليف أكثر غموضا مقابل شخصية (مارتن روس ورودني كوون) اللّتين تعتبران أكثر وضوحا وتحديدا وتعقيدًا.

كما تتقابل شخصية (مارتن روس+ رودني كوون) أيضا مع كل من شخصية (هلال كروم+ فراد بالمر) + (ايمي وليمز)+ (زكي خليفة+ عنان رستم+ فاتن بيلاك+ أدريانا فنيش+ الصابونجي) باعتبار أن كل هذه الشخصيات تتحدد بثلاثة محاور فأقل فهي غامضة مقابل شخصية (روس+ كوون) الأكثر وضوحا والتي تتحدّد بأربعة محاور.

نلاحظ أنّ كلّ شخصيات الرواية الفاعلة تشترك في تحديدها من خلال محور الجنس ويعود سبب هذا إلى الخلفية التي استقى منها السّارد شخصياته فهي كلها من الواقع بعيدة عن العجائبية والخيال.

كذلك « من الأمور الأخرى التي تكشف عن مدلول الشخصية عند هامون علاقة الشخصية بالشّخصيات الأخرى، عن طريق عقد مقارنة بين صفات هذه الشخصيات بالاعتماد على مخطط كريماس في المربع السميائي»[1]، كما أنّه يعيننا في الوصول إلى مستوى أعمق

(1) ينظر: سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية، (رواية الشراع والعاصفة نموذجا)، دار مجدلاوي، ط1 الاردن، 2003، ص40.

لنظام الدلالة الذي يخص شخصيات المتن السّردي وصفاتها، والآن نعمد إلى تطبيق مخطط المربّع السّميائي على محور السلطة.

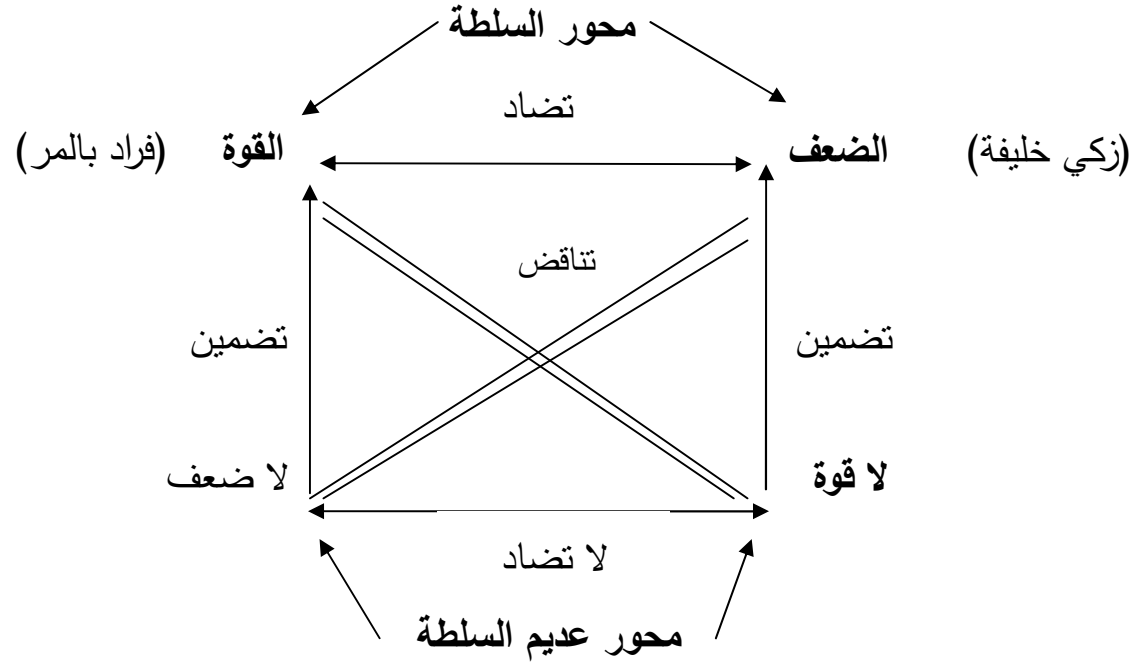

علاقة التّضاد تضمّ "زكي خليفة"، ضدّ "فراد بالمر" في محور السلطة أمّا علاقة التناقض فهي تبين أن "زكي خليفة" في علاقة تناقض مع قطب (لا ضعف) من محور عديم السلطة.

من خلال العلاقة التّضادية التي تجمع زكي خليفة مع محور السلطة وعلاقة التناقض التي تجمعه مع محور عديم السلطة تتأكد لنا صفة من صفات هذه الشخصية ألا وهي الضعف، والتي تؤكدها علاقة التضمين مع قطب "لا قوة" من محور عديم السلطة.

أمّا شخصية "فراد بالمر" فهي علاقة تضاد مع قطب (الضعف) من "محور السلطة" وفي علاقة تناقض مع قطب (لا قوة) من محور عديم السلطة، وفي علاقة تضمين مع قطب (لا ضعف) من محور عديم السلطة يثبت لنا من خلال هذه العلاقات الثلاث صفة القوة والسّلطة في شخصية "فراد بالمر".

مرة ثانية نطبق المربع السميائي في محور السلطة على شخصيتين أخريين.

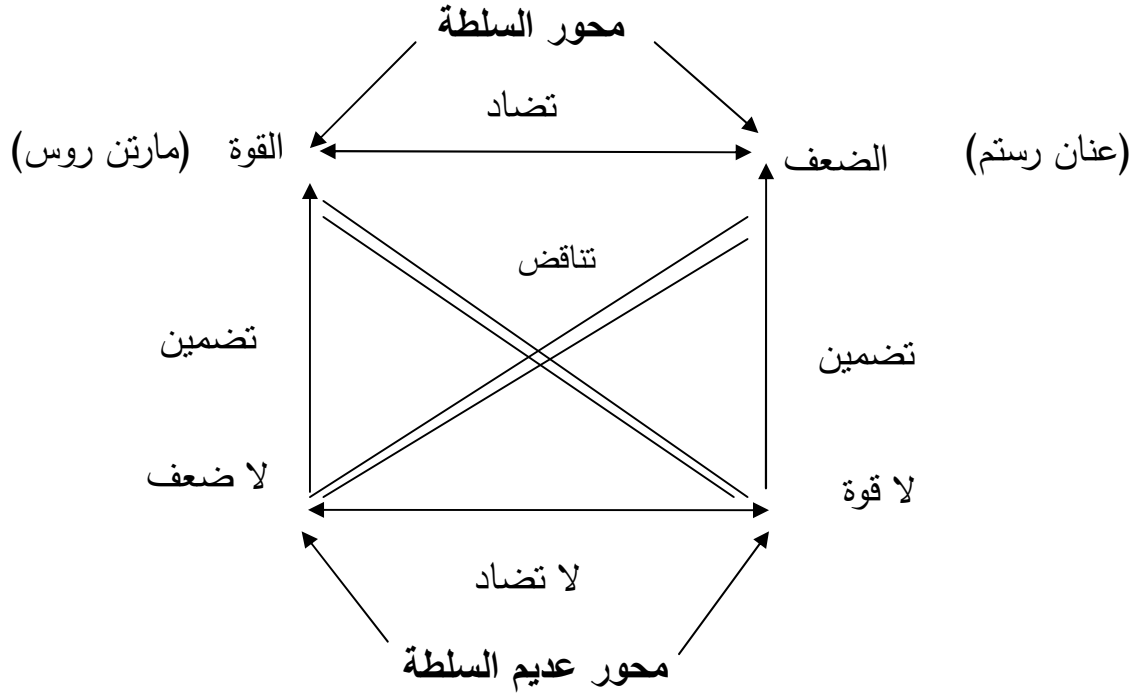

نلاحظ في الخطاطة أن علاقة التضاد تجمع "عنان رستم" ضد "مارتن روس" في محور السلطة، أما علاقة التناقض فتبين أن "عنان رستم" على علاقة تناقض مع قطب "اللا ضعف" من محور عديم السلطة، وفي علاقة تضمين مع قطب " اللاقوة" من نفس المحور، وبالتالي من خلال هذه العلاقات تتأكد لنا صفة الضعف في شخصية عنان رستم.

أمّا شخصية "مارتن روس" فهي في علاقة تضاد مع قطب "الضّعف" من محور السلطة وفي علاقة تناقض مع قطب "اللا قوة" من محور عديم السلطة، ومنه نستطيع الحكم بثبوت صفة القوة والسلطة في شخصية "مارتن روس".

أما الآن فنعمد إلى تطبيق المربع السميائي في محور الثروة بعد تطبيقه من قبل على محور السلطة، وسيكون مطبقا على أبرز الشخصيات الفاعل في الرواية.

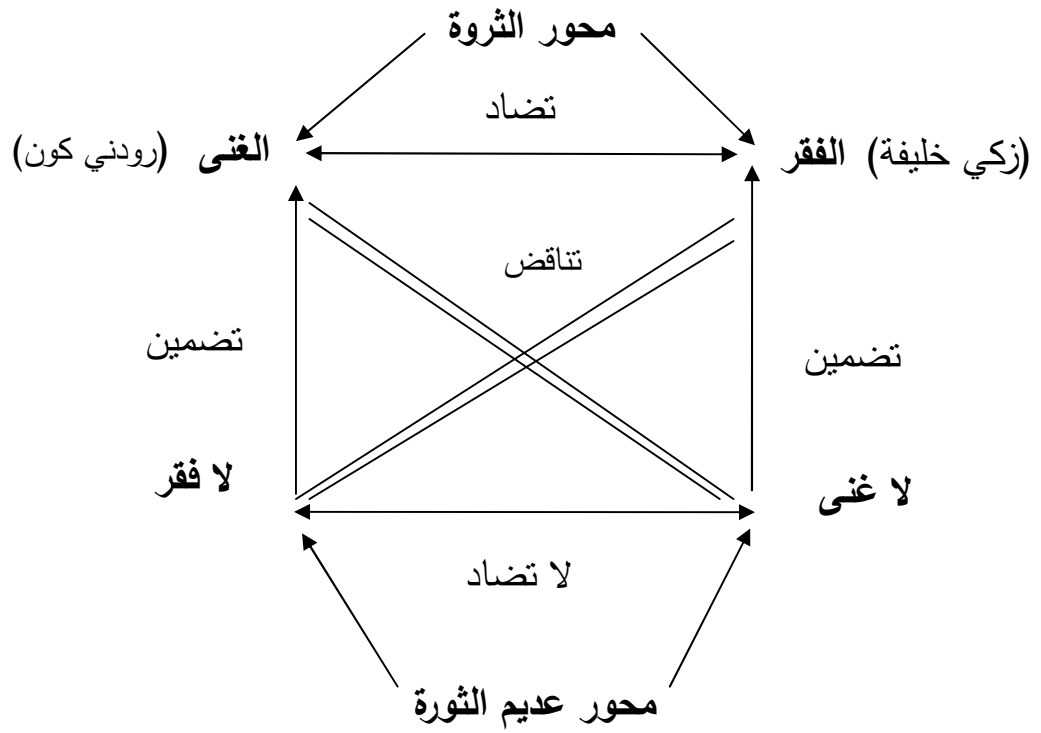

تضمّ علاقة التّضاد في هذا المربع السميائي شخصية "زكي خليفة" ممثلا لقطب الفقر ضد شخصية "رودني كوون" ممثل قطب "الغنى" في محور الثروة، كما أن شخصية زكي خليفة" في علاقة تناقض مع قطب "لا فقر" من محور عديم الثروة، وفي علاقة تضمين مع قطب "لا غنى" من نفس المحور، وبناء على هذه العلاقات لشخصية زكي خليفة داخل المربع السميائي يثبت لنا صفة الفقر فيه.

أمّا "رودني كوون" الذي تجمعه علاقة تضاد مع قطب "الفقر" في محور الثروة، وعلاقة تناقض مع قطب "لا غنى" في محور عديم الثروة، وعلاقة تضمين مع قطب "لا فقر" في محور عديم الثروة تتأكّد لنا صفة الغنى والثروة في شخصيته.

من الشخصيات البارزة أيضا في الرواية شخصيتا "مارتن روس" و "هلال كروم" اللذين سنكشف عن علاقتهما بتطبيق المربع السّميائي عليهما من خلال محور الثروة.

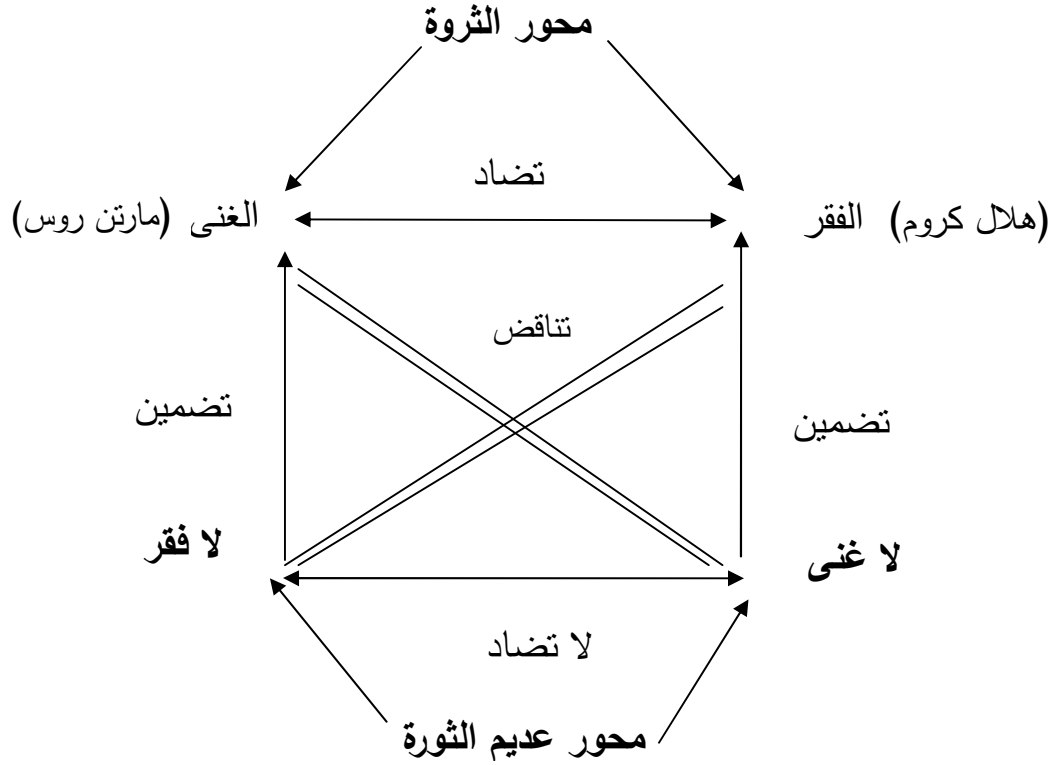

يظهر لنا في هذا المربع السميائي أنّ شخصية "هلال كروم" في علاقة تضاد مع قطب "الغنى" في محور الثروة، وعلى علاقة تناقض مع قطب "لافقر" في محور عديم الثروة، وفي علاقة تضمين مع قطب "لا غنى" من محور عديم الثروة، ومنه فإنّ صفة الفقر تأكدت لنا في شخصيّة هلال كروم.

أما بالنسبة لشخصية "مارتن روس" الممثلة لقطب "الغنى" فهي في علاقة تضاد مع قطب "الفقر" من محور الثروة، وعلاقة تناقض مع قطب "لا غنى" من محور عديم الثروة، وعلى علاقة تضمين مع قطب "لافقر" من نفس المحور، وبالتالي تتأكد لنا صفة الغنى والثروة في شخصية "مارتن روس".

مستويات وصف الشخصيات:

في هذا الجزء من مشروع فليب هامون لدراسة الشخصية، وفي«... وقوفه عند مستويات وصفها يسعى إلى استنباط نموذج عاملي لكل مقطع سردي في النص الإبداعي»[1] أي قبل استنباط نموذج عاملي يجب أن نقسم النص الإبداعي إلى مقاطع سردية ونحرص على أن تكون كل مقطوعة « وحدة مستقلة عن وحدات الخطاب السردي قابلة للاشتغال كقصص، كما يمكن أن تكون مكملة لجزء من الأجزاء التي تشكله، ويحدد المكان الذي تحتله وظيفتها في التناسق العام للبنية السردية»[2].

بناء على هذا فقد قسمنا الرواية إلى خمس مقطوعات يمكن أن تكون كل مقطوعة مستقلة عن المقطوعات الأخرى، بحكم أن لكل مقطوعة ذاتاً خاصة بها يدور حولها خطابها السردي ولتسهيل العمل وتبسيطه أكثر قمنا بتلخيص كل مقطوعة سردية في جملة يتمحور حولها الخطاب.

1- كوون يريد كشف سرّ البقاء في القبيلة.

2-روس يريد معرفة سبب انتشار آفة النسيان.

3-كوون يريد إجراء التجارب على هلال كروم.

4-كوون يريد إجراء التجارب على زكي خليفة.

5-إيمي تريد معرفة سبب وفاة والدها.

1-الترسيمة العاملية الأولى (كوون يريد كشف سرّ البقاء في القبيلة).

تمثل شخصية كوون في هذه الجملة التي تلخص المقطع السردي الأول عامل الذات التي تسعى إلى الانتقال من الحالة البيئية الأولية إلى حالة ثانية عكسية، فالحالة الأولى التي تتمثل في جهل سرّ بقاء القبيلة وعدم فنائها في غياهب الصحراء، أما الحالة الثانية فهي تتمثل في العلم بالسّر الذي كفل للقبيلة البقاء، حيث جاء في الرواية على لسان السارد أنّ « كوون يبحث

(1) ينظر: سعيد بنكراد، سميولوجية الشخصيات السردية، ص40.

(2) السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص21.

في سرّ البقاء»[1]، والحافز الذي دفع الذات (كوون) إلى الاتصال بالموضوع (معرفة سر البقاء) هو الشغف الذي ولد وكبر مع (كوون)، يقول السّارد عنه: « شغف رودني كوون منذ صغره بمطالعة الأساطير والملاحم»[2]، ويضيف بأنه « قرأ الكثير عن أهل الريف»[3]، أي أنّ كوون عاش منذ صغره يطالع بكل حب وشغف عن الملاحم والأساطير الشرقية في بلاد الإغريق وبابل والريف المغربي، وإضافة إلى شغفه هذا كان لمهنته دور فعال أيضا في رغبته لتحقيق الاتصال بالموضوع فهو « المكلف منذ عقود بحفظ سجل الأجناس بمتحف بيبودي»[4]، فمهنته التي اختارها عن حب كان لها الدور الكبير في سعي (كوون) الذات إلى العمل على تحقيق الاتصال بالموضوع، أمّا كفاءة الذات في سعيها نحو الهدف فهي صفة من صفات الذات وهي أنّ كوون باحث في أسباب استمرار بقاء القبيلة في جوّ الصحراء وعدم فنائها، زِدْ على هذا السّلطة التي يحوزها بفعل عمله في متحف بيبودي الوطني، فمهنته تمنحه شيئاً من السلطة بسبب حرص الدولة على تحقيق مطالبه من أجل نجاح بحثه، والآن يمكننا تمثيل ما سبق على هذه الخطاطة:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
معرفة سرّ بقاء القبيلة		مهنته كباحث أكاديمي		إيجابية

اللاّفت في هذه الترسيمة هو المرحلة النهائية التي وردت إيجابية ممّا يعني نجاح الذات (كوون) في تحقيق الاتصال بالموضوع ووصولها للهدف التي سعت من أجله، حيث كان الدّافع الرّئيس والمحفّز الأول في السّعي للاتصال بالموضوع شغف الذات (كوون)، وأيضا مهنته يحفظ سجل الأجناس البشرية بمتحف بيبودي، فمهنته وشغفه يُعتَبَران عامل المرسل الذي دفع بالذات إلى الاتصال بالموضوع، أمّا عامل المرسل إليه فقد تمثّل في كوون وإدارة متحف

(1) الرواية، ص72.
(2) الرواية، ص105.
(3) الرواية، ص107.
(4) الرواية، ص105.

بيبودي فهما المستفيدان من اتصال الذات بالموضوع، وهنا نلاحظ بأن كوون شخصية شغلت عاملين اثنين وهما: عامل الذات وعامل المرسل إليه بمعية إدارة متحف بيبودي، وبالتالي نجاح الذات (كوون) في الانتقال من الحالة الأولية وهي جهل سبب بقاء القبيلة وصمودها إلى الحالة الثانية وهي علمه بالأسباب والرّوافد التي تُعِينُ القبيلة في صمودها أمام ظروف الصحراء، وفي تحقيق الذات لهدفها كان الطريق أمامها مفتوحا وخالياً من كل العقبات والذوات المعارضة لها حيث لم يعترض الذات أي عامل في سعيها ولم يعق تقدمها، أي أن أهداف الذات ورغباتها لم تتعارض أو تتقاطع مع أي رغبة من رغبات الذوات الأخرى وبرنامجها السردي الذي سارت فيه، وفي الوقت الذي خلت فيه خانة عامل المعارض من أيّ ممثّل تدعّمت الذّات بممثلين في خانة عامل المساعد، حيث ساعد الذات (شخصية فراد بالمر) الذي ذهب في رحلة طويلة إلى الشرق يجوب أقطاره بأمر من أستاذه رودني كوون، حيث بعد أنْ «حلّ بأرض جلجامش ومنها... بعدها وطن سبأ وبيوتها العالية المنقوشة، بعدها ساحل الأحابيش... توجّه نحو الرّيف»[1]، حيث كانت هذه الرحلة بأمر من أستاذه والهدف منها كما جاء على لسان أستاذه: «مهمتك الآن أن تُحصي وتَنْتَقِي تَعَاشِيب سِرِّ الخلود وقَهْرِ المفازات»[2]، وهناك شخصيّة ثانية تعتبر مسانداً للذّات (كوون) في سعيه لتحقيق رغبته وهي شخصية عنان رستم الذي كرّس حياته لخدمة كوون أستاذه، حيث منذ أن شرع في العمل تحت إمرته « أصبح لسان كوون الناطق وقلمه الراقم، ... يصله بِرُوسْ من جهة وبَالْمَر من جهة ثانية»[3]، أيْ أنّ فراد بَالْمرْ سافر في سبيل تحصيل المادة الأولية التي يعمل عليها كوون وخاض في أعماق الوسط الذي يعيش فيه السّرّ الذي يسعى إليه كوون، أمّا عنان رستم فقد عاش كذراع أيمن لكوون، يقوم بكل الأعمال اليومية ويقدم له النتائج جاهزةً.

وبهذا انتهت التحوّلات التي جرت لإنجاز الفرضيّة بالنّجاح وبالتالي عدم استقرار الحالة البدئيّة، بل حدث تغير إلى حالة عكسيّة ضديدة ثانية، حقّقت فيها الذات رغبتها، والآن

(1) الرواية، ص90.
(2) الرواية، ص105.
(3) الرواية، ص105.

«لتوضيح العوامل المكوّنة لهذه البنية العامليّة بشكل مفصّل، مع تحديد مختلف العلاقات التي تربط بينها، نعتمد في ذلك على الترسيمة العاملية التي اقترحها غريماس»[1]:

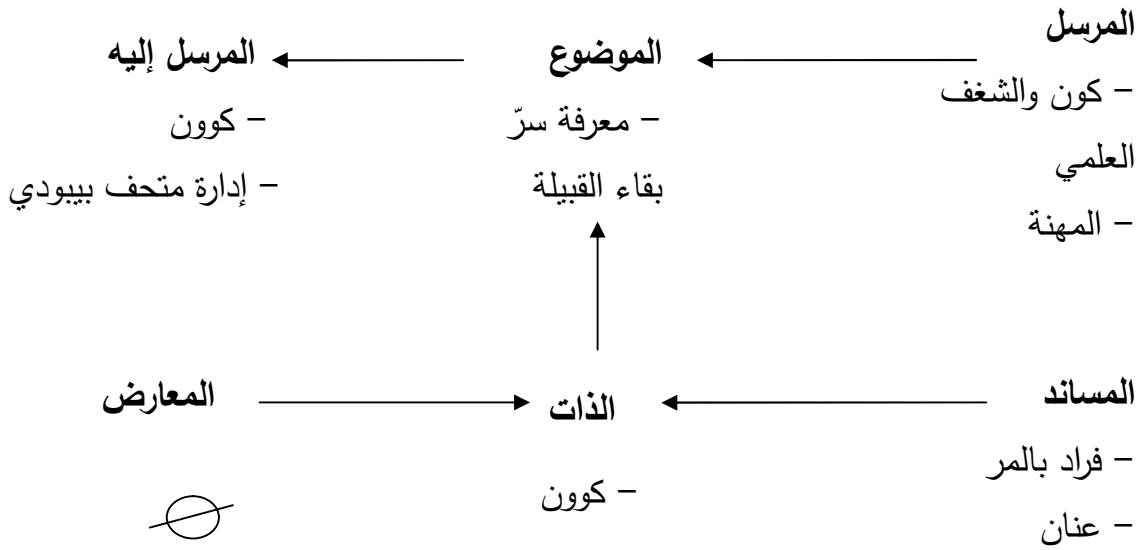

الظاهر للعيان أنّ هذه الترسيمة مبنيّة على ثلاث ثنائيّات عامليّة « متباينة من حيث الطبيعة والدّور العاملي الذي تقوم به» وهي كالأتي[2]:

1-ثنائية المرسل/ المرسل إليه:

إنّ شغف وحب كوون بمعيّة التزامه تجاه مهنته هما الحافزان اللذان دفعاه كذات إلى الاقتناع بوجوب العمل والسّعي لتحقيق الاتصال بالموضوع (معرفة سرّ بقاء القبيلة)، أي تغيير الحالة الأوّلية إلى حالة أخرى ثانية عكسية فينتقل من حالة الجهل بسر البقاء إلى العلم بهذا السّرّ، فعامل المرسل إليه يظهر كعامل غير مفرد متكوّن من ممثلين (الشغف+ المهنة) وغير مشخّص.

أما عامل المرسل إليه في هذه الترسيمة فيمثله ممثلان هما (كوون، إدارة متحف بيبودي) اللذان استفادا من الموضوع القيمي الذي نجحت الذات في الاتصال به وتحقيقه، فعامل المرسل

(1) راضية لرقم، الخطاب السردي في الشعر العربي القديم، ص115.

(2) السعيد بوطاجين ، الاشتغال العاملي، ص32.

إليه يتمظهر كعامل غير مفرد مشخص في الممثل (كوون) وغير مشخص في الممثل الثاني (إدارة متحف بيبودي) وهي هيئة رسمية مكونة من عدة أشخاص ووسائل مادية.

2-ثنائية الذات/ الموضوع:

تقوم شخصية (كوون) في هذه الثنائية بتمثيل عامل الذات التي تسعى إلى تحقيق رغبتها والاتصال بالموضوع (معرفة سر بقاء القبيلة)، لكي تزيح عنها الجهل وتشبع شغفها وتؤدي المهام المهنية الموكلة إليها، وبالتالي فإنّ شخصية كوون شغلت عاملين اثنين هما عامل الذات وعامل المرسل إليه، ويتمظهر عامل الذات كعامل مفرد مشخص.

أما عامل الموضوع فهو ذو قيمة إنسانية عالية تتسم بالنّبل والدّور الكبير في بناء حياة الإنسان، وهو نبذ الجهل وطلب العلم والعمل على البحث في كل أسباب سيادة الإنسان في الأرض، فالذات (كوون) تسعى إلى الاتصال بالموضوع المتمثل في (معرفة سر بقاء القبيلة) أي العلم بالأسباب والرّوافد التي اعتمدتها القبيلة في قهر قسوة الصحراء التي تبعث على الفناء ويتجلى لنا عامل الموضوع في هذه الثنائية كعامل مفرد ذي قيمة مجردة وغير مشخص.

3-ثنائية للمساند/ المعارض:

يبدو لنا من خلال الترسيمة العاملية أنّ الذات (كوون) ليست وحدها في سبيل سعيها لتحقيق رغبتها في البرنامج السردي الذي تسير وفقه، بل هناك شخصيات أخرى تشغل دور المساند للذات وتتمثل هذه الشخصيات في (فراد بالمر+ عنان رستم) وهما شخصيتان كرّستا حياتهما وبكل المجهودات المتاحة لمساندة الذات على تحقيق رغبتها واتصالها بالموضوع (معرفة سر بقاء القبيلة)، فشخصية فراد بالمر بسفرها وعملها على تحقيق ما طلبته الذات منها والالتزام التّام بطاعة كل أوامرها تكون قد ساعدتها في سعيها لتحقيق رغبتها، والأمر نفسه مع شخصية عنان رستم الذي لازم مكتب كوون (الذات) وأصبح بمثابة قلمه الراقم ولسانه الناطق وبالتالي فعامل الذات في هذه الحالة مشخص غير مفرد.

في حين أن عامل المعارض خالٍ من أي ممثل في الترسيمة العاملية، أي أنّ الذات لم تجد أي عوائق أو ذوات معارضة في سعيها لتحقيق هدفها، الأمر الذي سهل على الذات تحصيلها ما ترغب فيه.

2- الترسيمة العاملية الثانية: (روس يريد معرفة سبب انتشار آفة النسيان).

يمثل (مارتن روس) في هذه الجملة الذات التي تسعى وراء تحقيق الموضوع المتمثل في (معرفة سبب انتشار آفة النسيان) أي العمل من قبل الذات للانتقال من حالة أولية بدئية إلى حالة ثانية عكسية، فالذات « مارتن روس يبحث عن آفة النسيان»[1]، أي سمة الباحث ومهنته السابقة كطبيب، « مارس الطب قبل أن يتحول إلى باحث»[2]، تعتبران ككفاءة له تعينه على تحيين رغبته ثم الحصول عليها، إضافة إلى الحافز الرئيس الذي أكّد رغبته وأقنعه في السّعي لتحقيق هدفه ألا وهو شخصية القيّم الأعظم، حيث ورد على لسان السّارد قائلا: « استجاب روس لحافز القيّم الأعظم»[3]، والآن يمكننا التمثيل لكلّ ما سبق بهذه الخطاطة التوضيّحية.

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
معرفة سبب انتشار آفة النسيان		العمل كباحث في الأكاديمية		ايجابية

نلاحظ في هذه الترسيمة أن الغائية ايجابية مما يدل على عدم استمرار الحالة الأولية وهي حالة اللّاتوازن واستبدالها بحالة توازن جديدة، أي أنّ الذات نجحت في اتصالها بالموضوع وحققت الرغبة المراد تحقيقها، حيث جاء في قول السّارد: « تحكّموا في الحافظة يؤخرون يقدمون، يحضرون ويصرفون، يسكنون ويحركون، متى أرادوا»[4]، ويعود نجاح الذات أيضا إلى المساند الذي ساعد الذات كثيرا في مسعاها ، حيث يعدُّ (كوون) مساناداً فعالاً في تحقيق روس لهدفه، فهو الذي نجح في استقدام هلال كروم لإجراء التجربة عليه من طرف مارتن روس، ثم مرة ثانية ينجح في تزويده بعينة أخرى لإجراء تجربته ويستقدم له زكي خليفة، وإضافة إلى كوون هناك شخصية أخرى تعمل كمساند للذات (روس) هي شخصية الخبير الأسيوي الدكتور

(1) الرواية، ص72.
(2) الرواية، ص127.
(3) الرواية، ص151.
(4) الرواية، ص226.

(إيطاكا) حيث يذكر روس قائلا عنه « آه، كم كنت افرح لو كانوا كلهم في مستوى الدكتور إيطاكا»[1]، وهذا دليل على قدر استفادة روس من الدكتور إيطاكا وقيمة مساعدته له، وبالتالي نجاح الذات في تحقيق رغبتها، والمستفيد من هذا هو القيّم الأعظم والأكاديمية التي يعمل لها روس،أي أنّ هذين الأخيرين يمثّلان المرسل إليه، واللاّفت للانتباه في هذه الجملة التي لخّصت المقطوعة السّردية هو غياب عامل المعارض مثلما حدث في التّرسيمة العاملية الأولى ما يعني غياب الصّراع بين عاملي المساند والمعارض، فالمساند كان له أن تفرغ لدعم الذّات فقط ولم يخض أيّ صراع في سبيلها ضدّ المعارض، وللتوضيح أكثر لطريقة الشخصيات في أدوار عاملية مختلفة لهذه الجملة نمثّل بالتّرسيمة العاملية الآتية:

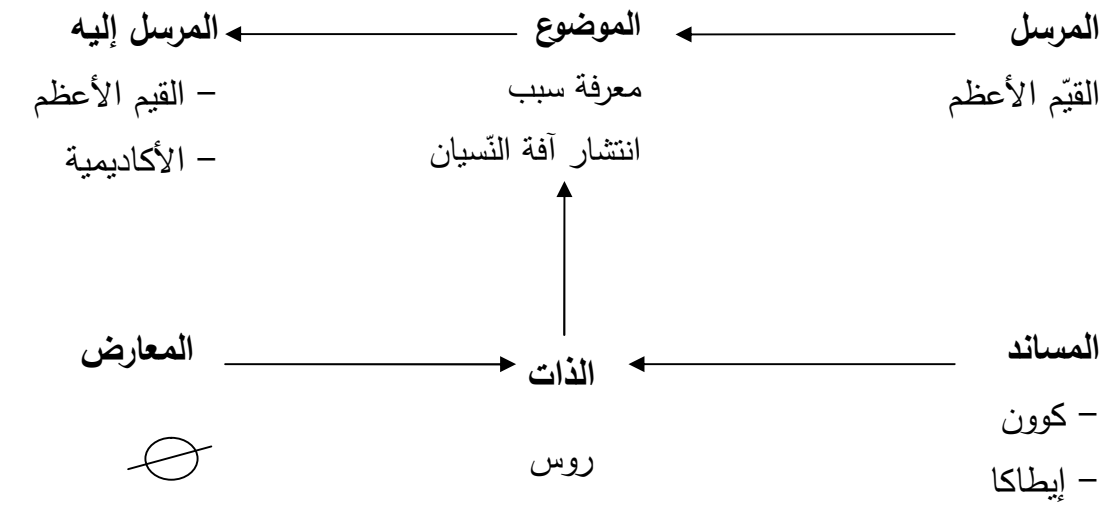

تتبني هذه الترسيمة العاملية على ستّة عوامل تنتظم في ثلاث ثنائيات: تحكم كل ثنائية علاقة خاصة بها وهي كالتالي:

ثنائية المرسل/ المرسل إليه:

يعد القيّم الأعظم كشخصية مسؤولة مهنيّاً الدافع الرئيس الذي حفز الذات (روس) للاتصال بالموضوع القيميّ وهو معرفة سبب انتشار آفة النسيان فكان سعي الذات للانتقال من

(1) الرواية، ص147.

حالة اللاّتوازن إلى حالة التّوازن وهي المعرفة بالسبب الذي أدى إلى انتشار الآفة، فالمرسل متمثل كعامل مشخّص مفرد.

أمّا المرسل إليه فيمثله كل من شخصية القيّم الأعظم والأكاديمية وهذان الأخيران يعتبران المستفيدين من تحقيق الذات لاتصالها بالموضوع، فالقيّم الأعظم استفاد بحكم أنه المسؤول الأول عن الأكاديمية وكلّ الموجودين بها من باحثين، أمّا الأكاديمية فقد استفادت لأنها حققت ما وُجِدَتْ من أجله وهو خدمة البحث العلمي، كما أنّها تدعّمت بمكسب معرفي جديد يزيد من قيمتها فعامل المرسل إليه هنا غير مفرد يتكوّن من ممثلين أحدهما مشخص وهو القيّم الأعظم أما الثّاني فهو غي مشخّص وهو الأكاديمية وهي هيئة علميّة تتكون من طاقات بشرية ومادية وقوانين وضعيّة .

والملاحظ للتّرسيمة العاملية يرى بأنّ شخصية القيّم الأعظم مَثّلَتْ عاملين اثنين، حيث مثل عامل المرسل ثم المرسل إليه، أي أنّ تحفيز القيّم الأعظم للذّات مُمَثِّلاً لعامل المرسل كان له هدف الاستفادة من سعيها (الذات) وتحقيقها رغبتها، ولهذا نجده يمثل أيضا عامل المرسل إليه الذي يستفيد من تحقق رغبة الذات.

ثائية الذات/ الموضوع:

يعتبر روس ممثلا لعامل الذات في هذه الثنائية العامليّة، حيث تسعى الذات (روس) لتحقيق الاتّصال بالموضوع (معرفة سبب انتشار آفة النسيان) أي الانتقال من الحالة البدئيّة وهي جهل سبب استفحال حالة النسيان إلى الحالة العكسية وهي معرفة سبب انتشار الآفة فعامل الذات هنا مفرد مشخّص بحكم تمثّله في شخص روس فقط، أما عامل الموضوع الذي يمثله ممثل معنوي مجرد هو المعرفة فهو أيضا مفرد غير مشخّص وذو قيمة معنوية راقية شريفة.

ثنائية المساند/ المعارض:

إنّ خُلوَّ عامل المعارض من أيّ ممثل في الترسيمة العاملية يُبيّن لنا أنّ الذّات لم تجد أيّ عوائق أو معارضة منعتها من تحقيق رغبتها، وبالتالي فإن الذات سارت في برنامجها السردي بانتظام واستقامة في ظل غياب برامج سردية معارضة لذوات أخرى.

أمّا بالنسبة للمساند فيمثله ممثّلان هما (رودني كوون+ الدكتور إيطاكا)، فالدكتور إيطاكا الذي يشهد له روس بإتقان عمله ونجاعة تجاربه خاصة التي كانت موجهة ضمن مشروع مارتن روس والدكتور رودني كوون الذي زوّده بِعَيِّنَتَيْ التّجارب (هلال كروم وزكي خليفة) وبخُلوّ عامل المعارض من أي ممثل، وحضور ممثلين اثنين في عامل المساند كانت الطريق مفسوحة ومُمَهدة أمام الذات لتحقيق هدفها، ويتمظهر لنا أنّ عامل المساند مشخص غير مفرد.

الترسيمة العاملية الثالثة: كوون يريد إجراء التجارب على هلال كروم.

يفيد معنى الجملة التي تلخص المقطوعة السّردية الثالثة أنّ الذات (كوون) ترغب في التّغيير من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية التي تتّسم بالتّوازن، دفع الذات (كوون) للاتصال بالموضوع (إجراء تجارب على هلال كروم) وهذا ما يظهر في قول السارد: « اقترح روس إبدال عنان رستم بهلال كروم»[1]، كما أن المندوب (فراد بالمر) يعتبر أحد عناصر الكفاءة التي تملكها الذات لتحيين رغبتها وتحقيقها وهذا ما يظهر جليّا في قول السّارد صراحة « رَدَّ المندوب على استفسارات أستاذه كوون.... كتب يصف أعراض هلال كروم»[2]، نفهم من هذا الطاعة التّامة والخدمة المتقنة من المندوب لأستاذه رودني كوون، وبالتالي يمكن للذات من خلال هذه الكفاءة التحيين لرغبتها ثم تحقيق ذاتها، ولا يمكن أن تتحقق هذه الذات في نظرها إلّا باستقدام هلال كروم من الرّيف إلى أمريكا وإجراء التّجارب عليه، وللتّوضيح و « التّمثيل على ذلك نقترح التّرسيمة التّالية»[3]:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
إجراء التجارب على هلال كروم		توجيه دعوة لهلال كروم بواسطة المندوب		ايجابية

(1) الرواية، ص151.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص26.

نلاحظ أنّ الغائيّة جاءت إيجابيّة، ومنه نفهم أنّ الذات نجحت في تحقيق ما كانت ترغب فيه وتعمل لأجله، ما يعني وجود انتقال من الحالة البدئيّة إلى الحالة النهائيّة وحصول حالة توازن بعدما كانت لا توازن في الحالة البدئية، فالكفاءة التي امتلكها الذات والعامل المساند ساعداها في الاستجابة لتحفيزات عامل المرسل إليه المتمثل في شخصيتي (القيّم الأعظم وروس) اللّذين دفعا بالذّات (كوون) إلى جلب هلال كروم من الرّيف المغربي إلى أمريكا لتُجْرَى عليه التّجارب، ويعتبر المندوب أحد أهم الممثلين لعامل المساند للذات حيث يظهر هذا في قول السّارد «بعث كوون بتعليمات دقيقة طلب من المندوب... عمّا يعْتَرِي هلال كروم»[1]، أي أن المندوب منذ بداياته الأولى إلى غاية تلك اللحظة عوّد أستاذه كوون على الطاعة والقيام بالمهمات على أكمل وجه، وهناك مساند ثاني للذات ألا وهو المشير وذلك الذي تظهر مساعدته في قول السارد: «كان المشير يردد: زكي هو الأنموذج، لكن لو لا هلال لما سُمِعَ إليَّ، استمَعَ إليه الخبراء واختاروا هلال بسبب الخصال/ المواهب/ الأعراض»[2]، إي أنّ الخبراء اقتنعوا بكلام المشير بسبب التّقارير التي أرسلها إليهم عن الأعراض والخصال التي يتصف بها هلال، ما نتج عنه حتميّة التحقُّق خاصّة في الغياب الكلّي لعامل المعارض، حيث لم نجد أي ذات أو شخصية تعمل على عرقلة الذّات في مسعاها أو تتقاطع معها من خلال برنامج سردي ضديد ما عدا انطباع عام لدى الناس لم يرق لأن يكون عاملا معارضا حيث يقول السّارد « استغرب الكثيرون أن يُسْتَدْعَى هلال كروم إلى الشّط الآخر وهو الذي قاد الثورة»[3]، وبالتّالي تحقَّقَ للذات ما سعت من أجله (الموضع) ألا وهو جلب هلال كروم وإجراء التجارب عليه، وهذا ما يصرح به السارد في قوله: « حضر هلال كروم، خضع لتجربتين حسب مسطرة ناقشها رؤساء الأقسام... تمت التجربتان بنجاح وسُرّ الجميع»[4]، وتحقق اتصال الذات بالموضوع ونجاحها كان المستفيد منه هو المرسل إليه المتجسّد في الممثلين (الأكاديمية كهيئة علمية ترعى البحوث وتموّلها والدكتور كوون كباحث في هذه الأكاديمية، نجح في توفير

(1) الرواية، ص93.
(2) الرواية، ص38.
(3) الرواية، ص36.
(4) الرواية، ص93.

العيّنة المناسبة للقيام بتجارب مهمّة تُعتبر « جزء من مشروع أوسع يُدعى ميفْلاوَرْ إثنين»[1] ما يزيد قيمة وسمعة الدكتور كوون لدى القيّم الأعظم وكل الرّسميين القائمين على إدارة الأكاديمية.

وللتوضيح أكثر نمثّل بالترسيمة العاملية لكيفية انتظام واشتغال الممثلين:

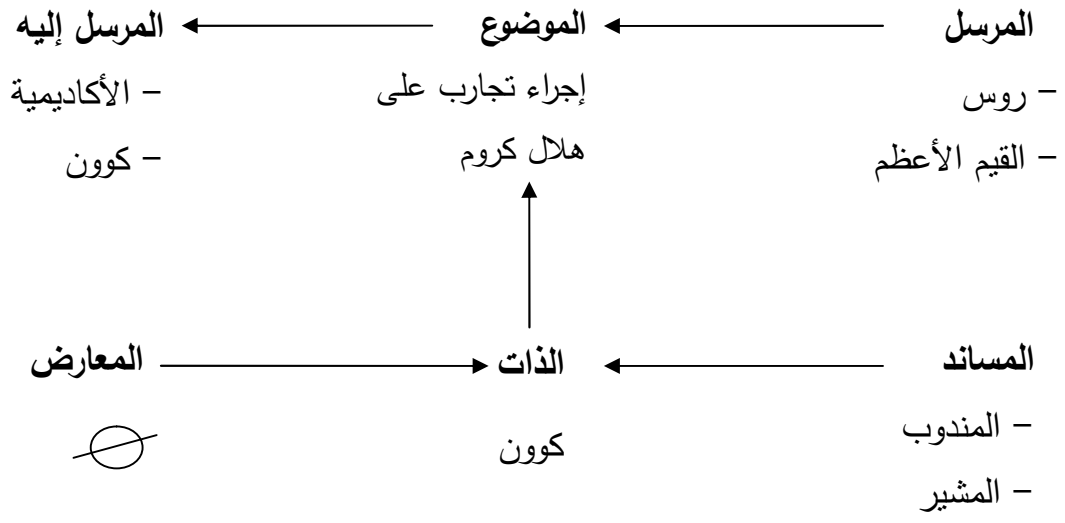

تنتظم هذه الخطاطة من ثلاثة ثنائيات تحكم كل ثنائية وفق علاقة قائمة بين طرفيها كالتالي:

ثنائية المرسل/ المرسل إليه:

تعمل كل من شخصية القيم الأعظم والدكتور مارتن روس كممثلين لعامل المرسل الذي حفَّز الذات (كوون) وأقنعها بضرورة الاتصال بالموضوع والسعي من أجل تحقيقه (إجراء تجارب على هلال كروم) فالمرسل يتمظهر كعامل غير مفرد مشخص بممثلين.

أمّا المرسل إليه المستفيد من تحقيق الذات لرغبتها ونجاح عملية الاتصال بين الذات والموضوع، ويمثله ممثلان هما: الأكاديمية والدكتور رودني كوون، حيث يعتبر "كوون" ممثلا مشخّصا لعامل المرسل إليه، أمّا الأكاديمية فهي ممثل غير مشخص، ومنه فعامل المرسل إليه يتمظهر كعامل غير مفرد.

(1) الرواية، ص222.

ثنائية الذات/ الموضوع:

يشغل الدكتور رودني كوون في هذه الترسيمة العاملية دورًا عامليًّا متمثلاً في عامل الذّات، ويتجلى ذلك من خلال سعيها الهادف إلى تحقيق رغبتها الموجّهة نحو الاتصال بالموضوع المرغوب فيه (إجراء تجارب على هلال كروم)، نتيجة اقتناع هذه الذات بوجوب تحقيقها صلة مع الموضوع لكي تكون ذا قيمة وفاعلية في سير وتطور أبحاث الأكاديمية.

أمّا عامل الموضوع فيتمثل في (إجراء تجارب على هلال كروم) وهو ذو قيمة علمية ملموسة فكريًّا، تسعى الذّات لتحصيلها لخدمة العلم والعنصر البشري، فبتحقق الموضوع وخضوع هلال كروم للتجارب يمكّن للباحثين من الوصول إلى معلومات علميّة مبرّرة لِمَا يسعون من أجله، وبالتالي يظهر المرسل إليه كعامل غير مفرد مشخص في ممثل (كوون) وغير ذلك في الممثل (الأكاديمية).

والملاحظ على هذه الترسيمة العاملية أن شخصيّة (كوون) تشغل بالتمثيل دورين عاملين اثنين هما: الذات والمرسل إليه، فبعدما كانت الشخصية ذاتًا تسعى لتحقيق اتصالها بالموضوع حيث كان يغمرها شيء من الطموح الذاتي الداخلي بحكم أنها ستكون من ضمن الأطراف المستفيدة وستشغل الدور العاملي المتمثل في المرسل إليه.

ثنائية المساند/ المعارض:

يبدو لنا من خلال الترسيمة العاملية أن عامل المساند غير مفرد ومشخص، حيث يتمثل في شخصيتين هما شخصية المندوب (فراد بالمر) والمشير، وتظهر مساندة هذين الشخصيتين في السّعي لتحديد العيّنة المناسبة لإجراء التجربة التي يرغب كوون في القيام بها، إضافة إلى نجاحهما في تحديد العينة المناسبة فقد ساعداه في جلب هلال كروم (عينة التجربة) من الرّيف المغربي إلى أمريكا، خاصّة في ظلّ عمل كليهما في المغرب لصالح الدكتور كوون والأكاديمية التي يعمل فيها هو، وزادت أهمية وفعالية المساند كعامل لعنصر الذات في ظل غياب الصراع وعدم وجود أي ذات تمثل أو تشغل عامل المعارض، فالذات (كوون) كانت الطريق مفسوحة أمامها في سعيها للاتصال بالموضوع وتحقيق رغبتها ودعمهاعنصر المساند.

الترسيمة العاملية الرابعة: كوون يريد إجراء تجارب على زكي خليفة.

يشتغل (كوون) في هذه الترسيمة العاملية نفس الدور العاملي الذي شغله في الترسيمة السابقة ألا وهو عامل الذات، حيث تسعى الذات (كوون) إلى تحقيق اتصال بالموضوع الذي يتمثل في (إجراء تجارب على زكي خليفة)، ويحفز الذات في السعي إلى تحقيق رغبتها شخصية (روس) التي تشغل عامل المرسل إليه وتعتمد الذات في عملها على تحقيق رغبتها على السلطة التي تكتسيها بحكم العمل في الأكاديمية كباحث في مشروع عام، إضافة إلى هذه السلطة المستمدة من طبيعة المنصب ودعم القيّم الأعظم، هناك عنصر آخر تعتمد عليه الذات في سعيها للاتصال بالموضوع، ألا وهو شخصية المندوب الذي ينشط في الريف المغربي ويعمل طوع الدكتور كوون (الذات)، إذن فكل من السّلطة وشخصية المندوب (فراد بالمر) هي أدوات كفاءة تعتمد عليها الذات في التّحيين للوصول إلى تحقيق مُبْتَغَاها.

وللتوضيح أكثر نمثّل ما سبق في هذه الخطاطة:

الفرضية	← **التحيين** ←	**الغائية**
إجراء التجارب على زكي خليفة	استدعاء زكي خليفة لمناظرة عالمية حول الطقس	ايجابية

نجحت الذات (كوون) في سعيها من أجل تحقيق الفرضيّة التي كانت تعمل من أجلها بعدما حفّزها إلى ذلك عامل المرسل المتمثّل في شخصيّة روس الذي كان السّبب الأول والدافع الوحيد الذي اقنع الذّات باستقدام زكي خليفة لإجراء التّجارب عليه، ويظهر ذلك واضحًا في قول السّارد: « خرج القيّم عن صمته وقال: كوون ماذا تقول؟ من تقترح؟ (رَدَّ كوون)– عنان رستم روس: الفتى غير صالح (قال كوون) عندي اقتراح بديل نستدعي زكي خليفة»[1]، أي أن سبب عدول كوون عن إجراء التجارب على عنان واستبداله بزكي خليفة هو رفض مارتن روس للعيّنة المتمثلة في شخص عنان، ومن ثَمَّ نجحت الذات بالكفاءة التي تمتلكها من الوصول إلى

(1) الرواية، ص153.

غايتها، حيث «استدعي زكي خليفة إلى مناظرة عالمية حول تقلّبات الطّقس، جاء وشارك»[1] لم يكن استدعاؤه حقًّا من أجل المشاركة في المناظرة حول الطقس وإنّما من أجل أن تُجْرى عليه التّجارب، وهذا ما يذكره السّارد على لسان شخصية إيمي وليمز « زكي خليفة استدعي لغير ما قيل.... استدعي في نطاق مشروع محدّد يدعى هاجر، جزء من مشروع أوسع يدعى ميفلاور اثنين، استدعي وأُجْرَيَت عليه التّجارب»[2] ومن كلام إيمي وليمز يتأكد لنا أنّ الذّات (كوون نجحت في اتصالها بالموضوع وتغيير حالة الانفصال الأولية مع الموضوع إلى حالة اتصال جديدة، لقد سارت الذّات نحو هدفها في ثبات ومن دون أي صعوبات تذكر، لأنّ عامل المعارض في هذه الترسيمة خالٍ ولا تمثله أي شخصية قد يكون لها برنامجها السردي الذي يتقاطع وبرنامج الذّات، وما مهّد الطريق أكثر للذات في سعيها إلى تحقيق رغبتها، خاصة في ظل غياب عامل المعارض هو حضور عامل المساند بقوّة، حيث يمثله في الترسيمة العاملية ثلاث شخصيات هي (نورا، المندوب، إيمي وليمز)، وتتضح مساعدة شخصية إيمي وليمز للذات كوون في قول السّارد على لسان عنان رستم: «هذا ما تقترحه إيمي وليمز، والد الشّابة يشتغل في مصلحة الأرصاد ندرج اسمه في قائمة المدعوّين بمناسبة أوّل مناظرة تنظمها الأكاديمية»[3]، ثم يتدعّم اقتراح إيمي وليمز باقتناع نورا ورغبتها في حضور والدها إلى أمريكا والتعرّف عليه أكثر، فهي التي فارقته في سن الطفولة مع والدتها وعمل عنان رستم «على نورا وأوعز إليها إعادة الاتصال بوالدها، فقالت: سأفعل»[4]، ثم تظهر مساندة المندوب من خلال السعي لإقناع زكي خليفة بالسفر إلى أمريكا واللّعب على عواطفه بِحَثّه على الاتصال مجددا بابنته ولقائها هناك قائلا له: « لكلّ هذا تفضّل بالسّفر إلى هناك، تعيد الاتصال بابنتك وتشارك في المناظرة»[5]، وبالتالي تحقق ما رغبت فيه وكان المستفيد من كلّ هذا عامل المرسل إليه الذي يمثله كل من شخصية كوون والأكاديمية، حيث زادت قيمة الدكتور كوون في

(1) الرواية، ص201.
(2) الرواية، ص222.
(3) الرواية، ص180.
(4) الرواية، ص179.
(5) الرواية، ص17.

الأكاديمية بحكم نجاحه في توفير العيّنة اللازمة لإجراء التجربة، والآن يمكننا تمثيل ما سبق شرحه على الترسيمة العاملية الآتية:

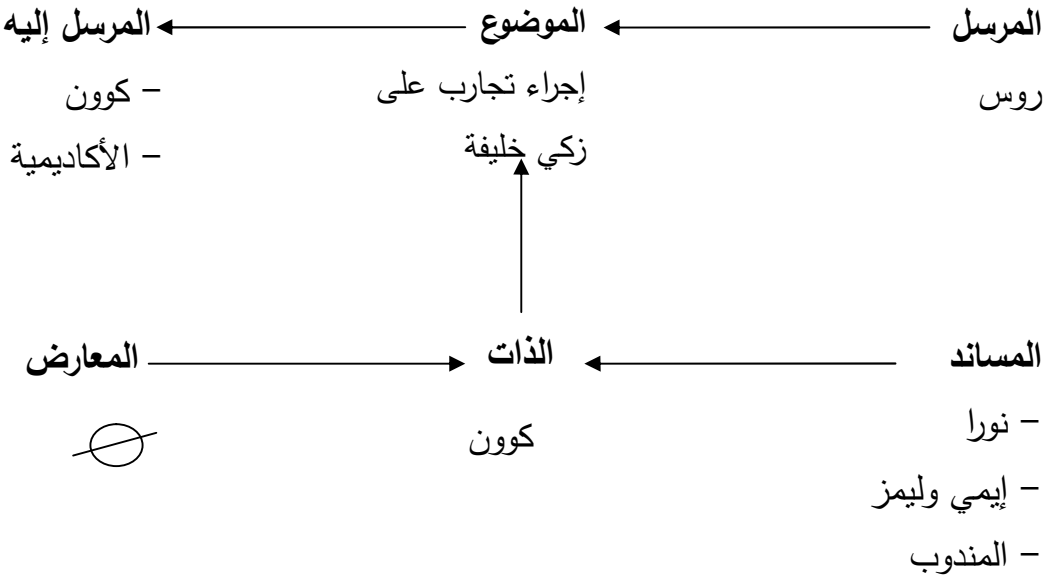

تبين هذه الترسيمة العاملية وجود ثلاث ثنائيات تحدد العوامل المكونة لها، والتي تنتظم وفق علاقات تربط فيما بينها، حيث يمكن توضيح الثنائيات كالتالي:

ثنائية المرسل/ المرسل إليه:

تحكم هذه الثنائية علاقة التواصل، حيث يتمثل عامل المرسل في شخصية (روس) الذي يدفع الذات بتحفيزه لها إلى السعي من أجل تحقيق الاتصال بالموضوع، فعامل المرسل هو مفرد مشخص، أما عامل المرسل إليه فيمثله كل من شخصية (كوون والأكاديمية) هذان الأخيران يعتبران المستفيدين من تحقيق الذات (كوون) اتصالها بالموضوع وتحقيق رغبتها فشخصية كوون استفادت بحكم أنها عضو في الأكاديمية، أما هذه فهي الأخيرة كمستفيد ثان لأنّ استفادتها تكمن في تدعيم زادها ومكاسبها كهيئة علميّة ناجحة، ومنه فعامل المرسل إليه غير مفرد، مشخص في الممثل كوون وغير ذلك في الممثل الثاني.

ثنائية الذات/ الموضوع:

تتبني هذه الثنائية على علاقة الرغبة، حيث ترغب الذات (كوون) في الحصول على الموضوع (إجراء التجارب على زكي خليفة)، فالذات تعتمد في تحقيق رغبتها على كفاءتها

ويعينها أيضا عامل المساند، وقد تكون أحيانا هي المستفيد أيضا من عملية تحقيق الهدف مثلما هو حاصل في هذه الترسيمة، حيث شغلت شخصية (كوون) دورين عاملين اثنين هما عامل الذات وعامل المرسل إليه، فعامل الذات مفرد مشخص، أما عامل الموضوع فهو مفرد غير مشخص ذو طبيعة علمية تحمل أهدافا مجردة هي عبارة عن أفكار تخدم المرسل إليه في مسيرته العلمية البحثية.

ثنائية المساند/ المعارض:

تقوم هذه الثنائية على علاقة الصراع بين المساند الذي يسعى إلى مساعدة الذات في تحقيق رغبتها، أمّا المعارض فهو يعمل على إعاقة الذات في مسعاها للاتصال بالموضوع، لكن في هذه الترسيمة العاملية يغيب الصراع بحكم خُلوّ عامل المعارض من أيّ ممثل أو ذات لها برنامج سردي يتقاطع في أهدافه وبرنامج الذات الرئيسة (كوون)، حيث نجد عامل المساند متمثلا في ثلاث شخصيات (إيمي وليمز ونورا كليف والمندوب) التي عملت على إعانة الذات كوون في استقدام زكي خليفة من المغرب إلى أمريكا لإجراء التّجارب عليه، فعامل المساند في هذه الترسيمة مشخّص غير مفرد.

الترسيمة العاملية الخامسة: إيمي وليمز تريد معرفة السبب الحقيقي لوفاة أبيها.

يتمثل عامل الذات في هذه الجملة الملخصة للمقطوعة السردية الخامسة في شخصية (إيمي وليمز) حيث تسعى هذه الذات إلى تحقيق اتصالها بالموضوع المتمثل في (معرفة السبب الحقيقي لوفاة والدها)، ويدفعها إلى هذا عامل المرسل كمحفز ومقنع لها على وجوب الاتصال بالموضوع، فالحبّ الفطري الذي تكنه إيمي لوالدها دفعها للسّعي إلى تحقيق رغبتها، حيث يشغل هذا المحفز عامل المرسل بالنسبة للذات، وقد اعتمدت هذه الأخيرة على عنصر الكفاءة الذي تمتلكه ألا وهو تعرّفها على عنان رستم « فنسجت إيمي وليمز حول عنان رستم خيوطا خفيّة... واستدعته إلى بيتها»[1] بعدما عاش في « تمنّع لم يطُلْ أنْ خضَع لجاذبيتها»[2] فكانت معرفتها لعنان رستم الذي يعتبر اللّسان النّاطق والقلم الرّاقم للدكتور كوون بمثابة عامل الكفاءة

(1) الرواية، ص176.

(2) الرواية، ص175.

إضافة إلى جاذبيتها التي تتمتّع بها، فهي «الفتاة الفتخاء البَضَّة تمشي كزّلال على وجه الأرض»[1]

اعتمدت إيمي على هذه الكفاءة في التّحيين لتحقيق رغبتها، إذ نجد هذا صراحة في قول السّارد على لسانها وهي تخاطب عنان رستم « عندي لك مكافأة على فتحك لي أبواب الأكاديمية»[2]، أي أنّها اعتمدت على عنان في اقتحامها لأسوار ومكاتب الأكاديمية خاصّة وأنّها كانت تَدَّعِي دائما أنّها « صديقة قديمة لعنان رستم»[3]، وهذه الصّداقة هي كذبة أعانها عنان على خداع الناس بها بسبب سقوطه في جاذبيتها وعدم تفنيده لما تدّعيه تجاهه، كانت تفعل كل ما بوسعها للوصول إلى رغبتها فهي التي « عاهدت نفسها أن لا يهدأ لها بالٌ حتى تعلم علم اليقين ما فعل الطّب بأبيها حيّا أو ميتّا»[4].

وللتوضيح أكثر لما سبق شرحه نمثّل بالخطاطة الآتية:

الفرضية	← **التحيين**	← **الغائية**
معرفة السبب الحقيقي لوفاة والدها	دخول حرم الأكاديمية	سلبية

يتضح لنا من الترسيمة السابقة أن المرحلة الثالثة تتّسم بالسّلبية، بمعنى فشل الذات في تحقيق الغاية التي كانت تسعى من أجلها، وهذا ما يظهر جليّا في المقابلة المهمّة التي أجرتها إيمي وليمز مع الدكتور مارتن روس لمعرفة الحقيقة منه بحكم أنه « عاش في الغرب الوسيط مثلها وأشرف على معالجة والدها في أيامه الأخيرة»[5]، جرى في اللّقاء الذي جمعها به أنْ قالت له: «أنا إيمي وليمز ابنة جورج وليمز... ماذا جرى له؟ تنهّد وقال: أصارحك، سيدتي

(1) الرواية، ص174.
(2) الرواية، ص175.
(3) الرواية، ص176.
(4) الرواية، ص198.
(5) الرواية، ص176.

الفاضلة، لا أدري ماذا جرى »[1]، وبهذا فشلت إيمي في اللقاء الذي عملت من اجله الكثير لكي تعرف من خلاله الحقيقة التي تبحث عنها، خاصّة بعد أنْ أدركت أنّ الرجل رزين وذكي حدّثها طويلا عمّا لم تسأله عنه حتى يتجنب الإجابة عن الأمور التي سألته عنها»[2]، فشلت الذات في الوصول إلى تحقيق ما رغبت فيه وعملت من أجله بسبب عامل المعارض المتمثل في الدكتور روس الذي كان يعرف الحقيقة، لكنّه تمنّع عن إبدائها وعمل جاهدا بذكائه وحنكته أثناء مقابلته إيمي على إخفاء ما كانت تبحث عنه وأشغلها بما لا يهمّها، وبالتّالي كان نجاح عامل المعارض ضدّ الذات في إعاقتها عن الوصول إلى هدفها خاصة في ظلّ غياب عامل المساند الذي يدعمها لتحقيق اتصالها بالموضوع.

والآن يمكننا توضيح بنية هذه المقطوعة السردية أكثر من خلال تمثيلها في الترسيمة العاملية:

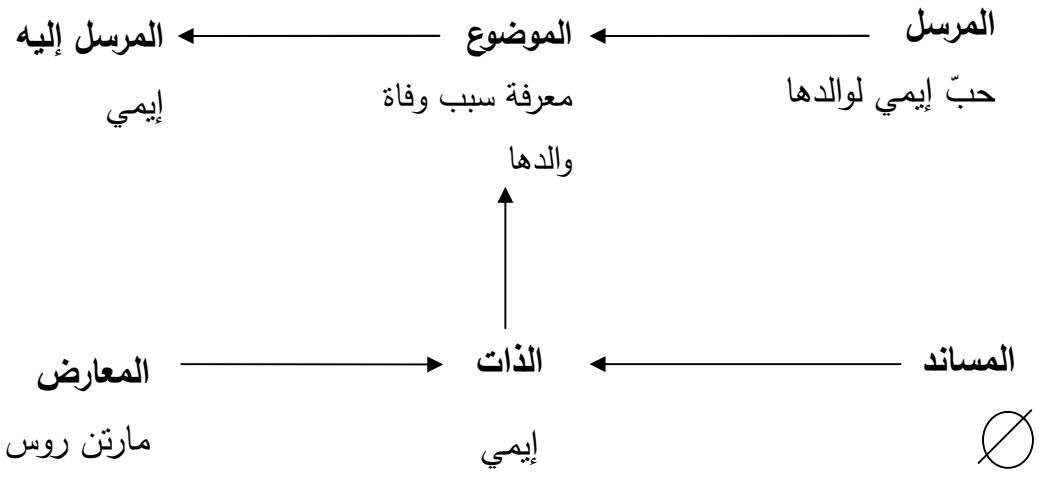

تتبني هذه الترسيمة العاملية على ثلاث علاقات، تحكم كل علاقة ثنائية من العوامل نوضحها كالأتي:

ثنائية المرسل/ المرسل إليه:

تحكم هذه الثنائية علاقة التواصل، حيث يمثل عامل المرسل في هذه الثنائية عاطفة (الحب) وهي ذات قيمة روحية في حياة الإنسان، إضافة إلى هذا فهي محسوسة وتُكْتَسَبُ أو

(1) الرواية، ص199.

(2) الرواية، ص200.

تُولَد مع الفرد، فعاطفة حبّ الوالدين هي عاطفة فطرية تولد مع الإنسان مثله مثل الحيوان في حبّه لوالديه، وهذا ما تجسّد في ذات إيمي، حيث دفعها حبّها لوالدها إلى السّعي لكشف ومعرفة الحقيقة التي أدت إلى وفاة والدها، فكانت عاطفة الحبّ الحافز والدافع الذي دفعها إلى السعي لتحقيق رغبتها، إذن فعامل المرسل إليه مفرد غير مشخص ذو قيمة حسّية روحية.

أمّا المرسل إليه فتمثله شخصية (إيمي) فهي المستفيد الأوحد من اتصال الذات بالموضوع، فكان سعيها كذات رئيسة في البرنامج السردي للمقطوعة الخامسة من اجل أن تكون هي المستفيد الأول والأوحد من تحقق ما رغبت فيه كذات، فعامل المرسل إليه يتمظهر كعامل مفرد مشخص.

ثنائية الذات/ الموضوع:

تنبني هذه الثنائية العاملية على علاقة الرغبة، فالذات تسعى وترغب في تحقيق اتصالها بالموضوع والحصول عليه، فالذات (ايمي) بدافع عامل المرسل (الحب) عملت بكل رغبة في تحقيق اتصالها بالموضوع المتمثل في (معرفة سبب وفاة والدها) ومنه فعامل الذات يتمثل في هذه الترسيمة العاملية كعامل مفرد مشخص، في حين أن عامل الموضوع ذو قيمة معنوية مجردة بالنسبة للذات، وهو مفرد غير مشخص.

واللّافت للنّظر في هذه الترسيمة العاملية هو وجود شخصية إيمي كممثل مفرد لعاملين مختلفين في نفس الوقت، فهي الممثل الوحيد لعامل الذات وكذلك الممثل الوحيد لعامل المرسل إليه، وبالتالي فسعي الذات إلى تحقيق الموضوع كانت له محفزات أخرى غير المعلنة والمتمثلة في الحب، وهي الاستفادة الحصريّة للذات من تحقق الموضوع.

ثنائية المساند/ المعارض:

تتميز هذه الثنائية بوجود علاقة الصراع بين طرفيها، لكن اللافت للانتباه في الترسيمة العاملية هذه هو غياب عنصر الصراع، بفعل غياب أحد طرفيه ألا وهو طرف المساند، فَخُلُوّ الترسيمة من عامل المساند مهّد الطريق لعامل المعارض ليوسّع نشاطه في إعاقة الذات أثناء سعيها لتحقيق رغبتها، فعامل المعارض المتمثل في شخصية (مارتن روس) نجح في عرقلة وإعاقة إيمي في سعيها إلى الحقيقة ومنعها من الحصول عليها، خاصة وأنّ شخصية المعارض

هي الوحيدة التي تعلم بحقيقة سبب وفاة والد إيمي، أي أنّه لا يمكن الوصول للموضوع إلّا بتحوّل عامل المعارض إلى مساند، وهذا ما لم يحدث، وبالتّالي فعامل المعارض يتمظهر كعامل مفرد مشخص.

المثلثات العاملية:

لقد تغاضينا في تحليلنا للبُنَى العاملية السابقة عن العديد من الشخصيات، ولم نوردها في التّحليل ولم نشر إليها، وهذا لأسباب مختلفة وعديدة نذكر منها:

- ورود بعض الشخصيات في مرحلة معينة من الرواية فقط ثم غيابها كلياً مثل شخصية زينب سعدان، فاتن بيلاك، ليلى يوهانسن، الصّابونجي...، كما أنّها ظهرت بصفة مفاجئة وغابت كذلك فجأة وأحيانا من دون تبرير، إضافة إلى هذا فهي لم يكن لها دور في دفع حركة السرد أو تغيير اتجاهها أو سرعتها.
- ظهور شخصيات تلعب أدواراً منفذة مثل: الجندي، الممرضة، السلطات، الخادمة البستاني، فيُونَا، القيّم الأعظمم.

أدريانا فنّيش:

تمثل أدريانا فنّيش في المثلث العاملي الذي نحن بصدد التقديم له بالشّرح قبل رسمه عامل الذات الذي يتمظهر كعامل مفرد ومشخص، أي أنّ شخصية أدريانا فنّيش وحيدة في مسعاها نحو تحقيق اتّصالها بالموضوع والحصول على ما ترغب فيه، ويتمثل هذا الأخير في (مساعدة فراد بالمر) ويدفعها إلى هذا عامل المرسل إليه كمحفّز والمتمثل في ممثلين هما (الوحدة، الوفاء للشريك)، حيث كانت الوحدة التي عاشتها بعد فراقها لشريكها الأشوري السابق سببًا في سعيها إلى التعرف والتمسك بعد ذلك بفراد بالمر ومساعدته في أعماله ومهامه وتعتب أصولها التي تعود إلى « منطقة السودات»[1] وعقليتها التي اكتسبتها من « عيشها في ألمانيا الجديد»[2] بعد الحرب العالمية الثانية، ومهنها التي تتمثل في فن النحت وقدرتها على الرسم كل هذه العوامل والصفات تعتبر كعنصر كفاءة لأدريانا تعينها إلى التّحيين للحصول على رغبتها

(1) الرواية، ص84.

(2) الرواية، ص85.

إضافة على كل هذا يعتبر كلام فراد بالمر الموجه إليها أكبر مشجّع وداعم للحوافز التي دفعتها إلى تحقيق رغبتها، حيث قال لها فراد بالمر « لا تفكري بالرّحيل منفردة... إن رضيت أنْتِ في حمايتي أنا... أحبّ أن تزوريني في محل إقامتي... وإن راق لكي أن تستقري به»[1]، ومنذ لقائهما الأول لم يفترقا، حيث رافقته أينما حلّ وارتحل بأمر من مسؤوليه، تساعده في كل مهامه مقابل البقاء إلى جانبه والعيش في كنفه، « فرحلت معه من أرض جلجامش إلى بلد سبأ ثم إلى الأحابيش ثم إلى الرّيف المغربي وظلت هناك إلى جنبه تساعده»[2].

« وإذا تتبعنا مجرى السرد جملة فجملة نكون مضطرين إلى اقتراح مثلثين عاملين اثنين الأول نفساني والثاني إيديولوجي»[3].

1-المثلث النفساني:

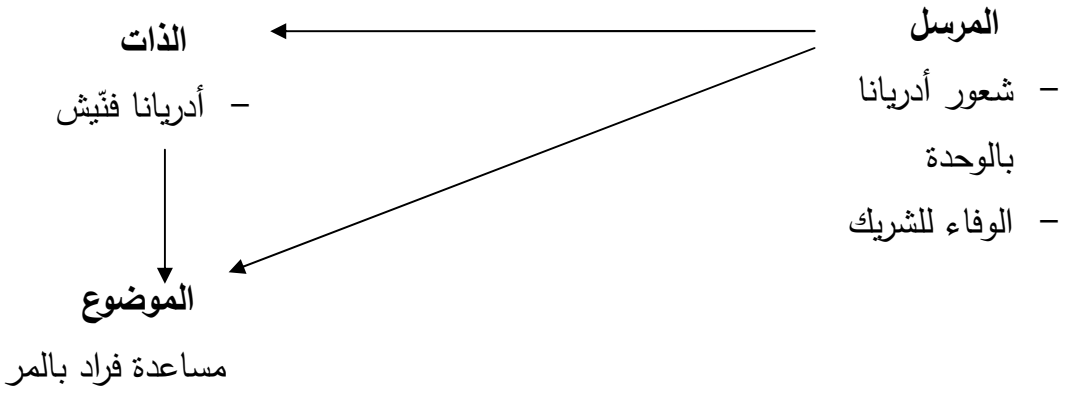

2-المثلث الإيديولوجي:

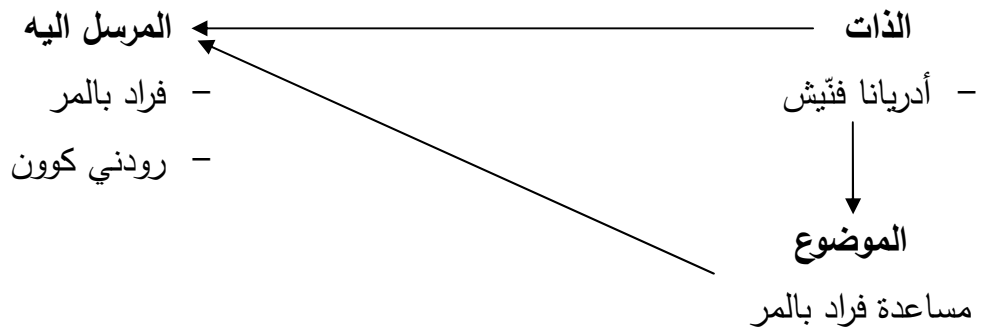

(1) الرواية، ص86.

(2) الرواية، ص90.

(3) السعيد بوطاجين، الاشتغال ألعاملي، ص122.

يتميز الحافز في المثلث العاملي الأول بصفة النفسية، فهو متولد عن نفسية الذات (أدريانا فنيش)، حيث دفعها إلى السعي لتحقيق رغبتها التي تنتج عنها في هذه الحالة استفادة ذاتية، حيث المستفيد هو أدريانا فتتخلّص من وحدتها وتجد من يستحق وفاءها لكنّ المسار السردي للأحداث يمنح اللّفظ معنى أعمق وأبعد من المعنى السطحي الأول في المثلث العاملي النفساني، فيحلّ عامل المرسل إليه مكان المتلقي الصريح، وبالتّالي يتحول المثلث العاملي من طابعه النفساني إلى الطابع الإيديولوجي، ويصبح المستفيد من تحقيق رغبة الذات ممثلين آخرين هما: (فراد بالمر، رودني كوون)، فالأوّل يستفيد من مساعدة أدريانا في مهامه ليكتسب فاعليّة أكثر وقدرة أكبر على تأدية المهام الموكلة إليه، أما الثّاني (كوون) يستفيد من فاعلية فراد بالمر وراحته بفعل وجود شريكة حياة بجانبه.

دوال الشخصيات:

من الأفكار الرئيسة التي وردت في مشروع فليب هامون حول عنصر الشخصية فكرة دال الشخصية، حيث يقول: « يتم تقديم الشخصية ووضعها على خشبة النص اعتمادا على دال منفصل»[1]، أي أن لكل شخصية تعيش وتتحرك داخل عالم النص السردي دالاً خاصاً بها «ويعرف هامون دال الشخصية على أنّه « مجموعة متناثرة من الإشارات التي يمكن تسميتها بـ " سمة" وهذه السّمة تختلف من كاتب إلى أخر بحسب اختياراته الجمالية والأسلوبيّة، ويدخل في دوال الشخصيات أسماؤها وألقابها»[2]، أي أنّ دوال الشخصيات غالبا ما تتكون من الأسماء الحقيقية المصرّح بها من قبل السّارد وكذلك من الألقاب التي تمنح لها سواء من قبل مجتمع المتن الرّوائي أو من قبل السّارد.

وقد وردت شخصيات رواية "الآفة" لعبد الله العروي بأسماء ذات خلفيّات مختلفة، منها العربية ومنها الغربية، حيث منح السّارد كل شخصية الاسم الذي يتوافق والمنطقة الجغرافية التي يتنمي إليها ويعيش فيها، وراح أحيانا إلى تبرير أسماء بعض الشخصيات بالإشارة إلى أصولها.

لقد مزج عبد الله العروي في روايته هذه بين الأسماء العربية الأصلية والأسماء الغربية وذلك بسبب الفضاء الذي جرت فيها الأحداث بين الرّيف المغربي الذي تنتسب إليه كل الشخصيات ذات الأسماء العربية، والشط الأخر هو أمريكا الذي تعود إليه كل الشخصيات ذات الأسماء الغربية، وبالتالي يمكن القول أنّ السارد نجح إلى حدّ كبير في اختيار أسماء شخصياته، فمن خلال دوالها فقط يمكن أن نعرف إلى أي جهة تنتسب هذه الشخصية وما هي أبرز سماتها التي تتميز بها عن نظيراتها الأخرى.

وسنعمد في هذا الجزء من دراستنا لدوال الشخصيات إلى التركيز بالدراسة والتحليل لدوال الشخصيات البارزة والأكثر فاعلية في سيرورة أحداث الرواية مع عدم إغفال دوال الشخصيات الثانويّة أيضاً التي من شأنها إعطاء هذا الجانب من الدراسة للرواية ثراءً وشمولاً أكثر.

(1) فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص58.

(2) محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص101.

إن الأسماء العربية التي أوردها عبد الله العروي في روايته تمنحها طابع الهوية العربية خاصة أنّ هذه الأسماء لها معاني ودلالات تحيل إلى الثقافة العربية وطبيعتها، كما أنّها تجعل المتلقّي أكثر تقبّلا لشخصيات الرواية وأحداثها وإحساساً بواقعيتها وقرباً من محيطه العربي الذي يعيش فيه.

"هلال كروم" اسم مركب لشخصية عربية تعود أصولها إلى الرّيف المغربي حسب ما صرّح به السّارد في نصّه الروائي، ويظهر جليّاً أنّ هذا الاسم مركب من اسم ولقب، فالاسم هلال له قيمة وعمق تاريخي عريق لدى العرب، ومعناه « غُرَّة القمر، واسم أجداد وشعراء جاهليين، واسم قائد شجاع من بني تميم، ومؤرّخين وفقهاء وأحد ملوك الطوائف بالأندلس»[1]، فكما نلاحظ لهذا الاسم تاريخ ضارب في التاريخ العربي منذ الجاهلية إلى غاية الآن، فقد حمله قادة حرب ورؤساء قبائل وملوك في الأندلس وهذا ما ينطبق على شخصية هلال الذي قاد الثورة وكان شخصية تتّسم بالقيادة والذّكاء، أمّا لقبه "كروم" فهي مشتقة من الفعل الرباعي "أَكْرَمَ" الذي يدلّ على السّخاء والعطاء، وبالتّالي نجد أنّ صفات الشّجاعة والقيادة والجمال كغُرّة القمر والكرم والسّخاء كلّها معان تتوافق وَمَا تتّسم به شخصيّة هلال كروم ذي الأصول البدويّة المعروفة بكرمها وجودها، فهو « من شتات بني غيل الرّعاة»[2]، وبالتالي نجح السّارد في اختيار الاسم المناسب لهذه الشّخصية العربيّة.

الأمر نفسه مع اسم آخر من ناحية طبيعة التركيب، وهو اسم "زكي خليفة"، مركب من اسم ولقب، ومعنى اسم زكي « نامٍ، طاهر»[3]، أمّا معنى لقب خليفة « من يخلف غيره، إمام أعلى، سلطان»[4]، وهذا اللّقب أخذه زكي من والده الذي كان يعمل لصالح القوى الاستعماريّة في قبيلته كخليفة لهم يعمل كوسيط بين الشّعب والمستعمر، وبالتالي توفّرت إحدى المعاني الواردة في معجم الأسماء وهي السّلطة في والد زكي خليفة، وكذلك خلافة زكي لزميله هلال في التّجارب المُقَامة ضمن مشروع ميفلاور في أمريكا.

(1) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص94.

(2) الرواية، ص45.

(3) حنّا نصر الحني، قاموس الأسماء العربية، والمعربة، ص42.

(4) المرجع نفسه، ص37.

يعتبر اسم "نورا كليف" كذلك من الأسماء المركبة في رواية "الآفة" من اسم ولقب، أمّا اسم نورا فقد ورد بعدة صيغ تقارب هذا الاسم منها نورة ومعناه « علامة، أثر»[1]، ووردت بصيغة نور ومعناه « ضِياء»[2]، أمّا اللّقب فهو من والدها « الرّسمي والعاطفي»[3] غير الحقيقي والشرعي زكي خليفة، أي اسمها الحقيقي والكامل نورا خليفة ولكن تغيّر بفعل هجرتها مع والدتها في طفولتها وعيشها في أمريكا حتى كبرت فأصبح من خليفة إلى "كليف" بفعل عدم وجود حرف الخاء في اللغة الانجليزية التي كتب بها اسمها على الوثائق الرسمية، فالاسم ذو خَلْفيَّةٍ عربية تدل على أصل هذه الشخصية الذي يعود إلى الرّيف المغربي، وهي بالفعل كالضِّياء الذي أطل على حياة زكي خليفة فأحبّها كابنته ومنَحها اسمَهُ، لكن سرعان ما فقدها هي ووالدتها معاً.

"عنان رستم" هو الآخر اسم مركّب من جزأين اسم ولقب، ومعنى اسم عنان كما ورد في قاموس الأسماء العربية « المرتفع من السّماء والسّحاب»[4]، وفي موضع آخر ورد معناه بكسر العين «لِجَام»[5]، أمّا لقب رستم فهو ذو أصول فارسية، حيث اشتهرت شخصية رستُم الحربية في الجيوش الفارسية أثناء معركة القادسية مع العرب، وهذا ما يدلّ على أصول شخصية عنان رستم التي تعود إلى تركيا الحضارة التي تعتبر أخت الحضارة الفارسية بحكم الجوار والاشتراك في العديد من السّمات الثقافية والتاريخية، واختيار السّارد لهذا الاسم كي يكون دالاً على شخصية عنان ذات الأصول التركية بمثابة الخيار المناسب والأمثل.

هناك اسم أنثوي آخر يتسم بطابع التركيب كغيره من الأسماء التي سبق تحليلها، ألا وهو اسم "زينب، سعدان" اسم ولقب، أمّا الاسم ومعناه « منعّمة البدن، وشجر حسنُ المنظر طيبُ الرائحة[6]، وهي بالفعل الفتاة التي لها جاذبيتها كما صوّرها السّارد وتحمل صفات « النّباهة

(1) المرجع نفسه، ص 118.
(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(3) الرواية، ص215.
(4) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص68.
(5) حنّا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربية، والمعربة وتفسير معانيها، ص53.
(6) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص120.

والاجتهاد»[1]، أمّا لقب سعدان فهو مثنى لكلمة "سعد"، ومعناه « اليُمْنُ والبَرَكَة»[2]، ومن خلال الاسم واللقب الذي جاء على صيغة المثنّى تجتمع سمات جمال المنظر واليُمنُ والبركة، ليتأكّد أنّ الشخصية التي تحمل هذا الاسم هي عربية الأصل والفصل.

هذه أهم الأسماء العربية الواردة في الرّواية، والتي تعتبر دوال لشخصيات مهمة وفاعلة مقارنة بشخصيات أخرى تغاضينا عن ذكرها، لأن المقام لا يسع لذكر كل الأسماء العربية الواردة في الرواية.

أمّا الأسماء الغربية التي وردت كلها بالتركيب من جزأين، اسم ولقب مثلها مثل الأسماء العربية، كما تميزت أيضا بإيحائها على أصل الشخصية التي تحملها، فمنها ما تحيل على أنّ أصل الشخصية يعود إلى أوروبا مثل: أدريانا فنّيش التي تعود أصولها إلى منطقة السودات ومنها ما يحيل على أنّ الشخصية ذات أصول أمريكية بفعل اختصار الاسم وقصره مثل: مارتن روس ورودني كوون، وكلا الشخصيتين من أصول أمريكية، وما ميّز الرّواية ككل على صعيد دوال الشخصيات هو انقسامها إلى قطبين عربي وغربي، لكن هناك اسم شذّ عن القاعدة وجمع بين القطبين معًا، وهو اسم "فاتن بيلاك" ومعنى اسمها العربي « مُمِيلَة ومُعْجِبَة وفائقة الجمال»[3]، وهو ما تجسّد في شخصية فاتن، « ناصعة البشرة، مستديرة الوجه شعرها الأسود اللّامع الذي يضاعف من بريق عينيها الزقاوتين»[4]، أمّا لقبها فهو يحيل إلى أصولها التي تعود تعود إلى ألمانيا الذي جاء منها والدها وعاش وعمل في تركيا، فاسمها مستمد من الثقافة التركية المشبعة بالحضارة العربية الإسلامية، أمّا لقبها فهو مستمد من حضارة أصل والدها، وهو ما صرّح به السّارد علنًا قائلاً هي « مزيجًا حقيقيًا لحمًا ودمًا من الجنسَين التُّركي والألماني»[5] وبتصريح السّارد بأصول هذه الشّخصية ومسقط رأسها لم يحدث أي غموض حول انتماء هذه الشخصية التي تحمل دالاً كهذا.

(1) الرواية، ص08.
(2) حنّا نصر الحتي، المرجع السابق، ص 43.
(3) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص133.
(4) الرواية، ص161.
(5) الرواية، الصفحة نفسها.

خلاصة:

تبين لنا من خلال تطبيقنا لمعطيات تحليل نظام الشخصية كما سطره هامون جملة من الملاحظات نوجزها على النحو الآتي:

1. ذُكرَت أغلب الشّخصيات على لسان السارد في مقطوعات سردية وصفية مجْمَلة، ولم تَرِد إلاّ نادرًا بعضُ السمات والمواصفات لشخصيّات على لسانها أو لسان غيرها.
2. بدأ السارد في ملء البياض الدلالي للشخصيات من خلال صفاتها الجسدية وتكرر ذلك مع أغلب الشخصيات حيث يبدأ بتعريفها من الجانب الفزيولوجي ثم ينتقل لجوانب أخرى.
3. كما امتلأت البطاقة الدلالية لجلّ الشخصيات بفعل قيامها بأفعال وتمثيلها لأدوار عامليّة داخل مسار الحكاية، لذلك نجد أنّ الشّخصيات التي ظهرت فجأة ثم اختفت أو التي لم تقُم بأيّ فعل أو دور عاملي أكثَر غُمُوضًا من نظيراتها.
4. لقد شغلت العديد من الشخصيات كذوات دورين عامليين في تحليلنا للبنية العاملية مثل شخصية رودني كوون ومارتن روس وإيمي يوليمز، كما تميزت أغلب الترسيمات العاملية بغياب عنصر المساند أو المعارض ما نتج عنه غياب علاقة الصراع بصفة شبه كلّية في البرنامج السردي للحكاية، ونجاح شبه كلي للذوات في تحقيق رغباتها نظراً لاكتسابها لكل عناصر الكفاءة.
5. حضور لدوال بعض الشخصيات التي تقوم بأدوار منفّذة مثل الجندي والممرضة وغيرهما.
6. تميزت دوال الشخصيات بانقسامها إلى قسمين، عربية وغربية حيث كان من السّهل معرفة أصل الشّخصية قبل الاطّلاع عليها في المتن السّردي من خلال دالّها فقط.
7. لقد حددّ السارد بصراحة الجنس والأصل الجغرافي لكل شخصيّات الرّواية وصرّح بدوالّها مباشرةً، فلم يترك للقارئ أيّ غموض حول هذه العناصر الثلاث المكونة لكل شخصية من شخصيات مجتمع المتن الروائي.

الفصل الثالث: نظام الشخصيات في رواية "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطار.

1. مدلول الشخصيات.
2. مستويات وصف الشخصيات.
3. دوال الشخصيات .

اتّخذ الرّوائي الجزائري "الطاهر وطار" من الجزائر المكان الذي تدور فيه كل أحداث روايته "الشّمعة والدّهاليز"، حيث اعتمد على مدينتين بارزتين في شمال الجزائر هما: قسنطينة الواقعة في الهضاب العليا بالشرق والجزائر العاصمة في الوسط، فكانت قسنطينة مهد الأحداث ومنها بدايات شخصياته الأولى في زمن الثورة التحّريرية، ثم مدينة الجزائر العاصمة التي جرت فيها إرهاصات وبدايات الوقائع التي نتجت عنها العشرية السوداء في مرحلة التسعينات، أي أنّ زمن الرّواية منقسم بين زمن الثورة التحريرية قُبيْل الاستقلال والسّنوات الأخيرة من عقد الثمانينات وبداية عقد التسعينات من القرن الماضي، حيث صرح الطاهر وطار بجزء من هذا في تقديم تصدّر الصفحات الأولى من الرواية إذ يقول : « وقائع الشمعة والدهاليز الروائية تجري قبل انتخابات 92 التي خلقت ظروفا أخرى» [1].

عالج السّارد في هذه الرواية عدة قضايا سادت الواقع الجزائري آنذاك منها قضية المرأة والهويّة وقضيّة الصّحوة الدينية في أوساط الشّباب وما خلّفته بسبب عدم التّقنين والتقعيد لها وكذلك قضية المجاهدين والعسكريين الذين خاضوا حرب التحرير الثورية وما أصبحوا عليه وقضيّة انقسام الشعب الجزائري إلى تيارات ثلاثة، كل تيار يدفع إلى وجهته، كل هذا حتّم على الطاهر وطار أن يستقي شخصيات روائية من الواقع الجزائري السائد في تلك المرحلة التي يرغب في الكتابة عنها، وقد اعتمد في تقديم شخصياته على تقنية « التقديم غير المباشر: حيث يكون مصدر المعلومات عن الشّخصية هو السارد، الذي يخبرنا عن طبائعها وأوصافها، أو يوكل ذلك إلى شخصية من شخصيات الرواية»[2]، أي أنّ السارد يكون وسيطًا بين القارئ والشخصيات في الرواية لكن هناك استثناءات مع بعض الشّخصيات القليلة مثل شخصية الشاعر (هارون الرشيد)، وشخصية (زهيرة) أيضا.

مدلول الشخصيات:

يتمثل مدلول الشخصية بالنسبة لفليب هامون « بأنه مدلول متواصل قابل للتحليل والوصف، ويتولد من الجمل والأقوال التي تتلفظ بها الشخصية عن نفسها أو التي تقال عنها

(1) الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، 1994، الجزائر، ص06.

(2) محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، ص44.

من قبل شخصيات أخرى في النّص الرّوائي»[1]، وهذا ما سنركز عليه بالدراسة والتحليل كأول إجراء من أجل الوصول إلى تحديد مدلول كل شخصية سلّطنا عليها الضوء بالدراسة ، وقد اعتمدنا في اختيارنا للشخصيات التي سندرسها على معيار الحضور والدور الذي لعبته في دفع الأحداث وتطورها، وهو المعيار نفسه الذي سنعتمده في ترتيبنا لها أثناء العرض والتحليل.

1- الشاعر (هارون الرشيد):

تمثل هذه الشخصية البطل الذي يتميّز عن الشخصيات الأخرى بالعديد من المواصفات فالشاعر الشخصية المثقفة التي من خلالها يسلّط السارد الضوء على القضايا الذي عمد إلى معالجتها والخوض في ثناياها، حيث يعود أصل شخصية الشاعر إلى الرّيف القسنطيني فيصف هذا الرّيف في مرحلة طفولته وعلى لسانه قائلا: « في مدرسة القرية.... حذائي مرقّع من كل جهة.... سروالي بدوره صمد عدة سنوات ثم راح يستنجد بالإبرة والخيط....قميصاي الأسود والأزرق تشبث لوناهما بالبقاء سنوات ثم تساويا في لون واحد، لا هو بالأزرق ولا هو بالأسود.... أما سترتي كان لها وجهان، وجه من القماش السميك الذي يمنع مرور الماء، ووجه من جلد الخرفان صوفها بنّي، أتحايل على الطقس فاقلب السترة كذا مرة في اليوم.... مدرستنا ليس فيها فقير غيري كلّهم أبناء موظفين في الإدارة الفرنسية»[2]، أي أنّ الشاعر من أسرة فقيرة معدمة تعيش تحت خطّ الفقر، فهي لا تستطيع منذ سنوات توفير الملابس اللائقة لابنها التلميذ في ابتدائية القرية، وسبب هذا الفقر هو الطبيعة الثورية للعائلة ضدّ الاحتلال الفرنسي، ما يؤكده قول الشاعر: « عندما صعد جميع الرّجال القادرين على حمل السلاح..... بقيت رجل القرية ولد الحادية عشر، عرضت على أمي الانقطاع عن الدراسة فرفضت رفضًا قاطعًا»[3] نفهم من هذا أن كل رجال القرية التحقوا بالثورة في الجبال وبقي الشاعر الوحيد الذي يعتبر رجلا بالنسبة لنساء القرية وهو في سن الحادية عشرة من عمره، أراد التوقف عن الدراسة لكن أمّه رفضت ذلك ومنعته مدعومة من والده وعمّه فقالت له: « أبوك وعمك مختار يلحّان أن

(1) ينظر: فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص39.

(2) الرواية، ص39.

(3) الرواية، الصفحة نفسها.

تواصل الدراسة، الاستقلال آتٍ وعليك أن تعدّ نفسك لتكون أوّل قايد في عرشنا»[1]، فكانت أمنية والده وعمه وحتى أمّه أن يكون قايد العرش بعد الاستقلال الذي هو على الأبواب، لكن هذه الأمنية لم تعجب الولد الصغير وأفصح لأمّه عن أمنيته التي يحلم بها فقال: « أريد أن أكون قصّابًا في الأعراس... لقد كانت أمنيتي ولا تزال»[2]، لكن هذه الأمنية لم تعقه عن طلب العلم ولم تقتل فيه شغف المعرفة إذ يذكر قائلا: « قرّرت من تلقاء نفسي أن التحق بالثانوية الفرنسية الإسلامية بقناعة داخلية وبضرورة الاطلاع على دهليز مظلم، يسلّط عليه الفرنسيون الظلمة، ويحاول شيوخنا وعجائزنا دون جدوى في كل مرة إبقاء شمعة ما للاستنارة بها»[3].

فالشاعر منذ صغره له طموح كبير في فهم قضايا واقع حياته فكان سبب اختياره الالتحاق بالمدرسة الثانوية الفرنسية الإسلامية نابعاً من شغفه لمعرفة وفهم قضية الدين التي تسعى فرنسا كمستعمر لطمسها، أمّا الجزائريين فكانوا يعملون على إبقاء القضية وتثبيتها، دخل الثانوية وتميز على أقرانه بصفات مختلفة يذكرها قائلا: « كنت جسديا أبدو أصغر التلاميذ في الصّف إلّا أنني في السّن وفي التّجربة كنت أكبرهم.... دخلت المدرسة متأخّرا ثلاث سنوات .... شعر رأسي كنت أقرعه بالمُوسِي في رحبة الجِمَال..... ذلك ما أكسبني من يومها لقب غاندي»[4] فكان صغر جسمه ناتجاً عن سوء تغذيته بسبب فقر العائلة، واكتسب لقب غاندي بسبب طريقة حلقه لشعره، لكنّه تميز بالذكاء والفطنة والرّزانة عن كل أقرانه في الثانوية، ما خوّله لأن يتولى مهام غاية في الخطورة بالمقارنة مع سنّه، فيقول: « كنت خلال العطل أكلّف بمهام محليّة من تبليغ رسائل، إلى إيصال حصيلة الاشتراكات للمجاهدين إلى ربط الاتصالات بين الأقسام»[5] أي أنّه خدم الثورة على صغر سنه بسبب الثقة التي يحوزها لدى الجميع وعلى رأسهم عمّه مختار المجاهد في الجبال حيث يصفه: « هذا الشيطان أثق فيه كل الثقة، بسبب حيلته ومكره

(1) الرواية، ص 39.
(2) الرواية، ص 40.
(3) الرواية، الصفحة نفسها.
(4) الرواية، ص 48.
(5) الرواية، ص45.

.... الله هكذا أيبسه، ثعلبٌ»[1]، فعمّه مختار يشبهه بالشيطان في قدرته على التّلاعب ويصرح بثقته الكاملة فيه، ثم يضيف أنه مثل الثعلب في حيله ومكره لذلك بقي هزيل الجسم، وهو أسلوب هزلي في الكلام يقصد العمُّ من ورائه المدح لابن أخيه الذّكي، لازمته صفة النّحافة في جسمه حتى بعد أن صار شابّا قويًا بعد استقلال الجزائر وبعد التحاقه بالجامعة، حيث يصفه السّارد قائلا: « كان نحيفًا طويل الوجه، بارز الوجنتين، غائر العينين، قاسي الملامح جاف النظرة، يرتدي جاكيطة بنية بلا بطانة وسروال جين يتّسع لاثنين مثله»[2]، فهو شديد النحافة إلى لدرجة أن سرواله يتسع لشخصين من حجمه، وبعد أن تخرّج وحصل على مهنة عاش وحيدًا «لا يشاركه أحد في سكنه هذا، وذلك منذ أن منح له سكن وظيفي من طرف المعهد»[3] «فما عدا أخت الشاعر التي تأتي من حين لآخر من البلد... لم تدخل امرأة أخرى هذا المنزل»[4]، حيث عاش بعيدا عن عنصر النساء ولم يفكر يوما في الزواج رغم رغبة أمّه الملحّة، إذ كان يرى بأن الزواج يلهيه عن قراءة الكتب، إلى أن تعرّف على زهيرة « فأُعجب شديد الإعجاب بطلاقة لغتها العربية وابتعادها كليّة عن أيّة مفردة فرنسية»[5]، فراحت تصفه لوالدتها بعد أن قال لها في لقائه الأول بها « أنا أستاذ بالجامعة وشاعر، وبسبب اشتغالي بالمطالعة لم أتزوج»[6]، تصفه قائلة: « شاربه ولحيته يحلقهما بدقة متناهية.... اللحية منتقاة نظيفة كأنّها هي موضوعة»[7]، ثمّ تضيف « راشٍ نحيف هزيل رأسه أكبر من صدره وأنفه أكبر أكبر من فمه، يرتدي ثياب المتسوّلين، ويحمل محفظة مثقلة بالكتب أستاذ يقول الشّعر في الأربعين من عمره، لطيف، لطيف جدًا»[8]، على الرغم من كل الصّفات السيئة فيه من ثياب بالية تشبه ثياب المتسولين وشكل جسمه الذي يبدو فيه رأسه أكبر من صدره، إلا أنّها أُعجبت

(1) الرواية، ص45.
(2) الرواية، ص19.
(3) الرواية، ص08.
(4) الرواية، ص13.
(5) الرواية، ص88.
(6) الرواية، ص87.
(7) الرواية، ص137.
(8) الرواية، ص108.

بلطافته ولباقته معها، وهذه السّمة التي لفتت انتباه "ياسر بن عمار" في أوّل لقاء لهما مع بعض، حيث يقول: « هذا الشاب لطيف وعلى جانب كبير من الثقافة والرّصانة»[1]، فزيادة على رصانته فهو ذو ثقافة واسعة ورصانة في الكلام والأفعال، لكن رغم كل هذه المحاسن إلّا أن زهيرة التي أعجبت به من أول لقاء لهما ذكرت لوالدتها أنّه « لا يليق أبًا ولا يصلح زوجًا ولا ينفع خليلاً»[2]، وبجمعنا لكلّ هذه الأقوال والشهادات حول شخصية الشاعر اتضحت لنا صورته.

2- زهيرة:

تظهر هذه الشخصية في النصف الثاني من البرنامج السردي للرواية، لكنها لعبت دورًا مهمّا بالنسبة لحياة البطل ودوره السردي، ظهرت غامضة وراحت تتضح معالمها شيئا فشيئا من خلال كلامها عن نفسها وكلام الشخصيات الأخرى والسارد، تقول مقدمة نفسها للشاعر في لقائهما الأول: « واحدة من بنات الجزائر الكثيرات... دراستي توقفت في السنة التاسعة المتوسطة.. حصلت على شهادة في الرّقن، وتدريب على معالجة النصوص بالكمبيوتر وَلَا اشتغل أختٌ لثلاثة ذكور وخمس بنات، أنا أصغرهن، والدي تاجر صغير لكن مستورون والحمد لله»[3]، نفهم أنّ زهيرة لم تكمل دراستها لتصل إلى الثانوية ثمّ الجامعة، لكنها حاملة لشهادة مهنيّة ولم تحصل بعد على منصب عمل، تنتمي إلى عائلة تتكون من ثمانية أفراد ما عدا الأمّ والأب، إلا أنّ العائلة مكتفية ميسورة الحال ماديًّا رغم كثرة أفرادها، ويقدمها السارد واصفا لملامحها فيقول: « وجهها الغلامي ذي العينين المنتصبتين في طرفي وجهها، بحيث أنهما تبدوان كموميياء فرعونية،... أو كأنّهما لغزالة... لهما تودّد سخيّ، أنفها رقيق بفطسة تتناسب تمام التناسب مع شكل الوجه الطويل، منخراه صغيران يروحان يهتزان كلّما تنفست، خنابتاهما ممتلئتان بعض الشيء فوق فم صغير رقيق الشفتين، يَحلُو لَهَا دائمًا أن تصبغه بأحمر شفاه وردي باهت خافت، ذقنها الدقيق تزينه فلجة رقيقة تكبر وتصغر حسب حالتها الصحية، يتراوح

(1) الرواية، ص24.
(2) الرواية، ص142.
(3) الرواية، ص89.

لونها بين بياض وسمرة وزرقة، وذلك ما يجعلها تبدو في الوقت الواحد أسيوية إفريقية»[1] فالسارد يصفها وصفًا دقيقا في ملامح وجهها ويشبه عينيها بعيني المومياء المصرية التي تتسم بتكحيله العيون وامتدادهما إلى جانبي الوجه، كما يشبههما بعيني الغزالة اللّتان تَغَنَّى بِهِما الشّعراء منذ القديم، ثم يضيف السارد واصفا شعرها فيقول: « خصلات شعرها المصبوغ بالأحمر سوداء بينما تبدّت خصلات أخرى حَلساء يتنازعها اللونان الدخيل والأصيل، لم يكن الشعر لا بالناعم السلس ولا بالكث الأحرش»[2]، إضافة إلى عينيها الجميلتين تملك شعرًا أسود صبغته باللون الأحمر فهو لا بالشّعر الغزير ولا بالشعر القليل، وسط بين الغزارة والقلة والانسدال والنعومة، ثم يقدّمها جملة واحدة بكل مفاتن وتفاصيل جسدها قائلا: « ينسدل جسدها في تناغم تام، الرأس بشعره وبالوجه الذي يحمله متناسب الحجم مع الكتفين العريضتين فوق صدر يشكل مثلثا منتصبا على خصر رفيع طويل، على حوض ممتلئ في غير ما سمنة على فخذين ما شاء الله طولا وسلاسة واستقامة، على ساقين كأنّهما لمُهرة أصيلة يغطِي هذه البضاضة غير المتسيبة زغب خفيف يضفي بعدًا جماليًا على اللّوحة الرائعة،العيب كل العيب في هذا العنق، فرغم أنه جيد جدًا بطوله وانتصابه على الكتفين إلاّ أنّه يلتصق بالذقن بواسطة جيب فضفاض»[3]، فزهيرة ذات جمال أخّاذ وأنوثة باذخة فاتنة قدمها السارد من أعلى الرأس إلى أسفل ساقيها في لوحة فنّية مغرية تنِمُّ عن فتاة بلقاء القوام تجمع بين الرشاقة وامتلاء البدن لكن رغم كلّ هذا الجمال إلا أن عيبها كما يذكر السّارد في الجيب الفضفاض الواسع الذي يشمت جمال عنقها، لكن هذا لا يظهر حين يأخذها الشاعر بالتأمل جملة واحدة « فإنّها تبدو في منتهى الروعة متفردة في شكلها، الصورة التي لا مثيل ولا نظير لها إطلاقا»[4]، كل هذه السّمات الجميلة والجمال الأخّاذ غير متاحين لبصر أي كان، فهي المتحجبة التي تستر كل مفاتنها فيزيدها حجابها عفّة وحياء وجاذبية، يصفها السارد في حجابها فيقول « المنديل الأبيض

(1) الرواية، ص83.

(2) الرواية، ص97.

(3) الرواية، الصفحة نفسها.

(4) الرواية، ص83.

الذي يلف الرأس ثم ينسدل على الظهر والكتفين مهزوزًا بعقيصة لشعر لا يدري المرء ما لونه وما شكله»[1].

إذًا زهيرة متشبعة بالتعاليم الدينية، المتديّنة التي تتذمّر من أخواتها اللواتي تصف صلاتهن بالمثل الشّعبي القائل « صلاة القيّاد جمعة وأعياد»[2]، تمتلك زهيرة شخصية قوية كثيرا ما كانت هي طوق نجاتها من المواقف المحرجة حيث يقول عنها السارد « تعودت مواقف محرجة خرجت منها بشخصيتها القوية وببساطتها وذكائها قوية مظفرة»[3]، إضافة إلى قوة شخصيتها فهي بسيطة غير متكلفة وذكية أيضا.

كان يشبّهها الشاعر بالْخَيْزُرَان التي لم تكن تعرفها، فقال لها إنّها « فتاة بربريّة سُبيت من شمال إفريقيا وأُخذت إلى القصر العباسي لتنجب هارون الرشيد، أتعرفين هارون الرّشيد؟»[4]، ومنذ ذلك اليوم صارت تطلق عليه اسم هارون الرشيد وهو صار يستحضرها في ذهنه وأحلامه باسم الخَيْزُرَانْ.

3- عمار بن ياسر:

تعد هذه الشخصية من الشخصيات المهمة في الرواية، ظهرت منذ الصفحات الأولى حيث تعتبر الشخصية الموازية لشخصية البطل (الشاعر) بحضورها إلى جانبه منذ البداية حتى النهاية، ولذلك نجد أن السّارد قد أفرد لها مساحة تقارب مساحة البطل في تقديمه لها بالوصف على لسانه ولسان الشخصية نفسها، يقول السارد عن هذه الشخصية واصفا ملامح وجهه «لونه يميل إلى السمرة، عيناه سودوان متّسعتان، أنفه بين القصر والطول يميل قليلا إلى الفلطحة بينما خنابتاه ممتلئتان بشكل بارز... يعزز ذلك بعض الاكتناز الذي يطبع الشفتين، قامة طويلة، منكباه عريضان»[5]، إضافة إلى سمرته وسواد عينيه وأنفه المميز بشيء من الفلطحة وشفتيه المكتنزتين فهو طويل القامة عريض المنكبين، أي أنه ذو بنية مورفولوجية قويّة « في

(1) الرواية، ص84.
(2) الرواية، ص126.
(3) الرواية، ص86.
(4) الرواية، ص90.
(5) الرواية، ص22.

الثلاثين مهندس في النّفط»[1]، متعلّم ومتخرج في الجامعة بشهادة مهندس «أبوه إسماعيل... أحد قادة الثورة المسلحة، خاض معارك كثيرة وقام ببطولات مشهورة، بلغ رتبة عسكرية عالية»[2]، فعمار بن ياسر ابن مجاهد خاض الثورة المسلحة وتدرج في رتب جيش جبهة التحرير الوطني، يذكر عمار عن والده قائلاً: « دشّن حياته التواطئية بتطليق أمّي بعد أن وضعني جنينًا في أحشائها»[3]، أي أنّه عاش بعيدًا عن حماية وعطف الأب الذي طلق أمّه وتركها وحدها مع أولادها، ثم يضيف عمار قائلا: « أخواي الكبيران أحدهما استشهد رحمه الله والثاني التحق بالجيش وبقيت أمي مع ثلاث بنات... ما كان يدفعه لها قليلا جدّا، وكثيراً ما كان ينساها عدة أشهر»[4]، أي أن عائلة عمار تتكون من ستّة أولاد، ثلاثة ذكور وثلاث بنات وأم مطلقة ترعى هؤلاء الأولاد، نتج عن هذه الحالة وضع بئيس عانى منه عمّار حيث يقول «المعلمون يحتقرونني والأولاد لا يسمونني إلا باسم أمي، ولد الطاوس أو ولد الهجالة»[5]، هذا الوضع الذي أثر في حياة عمار بن ياسر ودفعه إلى أن يسلك سلوكا غريبا مع والده الذي طلّق أمّه فيقول: « منذ أن التقيت به وكنت في التاسعة قرّرت أن أواجهه، حملني في سيارته إلى المدينة حيث زوجته الثانية مع عدة أولاد... قال إنني أكبر الأولاد الذين جاؤوا بعد الاستقلال إنّه ينتظر أن يستعين بي في أعماله الكثيرة»[6]، نفهم من هذا أن عمار عاش في قطيعة مع والده الذي كان يرغب في إشراكه معه في العمل، كما نفهم من قول عمار نقلني إلى منزله في المدينة أن عمار وأمه وكل إخوته كانوا يعيشون في الريف أو القرية بعيداً عن المدينة، إضافة إلى هذا أن عمار ولد بعد الاستقلال عكس كل إخوته الآخرين من الزوجة الثانية لوالده، أي أن والده طلق أمه بعد الاستقلال مباشرة، ثم يذكر عمار عن مسيرته العلمية منذ الطفولة فيقول: «تدرجت كما يتدرج كل الأطفال الجزائريين، الكُتَّابُ ثم المدرسة ثمّ الثانوية ثمّ الجامعة»[7]، أي

(1) الرواية، ص23.
(2) الرواية، ص66.
(3) الرواية، ص69.
(4) الرواية، ص70.
(5) الرواية، ص71.
(6) الرواية، ص70.
(7) الرواية، الصفحة نفسها.

أنّه زاول تعليمه الأكاديمي بطريقة طبيعية رغم كل ما عاناه من مشاكل اجتماعية لا ترحم ثم يذكر يوم دخلت الجامعة كانت الجزائر في منزلة بين المنزلتين... انسقت بسرعة لأوّل داعية وتفرغت لهما معا، الدراسة التقنية والتّفَقُهُ في الشّريعة»[1]، فعمار الذي دخل الجامعة في مرحلة تميزت بالحراك الثقافي والديني والإيديولوجي راح وبسرعة ينغمس في طلب العلم بتخصصه التقني ليتخرج بعدها مهندس نفط ومطلع على العلوم الدينية الفقهية، ويصف حال جامعة قسنطينة يوم دخلها قائلا: « كانت جامعة قسنطينة وكرًا للشيوعيين وكلّ الملحدين الكافرين فجاء زحفنا مستعملين تذبذب الدولة التي تقترب إلى الشعب بالتظاهر بخدمة الإسلام فأحضرت الإمام الغزالي يفتي في المساجد وفي التّلفزة ...ويضرب الشيوعيين ... كلّما وهنوا قوينا، كلما تأخروا خطوة تقدمنا خطوتين»[2]، فكانت هذه الأوضاع التي عاشها عمار بن ياسر في الجامعة وانحيازه إلى الدين من أوّل يوم له التُّربة التي نبتت فيها ثقافة وعقلية عمار فصنعت منه بمرور الأيام الشاب المتشدد التديّن المتعلم المتخرج الجامعي وما إنْ وصل سن الثلاثين ومع تطور الأحداث صار ضمن الحركة الإسلامية التي غزت البلاد، فيقول وهو يحدّث الشاعر في أول لقاء لهما: « إنّني أمير في الحركة.... تردّدت على السجن ثلاث مرات...آه لو أنّ الخطر يأتيني من الخصوم وحدهم، جماعتنا بدورهم شتات»[3]، فعمار أصبح قياديا في الحركة التي تدعي انتماءها إلى الدين الإسلامي وتمثيلها له، وتعمل على تطبيقه في السعي إلى قيام الخلافة الإسلامية أو الدولة الإسلامية كما جاء على لسان السّارد في الرواية أما اسم عمار بن ياسر فهو الاسم الحركي لهذه الشخصية وليس اسمها الحقيقي.

4-إسماعيل والدُ عمار بن ياسر:

إسماعيل شخصية قدمها السارد ممثلة لثلّة من الجزائريين يشتركون في تاريخهم الشخصي أو يتشابهون إلى حدّ كبير، هذه الثّلة هي المجاهدون الذين شاركوا في الثورة التحريرية ونجوا من الموت وَرأَوْا نُور الاستقلال، يقدم السارد إسماعيل قائلاً: « أحد قادة الثورة المسلحة، خاض

(1) الرواية، ص73.
(2) الرواية، ص74.
(3) الرواية، ص77.

معارك عديدة، وقام ببطولات مشهودة، بلغ رتبة عسكرية عالية، واكب الحركة الوطنية منذ صباه، تفرغ لها يعمل مع الشهيد مصطفى بن بولعيد رحمه الله»[1]، فشخصية إسماعيل عاشت الثورة بوعي وخدمها منذ صغره متشبثا بدرب مصطفى بن بولعيد رحمه الله، كل هذا جعله شخصية مهمة قيادية في الثورة إلى أنْ وصل إلى « رتبة الضّابط»[2]، كان عمله في الثورة بث « الرّوح الوطنية وتنظيم خلايا المناضلين، وجمع الأسلحة»[3]، نستنتج بأنه كان ذا فصاحة وبرهان في كلامه ما خوّله لأن يكون المسؤول عن بَثِّ روح الوطنية في صفوف المجاهدين، ثم يخبرنا السارد عن المنطقة التي نشط فيها وعن حظه الكبير مقارنة بمن صعدوا الجبال معه فيقول: « تعرفه قمم وروابي وشعاب الأوراس، كما يعرفها ويعرف أشجارها وسكانها، نَجَا من الموت، وبالنظر إلى ما مرّ عليه والى استشهاد معظم الإخوان من الرّعيل الأوّل، محظوظ جدًا»[4].

ثم يضيف السارد عن مسيرة هذه الشخصية أثناء الثورة « انتهى به المطاف إلى تونس... ولم يتمكن من العودة وبقي يعمل في مكاتب المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني برز اسمه بعد الاستقلال ثم انطفأ بسرعة خارقة، رغم ضجّة قامت حول اسمه إثر الحرب الجزائرية المغربية التي أكلت كثيرا من شباب أبرياء منهم ابنه»[5].

عاش إسماعيل بعد الاستقلال حياة رغدة لكنها اتسمت بالتواطؤ على عدة صُعُد كما يذكر ابنه عمار قائلا: « دشّن حياته التّواطئية بتطليق أمي بعد أن وضعني جنينًا في أحشائها»[6] فأول تواطؤ قام به إسماعيل بعد الاستقلال وعودته من تونس هو أن طلق زوجته السابقة التي أنجبت له ثلاث بنات وولدين والثالث كان لا يزال جنينا في بطنها، راح إسماعيل بعد زواجه مرة ثانية يلهث وراء جمع الأموال وتوسيع تجارته ورأس ماله، ونسي كل ماله من واجبات تجاه

(1) الرواية، 66.
(2) الرواية، ص66.
(3) الرواية، الصفحة نفسها.
(4) الرواية، الصفحة نفسها.
(5) الرواية، الصفحة نفسها.
(6) الرواية، ص69.

عائلته الثانية وحتى الأولى أيضا، وهذا ما يؤكده قول زوجته الثانية عنه «هؤلاء المجاهدون دَعَا عليهم داعٍ أن لا يستريحوا إلاّ في القبر، ما شبعناه ولا شبعتموه ولا شبع هو النّوم.... إنّه هنا وإنّه هناك»[1]، أي أنّه كثير التّرحال والسفر ولا يكمن في البيت إلاّ نادرًا، له تجارة في كل جهات الوطن، ويعمل أحيانا على تطويرها فيضطر إلى السفر خارج البلاد لجلب ما يدعمه ويميز تجارته، كل هذا أوصله إلى أن يترأس الحكومة الوطنية ثم الهيئة التشريعية الأولى كما جاء على لسان ابنه عمار وهو يحاوره « أن تترأس بعد اثنتين وعشرين سنة فقط من موقفك هذا الذي لم يتغير حكومة الثورة الوطنية، لترأس بعد أربع سنوات من ذلك الهيئة التشريعية الأولى في تاريخ هذا الوطن»[2]، ثم يخاطب الابن أباه عن الوضع الذي ساد البلاد في مرحلة نهاية الثمانينات وبداية التسعينات فيقول له: « لأنّني كما عَلِمتَ أرفض أن تكون هناك جزائر فرنسية لا دائمة ولا مؤقتة.... وهناك افتراء في العملية كلها» نفهم من هذا أن الأب في طرف والابن في الطرف الأخر، ولذلك نجد هذا الابن يلوم أباه على تغيّر نظرته إلى الواقع بعد مرور اثنتين وعشرين سنة ويتهمه بالافتراء، ذلك أنّ رأي الولد هو أن تكون الجزائر جزائرية عربية تحقيقاً لِمَا قامت عليه الثّورة كمبدأ، لكن الوالد تراجع عن مبدأ الثورة الذي حارب من أجله.

5-بابانا آدم:

ظهرت هذه الشخصية في بدايات الرواية ثم غابت، تحركت في النصف الأول من زمن الرواية التي تحتوي زمنين، زمن الثورة وزمن الاستقلال فكانت هذه الشخصية في زمن الثورة تعيش مع البطل، حيث يقدّمها هذا الأخير على لسانه قائلا: « قريب من القرية، نطلق عليه اسم "بابانا آدم"»[3]، أي أنّ شخصية بابانا آدم ليس هذا هو اسمها الحقيقي بل هو لقب أطلق عليه من قبل سكان القرية الذي يقربهم بصلة قرابة لم يفصح عنها السارد، ثم يضيف الشاعر- البطل- مقولاً عن هذه الشخصية: « كان قريبي يقارب السبعين، يفهم اللغة الفرنسية ويتحدث بها مكسورة ملحونة تعلّمها في الجيش الفرنسي»[4]، أي أنّ بابانا آدم كما ينادونه لم يتعلم اللغة

(1) الرواية، ص72.
(2) الرواية، ص149.
(3) الرواية، ص42.
(4) الرواية، ص45.

الفرنسية تعليمًا أكاديميًا، بل اكتسبها من خلال السّماع والممارسة، وهو الذي خدم في الجيش الفرنسي سنين طويلة، « حيث خاض عدة حروب بدءًا من حرب أربعة عشر– ثمانية عشر إلى حرب الشام إلى الحرب العالمية الكبرى إلى حرب الفيتنام التي فقد فيها ذراعه اليسرى»[1]، أي أنّه ذو خبرة طويلة في الحروب قاتل في عدة جبهات من العالم وحضر الحربين العالميتين الأولى والثانية، ثم يضيف الشاعر يخبرنا عن الجانب المادّي لهذه الشخصية قائلا: « فقد ذراعه اليسرى ومنح بدلها راتبًا شهريا دائمًا، وعدة نياشين يضعها في جيبه»[2]، أي أنّه ميسور الحال ماديًا بسبب الرّاتب الذي يتلقاه بانتظام، أمّا عن حالته الاجتماعية فيقول الشاعر: «تزوج ... في المغرب وفي تونس وفي كولن بألمانيا وفي حلب وفي سايغون، وله في كل هذه الأقطار أولاد، يغيب وعندما يعود ويُسْأَلُ أين كان، يقول أنّه كان عند زوجته الشّاوية في باتنة أو القبائليّة في تيزي وزو»[3]، نفهم من هذا أنه أينما حَلَّ في الحرب أو السّلم تزوج وأنجب أولادا لكنه لا يملك عائلة في تلك القرية التي يقطن فيها آخر ما تبقى من عمره وهو في العقد السابع من حياته، له من قبل المجاهدين امتيازات عن باقي أفراد القرية، إذ يذكر الشاعر واصفا هذه الامتيازات « سُمح له وحده بشرب الخمر وبالاقتراب من الفرنسيين وبالمشاركة في حفلات الرابع عشر من جويلية وعيد الميلاد ورأس السنة»[4]، لكن مقابل هذه الامتيازات هناك خدمة يقدمها للمجاهدين يتحدث عنها الشاعر قائلا: « كان الخيط الرابط بين كثير من حلقات الثورة في المنطقة، وأحيانا يكلف بالاتصال بمناطق نائية»[5]، وبالتالي كانت الحالة التي يتّصف بها من شرب للخمر والاحتكاك بالفرنسيين عامل إيهام للعسكر الفرنسيين تبعدهم عن الشك في خدمة هذا العجوز لثورة بلاده ولشعبها، الملاحظ أن هذه الشخصية قدمها لنا السارد على لسان شخصية من شخصيات الرواية ألا وهي البطل (الشاعر).

6-مختار:

(1) الرواية، ص45..
(2) الرواية، الصفحة نفسها.
(3) الرواية، الصفحة نفسها.
(4) الرواية، الصفحة نفسها.
(5) الرواية، الصفحة نفسها

تشترك هذه الشخصية مع شخصية "بابانا آدم" في أمرين مهمين هما، أنّ كليهما عاش في فترة الثورة التّحريرية وكذلك تمّ تقديمها من قبل السارد للقارئ على لسان شخصية البطل (الشاعر)، حيث يذكر هذا الأخير متقولاً عن شخصية مختار الذي تجمعه صلة قرابة العمومة « زين شباب الدّوار مختار خطيبها»[1]، فشخصية مختار لها من الجمال ما تتفوق به على كل شباب الدوار، وهو خطيب فتاة تسمى "العارم" ثم يضيف الشاعر واصفا شخصية مختار فيقول: « عمّي مختار لم يكن يقرأ كثيرًا، فقد حفظ في صغره ربع يس في الكُتَّاب»[2]، فهو شخصية عربية حفظ جزءًا لا بأس به من القرآن الكريم ما دفع بوالده للعمل على إرساله إلى جامع الزيتونة كما جاء على لسان الشاعر « فكّر جدّي في إرساله إلى جامع الزيتونة ونفّذ فعلا رغبته بأن جهّزه وأرسله بصحبة مجموعة من الطّلبة الذين يمرّون علينا قادمين من بلاد القبائل»[3] لكن رغبة المختار تعارضت ورغبة والده، إذ يذكر الشاعر « أنه بعد شهرين بعث رسالة من فرنسا يخبر فيها بأنّه في أحسن حال يشتغل في البناء»[4]، أمّا عن ملامحه فيقول الشاعر: «لا يشبه أبي إطلاقا.... أبيض يميل إلى الحمرة، أزرق العينين، طويل القامة، عريض المنكبين، ميالاً إلى الفكاهة، يأخذ الدنيا من جانبها الهزلي.... كان يشبه جدّتي في كل شيء»[5]، إضافة إلى تقديم الشاعر ملامحه، فقد ذكر أنّه يشبه جدّته أكثر من جدّه وذو طباع مرحة لا يحمل صفات الجدّ ميّالٌ إلى الفكاهة والضحك، التحق مختار بالجبل مباشرة بعد عودته من فرنسا وقيام الثورة التحريرية وهذا يظهر من خلال كلام العارم عندما أسرت الجندي الفرنسي وطلبت من الشاعر الذي كان يومها طفلا صغيرا: « اسبقني وأخبر عمّك مختار بما يجري»[6]، ثم يضيف السارد ما يؤكد هذه الفكرة أن هذا الطفل الصغير هو الوحيد الذي «يعرف جميع المسالك التي تؤدي إلى مقرّ الوحدة»[7]، أي أنّ مختار كان في الوحدة القريبة

(1) الرواية، ص27.
(2) الرواية، ص 51.
(3) الرواية، الصفحة نفسها.
(4) الرواية، الصفحة نفسها.
(5) الرواية، ص 51.
(6) الرواية، ص 32.
(7) الرواية، ص 36.

من الدّوار مع زملائه من المجاهدين وحصل ما طلبته العارم خطيبته من الطفل وأتمّت ما سعت من أجله.

7- العارم:

شخصية أنثوية تشترك مع الشخصيتين السابقتين في أنّها عاشت زمن الثورة التحريرية وهذا ما سيظهر في ما يقال عنها من قبل السارد والشخصيات الأخرى، حيث يذكرها السارد قائلاً: « تجلّت له بعينيها الدعجاوين، اللتين تحمل نظراتهما إيحاء متواصلا باستغاثة وطلب النّجدة من وحدة وعزلة وظمأ مزن للحنان والعطف بقوامها الطويل الرشيق، تتسربل ثوبًا عسلي اللون وتغطي رأسها بحجاب أبيض»[1]، فالسّارد هنا يصفها بلسانه من خلال عيني الطفل الصغير (الشاعر) بعينيها الدعجاوين اللّتين يوحيان بوحدة وشوق إلى الحنان والعطف والرأفة ذات قامة طويلة رشيقة غير بدينة ترتدي حجابًا يغطي شعرها وجسمها، بخمار أبيض اللون وثوب عسلي اللون، ثم يضيف السارد واصفًا جمالها « كانت جميلة بضّة ، حمراء، مكتملة في العشرين من عمرها»[2].

إضافة إلى جمالها ونضوجها هي شجاعة، وفتاة فحلة قوية الشخصية ذكية التصرف في الحياة، يظهر هذا في قول السارد: « التحقت ابنة خالته العارم بالجبل مصطحبة معها سلاحا انتزعته من قائد دورية عسكرية كانت تجول المنطقة»[3]، حيث أسرت ذلك الضّابط بعد أن عزلته عن رفاقه، وهو الذي تحرش بها قبل ذلك وأرادها بالقوة والسلاح فأسرته وسلمته لخطيبها المجاهد مختار في الجبل التحقت به بعدها، كان سبب تحرش الضابط الفرنسي بها أنوثتها الفياضة حيث يذكرها السارد قائلا: « في حركاتها تَئَنّ يشي بمفاتن تعمل جاهدة على دفنها»[4]، قدم لنا السارد هذه الشخصية كبطلة لقصة حدثت في الثورة المسلحة التحريرية.

شخصيات أخرى:

(1) الرواية، ص 26.

(2) الرواية، ص 27.

(3) الرواية، ص 27.

(4) الرواية، ص 38.

تميزت رواية "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطار بكثافة حضور الشخصيات المرجعية «التي تحيل على معنى ممتلئ وثابت حدّدته ثقافة ما، كما تحيل على أدوار وبرامج واستعمالات ثابتة»[1]، تنوعت هذه الشخصيات المرجعية بين شخصيات أدبية عالمية مثل «محمد ديب وتولستوي وهيمنغواي وبالزاك والمتنبي»[2]، وشخصيات فنّية جزائرية وعالمية مثل « عيسى جرموني وخليفي أحمد والريميتي الغليزانية ومايكل جاكسون ومادونة»[3]، وشخصيات دينية وتاريخية منها الجزائرية والعالمية أيضًا، حيث يذكر السارد « القديس أوغيستانيوس القديس دوناثيوس، الأمير عبد القادر، الأمير خالد.... ماركس، لنين، جمال الدين الأفغاني الطهطاوي، الشيخ الغزالي، الشيخ القرضاوي، القاضي أحمد بن أبي دؤاد، أحمد بن حنبل»[4] كل هذه الشخصيات لها طابع ديني وأخر هو التاريخ، وهناك شخصيات مرجعية أخرى ورد ذكرها في الرواية لا يسعنا المقام لإيرادها، وكذلك لورودها كشواهد قول لبعض الشخصيات مثل التي ذكرناها قبل قليل، وهي معروفة ممتلئة المعنى لا يدركها وينتبه لها ويعرف سبب حضورها وعلاقتها بأفكار النص إلاّ قارئ ذو ثقافة تحوز جانبا من فكر وحياة هؤلاء الشخصيات فالشخصيات الدينية استحضرها الروائي في عرض معالجته لقضية الثورة وما بعد الاستقلال قُبيل العشرية السوداء وأثناء معالجته لقضية الهوية في الجزائر، استحضر الأدباء والكتاب الجزائريين والعالميين والفنانين الذين كانت لهم تأثيرات على حياة البشرية وتاريخها بأفكارهم وإيديولوجياتهم.

بعد تقديمنا لأهم الشخصيات الواردة في الرواية من خلال كل ما قيل عنها من قبل السارد أو قالته شخصيات أخرى عنها وما قالته هي عن نفسها، لاحظنا أن السّارد قد نوع في تقديمه شخصيات الرواية فمنها ما قدمها هو على لسانه ومنها ما قدمها على لسان شخصيّات أخرى ومنها من قدّمت هي بعض الجوانب عن نفسها، أي أنّه اعتمد تقنيتين اثنتين « الأولى التقديم غير المباشر والتي يكون فيها السارد أو شخصية أخرى هي العالم والمخبر بطبائعهم أو

(1) فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص35.

(2) الرواية، ص 152.

(3) الرواية، ص 150.

(4) الرواية، ص 121.

أوصاف الشخصية، وإما التقنية الثانية وهي التقديم المباشر والذي تقدم فيه الشخصية نفسها بنفسها من دون وسيط بين القارئ والشخصية»[1].

من العناصر التي يتحدد من خلالها مدلول الشخصية وصفاتها، وهذه الأخيرة « يحددها فليب هامون بأربعة محاور هي: الجنس، والأصل الجغرافي، والايدولوجيا والثروة»[2]، ولا يخفى أنّ هذه المحاور الأربعة ليست ثابتة الترتيب والوجود أثناء التحليل كما طرحها فليب هامون، بل يمكن التغيير فيها وفي ترتيبها، حيث يكون الترتيب بناء على قدر حضور كل محور مقارنة بالآخرين وتكون مرتبة من الأكثر حضورًا بين الشخصيات المدروسة إلى الأقل حضورًا، أما وجودها فيمكن استبدال محور أو محورين حسب الحاجة، فغياب محور ما أثناء دراستنا للشخصيات يمكن أن نستبدله بمحور آخر نستخلصه نحن من قراءتنا واطلاعنا على معلومات وطبائع الشخصيات، وهذا ما سنقوم به، حيث لاحظنا غياب محور الايدولوجيا كليًّا فاستبدلناه بمحور "الدين"، لأن هذا الأخير أكثر حضورًا وبروزًا لذلك وقع عليه الخيار بالضبط.

المحاور / الشخصيات	الجنس	الأصل الجغرافي	الدين	الثروة
الشاعر	+	+	0	+
زهيرة	+	+	+	0
عمار بن ياسر	+	+	+	0
اسماعيل	+	+	0	+
بابانا آدم	+	+	0	+
مختار	+	+	0	0
العارم	+	+	+	0

نلاحظ في الجدول أنّ كل الشخصيات تشترك بالتحديد في محورين هما محور الجنس والأصل الجغرافي.

(1) ينظر: محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص44.

(2) ينظر: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص99.

ينقسم الجدول إلى ثلاثة أقسام حسب المحاور التي تتحدد منها شخصيات كلاً قسم، حيث يضم القسم الأول كل من شخصية (زهير+ عمار بن ياسر+ العارم) والتي تتحدد بالمحاور الثلاثة (الجنس+ الأصل الجغرافي+ الدين).

أمّا القسم الثاني والذي يضم شخصية (الشاعر+ إسماعيل+ بابانا آدم) فهو محدد بالمحاور (الجنس+ الأصل الجغرافي+ الثروة).

يبقى القسم الثالث والذي يضم شخصية واحدة متمثلة في (مختار) وتتحدد بمحورين (الجنس+ الأصل الجغرافي).

ومنه فالقسم الأول والثاني يتقابلان مع القسم الثالث، حيث يعدُّ هذا الأخير أكثر بساطة وغموضًا بتحديده من خلال محورين فقط مقابلةً بالقسمين الأول والثاني اللّذين يتحدّدان بثلاثة محاور، فهما أكثر تعقيدًا ووضوحًا من القسم الثالث.

نلاحظ أيضا أنّ تحديد الشخصيات ينحصر بين المحورين والثلاثة محاور، أي لا توجد شخصية محددة بمحور واحد كما لا توجد شخصية محددة بالمحاور الأربعة كلها.

يعدّ « المربّع السميائي الذي اقترحه غريماس من الإجراءات التقنية التي تساعدنا على الوصول إلى المستوى الأعمق لنظام دلالة الشخصيات في المتن السردي، وذلك من خلال التركيز على علاقة الشخصية بالشخصيات الأخرى عن طريق عقد مقارنة بين صفات هذه الشخصيات»[1].

وسنعمد في هذه المرحلة إلى تطبيق المربع السميائي للمقارنة بين الشخصيات من خلال محورين هما: محور الدين ومحور الثروة، لأن هذين المحورين تميزت فيهما الشخصيات بالحضور والغياب، فمثلا شخصيتا الشاعر وزهيرة في محور الدّين تختلفان بالتّحديد من عدمه وعليه يكون المربع السّميائي على هذا النّحو:

(1) ينظر: سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية، ص45.

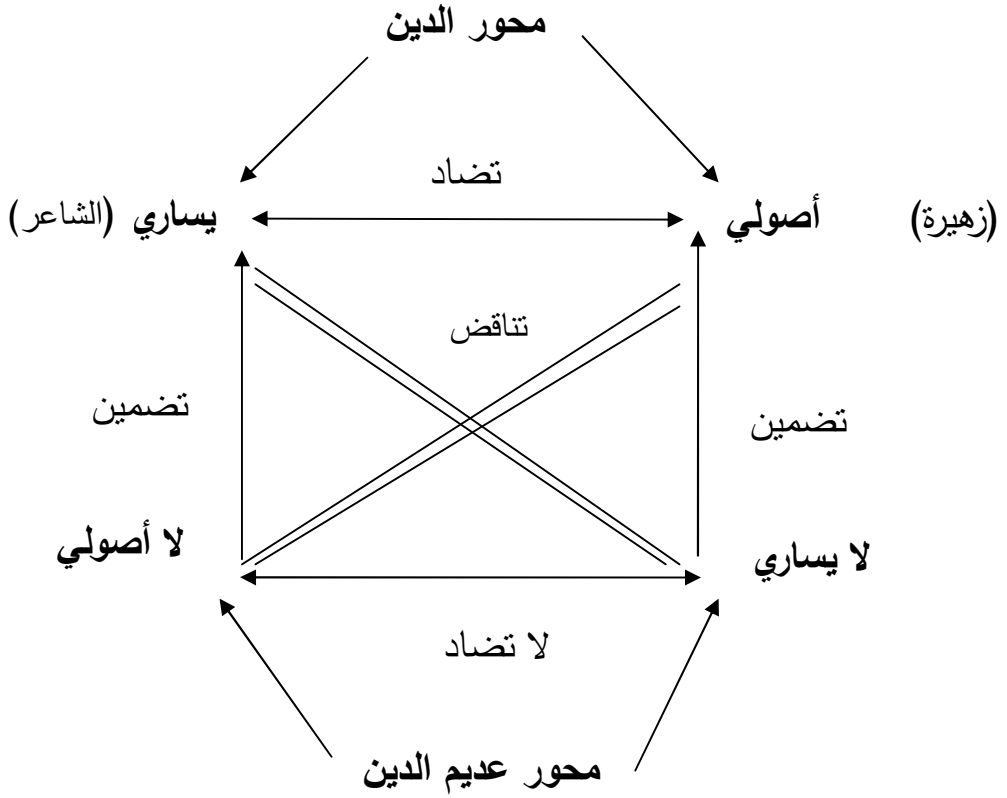

نلاحظ أن هذا المربع السميائي يضم ثلاث علاقات هي: علاقة التضاد وعلاقة التناقض وعلاقة التضمين، أما علاقة التضاد فهي تضم (زهيرة) في محور الدين ضد (الشاعر) وعلاقة التناقض تضم (زهيرة) عن قطب الأصولي مقابل قطب (لا أصولي) عن محور عديم الدين أما علاقة التضمين فهي بين قطب الأصولي الممثل بزهيرة في محور الدين مقابل قطب لا يساري في محور عديم الدين، ومن خلال هذه العلاقات الثلاث تتأكد لنا صفة المتدينة الأصولية في شخصية (زهيرة).

أما شخصية (الشاعر) الممثل لقطب اليساري في محور الدين فهو في علاقة تضاد مع قطب الأصولي من محور الدين وفي علاقة تناقض مع قطب لا يساري من محور عديم الدين وأيضا في علاقة تضمين مع قطب لا أصولي من محور عديم الدين، ومنه تتأكد لنا صفة اليساري في شخصية الشاعر مقابل صفة الأصولي في شخصية زهيرة.

نطبق هذا الإجراء مرة ثانية على شخصيتين أخريين هما: (عمار بن ياسر، وَبابانا آدم) في محور الدين.

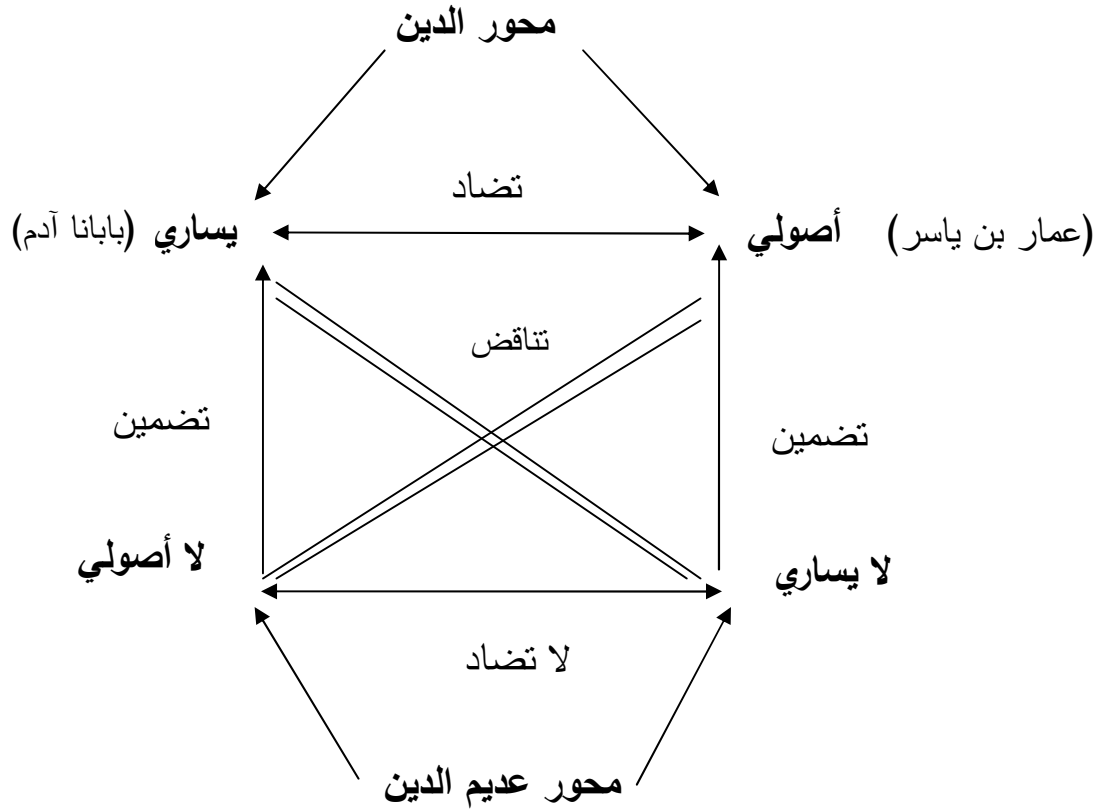

إن شخصية (عمار بن ياسر) الممثلة لقطب الأصولي في محور الدين على علاقة تضاد مع شخصيته (بابانا آدم) الممثلة لقطب اليساري في محور الدين، كما أن (عمار بن ياسر) في علاقة تناقض مع قطب لا أصولي في محور عديم الدين، وفي علاقة تضمين مع قطب لا يساري في محور عديم الدين، وبالتالي تثبت لنا صفة الأصولي المتدين في شخصية عمار بن ياسر من خلال هذه العلاقات.

أما شخصية (بابانا آدم) الممثلة لقطب اليساري في محور الدين فهي على علاقة تضاد مع شخصية (عمار بن ياسر) الممثلة لقطب الأصولي في محور الدين، وأيضا شخصية (بابانا آدم) على علاقة تناقض مع قطب لا يساري في محور عديم الدين وعلى علاقة تضمين مع قطب لا أصولي في محور عديم الدين، وكنتيجة حتمية لهذه العلاقات الثلاث تثبت لنا صفة اليساري غير المتدين في شخصية (بابانا آدم)، وهو ما يؤكده كلام السّارد « سُمِح له بشرب

الخمر وبالاقتراب من الفرنسيين وبالمشاركة في حفلات الرّابع عشر جويلية وعيد الميلاد ورأس السنة»[1].

وسنعمد بالدراسة والتحليل وفق المربع السميائي أيضا مع شخصيتي (مختار) وخطيبته (العارم) في نفس المحور:

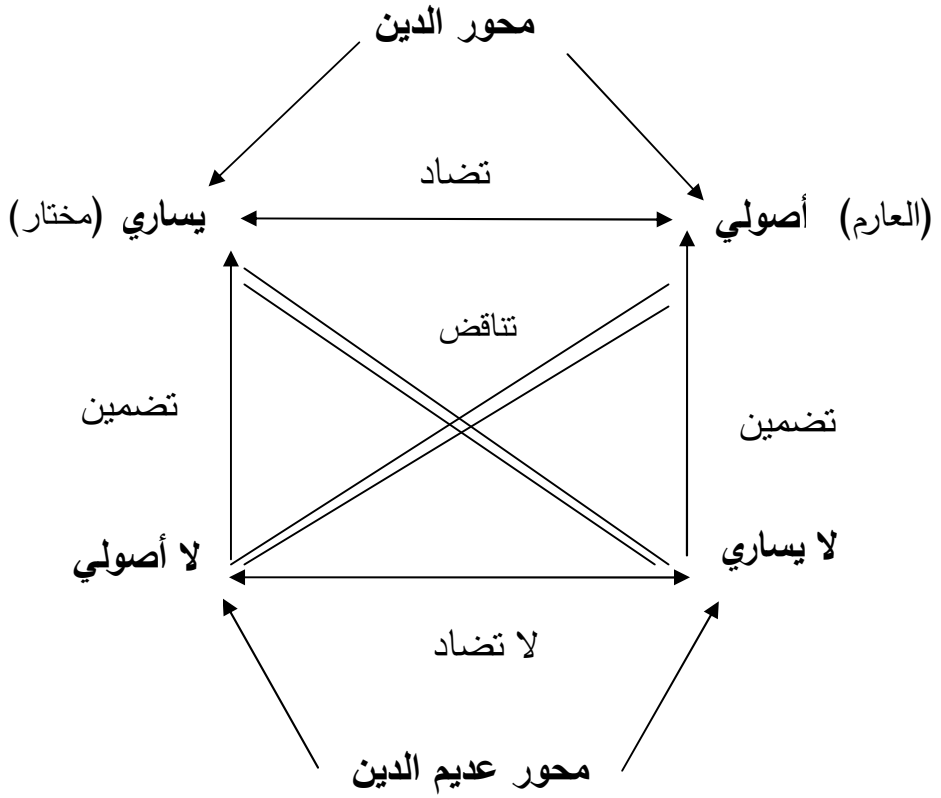

نلاحظ أن شخصية (العارم) الممثلة لقطب الأصولي في محور الدين على علاقة تضاد مع شخصية (مختار) الممثلة لقطب اليساري في محور الدين كما أن شخصية (العارم) على علاقة تناقض مع قطب لا أصولي في محور عديم الدين وعلى علاقة تضمين مع قطب لا يساري في محور عديم الدين، وبالتالي كحاصل لهذه العلاقات المنطقية تثبت صفة الأصولي في شخصية (العارم)، وهذا ما يؤكده قول السارد « تتسربل ثوبا عسليّ اللون وتغطي رأسها بحجاب أبيض»[2].

(1) الرواية، ص 45.

(2) الرواية، ص 26.

أما شخصية (مختار) الممثلة لقطب اليساري في محور الدين فهي على علاقة تضاد مع شخصية (العارم) الممثلة لقطب الأصولي في محور الدين، أما علاقة التناقض فهي بين شخصية (مختار) عن قطب اليساري مقابل قطب لا يساري في محور عديم الدين، وفي علاقة تضمين مع قطب لا أصولي من نفس المحور ومنه تتحدد لنا صفة اليساري غير المتدين في شخصية مختار.

يبدو أنّ الأمر نفسه بالنسبة لمحور الثروة فهناك حضور بالتحديد لبعض الشخصيات مقابل غياب بعدم التحديد للبعض الأخر من الشخصيات، وسنركز على هذا الاختلاف بالتمثيل على ثلاث مربعات سميائية لعدة شخصيات:

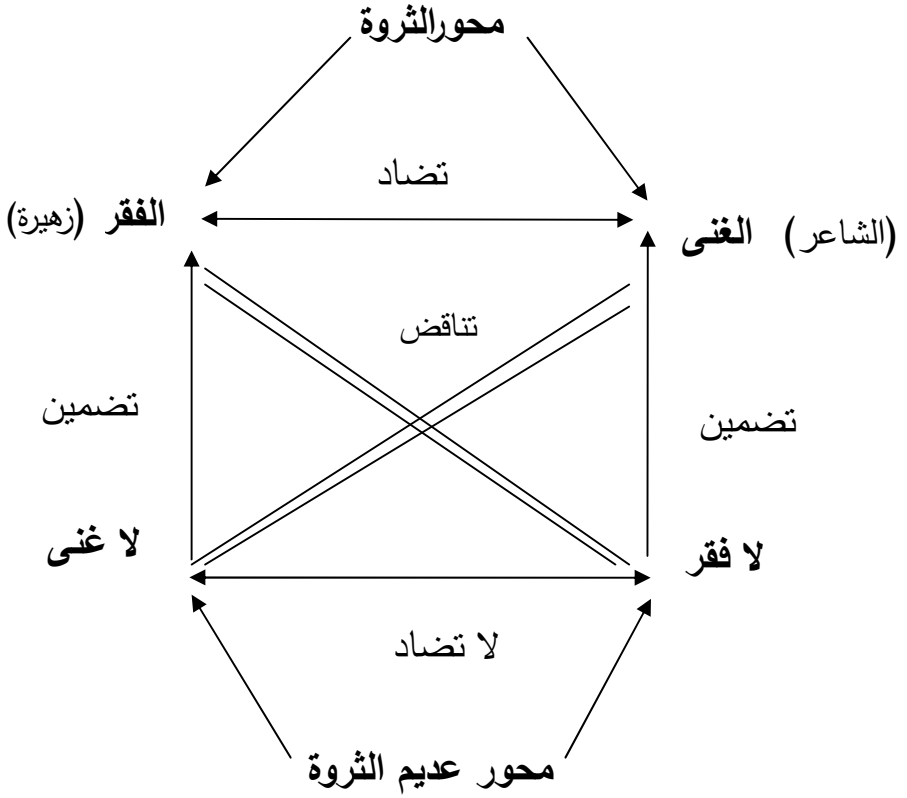

تقوم علاقة التضاد في محور الثروة بين شخصية (الشاعر) ممثلا عن قطب الغنى ضدّ شخصية (زهيرة) ممثلاً عن قطب الفقر، أما علاقة التناقض فهي بين شخصية (الشاعر) في محور الثروة مقابل قطب لا غنى في محور عديم الثروة، وعلاقة التضمين بين (الشاعر) عن قطب الغنى مقابل قطب لا فقر في محور عديم الثروة، ومنه تتأكد لنا صفة الغنى في شخصية الشاعر.

أما شخصية (زهيرة) الممثلة لقطب الفقر وتحكمها علاقة تضاد مع قطب الغنى في محور الثروة، وعلاقة تناقض مع قطب لا فقر في محور عديم الثروة وعلاقة تضمين مع قطب لا غنى في محور عديم الثروة أيضا، تتأكد لنا صفة الفقر والعوز في شخصية زهيرة، وهو ما يؤكده قول السّارد: « أخت لثلاثة ذكور ولخمس بنات، والدي تاجر صغير، مستورون والحمد لله»[1]، أمّا الشاعر فهو أستاذ جامعي غير متزوج وله راتبه الشهري الذي لا يجد عمّن ينفقه ومتى ينفقه، فوقته يقضيه في مطالعة الكتب والعمل.

في المربع السميائي الثاني الذي نطبقه في محور الثروة سندرس بالتمثيل والتحليل شخصيتي إسماعيل وعمار بن ياسر:

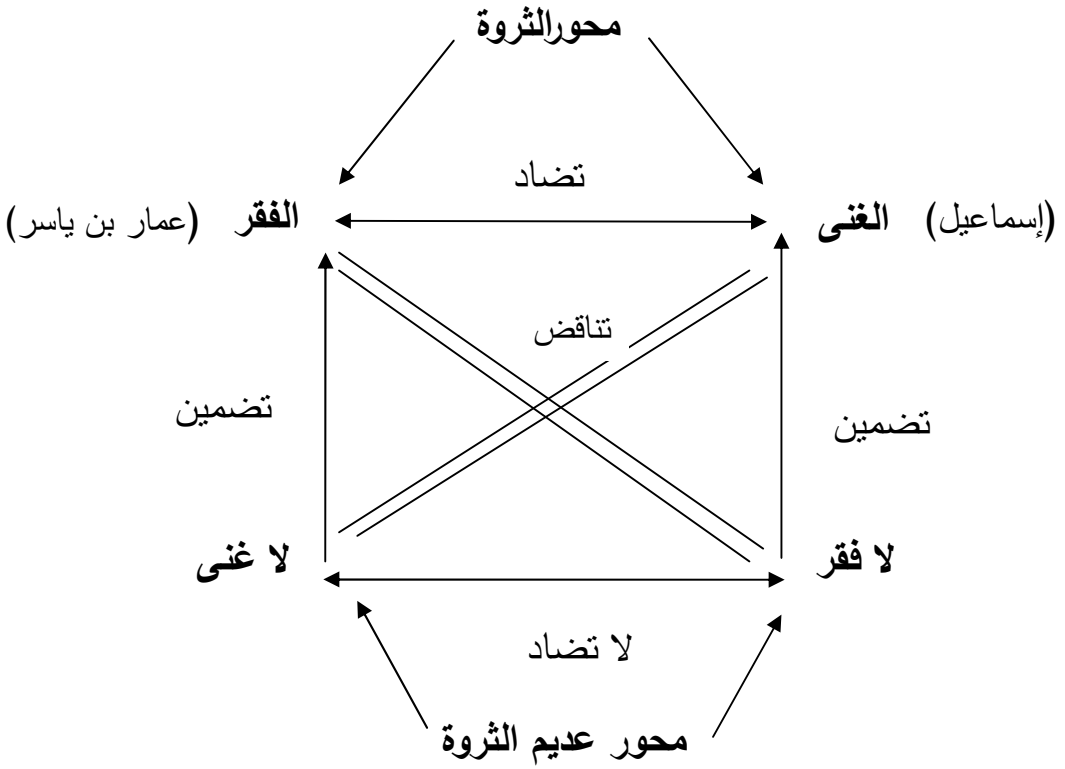

تضم علاقة التضاد شخصية (إسماعيل) الممثلة لقطب الغنى في محور الثروة ضد شخصية (عمار بن ياسر) الممثلة لقطب الفقر في محور الثروة أيضا، وتضم علاقة التناقض شخصية إسماعيل مقابل قطب لا غنى في محور عديم الثروة، أما علاقة التضمين فهي بين قطب لا فقر وشخصية إسماعيل، وبالتالي تثبت لنا من خلال هذه العلاقات الثلاثة صفة الثروة

(1) الرواية، ص 89.

والغنى في شخصية إسماعيل، وهذا يظهر في قول السّارد على لسان عمار بن ياسر بن إسماعيل « إنّه ينتظر أن يستعين بي في أعماله الكثيرة ومشاريعه العديدة، يقسم البلاد إلى ثلاث مناطق، يعين كلا من إخوتي على منطقة ويجعلني منسقًا عامًا عليهم»[1]، لكن عمار رفض كما جاء على لسانه « منذ التقيت به وكنت في التاسعة قررت أن أوجهه»[2]، وهذا ما يدعم علاقة التضاد بين شخصية (عمار بن ياسر) الممثلة لقطب الفقر ضد شخصية إسماعيل في محور الثروة، ويدعم أيضا علاقة التناقض بين شخصية (عمار) وقطب لا فقر في محور عديم الثروة، وعلاقة التضمين بين شخصية (عمار) وقطب لا غنى من نفس المحور، ومنه تتأكد صفة الفقر في شخصية عمار بن ياسر ابن الزوجة الأولى لإسماعيل التي يقول عنها ابنها « كثيرًا ما كان ينسانا عدة أشهر»[3] إضافة إلى ذكره بان ما كان يدفعه إليها قليل جدًا.

والآن مع المربع الثالث في محور الثروة لشخصيتي بابانا آدم ومختار:

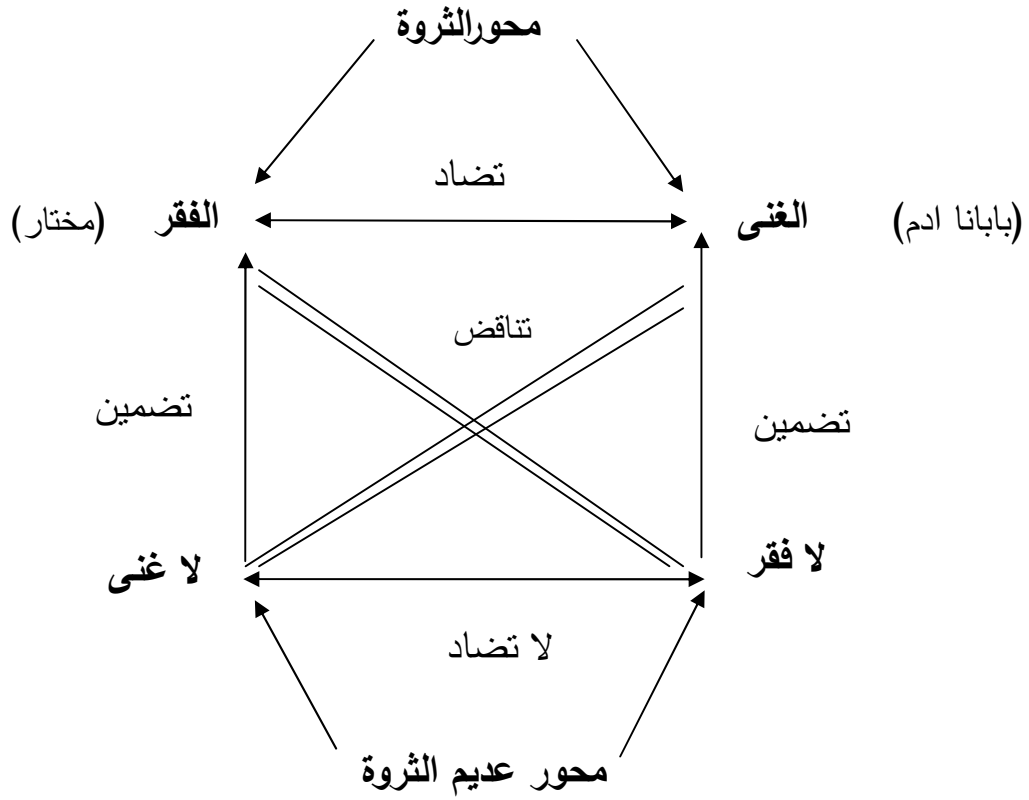

(1) الرواية، ص 70.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الرواية، الصفحة نفسها.

يمثل قطب الغنى في هذا المربع شخصية (بابانا آدم) التي تدخل في علاقة تضاد مع قطب الفقر في محور الثروة والذي تمثله شخصية مختار، وتدخل في علاقة تناقض مع قطب لا غنى من محور عديم الثروة وفي علاقة تضمين مع قطب لا فقر من نفس المحور، وبحكم هذه العلاقات الثلاث تتأكد لنا صفة الغنى في شخصية (بابانا آدم).

أما شخصية (مختار) فهي على علاقة تضاد مع قطب الغنى من محور الثروة، وعلى علاقة تناقض مع قطب لا فقر من محور عديم الثروة، وعلى علاقة تضمين مع قطب لا غنى من نفس المحور، وبالتالي تتأكد لنا كنتيجة حتمية عن هذه العلاقات صفة الفقر في شخصية (مختار).

بعد تطبيقنا لخطاطة المربع السميائي على مجموعة من الشخصيات في محاور مختلفة توصلنا إلى صفات لم يصرح بها السارد علنًا، بَلْ كانت متخفية غير بادية مثل المعاني والصفات السطحية المصرح بها، ولكن من خلال بعض جمل السارد وتحليلنا لهذه الشخصيات وفق محاور معينة استطعنا التوصل إلى صفاتها المشكلة للنية العميقة.

مستويات وصف الشخصيات:

يقف فليب هامون في هذه المرحلة من مشروعه لدراسة الشخصية سميائيا « على استنباط نموذج عاملي لكل مقطع سردي في النص الإبداعي»[1]، بعد تقسيم النص إلى مقاطع سردية، حيث تكون كل مقطوعة « وحدة مستقلة عن وحدات الخطاب السردي قابلة للاشتغال كقصص، كما يمكن أن تكون مكملة لجزء من الأجزاء التي تشكله، ويحدد المكان الذي تحتله وظيفتها في التناسق العام للبنية السردية»[2].

عملا بما قد سبق قمنا بتقسيم رواية "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطار إلى أربع مقطوعات سردية، بحيث أن لكل مقطوعة ذاتاً خاصة تدور حولها الأحداث ولها الدور الفعال في استمرارية حركتها بمعية الشخصيات الأخرى التي تشغل كل واحدة منها دورًا عامليًا داخل هذه المقطوعة، وحتى يكون الأمر أكثر بساطة ووضوحًا قمنا بعنونة كل مقطوعة بعنوان يلخصها ويدور حوله معناها السردي:

1- الشاعر يريد دخول الثانوية الفرنسية الإسلامية.

2- العارم تريد تفادي الضابط الفرنسي وأسره.

3- زهيرة تريد الزواج من الشاعر.

4- عمار بن ياسر يريد تأسيس الدولة الإسلامية.

والآن نتعرض لهذه الجمل بالشرح والدراسة اعتمادًا على ما ورد في الرواية، إضافة إلى هذا تمثيل كل جملة في الخطاطة السميائية التي اقترحها غريماس ثم تحليل كل خطاطة.

1-الترسيمة العاملية الأولى : (الشاعر يريد دخول الثانوية الفرنسية الإسلامية).

يتمثل عامل الذات في هذه الترسيمة العاملية بشخصية (الشاعر) الذي يسعى إلى الانتقال من الحالة الأولية السائدة وهي حالة انفصاله كذات عن الموضوع المتمثل في (دخول الثانوية الفرنسية الإسلامية) إلى حالة ثانية وهي حالة الاتصال، ولا تتحقق هذه الأخيرة إلاّ بنجاح الذات في الوصول إلى رغبتها، يقول الشاعر: « قررت أن التحق بالثانوية الفرنسية

(1) ينظر: سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية، ص40.

(2) السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص21.

الإسلامية»[1]، كان يدفعه إلى هذا القرار والرغبة كعامل مرسل الفرنسيون الذين يحاربون الإسلام ويسلّطون الظلمة عليه، والعجائز في الدوار اللواتي يحاولن مرارًا إنارة هذا الجانب واستحضاره، وهذا ما عبر عنه السارد على لسان الشاعر قائلا: « قرّرت من تلقاء نفسي... وبقناعة داخلية بضرورة الإطلال على دهليز مظلم، يسلط عليه الفرنسيون الظلمة ويحاول شيوخنا وعجائزنا دون جدوى في كل مرة إيقاد شمعة ما للاستنارة بها»[2]، فالفرنسيون وشيوخ وعجائز القرية تعتبر عامل المرسل الذي حفز الذات (الشاعر) إلى السعي لتحقيق اتصاله بالموضوع، حيث تعتبر شهادة المرحلة الأولية للدراسة في الابتدائية الفرنسية عنصر الكفاءة الذي يكفل للذات القدرة على تحقيق ما تسعى إليه إضافة إلى هذا فهو « يجيد التحدث بالفرنسية بطلاقة»[3]، والآن يمكننا تمثيل ما سبق في الخطاطة للتوضيح أكثر:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
دخول الثانوية الفرنسية الإسلامية		شراء لوازم المدرسة		ايجابية

يمثل التّحيين المرحلة الثانية من هذه الخطاطة، حيث تتجسد هذه الأخيرة في شراء الذات لكلّ اللّوازم المحدّدة من قبل إدارة الثانوية فكان عنصرا الكفاءة اللذان أعاناه على التّحيين لرغبته، فهو الوحيد من أبناء القرية الذي درس في المدرسة الفرنسية، لذلك عمل كل أهل القرية لإعانته على شراء كل اللوازم، وبالتالي فسكان القرية يعدون ممثلا من ممثلي عامل المساند حيث جاء في الرواية على لسان الشاعر « قرّرت القرية والدّوّار أن تجمع لي المبلغ اللازم لشراء الجهاز العجيب»[4].

(1) الرواية، ص 40.
(2) الرواية، الصفحة نفسها.
(3) الرواية، ص 46.
(4) الرواية، ص 41.

واستمرت المساندة من القرية في شخصية (بابانا آدم) الذي اعتبر الوسيط الرابط بين القرية والمجاهدين والمدينة ومناضليها، حيث يذكر السارد على لسان الشاعر وهو يصف رحلته لدخول الثانوية « كان يصطحبني قريب من القرية نطلق عليه (بابانا آدم) كلف بالإضافة إلى حمل الحقيبة بإيصالي إلى بيت قريب أخر لنا في قسنطينة»[1]، وتظهر شخصية مساندة للذات أيضا وهي مدير المدرسة الذي التقاه يوم دخوله الثانوية حيث قال له « لقد كتبت رسالة خاصة لمدير الثانوية التي ستلتحق بها، أوصيهم فيها بأن يعاملونك معاملة خاصة، وأن يراعوا ظروفك مثلما فعلت»[2].

وبالتالي يتفوق عامل المساند في صراعه على عامل المعارض المتمثل في الفقر الذي تعاني منه الذات في لباسها وشكلها الفيزيولوجي أيضا، إضافة إلى هذا هناك شخصيتان أخريان تمثلان عامل المساند وهما الأب والعم، حيث ورد على لسان الذات « وقد زكى أبي وعمي مختار ذلك عندما التقيت بهما، قال أبي معرفة الدّين واجب، وقال عمّي مختار نحن في حاجة إلى قضاة إسلاميين»[3]، وبالتالي نجحت الذات في تحقيق رغبتها وتغيير حالتها بانتقالها من حالة انفصال عن الموضوع إلى حالة اتصال، إذ يذكر « اقتحمت الثانوية الفرنسية الإسلامية»[4]، بعد أن كان خارج أسوارها مثل جميع الجزائريين الفقراء الذين لا يعمل آباؤهم في الإدارة الفرنسية، أصبح أحد طلبتها الذين يعاملون معاملة خاصة بوصيّة من مدير الابتدائية السابقة للشاعر، وبحكم أن هذا الأخير المستفيد الفريد والأوحد من اتصال الذات بالموضوع فهو الممثل الحتمي لعامل المرسل إليه والآن يمكننا تمثيل ما سبق في الخطاطة العاملية الآتية:

(1) الرواية، ص 42.

(2) الرواية، ص 43.

(3) الرواية، ص 41.

(4) الرواية، الصفحة نفسها.

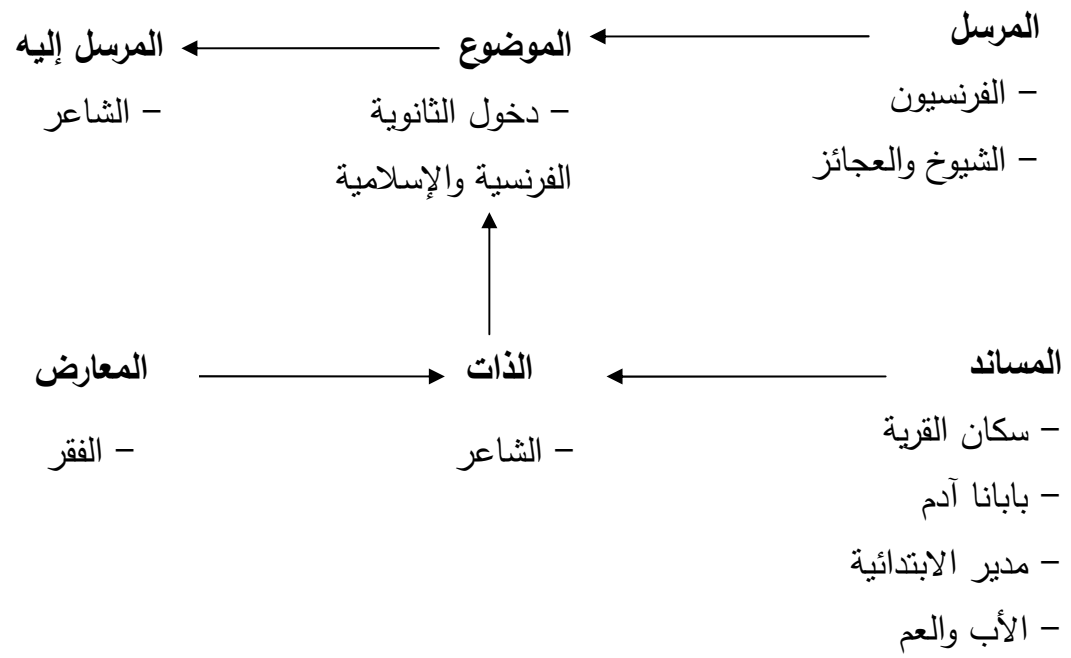

تتشكل هذه الخطاطة العاملية من ثلاث ثنائيات، ينطوي تحت كل واحدة منها عاملان تقوم بينهما علاقة.

ثنائية المرسل / المرسل إليه:

تحكم هذه الثنائية علاقة التواصل، حيث يعتبر عامل المرسل هو المحفز الذي يدفع بالذات إلى العمل من أجل الاتصال بالموضوع، فالفرنسيون وعجائز وشيوخ الدّوّارْ كُلُّ هؤلاء يمثلون عامل المرسل الذي حفز ودفع بالذات التي يمثلها الشاعر إلى الاتصال بالموضوع ليكون المستفيد من هذه العملية المرسل إليه والذي يمثله الشاعر، فعامل المرسل شخص غير مفرد، أمّا عامل المرسل إليه فهو مشخص مفرد.

ثانية الذات/ الموضوع:

تقوم علاقة الرغبة بين هذين العاملين، حيث ترغب الذات في الحصول على الموضوع وتحقيق اتصالها به، إذ يمثل الشاعر عامل الذات التي تسعى من أجل تحقيق هدفها، أما الموضوع فيتمثل في دخول الثانوية الفرنسية الإسلامية، حيث يتمظهر عامل الذات كعامل مفرد مشخص أما عامل الموضوع فهو مفرد غير مشخص قيمي.

شغلت شخصية الشاعر عاملين اثنين في الترسيمة العاملية حين شغلت عامل الذات التي تسعى للاتصال بالموضوع، كما شغل عامل المرسل والمستفيد من سعي الذات ونجاحها واتصالها بالموضوع.

ثنائية المساند/ المعارض:

تحكم هذه الثنائية علاقة الصراع، حيث يسعى كل عامل إلى تحقيق مسعاه، إذ يعمل المساند على مساعدة الذات في سعيها للاتصال بالموضوع، أما المعارض فيعمل على عرقلة الذات وإعاقتها حتى لا تنجح في تحقيق ما تطمح إليه، حيث يمثل كل من سكان القرية وشخصية بابانا آدم ومدير المدرسة الابتدائية والعمّ والأب كلها تمثل عامل المساند الذي يدعم الذات في مسعاها، أما المعارض فيمثله الفقر الذي يتمظهر كقيمة سلبية تؤثر على الشاعر فتعيقه عن دخول المدرسة الثانوية الفرنسية الإسلامية، لكن هذا الأخير كعامل فشل في إعاقة الذات وتغلب عامل المساند وساهم بنجاح الذات، إذ يتمظهر عامل المساند كعامل غير مفرد مشخص، أما عامل المعارض فهو مفرد غير مشخص.

2-الترسيمة العاملية الثانية: (العارم تريد تفادي الضابط الفرنسي واسره).

تدور هذه الجملة التي تخص المقطوعة السردية الثانية من الرواية حول ذات الشخصية الأنثوية (العارم) التي تسعى إلى تحقيق رغبتها وحصولها على الهدف عبر مرحلتين، حيث يتمثل الموضوع الذي ترغب فيه الذات (العارم): أولا تفاديها للضابط الفرنسي الذي أرادها في شرفها، وثانيا أسره وتسليمه لخطيبها الجندي بين المجاهدين في الجبال، ويعتبر الشرف هو الحافز الذي يدفع الذات إلى سعيها من أجل تحقيق الموضوع، حيث تذكرت قول جدّها لها: «إن الشرف لا يغسل إلاّ بالدّم»[1]، وكانت كفاءة الذات في سعيها إلى تحيين رغبتها ذكاؤها ودهاؤها، ويظهر ذلك في قولها « كنت كالقطّة التي تلعب بالفأر قبل أن تجهز عليه وتأكله»[2]، كما استعانت بعنصر آخر ككفاءة ألا وهو جمالها، حيث كانت « جميلة بضّة

(1) الرواية، ص 33.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

حمراء مكتملة في العشرين من عمرها»[1]، فعملت بهذه الكفاءة واستطاعت تحيين رغبتها عندما « راحت تقوده نحو الشّعبة مبتعدة به عن رفاقه»[2]، مبدية استسلاما وشغفًا تجاهه.

وللتوضيح أكثر نمثّل ما سبق تحليله في هذه الخطاطة:

الفرضية	← **التحيين**	← **الغائية**
تفادي الضابط الفرنسي وأسره	اقتياده وحيدا نحو الشعبة	ايجابية

وتأتي بعد المرحلة الثانية من هذه الخطاطة أهم مرحلة فيها والتي من خلالها يمكن للقارئ أن يعرف نتيجة العمل الذي قامت به الذات هل نجحت أم فشلت، وفي هذه الخطاطة مرحلة الغائية إيجابية أي أنّ الذات نجحت في سعيها للاتصال بالموضوع، وانتقلت من الحالة الأولية التي تتصف بالانفصال إلى الحالة المقابلة التي تتصف بالاتصال بين الذات والموضوع، حيث استطاعت العارم أسر الضّابط الفرنسي بعدما تفادته بأن يصيب شرفها، إذ يذكر السارد واصفا لحال الضابط « لم يدر كيف لَوَت زنديه بحزامها الصوفي وراحت توثقه.... حاول أن يستعيد المبادرة، إلاّ أنّه لم يفلح، كانت قد قفزت وتناولت الرشاش وطعمته بخرطوشة وأمرته: قدّامي عند مختار يا ولد الزانية»[3]، لم يكن نجاح الذات في سعيها لتحقيق رغبتها وليد اجتهادها الفردي فقط، بل ساعدها عامل المساند المتمثل في الشاعر– كان حينها طفلاً صغيرًا– وهو ابن خالتها الذي يعرف أين يقع معسكر المجاهدين، كما أن كل ما جرى أثناء عملها لتقييد الضابط كان تحت مراقبة عيني الطفل وبمجرد ما انتهت وأمرت الضابط بالسّير «قابلها ابن خالتها يرقب ما يجري خلف صخرة»[4]، فقالت له في أسلوب مكرّر يحمل دلالات التأكيد والحثّ على أن يسرع في ما تطلبه « اسبقني وأخبر عمّك مختار بما يجري اركض وأخبر عمك مختار»[5]، فعمل الطّفل بسرعة وفطنة ما طلبته منه العارم، وبهذا قدم لها مساندة

(1) الرواية، ص 27.
(2) الرواية، ص 28.
(3) الرواية، ص 32.
(4) الرواية، الصفحة نفسها.
(5) الرواية، الصفحة نفسها.

كبيرة، فهي لا تعرف أين يقع معسكر المجاهدين الذي يعيش معهم خطيبها مختار، وبذلك تزيد حظوظ الضابط في الخلاص كلما تأجل تسليمه إلى المجاهدين، حيث عمل جنوده لحظات بعد افتقاده على أخبار القيادات الأخرى والقيام بالتجهيز لعملية كبيرة « انطلقوا نحو الشعبة، بينما النداءات تتواصل، بول، بول، بلغوا الشعبة وراحوا يجيلون أبصارهم في أسفلها... أين أخذته اللعينة»[1]، ثم « أسرعوا إلى سيارة الجيب والى الراديو، وانطلق صوت أحدهم يتّصل ببقية القافلة التي خلّفوها في القرية... حضرات لقد اختطف الملازم الأول بول ولا نستطيع ملاحقة من اختطفته، أوامركم»[2].

وبالتالي فشل عامل المعارض في إعاقة الذات عن تحقيق رغبتها وانتصرت الذات بمساعدة من المساند، وأصبح المستفيد من كل هذا العارم التي استطاعت الحفاظ على شرفها وعدم خيانة خطيبها واحتفاظها بحبه لها، كما استفاد مختار خطيبها الذي زادت قيمته بين أقرانه بسبب ما قدمته له خطيبته قربانا منها له حيث قالت: « ها إنّي أحضر له عجلاً فداءً لشرف لم يُمسَس بكامله»[3]، حيث شبّهت الضابط بالعجل الذي يقدم قربانا بين القرويين في المناسبات دلالة على الوفاء الكامل له، وللتّبيين الأكثر عن كيفية انتظام الشخصيات وتمثيلها للأدوار العاملية الخاصة بها نمثل بهذه الخطاطة العاملية:

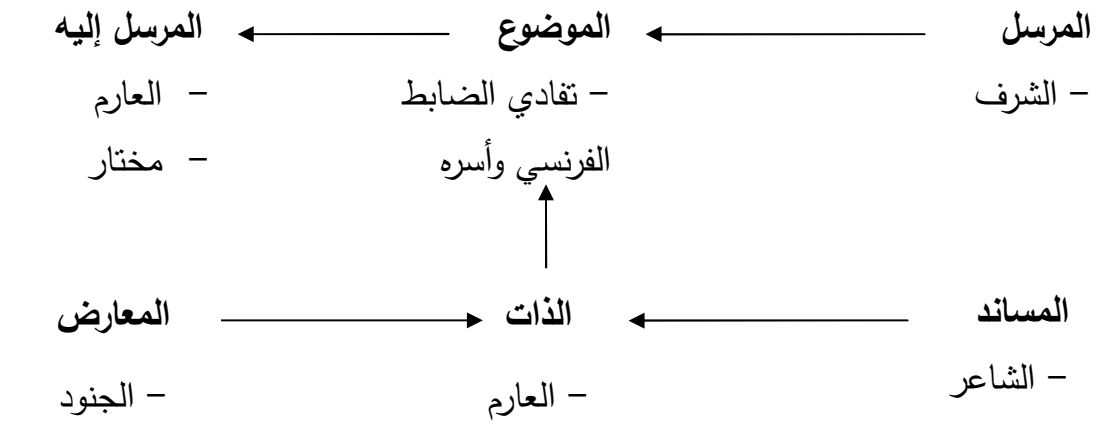

(1) الرواية، ص 29.
(2) الرواية، ص 30.
(3) الرواية، ص 33.

تنتظم العوامل الستة المكونة لهذه الخطاطة العاملية وفق ثلاث ثنائيات، تحكم كل ثنائية علاقة خاصة بها، نبينها كالأتي:

ثنائية المرسل/ المرسل إليه:

تنبني هذه الثنائية على « علاقة التواصل، أو الإبلاغ ذات الطابع التوجهي ولكي تتحقق هذه العلاقة بينهما يجب أن تمرّ عبر العلاقة التي تنظّم بين الذّات والموضوع»[1]، حيث يعمل الشرف كممثل لعامل المرسل الذي يحفّز الذات المتمثلة في شخصية العارم للسعي إلى الاتصال بالموضوع بعدما يبث فيها الرعب والإقناع، ليستفيد عامل المرسل إليه الممثل في نفس الشخصية الممثلة للذات وهي العارم بمعية خطيبها مختار، فالمرسل قيمة خلقية لها بعدها الاجتماعي المستمد من الدين الإسلامي الذي يحرم الزّنا فمن هذا الحكم الشرعي اكتسب الشّرف قيمته الاجتماعية لدى سكان الدّوّار والقرية، فكان من خلال هذا البعد الحافز القوي للذات، وبالتالي فعامل المرسل يتمظهر كعامل مفرد غير مشخص ذي طابع قيمي مجرد أما عامل المرسل إليه فهو مشخص جمعي غير مفرد.

ثنائية الذات/ الموضوع:

تقوم بين طرفي هذه الثنائية علاقة الرغبة التي تتولد بعد تحفيز من عامل المرسل اتجاه الذات التي تقتنع بوجوب السعي لتحقيق اتصالها بالموضوع، حيث يمثّل عامل الذات في الترسيمة العاملية السابقة شخصية العارم التي تسعى للاتصال بالموضوع الذي يتمثل في تفاديها للضابط الفرنسي الذي أراد النَّيْل من شرفها وتأسره بعدها، تنجح العارم في سعيها بسبب قوّة الحافز وبعده الديني والاجتماعي، إضافة إلى امتلاكها الكفاءة التي تُخّوّلها القيام بتحيين رغبتها، فبجمالها وبذكائها استطاعت حفظ شرفها وأسر الضّابط وبالتالي حققت رغبتها فعامل الموضوع يحمل في طياته أبعاداً قيمية كبيرة، مفادها أن تلك الفتاة القرويّة بذكائها ودهائها استطاعت فعل ما لم تستطع ربما كتيبة من المجاهدين فعله وهو أسر ضابط فرنسي بدون سيلان أي قطرة دم أو فقدان لشرف، واستطاعت الانتقال من حالة الضّحية إلى حالة الجلاّد

(1) رشيد بن مالك، مقدمة في السميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص32.

الذي جعل من الضابط ضحيّة له، إذن يتمظهر عامل الموضوع كعامل غير مشخص وغير مفرد ذي بعدٍ قيمي، أما عامل الذات فهو مشخص مفرد.

ثنائية المساند/ المعارض:

إن علاقة الصراع هي التي تحكم طرفي هذه الثنائية، حيث يسعى كل طرف إلى إفشال الأخر والتغلب عليه، فعامل المساند المتمثل في الترسيمة السابقة بشخصية الشاعر يسعى إلى مساعدة الذّات بكل ما يملك من أجل تحقيق رغبتها واتصالها بالموضوع، فالشاعر الذي كان حينها طفلاً صغيرًا كان يعرف معنى الشّرف الذي سمع نسوة وعجائز الدوّار يتحدثون فيه، كما كان على علم برغبة الضّابط في النّيل من شرف العارم لذلك عمل على تقديم المساعدة لهذه الأخيرة، التي كان في نفس الوقت عامل المعارض يسعى لإفشال مشروعها، فسعى الجنود لإنقاذ قائدهم يحتم بعد ذلك برنامجا سرديًّا آخر لو نجحوا في ذلك، فيتحقق أن ينال الضابط من شرف العارم ثم يتهمها بمحاولة اغتياله ويُعدمها، لكن من حسن حظ الذات أن المعارض فشل في سعيه لإعاقتها وتنفيذ برنامجه السردي الخاص به، فعامل المساند يتمظهر كعامل مفرد مشخص، أما عامل المعارض فيتمظهر كعامل مفرد مشخص في صيغة الجموع.

3-الترسيمة العاملية الثالثة: (زهيرة تريد الزواج من الشاعر).

تمثل شخصية زهيرة الذات التي يدور حولها الخطاب السردي في هذه الجملة التي تلخّص المقطوعة السردية الثالثة من الرواية، إذ يوجد لهذه الذات برنامجًا سرديًا تسعى للسير وفقه والوصول إلى نهايته بالنتيجة المرغوب فيها، وفي خضم حركتها في هذا البرنامج السردي تتدخل عوامل مختلفة لتعينها أو تعيقها عن وصولها لهدفها، فالذات المتمثلة في زهيرة تسعى إلى الاتصال بالموضوع المتمثل في الزواج من الشاعر، ويعتبر سعيها هذا المتولد عن رغبة فيها تدفعها نتيجة للتحفيز الذي تلقته من عامل المرسل والقناعة التي أودعها فيها بضرورة الاتصال بالموضوع، وبالتالي تعمل الذات على تحقيق الفرضية بالاعتماد على كفاءتها المتمثلة في جمالها خاصة عندما ينظر إليها الشاعر جملة واحدة « فإنها تبدو في منتهى الرّوعة متفردة في شكلها، الصّورة التي لا مثيل ولا نظير لها إطلاقا»[1]، إضافة إلى هذا فهي المتحجّبة

(1) الرواية، ص 83.

العفيفة المظهر « بالمنديل الأبيض الذي يلف الرأس ثم ينسدل على الظهر والكتفين مهزوزًا بعقيصة لشعر لا يدري المرؤ ما لونه وما شكله»[1]، وهذا ما أثار إعجاب الشاعر من أول لقاء، لكن ما دفعه للتعلق بها هو حديثها باللغة العربية الفصحى، وابتعادها عن كل مفردات الفرنسية المتداولة بين الناس، حيث صارحها بذلك قائلا: « لو سمعت كلمة واحدة منك بهذه اللغة لأوقفت الحافلة ونزلت»[2]، كل هذه العناصر كانت بمثابة الكفاءة التي استطاعت من خلالها الذات تحيين رغبتها فعمدت إلى لقاء أخر بالشاعر وتناولت معه وجبة الغذاء ثم عادت لتخبر والدتها قائلة: « لا عليك سيقتحم علينا الباب عمّا قريب»[3]، تعبيرًا منها عن أنه سيأتي لخطبتها في الأيام القليلة القادمة، وللتبسيط أكثر نمثل ما سبق في هذه الخطاطة.

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
الزواج من الشاعر		الالتقاء به وكسب اهتمامه مع إخبار الأم عنه		سلبية

تفضي المرحلة الثالثة من هذه الخطاطة إلى الحالة السلبية التي مفادها فشل الذات في تحقيق الفرضية التي كانت تسعى من أجل تحقيقها وبالتالي بقيت في الحالة الأولية البدئية التي تتميز بالانفصال بين الذات والموضوع، ولم تنتقل إلى الحالة الضديدة التي تتميز بالاتصال بين الذات والموضوع، وبالتالي استمرت حالة اللاتوازن التي تعيشها الذات زهيرة وهي العنوسة والوحدة التي حذرتها منها أمّها بقولها: « المهم أن لا يضيع هذا الجسد أن لا يبور أن يجد رجلاً محترمًا»[4]، فكانت الأم بهذا الموقف تمثل عامل المساند للذات في سعيها للاتصال بالموضوع، لكن عامل المعارض كان له هدفه أيضا الذي يتقاطع فيه مع الذات، فعامل المعارض الذي تمثله الجماعات المسلحة ظلّت ترقب الشاعر في كل حركاته أينما حَلَّ وارتحل

(1) الرواية، ص 84.
(2) الرواية، ص 88.
(3) الرواية، ص 183.
(4) الرواية، ص 97.

لتجمع أكبر عدد ممكن من التّهم التي ستستخدمها ذريعة لقتله فيما بعد، وبالفعل من خلال حركاته وجّهوا له تهمة لم يتوقعها قائلين له بعد اقتحام المنزل عليه ليلاً: « أنت متّهم بالخيانة العُظمى»[1]، وراحوا يعدّدون له الأدلة تلو الأدلة كحجج على خيانته، ثم قتلوه بعدما « حكم عليه بالموت بالرصاص: عشرٌ في الرأس، وخمسٌ في الصدر»[2]، وبالتالي فشلت الذات زهيرة في الزواج من الشاعر الذي قتلته الجماعات المسلحة التي تمثل عامل المعارض الذي قطع السبيل أمام الذات لتكون هي نفسها زهيرة الممثلة لعامل المرسل إليه بحكم أنها هي المستفيد من الحالة الثانية الاتصالية بين الذات والموضوع لو تحققت، والآن يمكننا تمثيل ما سبق على الخطاطة العاملية الآتية:

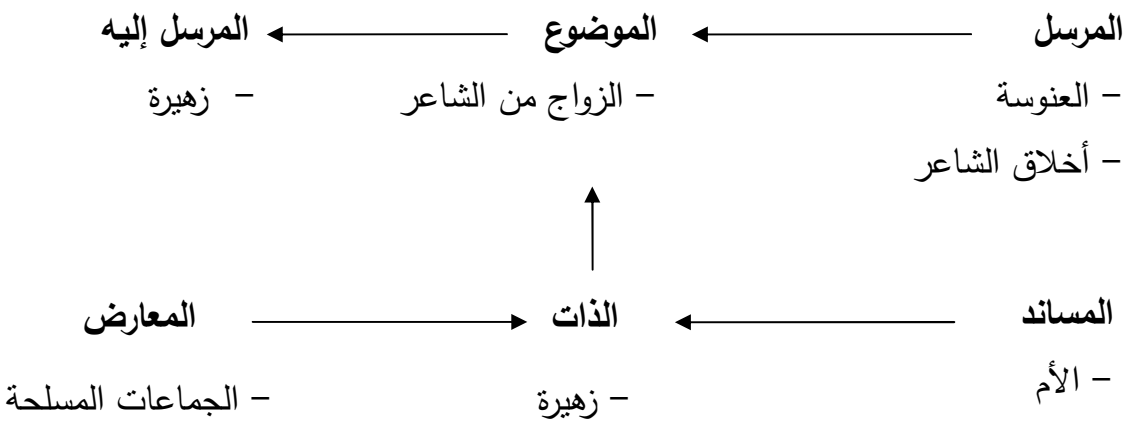

تتكون هذه الترسيمة العاملية من ثلاث ثنائيات نقدّمها كالآتي:

ثنائية المرسل/ المرسل إليه:

يمثل عامل المرسل عنصران هما (العنوسة+ أخلاق الشّاعر) هذان الأخيران يعتبران المحفز الذي دفع بالذات إلى الاقتناع بوجوب السّعي للاتصال بالموضوع المتمثل في الزواج من الشاعر، حيث تعد العنوسة الشّبح الذي تهابه كل أنثى وتسعى دائمًا لأن لا تكون إحدى ضحاياه، أمّا أخلاق الشاعر التي اتسمت باللّطف والثقافة الواسعة والاحترام تجاهها، فكلا العنصرين لهما قيمة مجرّدة لها بُعدها الدلالي في المجتمع، فالعنوسة تعتبر عيبًا ويراها

(1) الرواية، ص 157.

(2) الرواية، ص 165.

المجتمع نقصاً في الأنثى، أمّا الأخلاق فهي التي تعد المعيار الرئيس عند العائلات المحافظة والمثقفة في اختيار أزواج لبناتها، فعامل المرسل يتمظهر كعامل غير مفرد وغير مشخص.

أمّا المرسل إليه والذي تمثله شخصية زهيرة بحكم أنّها المستفيد الوحيد من تحقق حالة الاتصال بين الذات والموضوع، لكن لم يتحقق ما كانت تطمح إليه الذات، وبالتالي لم يستفد عامل المرسل إليه الذي يبدو كعامل مفرد مشخص.

ثنائية الذات/ الموضوع:

تمثل شخصية زهيرة عامل الذات التي تسعى إلى الاتصال بالموضوع المتمثل في الزواج الذي له قيمة دلالية اجتماعية لدى كل الأمم، فهو النّواة التي من خلالها يحفظ نسل البشرية كما له بعد ديني خاصة في الدين الإسلامي مقارنة بالأديان الأخرى، وبالتالي سعي الذات للحصول على الموضوع ليس رغبة في ذاته، بل رغبة في تحقيق تلك القيم والدّلالات الاجتماعية والدينية، لكن زهيرة لم تفلح في الزواج من الشاعر ولم تحقق كذات استبدال حالة اللاّتوازن الأولية بحالة توازن ثانية واستمرت على الحالة الأولية، كما أن زهيرة كشخصية في المقطوعة السردية شغلت بالتمثيل عاملين في نفس الوقت هما عامل الذات وعامل المرسل إليه كما سبق وأن اشرنا، وتتمثل الذات كعامل مفرد مشخص أما الموضوع فيتمثل كعامل مفرد مشخص ذي طابع قيمي مجرد.

ثنائية المساند/ المعارض:

تعد شخصية "الأم" الممثل الوحيد لعامل المساند الذي يسعى إلى تقديم المساعدة للذات في سبيلها لتحقيق رغبتها، وبحكم أنّ الذات زهيرة تربطها علاقة الأمومة بممثل المساند الوحيد فدعم هذا الأخير هو فطري وغريزي، إذ حنان الأم دائما ما يكون عامل تشجيع ومساعدة وتثبيت للأبناء والبنات في الوصول إلى ما يطمحون، لكن مساعدة الأمّ لم تكن أقوى من الجماعات المسلحة التي تمثل عامل المعارض الذي يسعى لعرقلة الذات وإعاقتها، حيث نجح عامل المعارض في سعيه بقتل الشاعر في قادم الأيام، فالجماعات المسلحة التي انتشرت بقوة وعاثت في البلاد فسادًا مع بداية التسعينات، كما تميزت بهمجيّتها في القتل والاختطاف فعلت

فعلتها بزهيرة، فعامل المساند مفرد مشخص، وعامل المعارض أيضا مشخص مفرد جاء بصيغة الجموع.

وبفشل الذات في الوصول إلى رغبتها ونجاح عامل المعارض في إعاقتها وتمرير برنامجه السردي، تنتج لنا الترسيمة العاملية التالية:

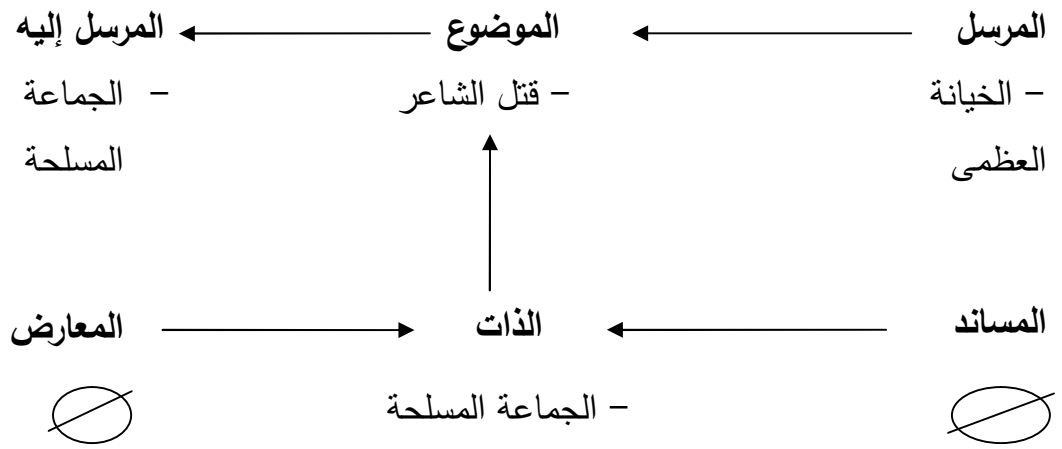

هؤلاء المسلحون الذين يصفهم السارد قائلا: « يرتدون قمصانًا بيضاء ويضعون على رؤوسهم قلنسوات بيضاء متساوية الأحجام مثلما هم متساوون في السّن والقامات واللّحى المتدلية»[1]، ثم يضيف في موضع أخر « كان الملتحون مسلّحين... هؤلاء الشّبان الذين ترتسم على جباههم زبيبات»[2].

يمثل هؤلاء المسلحون عامل الذات في الترسيمة العاملية الأخيرة يحفزهم عامل المرسل إليه المتمثل في الخيانة العظمى التي اقترفها الشاعر على حدّ قولهم وفهمهم، لقد كانت كفاءة هؤلاء الجماعة السلاح الذي يحملونه ويرهبون به الناس وكل خصومهم، ثم عملوا على تحيين رغبتهم بأن اقتحموا بيت الشاعر ليلاً بالقوة، حيث يذكر السارد: « لم يكن قد انتهى من ارتداء جبّته بعد خروجه من الحمام، حتى كانوا قد دخلوا كسروا الباب، حطّموه»[3]، ثم شرعوا يحاكمونه من دون أي محام أو منحهم له فرصة الكلام والدّفاع عن نفسه، وأسمعوه من خلال شهادة خمس ملثّمين منهم تهماً عديدة، فاتهموه بالتعاون مع « أشرار يعملون على قلب النظام

(1) الرواية، ص 14.
(2) الرواية، ص 19.
(3) الرواية، ص 156.

الجمهوري الديمقراطي بالعنف والقوّة، يستعملون الدّين ويحتكرون الإسلام»[1]، كما اتهموه بالسّحر والشعوذة وبالزندقة والكفر وانتصاره لفرقة المعتزلة، ثم جمعوا له كل ذلك في عبارة: «هذا الرّجل ما دام خطرًا على فرنسا فهو خطرًا على الجزائر وعلى الإسلام وعلى الحلف الأطلسي ومجلس التّعاون الخليجي والعروبة أيضا»[2]، وبهذا قتلوه ولم يكن لهذه الجماعة أي معارض في سعيها لما تريده كذات في هذه الترسيمة العاملية ما عدا بعض الانطباعات نذكر منها كلام عمار بن ياسر وهو يصيح: « أيها الشّهيد أيها الشّاعر، أيها الشهيد الأوّل في تاريخ الجمهورية الإسلامية»[3]، لكن هذا الانطباع بحكم توقيت ظهوره بعد موت الشاعر لا يرقى لأن يكون ممثلا لعامل المعارض، كما أنّ عامل المساند أيضا خالٍ من أي ممثل عمل على مساندة الذات الجماعة المسلحة على قتل الشاعر وبذلك يبقى عامل المرسل إليه والذي يمثله نفس الممثل مع عامل الذات وهو الجماعة المسلحة بحكم أن هذه الجماعة هي المستفيد من قتله.

ثنائية المرسل/ المرسل إليه:

يمثل عامل المرسل عنصر الخيانة العظمى التي لها دلالة وقيمة سلبية لدى أغلب الثقافات والأعراق والمواثيق القانونية لكل الهيئات، عملت كحافز للذات التي تتمثل في الجماعة المسلحة وحفّزها على السّعي لتحقيق الاتصال بالموضوع المتمثل في قتل الشاعر، ليكون المستفيد المتمثل في عامل المرسل إليه هو الجماعة المسلحة، بعد نجاح الذات في سعيها وقتلها للشاعر، ويتمظهر عامل المرسل كعامل مفرد غير مشخص، أما المرسل إليه فهو مشخص مفرد بصيغة الجمع.

ثنائية الذات/ الموضوع:

يمثل عامل الذات الجماعة المسلحة، التي تتكون من أفراد لهم مظاهر تدل على تطبيقهم للدّين والسنة كما يزعمون، يحملون السلاح ولا يتورعون في القتل لأتفه الأسباب، هكذا تميّزت هذه الجماعات في العقد الأخير من القرن الماضي في الجزائر، فهي تحمل دلالة الفساد

(1) الرواية، ص 158.
(2) الرواية، ص 164.
(3) الرواية، ص 155.

والفوضى والموت في الرواية كما كان في ذلك الزمن، أمّا عامل الموضوع المتمثل في قتل الشاعر فهو أيضا مستمد من الواقع الذي ساد الجزائر آنذاك حيث كانت تقتل الشخصيات المثقفة والمتعلمة لأتفه الأسباب وبتهم واهية، وبالفعل نجحت الجماعة المسلحة كذات في قتل الشاعر والذي يمثل عامل الموضوع، فعامل الذات مفرد بصيغة الجمع مشخص، أما عامل الموضوع فهو ذو دلالة قيمية سلبية مفرد غير مشخص.

ثنائية المساند/ المعارض:

تغيب علاقة الصراع في الترسيمة العاملية الأخيرة بحكم غياب عاملي المساند والمعارض، حيث سارت الذات في طريق مفتوح لا عقبات ولا عوائق تمنعها من الوصول إلى هدفها، كما أنّها لم تتلقّ أيّ مساعدة أو إعانة من أيّ طرف كان، فالذات كانت وحيدة في طريقها نحو رغبتها التي استطاعت تحقيقها رغم غياب المساند.

4-الترسيمة العاملية الرابعة: (عمار بن ياسر يريد تأسيس الدولة الإسلامية).

يتمحور الخطاب في هذه الجملة التي تلخّص المقطوعة السردية الرابعة حول ذات عمار بن ياسر، وقد اخترنا هذه الأخيرة لتمثل شخصية أخرى في الرواية هي عبارة عن هيئة تضم مجموعة كبيرة من الأشخاص يتفاوتون في نواياهم وإخلاصهم ونجاحهم في خدمة قضية هذه الهيئة، لكن شخصيّة عمّار بن ياسر مثلت الشخصية النّموذجية التي استطاعت خدمة الجماعات المسلّحة ذات الطبيعة الإسلامية، بعمله التقني والديني وسماته المميزة، فهو «مهندس في النّفط، قيادي في الحركة يناصر العقل والاعتدال ويبغض الجهل والتطرف»[1]، أي أنّه مناصر للعقل واستخدامه بحكمة العلم والمعرفة بعيدًا عن المغالاة والتطرّف الناتجين عن الجهل، فهو الذي درس علوم الدّين كما صرّح قائلا: « انسقت بسرعة لأوّل داعية وتفرغت لهما، الدراسة التّقنية والتّفقه في الشريعة»[2]، زد على هذا فهو شخصية قيادية في الحركة وقدمه لنا السارد بغير اسمه الحقيقي بل فقط « باسمه الحركي عمار بن ياسر»[3]، لكل هذا

(1) الرواية، ص 23.
(2) الرواية، ص 73.
(3) الرواية، ص 23.

اخترنا شخصية عمار كذات تمثل الجماعة المسلحة وكعينة بارزة من هذه الجماعة التي تدّعي انتسابها إلى الدين.

يمثل الذات في هذه الجملة شخصية عمار بن ياسر، هذه الذات التي تسعى إلى تغيير الحال، من حالة أولية تتّسم باللاتوازن إلى حالة نهائية تتسم بالتوازن بعد تحقيقها رغبتها واتصالها بالموضوع الذي يتمثل في تأسيس الدولة الإسلامية، حيث يحفز عمار كذات عامل المرسل إليه المتمثل في الأوضاع السائدة في البلاد آنذاك، إذ يذكر السارد قائلا على لسان عمار « لقد أصيب جسد هذه السلطة الغاشمة منذ سنوات طويلة بفقدان المناعة.... لم يعودوا يعرفون ما يفعلون، انفرط العقد»[1]، أي أنّ السلطة ضعيفة خرجت الأمور في البلاد عن سيطرتها، ما ساعد هذه الجماعات على العمل لتأسيس دولتها، كما ساد استياء في كافة أطراف المجتمع اتجاه سياسة الحزب الواحد والعقلية الاشتراكية المغلوطة « فقال الاشتراكيون إما نتمركس، وإما أن نترسمل، قال الرأسماليون كفى، إما أن تحررونا وإما أن تقضوا علينا نهائيا وقال الإسلاميون إما مساجد وإمّا خمارات، وقال اللاّئكيون كيف تعلمون أبنائنا أصول الدين في النّهار، وتقدمون لهم في اللّيل الأفلام الغربية الخليعة، وقال المدافعون عن العربية، إمّا العربية وإمّا الفرنسية، قال المتفرنسون، إمّا جزائر فرنسية، إمّا لا جزائر أصلا نفككها ونسلمها للأجنبي»[2]، وفي خضم هذه التيارات الفكرية الصّاعدة في المجتمع الجزائري استطاع التيار الإسلامي اغتنام الفرصة والأخذ بزمام المبادرة بحكم خلفيته الفكرية التي تستند إلى الدين والعروبة، فاستطاع الظهور وعملت الذات على تحقيق فرضيتها بالاعتماد على عنصر الكفاءة المتمثل في كثرة المنتمين والأتباع واكتساب السّلاح لإرهاب الخصوم، فكان عمار يسير بمعية مجموعة من الشباب يقول عنهم السارد: « هؤلاء الذين معه، هم المكلفون بحراسته»[3]، فمن خلال هذه الكفاءات استطاعت الذات تحيين رغبتها وتأسيس مجلس الشورى، وراح عمار يعمل على بناء أركان الدولة الإسلامية، فكان الشاعر أحد مواضيعه بعد أن عمد « واقترحه وزيرًا

(1) الرواية، ص 64.
(2) الرواية، ص 65.
(3) الرواية، ص 23.

للفلاحة فقُبِل الاقتراح بالإجماع العام»[1]، وبالتالي وُزِّعت الحقائب الوزارية للدولة الإسلامية تمهيدًا لقيام هذه الأخيرة ومشروعها في العمل، ولتبسيط المراحل أكثر نمثلها في هذه الخطاطة:

الفرضية	**التحيين**	**الغائية**
تأسيس الدولة الإسلامية	إيجاد مجلس شورى والشروع في توزيع الحقائب الوزارية	سلبية

نلاحظ في هذه الخطاطة أن المرحلة الثالثة منها اتسمت بالسلبية، أي فشل الذات في تحقيق رغبتها، وهذا راجع لعدة أسباب منها أولاً غياب عامل المساند الذي ترك الذات وحدها في طريق السعي لتحقيق اتصالها بالموضوع، ما فتح المجال واسعًا لعامل المعارض المتمثل في أجهزة أمن الدولة لإعاقة وعرقلة الذات في سعيها، فعملت هذه الأجهزة الأمنية على المتابعة والتجسس على كل عناصر وقيادات الحركة الإسلامية المسلحة، فجمعت الأدلّة حول كل عنصر بارز وأودعته السجن وهو ما حدث بالضبط مع عمار بن ياسر « تردّدت على السّجن ثلاث مرّات»[2]، شهادة منه قالها أثناء حديثة للشاعر في أول لقاء، هذا الأخير تَتَبّعته أجهزة الأمن من أول اتصال له مع الحركة، ثم بعد أن جمعت حوله كل الأدلة ووجهتها إليه كتهم أبرزها عندما قالوا له أثناء محاكمته ليلاً في غرفة نومه من قبل سبعة ملثمين يحملون رشاشات أتوماتيكية « أغويت بنتًا في زهرة العمر وريعانه، وأفسدت علاقتها بالأجهزة التي تستخدمها... متّهم بإفساد عمل الأجهزة»[3]، لحظتها علم أن زهيرة ما كانت إلاّ طعماً من المخابرات العسكرية والأمن للتّجسس عليه، وبذلك أعدم الشاعر وهو لا يعرف حتى من كان أولئك الملثمين، أهم من أجهزة أمن الدولة بحكم تجسّسهم الرهيب الذي عملوا من خلاله كل حركة قام بها في الشّهور القليلة الماضية، وبنفس العملية والطريقة تعاملت أجهزة الأمن مع باقي القيادات من الحركة الإسلامية، كما أنّ ضعف الحركة الإسلامية وشتاتها أسهم في عدم نجاح

(1) الرواية، ص 155.
(2) الرواية، ص 77.
(3) الرواية، ص 159-160.

الذات، حيث يقول عمار بن ياسر « آه لو يأتيني الخطر من الخصوم وحدهم، جماعتنا بدورهم شتات»[1]، فهذا أيضًا ساهم بدرجة كبيرة في فشل عمار بن ياسر في تحقيق اتصاله بالموضوع ليكون المستفيد الذي تعمل لأجله الذات هو الإسلاميون كتيار شعبي والشعب الجزائري ككل وبالتالي فهذان الأخيران يمثلان عامل المرسل إليه المستفيد من سعي الذات، والآن يمكننا تمثيل ما سبق في هذه الترسيمة العاملية:

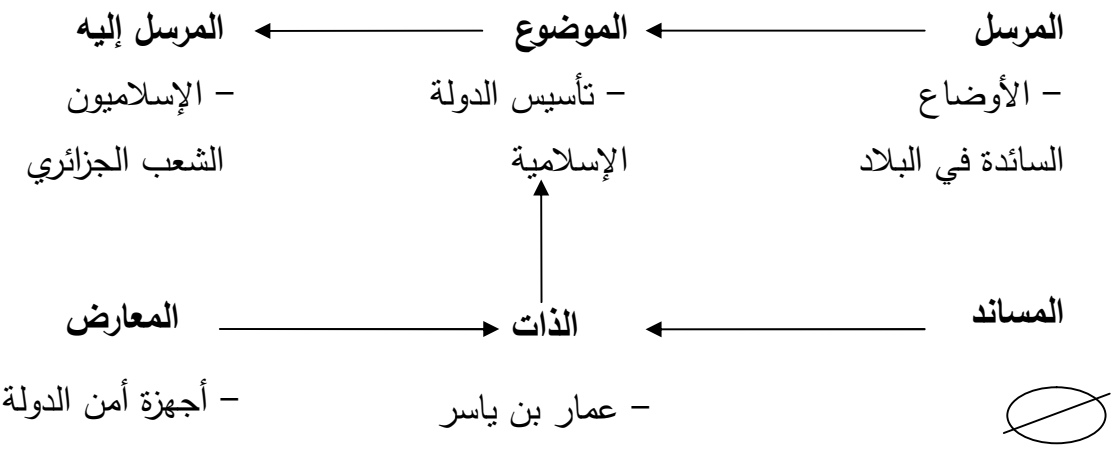

ثنائية المرسل إليه:

يتمثل عامل المرسل في هذه الثنائية في الأوضاع السائدة في البلاد خلال المرحلة الأولى للعقد الأخير من القرن الماضي، فعامل المرسل هو عبارة عن واقع معيش وظروف حياة نتجت عن تراكمات تاريخية واجتماعية سبقت هذه الحالة وعملت كحافز ودافع اقنع الذات بوجوب العمل بما تكتسبه من كفاءات على التحيين لتحقيق رغبتها المتمثلة بالاتصال بالموضوع، فعامل المرسل يتمظهر كعامل مفرد بصيغة الجمع غير مشخص.

أما بالنسبة لعامل المرسل إليه فيمثله عنصران هما الإسلاميون كطائفة أو تيار تميزّ عن بقية الشعب وفئاته ببعض السمات، والعنصر الثاني الشعب الجزائري ككل، فرضًا لو نجحت الذات في تحقيق رغبتها سيكون المستفيد هو الإسلاميون كثلّة آو فئة من الشعب تحكم البلاد وتعتلي السلطة، والشعب الجزائري عمومًا يستفيد من سلطة تحكم بالدّين الذي يدين به ويمارس طقوسه كل يوم ولحظة من حياته، وبذلك يتخلص من تلك التناقضات الثقافية والفكرية

(1) الرواية، ص 77.

والسياسية التي كان يعيشها بشيء من التّيه والتردّد لأي طرف يميل، وبالتالي يتمظهر عامل المرسل إليه غير مفرد وغير مشخص في صفتي جمع.

ثنائية الذات/ الموضوع:

تعتبر شخصية عمار بن ياسر الممثل الوحيد لعامل الذات، هذه الشخصية المتعلمة خريج جامعي من قسنطينة، مهندس نفط ومتشبع بالثقافة الدينية بحكم تزامن مرحلة دراسته الجامعية مع وجود الداعية محمد الغزالي يدرس في الجامعية الإسلامية هناك، عاش عمار بن ياسر الحرمان منذ ولادته بعد الاستقلال بعد تطليق والده لأمه، فكبر يحمل حقدًا على والده المجاهد الذي صار من أثرياء الناس منحازًا عن مبادئ الثورة التي قامت عليها (الدين الإسلامي العربية، الجزائر) بل صار همّه هو جمع المال، كل هذه الخلفيات والظروف السائدة في الجزائر بعد تخرج عمار بن ياسر من الجامعة أسهمت باقتناعه وتحمُّسه للعمل على قيام الدولة الإسلامية، أولاً مخالفة لأبيه الذي انحاز عن مبادئ الثورة وإشفاءًا لغليله تجاهه، وثانيًا عملاً بما تعلّمه في الجامعة الإسلامية من فقه إسلامي، وثالثًا سعيًا منه لتغيير الحالة التي كان يعيشها الجزائريون التي تتسم بالضّبابية في كل مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والفكرية، ويتمظهر الذات كعامل مفرد مشخص.

أما عامل الموضوع المتمثل في تأسيس الدولة الإسلامية، فهو ذو قيمة دينية وحضارية تشكل انتماء الذات وهويتها، لذلك سعت الذات إلى الاتصال به كموضوع والحصول عليه حيث كانت تراه طوق النجاة الوحيد الذي يمكنها من الخروج من حالة اللاتوازن التي كانت تعيشها إلى حالة التوازن وهو ما لم يتحقق بفعل عامل المعارض، فعامل الموضوع يتمظهر كعامل مفرد غير مشخص.

ثنائية المساند/ المعارض:

تغيب علاقة الصراع في هذا الموضوع لثنائية المساند والمعارض، وتسبب في ذلك غياب أحد طرفي الثنائية ألا وهو عامل المساند، حيث يخلو عامل المساند من أي ممثل في الترسيمة العاملية السابقة وقبله في المقطوعة السردية، ما عدا بعض الشخصيات التي كانت تقوم بأدوار

ممثلة مثل الحراس الذين كانوا يرافقون الذات عمار بن ياسر مدجّجين بالسلاح، حيث لم يكن لهم التأثير في سير البرنامج السردي للذات.

أما عامل المعارض الذي يمثله عنصر أجهزة الأمن في الدولة الجزائرية فقد نجح في إعاقة الذات وعرقلتها وعدم حصولها على رغبتها رغم أنّ هذه الذات استطاعت تحيين رغبتها إلاّ أنّها لم تحصل عليها فأجهزة أمن الدولة هي عبارة عن هيئات مختلفة تعمل بالتنسيق مع بعضها على إفشال رغبة الذات، فخرجت مؤسسة الجيش لحماية هياكل الدولة من الإسلاميين المسلحين وعملت على حماية الشعب، كما كان الأمر نفسه مع مؤسسة الشرطة والدرك، وفي نفس الوقت سعت جاهدة إلى متابعة هذه العناصر الإسلامية التي أرادت إسقاط الدولة الجمهورية وإقامة دولة إسلامية، حيث لم يكن لعامل المعارض برنامج سردي يتقاطع مع عامل الذات في اللّبّ كان غرضه هو إفشال الذات وإعاقتها فقط كي لا تصل إلى الموضوع الذي ترغب في الاتصال به، فالمعارض يتمظهر كعامل مفرد غير مشخص بصيغة الجمع.

المثلثات العاملية:

أثناء تحليلنا للبنى العاملية لم نورد بعض الشخصيات بالتحليل والدراسة لأسباب عديدة ومختلفة، نذكر منها وُرود بعضها في مرحلة زمنية قصيرة من الرواية ثم غابت بصفة كاملة ومنها من لم يكن لها الدور الفعال في حركة السرد وتغيّر سرعتها، ومنها من وردت كشخصيات مرجعية لا تأثير لها في سيرورة البرنامج السردي، ومنها من لعبت أدواراً منفذة.

إسماعيل:

تعدّ شخصية إسماعيل في المثلث العاملي الذي نحن بصدد التقديم له قبل رسمه عامل الذات، الذي يسعى للاتصال بالموضوع المتمثل في تطليق الطاوس، ويحفّز إسماعيل كذات من أجل الاتصال بالموضوع عامل المرسل المتمثل في رغبة التّعدد، رغم رفض الزوجة الأولى الطاوس والدة عمار بن ياسر كما ورد على لسان هذا الأخير « رفضت أن تكون ضرّة، قائلة أنّ صبرها معه ونضالها إلى جانبه يعطيانها الحقّ فيه كاملاً»[1]، إلاّ أنّ إسماعيل كان « يتذرّع

(1) الرواية، ص 69.

بالشّرع، مثنى وثلاثة ورباع»[1]، من أجل الاحتفاظ بحقّه الذي يكفله له الدّين من جهة وخضوعًا منه للحافز الذي يدفعه، انجرَّ عن هذه الحالة حالة ثانية استطاعت فيها الذات أن تحقق رغبتها، لكن ليس بالطريقة التي كانت تريدها بالضّبط، حيث نتج عن تحقيق رغبة – إسماعيل– أن طلّق الزوجة الأولى التي رفضت الأمر من أصله، وهذا ما يذكره السّارد على لسان عمار بن ياسر « دشّن حياته التواطئية بتطليق أمي»[2]، استعان إسماعيل كذات في سبيل سعيه إلى تحقيق الموضوع على عدة عناصر تعد كفاءة أعانته على التحيين لرغبته وهي أنّه « حصل في كل مدينة كبيرة على محل أنشأ فيه تجارة ووضع فيها شريكًا أو أجيرًا، هنا مقهى، هناك خمارة، أو كشك لبيع التبغ والجرائد بين هذه المدينة وتلك رخصة لنقل المسافرين مع حافلة، معمل في هذه الناحية لصناعة البلاط أو الطوب الأسمنتي، وأخر في الناحية الأخرى لصناعة النسيج أو للحلوى»[3]، كل هذه الأمور يمكن أن نجملها في مصطلح واحد ألا وهو الثروة، فكانت هذه الثروة كعنصر كفاءة أعانه على تحيين رغبته. « وإذا تأملنا المسار السردي جملة فجملة سنضطر إلى التمثيل بمثلثين عاملين اثنين الأول نفساني والثاني إيديولوجي»[4].

1-المثلث النفساني:

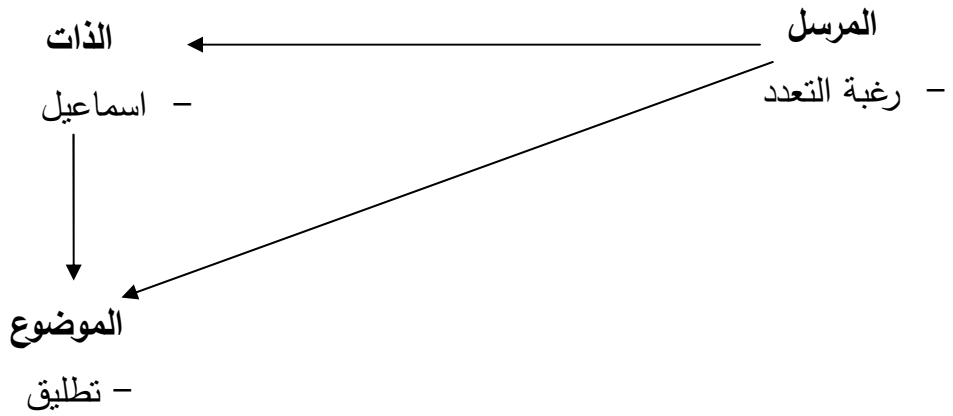

(1) الرواية، ص69.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الرواية، الصفحة نفسها.

(4) ينظر: السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سميائية، ص122.

2-المثلث الإيديولوجي:

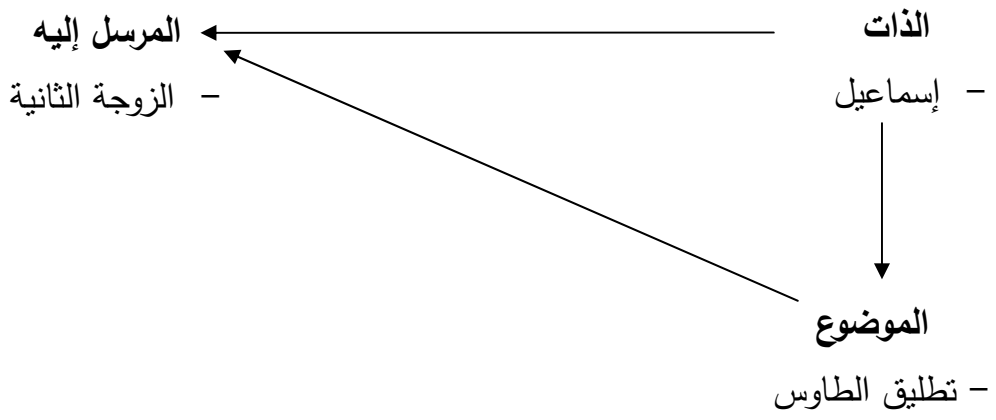

يتّسم الحافز في المثلث العاملي الأول بصفة النفسية، فهو متولد عن نفسية الذات إسماعيل، حيث دفعه إلى السعي من أجل الاتصال بالموضوع وتحقيق رغبته والتي ينتج عنها في هذه الحالة استفادة شخصية وحصرية للذات، أي أن المستفيد هو إسماعيل فتصفو له الحياة ويتزوج امرأة أخرى، لكن البرنامج السردي للأحداث يعطي اللفظ معنى أبعد وأعمق من المعنى السطحي للمثلث الأول، إذ يحلّ عامل المرسل إليه مكان المتلقي الصريح في المثلث الأول وبالتالي يتحوّل المثلث العاملي من طابعه النفساني إلى الطابع الإيديولوجي، ويصبح المستفيد من تحقق رغبة الذات ممثلاً آخر هو الزّوجة الثانية، فتصير الزوجة الوحيدة بعدما تخلصت من ضرتها الزوجة الأولى.

- **الحوذي:**

تملك هذه الشخصية التي تعيش في ضواحي مدينة قسنطينة عربة يجرها حصان، ويظهر هذا من خلال كلام الشاعر وهو يصفه قائلاً « كانت العربة تشق المدينة متوجهة إلى أسفل، يتباهى حوذيّها بأنّه حصل على زبائن، وذلك بإصدار أمر إلى حصانه يستحثه على الإسراع»[1]، تمثل هذه الشخصية عامل الذات في المثلث ألعاملي التالي، حيث يسعى إلى تحقيق اتصاله بالموضوع المتمثل في مساعدة بابانا آدم والطفل لدخوله الثانوية، وتعتمد هذه الشخصية في سبيلها إلى رغبتها على عنصر الكفاءة المتمثل في الحصان والعربة التي يجرها

(1) الرواية، ص 46.

فهي التي حمل فيها الشيخ بابانا آدم والطفل– الشاعر– لإيصالهم إلى وادي الرّمان حيث يسكن كل هذا من أجل خدمة الثورة التحريرية والشعب الجزائري فالحوذي هو أحد العناصر المساعدة لأبناء المجاهدين والمجاهدين والثورة ككل وهو ما يتجلى في قول الشاعر « تأكدت من أنّ بابانا آدم يعرف الحوذي، بل إنّه هو أحد الخيوط التي يرتبط بها في المدينة أكثر من ذلك فهمت أن صلة ما تربط الرجل بقريتنا وبدوارنا بالذات»[1]، وبحكم أن الحوذي أحد الأبناء الأصيلي الشرف من الشعب الجزائري فهو ملزم كبقية كل فرد من الشعب بخدمة الثورة بما وكيف ما يستطيع، وبالتالي يصبح المستفيد هو الثورة كعامل مرسل إليه، لأنّ الطفل هو ابن أحد المجاهدين الذين لا زالوا يرابطون في الجبال والمرافق له أيضا أحد عناصر جبهة التحرير من المكلفين بجمع المعلومات والتبرعات كما سبق وأن ذكرنا، والآن يمكن تمثيل هذا على المثلث العاملي الآتي:

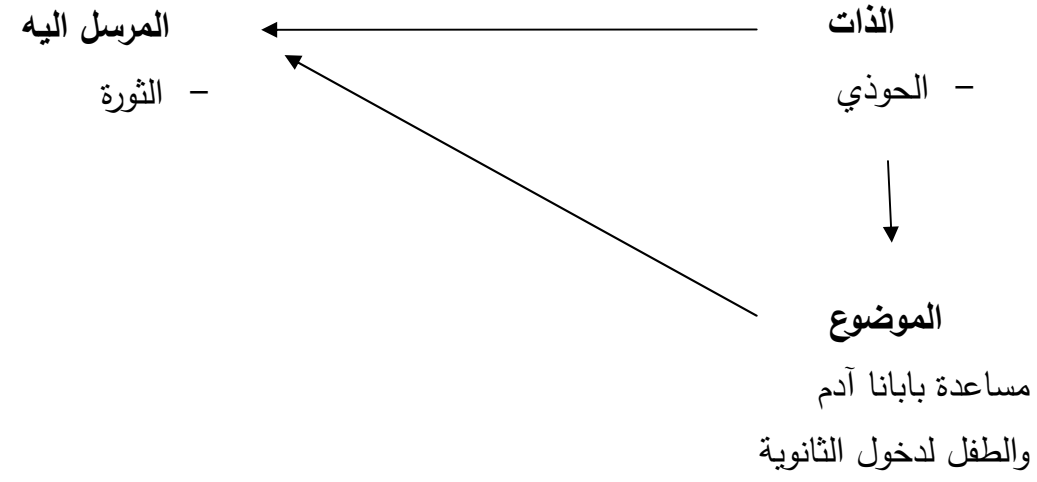

(1) الرواية، ص 47.

دوال الشخصيات:

يشترط فليب هامون في مشروعه حول الشخصية أن يكون تقديم هذه الأخيرة في النص السردي بناءً على ثلاثة عناصر هي: مدلول الشخصية ومستويات وصفها، ودال الشخصية ويعرف هذا الأخير « بأنه مجموعة متناثرة من الإشارات التي يمكن تسميتها بـ "سمة"، وهذه السمة تختلف من كاتب إلى أخر بحسب اختياراته الجمالية الأسلوبية، ويدخل في دوال الشخصيات أسماؤها وألقابها»[1].

نفهم من هذا أنّ الشخصيات تُقدم للقارئ باسم خاص بها أو بلقب يدل عنها، وأحيانًا الاثنان معًا، أما الأسماء فهي دائمًا من اختيار السارد لشخصياته وتكون غالبًا لها تبريرات لا نفهمها إلاّ بعد انتهائنا من القراءة، وتحمل بعض الدلالات التي تتطابق وسلوكات وطبائع الشخصية، أمّا الألقاب فهي غالبًا ما تُطلق من قبل المجتمع السردي الذي تتحرك فيه الشخصية، وتكون مبرّرة تبريرًا مباشرًا صريحًا يُعلن عنه السارد على لسانه أو إحدى شخصيات النص.

تضمنت رواية الشمعة والدهاليز "للطاهر وطار" مجموعة من الأسماء العربية الأصل تتخلّلها بعض الأسماء ذات الطابع المحلي الجزائري، انقسمت أسماء الرواية بين زمنين، زمن الثورة وزمن الاستقلال، واللّافت في الأمر أنّ هذه الأسماء لم تكن حقيقية، بل جُلّها أسماء ثانية عرفت بها في حركتها النضالية أو داخل المسار السردي، كما وردت في الرواية قائمة أسماء طويلة وثرية خاصة بالشخصيات المرجعية، سنعمد إلى التعرض بالدراسة لأَهَمِّها وليس كلها لأن المقام لا يسعنا لهذا.

لم يعلن السارد عن اسم البطل صراحة بل تركه غامضًا حتى بعد نهاية الرواية، إلاّ أنّه أعلن عن عدة ألقاب منحتها له شخصيات في المسار السردي للحكاية، لقب أوّل كان بسبب أنّه يكتب الشعر: أطلقه علة نفسه منذ الصفحات الأولى من الرواية. يعرف نفسه قائلاً: « أنا شاعر»[2].

(1) محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص101.

(2) الرواية، ص 20.

هذا اللقب هو عبارة عن اسم مهني لشخص يمتهن حرفة مثل صياد يمتهن الصيد وخباز وبناء، لكن الشعر لم يكن مهنته بل كان كهواية فقط فهو مهندس كما يقول: « مهندس أدرس علم الاجتماع وأحبّ كلّها .... لغتي العربية»[1]، فهواية كتابة الشعر وليدة حبّه الكبير للغة العربية، أما اللقب الثاني والذي أطلق عليه أيام طفولته وهو يدرس في الثانوية الفرنسية "المهاتما غاندي"، وهو اسم لشخصية مرجعية مشهورة جدا، هو الزعيم الهندي الذي قاد الثورة السلمية ضد المستعمر البريطاني، وصاحب فكرة العصيان المدني واللاّحرب.

أُطلق هذا اللقب على الشاعر في طفولته كما ذكر بسبب طريقة حلاقته لشعره إذ يقول « شعر راسي الذي كنت أقرعه بالموسي في رحبة الجمال... ذلك ما اكسبني من يومها لقب غاندي»[2]، أي أنّه كان يشبه غاندي في طريقة حلق الشعر، إضافة إلى هذا فقد كان فقيرًا من الدوار عكس كل تلاميذ الثانوية الفرنسية أبناء الموظفين في الإدارة الفرنسية والقياد، وبالتالي فهو يشبه أيضا غاندي في فقره وكفاحه ضد الأخر من أجل أن يفرض نفسه، فكفاحه ليس عنيفا ولا يعتمد على القوة والسلاح.

كما لُقب بلقب ثالث أُطلق عليه من قبل شخصية أخرى من شخصيات الرواية وهي زهيرة التي لقّبته: "بهارون الرشيد" بعد أن لقّبها هو في أول لقاء جمعهما "بالخيزران" وحدثها عن هذه الشخصية وعلاقتها بهارون الرشيد على حدّ زعمه، وقبل فراقها بعد أول لقاء قالت « لم لا تكون هارون الرشيد»[3]، وهي تقصد بهذه الصيغة الاستفهامية الإعلان عن فكرتها لا التساؤل وانتظار الرّد منه، وهذا اللقب أيضًا لشخصية مرجعية، وهو خليفة من خلفاء الدولة العباسية قديمًا.

بهذه الألقاب الثلاثة التي قدمنا لها بالشرح والتحليل عن سبب إطلاقها تحركت شخصية البطل منذ الصفحات الأولى للرواية حتى آخر صفحة منها، ولم يثبت لنا أيّ اسم حقيقي للبطل أعلن عنه السارد في الرواية .

(1) الرواية، ص 23.
(2) الرواية، ص 48.
(3) الرواية، ص 90.

شخصية عمّار بن ياسر أيضًا لم يعلن السارد عن اسمها الحقيقي، بل فقط من خلال الاسم الحركي، أي الذي عُرف به في الحركة الإسلامية التي ينتمي إليها ويناضل فيها، وبالفعل هذا ما عرف عن تلك الحركة في الواقع، فهي لا تعلن عن عناصرها بالأسماء الحقيقية لهم، بل بمجرد الانضمام يجب على الفرد أن يختار لنفسه اسمًا جديدًا يعرف به بدلاً عن اسمه الحقيقي، ولذلك نجد أثناء التصريح في وسائل الإعلام عن إلقاء القبض على أحد عناصرها أو قتله يُذكر الاسم الحقيقي ثم يتبع باسم الادَّعاء، فيقول الصحافي فلان المدعو كذا وكذا، وهذا ما تحقّق في شخصيتنا التي ندرسها، فقد اختار اسم صحابي جليل هو عمار بن ياسر وسمية أوّل امرأة استشهدت في الإسلام، عمار بن ياسر اسم مركب من اسم الابن والوالد وهما اسمان عربيان أصيلان، فعمار معناه « قوي الإيمان، حليم وقور في كلامه، وكثير التعمير والبناء واسم جدّ جاهلي، ووزير ووالٍ، وحافظ للحديث وشريف من أشراف مكّة»[1]، أمّا اسم ياسر فمعناه « سهل ليّن، وخلاف يامن، واسم صحابي يمانيّ من السّابقين إلى الإسلام»[2]، وبالتالي فقد نجح السارد نجاحًا كبيرًا في اختياره لهذا اللقب لشخصية متشبعة بالفقه الإسلامي الذي تلقته في جامعة قسنطينة، ولها فكرة إقامة الدولة الإسلامية وفكرة العمل بالدين في كل مناحي الحياة وهناك شخصية أنثوية ظهرت باسمها الحقيقي في أحداث الرواية وهي شخصية "زهيرة"، ويعني هذا الاسم الذي هو « تصغير زَهرة، الحُسن والبياض والجمال»[3]، هذه السمات موجودة فعلا في شخصية زهيرة فلونها « يتراوح بين بياض وسمرة وزرقة»[4]، أما جمالها فهي « تبدو في منتهى الروعة متفردة في شكلها، الصورة التي لا مثيل ولا نظير لها إطلاقا»[5] وبالتالي تتطابق معاني الاسم والصفات التي اتصفت بها الشخصية التي أطلق عليها الاسم في الرواية، إذن فالسارد وُفق إلى حد بعيد في اختيار الاسم المناسب لشخصيته.

(1) شفيق الارناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص67.

(2) المرجع نفسه، ص97.

(3) المرجع نفسه، ص120.

(4) الرواية، ص83.

(5) الرواية، الصفحة نفسها.

شخصية أخرى قدمها لنا السارد من خلال لقبها فقط ولم يطلعنا على اسمها الحقيقي وهي شخصية ذكوريّة تتمثل في "بابانا آدم"، وهو لقب أطلق من قبل أهل القرية عليه، يتصف هذا اللقب بأنّه مركب من لفظتين هما "بابانا" والتي جاءت بصيغة العامية ومعناها أبانا أي أب الجميع، وقرنت بلفظة ثانية وهي اسم لنبي من أنبياء الله، وهو آدم « أبو البشرية، سُمّي كذلك لأنّه خُلق من أديم الأرض، وهو ما ظهر منها»[1]، وسمّي بابانا آدم بهذا الاسم من قبل أهل الدّوّار لأنّه كبير في السن « يقارب السبعين... تزوج في المغرب وفي تونس وفي كولن الألمانية وفي حلب وفي سايغون، وله في كل هذه الأقطار أولاد»[2]، فكبر سنّه وكثرة نسله الذي ينتشر في كل أرض خاض فيها حربًا برفقة الجيش الفرنسي كانا السّببين في منحه هذا اللقب، وبالتالي نجح السارد في إطلاق اللقب المناسب على هذه الشخصية وعلى لسان أهل الدوار.

ظهرت شخصية أخرى في المسار السردي للرواية باسمها الحقيقي وهي شخصية مختار المجاهد في الجبال وخطيب العارم وعمّ الشاعر، يحمل اسمه معاني مختلفة وكثيرة وهي: «مخصَّص ومُقدَّم على غيره، ومنتقَى ومصطفى، واسم أحد الزعماء الثائرين على بني أميّة وفقيه حنفيّ، وسياسي وقائد عثماني»[3] إذن فهو اسم يحمل دلالة التفضيل على أقرانه وله جذور ضاربة في الحضارة العربية، مختار هو « زين شباب الدوار»[4]، يتقدم على شباب الدوار في جماله، إذن فالسارد أصاب في اختياره الاسم المناسب للشخصية، فهناك تطابق بين المعنى المعجمي للاسم والصفات التي تتميز بها الشخصية التي أطلق عليها.

"العارم" شخصية أنثوية قدّمها السارد باسمها الحقيقي عكس شخصيات أخرى قدمها بألقابها فقط، فهي تشترك مع خطيبها مختار في تقديم السّارد لهما بأسمائها الحقيقية، واسمها مشتق من الثلاثي "عَرَمَ"، وجاء في لسان العرب « عَرَمَ يَعْرُمُ ويَعْرِمُ وعَرِمَ وعَرُمَ عرامةً بالفتح

(1) شفيق الارناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص 23.
(2) الرواية، ص45.
(3) شفيق الارناؤوط، ص80.
(4) الرواية، ص27.

وعرامًا: اشتدَّ»[1]، وهذا ما تتّصف به شخصية العارم الأنثوية في الرواية فهي ذات « قوام طويل رشيق»[2]، أما من ناحية الطّباع فهي أيضًا شديدة الطباع بحكم عيشها في الريف وتعوّدها على قساوته وشقاوة العيش فيه، إذ يصفها السارد « التحقت العارم بالجبل مصطحبة معها سلاحًا انتزعته من قائد دوْرية عسكرية كانت تجوب المنطقة»[3]، فطباعها الشديدة خوّلتها لأن تنتزع من العسكري سلاحه وتلتحق بالجبل مع الثوار المجاهيدن، إذن فالسارد منح الاسم المناسب للشخصية وبالتالي نجح إلى حدّ بعيد في المطابقة بين المعنى المعجمي الذي انبثق منه الاسم والصفات التي مَيَّز بها شخصيته.

كما وردت أيضا شخصية أخرى المسار السردي قدمها السارد باسمها الحقيقي ألا وهي شخصية إسماعيل والد عمار بن ياسر، وهو اسم من أسماء أنبياء الله عليهم السلام، و« هو ابن إبراهيم من جاريته هاجر المصريّة، معناه بالعبرية الله يسمع»[4]، وهو جدُّ النّسل العربي الذي عاش في شبه الجزيرة العربية واستقر في مكة بعدما بَنى مع والده الكعبة البيت الحرام لكنّ شخصية إسماعيل في الرواية لا تتوافق والمعنى الديني الراقي وحتى المعجمي للاسم، بل هي شخصية بعيدة عن الدّين وتخلّت عن مبادئ الثورة بعد الاستقلال مباشرة، وبالتالي يبدو أنّ السّارد لم يربط في اختياره للاسم بالخلفية المرجعية لهذه الشخصية .

أضف إلى أسماء هذه الشخصيات المتخيلة بعض الأسماء لشخصيات مرجعية ذات دلالة محددة مسبقًا، منها « ملكة الأوراس الكاهنة»[5]، وهي إحدى ملوك الأمازيغ القدامى عاشت في جبال الأوراس من الشرق الجزائري، أيضا « ملكة الهقار تينهنان»[6]، هذه الملكة حكمت التوارق في الصحراء الجزائرية قديمًا، فهاتان الملكتان تشتركان في أصولهما الأمازيغية التي استوطنت الأرض الجزائرية منذ العصور القديمة وحاربت من أجلها، وانتقل المؤلف من

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج 04، ص 2913.

(2) الرواية، ص26.

(3) الرواية، ص27.

(4) حنّا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، ص19.

(5) http://www.amazighworld.org/arabic/history/index_show.php?id=4044

(6) .https://www.almrsal.com/post/533553

الأسماء التاريخية لأسماء من التاريخ الإسلامي وذكر اسم « خديجة بنت خويلد»[1]، هذه المرأة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها، شريفة من أشراف مكة، شخصية ذات طابع ديني بأبعاد عربية أصيلة.

ومن أهم الشخصيات المرجعية التاريخية التي وردت أيضًا شخصية « الأمير عبد القادر»[2] مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورمز من رموزها التاريخية، يحمل بعدًا دينيًا أيضًا بحكم طابعه في التدين فهو صوفي.

وقد ذكر السارد أيضا شخصيات مرجعية الأخرى منها العربية الأصل التي عاشت في الجاهلية منها امرؤ القيس، وأخرى عاشت بعد مجيء الإسلام، وشخصيات مرجعية ذات طابع تاريخي خاص بالجزائر مثل شخصية القديس أغيتانيوس والأمير خالد، وشخصيات ذات طابع ديني عربية الأصل مثل « الشيخ الغزالي والشيخ القرضاوي» [3]، "القاضي أحمد بن أبي دؤاد"[4]، أحمد بن حنبل[5]، وشخصيات ذات طابع غربي عالمي مثل كارل ماركس[6] ولنينين وآدم وآدم سميث[7].

كثرت أسماء الشخصيات المرجعية فكان منها أسماء من التاريخ الجزائري القديم وأسماء ارتبطت بالثورة التحريرية، وأخرى من التاريخ الإسلامي وغيرها من أسماء مرجعية تاريخية أجنبية.

(1) ينظر: عبد الحميد محمود طهماز، السيدة خديجة أم المؤمنين، دار القلم، ط02، 1996،.دمشق، ص08.

(2) https://www.djazairess.com/echchaab/18760.

(3) https://shamela-dz.net/?p=112.

(4) https://eldorar.info/science/article/14254.

(5) https://waqfeya.net/book.php?bid=8553.

(6)ينظر: مجلة حكمة، كارل ماكس، تر: سيرين الحاج حسين، 24، 05، 2018، ص03.

(7) https://www.arageek.com/2015/05/16/wealth-of-nations-book.html.

خلاصة:

تبيّن لنا من خلال وصفنا وتحليلنا لنظام الشخصيات في رواية "الشمعة والدهاليز" بدءً بالبطاقة الدلالية إلى بنيات المربع السميائي والاشتغال العاملي أنّ المؤلف كثف حضور الشخصيات، فمسار الحكاية جمع بين مجموعة من الشخصيات المتخيلة وشخصيات مرجعية نظراً لتفاعل أحداث القصة مع نصوص متخللة من التاريخ وارتبطت متونها بشخصياتها ويمكن أن نجمل أهم الملاحظات والنتائج في النقاط الآتية:

1. قدم لنا السارد اهم الشخصيات الفاعلة في الرواية تقديمًا مباشرًا أي أنّ هذه الشخصيات قدمت نفسها بنفسها ولم تقدمها شخصية أخرى أو السارد، ما عدا بعض الشخصيات الثانوية التي قدمتها إحدى الشخصيات الرئيسة.
2. امتلأت البطاقة الدلالية للعديد من الشخصيات الفاعلة في المسار السردي بفعل تقمصها الأدوار العاملية أثناء حركة السرد، فهي ذات دلالة تتكشف تدريجيا من خلال تتبع القارئ لحركة السرد والمواصفات التي تخص كل واحدة منها.
3. تميزت العديد من الشخصيات باشتغالها لدورين عامليين اثنين في ترسيمة عاملية واحدة.
4. كثافة حضور الشخصيات التي تقوم بأدوار منفذة مثل القايد والجنود والمعلم وغيرهم.
5. حضور أغلب الشخصيات وخاصّة الرئيسة بألقاب وليس بأسمائها الحقيقية.
6. تميزت كل الأسماء والألقاب التي وظفها السارد ببعد خاص بها يميزها، فمنها ذات البعد الديني والبعد الثقافي والبعد العرقي والبعد العالمي والبعد التراثي، وأغلبها لشخصيات مرجعية مملوءة الدلالة مسبقًا.
7. تكرار فقرات بكاملها مرات عديدة في النصف الثاني من الرواية تحمل مواصفات شخصيتين مهمتين هما شخصية البطل وشخصية زهيرة وقد تعمد المؤلف ذلك التبئير لضرورة العودة إلى سياق المسار السردي المتخيل.

الفصل الرابع: نظام الشخصيات في رواية "التّبر" لإبراهيم الكونـي.

1. مدلول الشخصيات.
2. مستويات وصف الشخصيات.
3. دوال الشخصيات.

اتخذ الروائي اللّيبي إبراهيم الكوني من النّصف الأول للقرن الماضي – القرن العشرين– زمنًا تدور فيه أحداث روايته التي عنونها ب"التِّبر"، كما اتّخذ من الصحراء الجنوبية لبلاده ليبيا وما جاورها من الصحاري كالصحراء الجزائرية والصحراء المالية والنيجرية مكانا تدور فيه أحداث الرواية، فجعل من البطل شخصيّة من المجتمع التّارقي الذي يتميز ببعض العادات والتّقاليد عن غيره من المجتمعات الصحراوية، واستعان أيضا في نسخ شخصياته ببعض تقاليد ومميزات أهالي الصحراء المالية والنيجرية، وبهذه الخيارات والخلفيات التي اعتمدها في رواية استطاع معالجة بعض القضايا الاجتماعية السّائدة في المجتمع الصحراوي التارقي الليبي، منها علاقة الإنسان بالحيوان، وقضية الوفاء والخضوع لقوانين وتقاليد القبيلة وسلطتها وقضية الاعتقاد وما تشوبها من أفكار في حياة البدوي، فجاءت كل الشخصيات وليدة البيئة الصحراوية.

مدلول الشخصيات:

يتَحدّد معنى الشّخصية لدى القارئ من خلال « المعلومات التي يؤطرها النص، وعليه يكون القارئ منساقا إلى ملئه...لكن لا تكتفي الصورة الذهنية بإضافة سمات من حيث إنّها لا تتنامى إلّا عبر التّوليفات المتوالية التي يُنجزها القارئ»[1] أي أنّ الشخصية قبل أن تتنامى في ذهن القارئ عبر توليفات هي تتكون من المعلومات التي يزودنا بها النّص، وهذا ما نعمد إلى استخراجه من الرواية والتعليق عليه كأوّل إجراء من أجل الوصول إلى مدلول كل شخصية اخترنا إخضاعها للدراسة، ومعيارنا في اختيار شخصيات دون أخرى هو وفق المعمول به في الفصول السابقة، وهو حجم حضور وتأثير الشخصية في المتن السردي للرواية، أمّا عن ترتيب إيرادنا لها فقد كان بدءً من الشخصيات الرئيسة الأكثر أهمية وحضوراً إلى الشخصيات الثانوية الأقل أهمية وحضوراً.

1-أُوخَيَّدْ:

تعود هذه الشخصية إلى إحدى المجتمعات الصحراوية المتجذّرة الأصول في المنطقة حيث تمثل هذه الشخصية البطل في الرواية الذي تنطلق الأحداث في أول صفحة به وتنتهي به

(1) فانسون جوف، أثر الشخصية، تر: لحسن أحمامة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، سوريا، 2012، ص57.

آخر صفحة، فهو حاضر في كل أطوار البنية السردية، يعود نسب أوخيد كما جاء على لسان شيخ القبيلة قائلا: « يسرنا أنْ نستقبل ابن الشيخ إمنغاستن في ديارنا، فله يرجع الفضل في سدِّ الغزاة الأغراب ووقف توغّلهم في الصحراء»[1]، أيْ أنّ أوخيّد ابن أحد شيوخ قبائل الأهقّار المحاربة جهادًا لصدّ الغَزو الإيطالي للصحراء الليبية، ثم يضيف الشيخ العجوز قائلا: «الآن أستطيع أن أقول إنّك شابٌّ لا ينقصك الكمال...شرّفت ديارنا أيّها الفتى النّبيل سليل النّبلاء»[2] فهو ذو شرف وحسب ونسب عاليين يوجبان الاحترام والتقدير له أينما حلّ وارتحل، لكنه على الرغم من كل هذا الشرف والسمعة لدى القبائل الأخرى، يطلعنا السارد عن جانب مظلم في مرحلة من مراحل حياة البطل، حيث يقول: « لم يعش مع والده ولم يعرفه»[3] بل « تربّى مع البعير»[4] أي أنّه عانى الإهمال والضّياع ولم يعش طفولة سليمة لذلك نجد أن السّارد يخبرنا بانجذابه في بدايات حياته إلى الشيخ موسى فيقول: « تعلّم بعض آيات القرآن...الشيخ موسى الذي لم يكن معلّمه فحسب، بل عامله مثل الصديق، ويبدو أن الشيخ موسى لاحظ ميله إلى العُزلة وبرود علاقته بوالده...فخفّف عليه غياب الأمّ المبكر برغم الطبيعة الإنطوائية التي ورثها عنها ...أنقذه من السيل الليْلي»[5]، فأوخيد يحفظ قليلا من القرآن وظفر بعطف الشيخ موسى إمام القبيلة بعدما فقد أمّه التي ورث عنها شخصية انطوائية تجنح إلى العزلة دائما، مكّنته علاقة الصداقة مع الشيخ موسى في سنّ مبكرة من النجاة على يده إثر هجوم سيل مائي ليلا على خيام القبيلة في إحدى الليالي، وبعدما صار شابا قويا تعرف على فتاة أتت من بعيد إلى تخوم القبيلة اسمها "آير" ثم « التقى بها مرارا في ليالي السهر وفي المراعي أسمعته الأغاني الرّبّانيية في الخلاء، أحرقته الآن أغاني الفتاة بالشوق والحنين والشّجن...وقع في الوجد والجذب»[6]، فبعدما أطلعنا السارد على حالة أوخيذ العاطفية وهو الشاب القوي الكامل النضوج

(1) إبراهيم الكوني، التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، ط3، لبنان، 1992، ص15.

(2) الرواية، ص16.

(3) الرواية، ص69.

(4) الرواية، ص92.

(5) الرواية، ص80.

(6) الرواية، ص68.

تدفعه الفطرة تجاه الأنثى ككل شابّ مكتمل النّمو، يخبرنا بعد عن نتيجة عشقه للفتاة فيقول: « خطبها من عمّها وحاز على الموافقة، بعث إلى الوالد يستشيره فأدهشه الجواب: لا بارك الله لك فيها»[1]، أيْ أنّ الرّد كان على غير المتوقع لدى أوخيد، فكان ردّ الوالد بهذا الأسلوب بسبب رفض الأول–أوخيد– الزواج من ابنة عمّه، في هذه الحالات التي يدخل فيها الأبناء في صدام مع الأولياء تلعب التربية والطباع الوراثية الدور الفعال، فأوخيد الذي ربّاه الشيخ موسى بعيدا عن والده، وكما يقول السارد: « ورث عنه العناد قبل أن يرث حبّ الزعامة»[2]، فتربية أوخيد أفرزت الشاب العاقّ لوالده الذي ورث عنه طبع العناد، فتزوج من "آير" الفتاة التي عشقها بعدما خطبها من عمّها، فكانت « النتيجة تبرّأ منه...ثم حرمه الميراث، فانفصل عن القبيلة»[3]، أيْ أنّ أوخيد ضحى بالزعامة التي كان سيرثها عن أبيه لو تزوج ابنة عمه، وضحى بالقبيلة ككل من أجل أن يظفر بوصال حبيبته "آير" فتزوجها وهجر القبيلة، رُزِق بطفل كثمرة عن حبّه وزواجه من آير.

ومن خلال وصف السارد لزيّ الرجال والشباب نستطيع رسم صورة لأوخيد، يقول السارد واصفا رجال القبيلة: « الرجال والشباب يتوّجون رؤوسهم بالعمامات الفخمة الزرقاء، ويتهادون في خطوهم بكبرياء الطواويس»[4]، فأوخيّد شاب تارقي يرتدي العمامة الزرقاء المعروفة بأنها من الأزياء الرئيسة في لبس الرجل التّارقي، وعليه يمكن أن نعتبر السارد هو المتلفظ الوحيد الذس عرف هذه الشخصية بما أورده عنها باستثناء بعض الملفوظات التي جاءت على لسنان شيخ القبيلة.

2–الأبلق:

يكتسب الجمل في هذه الرواية قيمة تعادل قيمة البطل أوخيّد الذي تجمعه به علاقة قويّة سيكشفها تحليلنا لأحداث الرواية، وهو أيضا حتى في الثقافة الصحراوية يقاسم الجمل صاحبه

(1) الرواية، ص69.

(2) الرواية، ص71.

(3) الرواية، ص72.

(4) الرواية، ص09.

شأنًا وقيمة ، حيث يقول شيخ القبيلة: « عليك بالمهري إنْ أردت أن تعرف صاحبه»[1]، فالأبلق الذي يملكه أوخيد « تلقاه هديّة من زعيم أهجار»[2]، أي ليس من نوق القبيلة بل أفضل منها بكثير حيث يرقى لأن يكون هديّة ثمينة من زعيم قبيلة إلى ابن زعيم قبيلة أخرى، ويصفه السارد فيقول: « أبلق رشيق ممشوق القوام، نبيل شعاع، وفيّ»[3]، وقد اجتمعت فيه كل هذه الصفات الجسدية والخلقية النبيلة وكأنّه إنسان وليس حيوانا، ويؤكد هذا الوصف البليغ قول شيخ القبيلة الحكيم: « مهري أبلق رشيق مثل الغزال، هذه سلالة انقرضت من الصحراء منذ مئة عام»[4] أي أن الأبلق من سلالة نادرة الوجود في الصحراء الليبية، يستمد قيمته من عامل ندرته كسلالة متميزة عن السلالات الأخرى من الجمال، وقد برز هذا التميّز في سنواته الأولى التي تلقاه فيها أوخيد، فكان « المهري الصغير يتجوّل معه بين المضارب ويقتفّي أثره كالكلب...ولا ينام إلّا عندما يهجع هو للنوم»[5]، فمن خلال هذه التصرفات يظهر مدى وفاء الأبلق لصاحبه وتعلقه به، لكن بمرور السنين ومرافقة الأبلق لأوخيد في غزواته العاطفية بعدما صار في سنّ العنفوان والقوة بدأت المعاناة في الحياة فيصفه السارد وهو يعاني من مرض الجرب قائلا: « اختفت النظرة الذكية والعينان الساحرتان، القوام الرشيق الممشوق تحوّل إلى هيكل أسود مترهل مبقع بالظلمة»[6]، أي أنّ الأبلق الذي يعود أصله كما يذكر السّارد إلى « الإبل المهريّة التي تسبق الخيل المنسوبة إلى القبيلة مهرة ابن حيان من اليمن»[7]، صار مجرّد هيكل عظمي مغطّى بجلد أسود مترهل حينما ظهرت أولى مطبّات الحياة للمهري الأبلق وصاحبه أوخيد، فبذلا الغالي والنفيس معا حتى شفي الأبلق، يتوال السرد على لسان السارد الذي يقدم أغلب ما ورد في البطاقة الدلالية لهذه الشخصية.

(1) الرواية، ص16.

(2) الرواية، ص07.

(3) الرواية، ص08.

(4) الرواية، ص15.

(5) الرواية، ص 20.

(6) الرواية، ص25.

(7) الرواية، ص29.

آيور:

تمثل هذه الشخصية في الرواية شخصية الأنثى وما تحمله من غواية وإغراء للرجل، قال السارد في الرواية على لسانه بأصل الفتاة: « جاءت الحسناء من آير*»[1]، أي أنّ الفتاة المسماة آيور ليست إحدى بنات القبيلة التي يسكنها أوخيد، ولا حتى إحدى بناء القبائل المجاورة، بل جاءت من الصحراء الجنوبية البعيدة بين مالي والنيجر فهي لست من التوارق مثل أوخيد، ثم يصفها السارد قائلا: « الحسناء لم تنقصها النّضارة ولم يفقدها طول الطريق البهاء إلى جانب جمالها تمتّعت بروح مرحة وجاذبية»[2]، فهي ليست حسناء وجميلة فقط بل أيضا ذات روح مرحة وجذابة، رآها أوخيد وتأملها جيدا في « حفل ليلة قمرية تابع ابتسامتها السحرية في الضوء الباهت، وتابع خيال قامتها الهيفاء وهي تتنقل بين النساء، ثم سمعها تغني»[3]، وبعد وبعد تلك الليلة التي اكتشفها فيها بات منبهرا بها لا تفارق خياله، يكر السارد أنّه « التقى بها مرارا في ليالي السّهر وفي المراعي، أسمعته الأغاني»[4]، أي أنها كانت ترعى الغنم والإبل لذلك التقاها في المراعي بالإضافة إلى السهرات التي نظمتها القبيلة وانضمّت إليها هي، ثم يصفها السارد قائلا: « كانت تحفظ قصائد تفوق عدد شعرات رأسها الشعرات السوداء المضفورة في جدائل كثيفة ترقد على صدرها النافر»[5]، فهي ذات ذاكرة قوية أعانتها على حفظ عدد كبير جدا من الأبيات الشعرية والقصائد، كما أنّها ذات شعر أسود كثيف مضفور في جدائل وذات صدر نافر يزيد من جمالها وجاذبيتها الأنثوية، وكان لها ما أرادت ونجحت في الزواج من أوخيد بعدما « خطبها من عمها وحاز على الموافقة»[6]، رغم معارضة والده له، عاشت معه سنوات وأحبته إلى درجة « غيرتها من الأبلق...أصبح بعد الزواج ضرة وغريما»[7]، أي

* آير: يطلق أحيانا أخرى على تمبكتو أو أغاديس أو كانو.

(1) الرواية، ص67.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الرواية، ص 68.

(4) الرواية، الصفحة نفسها.

(5) الرواية، ص 69.

(6) الرواية، الصفحة نفسها.

(7) الرواية، ص118.

أنها صارت تنزعج من الحب الكبير والوفاء المنقطع النظير الذي يكنه أوخيد لجمله الأبلق الأمر الذي يتسبّب لها فيما بعد في مضاعفات تؤثر على علاقتها بزوجها، جمعت البطاقة الدلالية لهذه الشخصية بين صفات جسدية وصفات اجتماعية انبنت على مدى حضورها كأنثى في المجتمع الصحراوي.

3-الشيخ موسى:

تتشابه هذه الشخصية بالشخصيتين اللتين قدمناهما سابقا في تقديم السارد لها ولم يمنحها الفرصة لتقدّم لنا نفسها، حيث يقول عنه السّارد: « يقرأ الكتب ويتلو القرآن ويؤمّ الناس في الصلاة، مقطوع لا زوجة ولا أولاد ولا أقارب، يعيش متنقلا مع القبيلة برغم أنّه ليس من القبيلة ويقال إنه جاء من عرب الصحراء...من فاس بلاد الفقهاء وعلماء الشريعة، الشيخ موسى هو الذي تمتم له بالسّر وخلّص الأبلق»[1]، أي أنّ الشيخ موسى شخصية متديّنة لها مكانة في القبيلة البدويّة المتنقلة من مكان لآخر، فهو إمام الصلاة في القبيلة ويحفظ شيئاً من القرآن ويطالع كتب الدين، وحيد لا شريكة حياة له ولا أولاد ولا أقارب له، يعود أصل نسبه إلى الغرب البعيد في مدينة فاس المغربية التي تخرّج علماء الدين وطلبة العلم، تميز أيضا الشيخ موسى بالحكمة في حل المشاكل، فهو الذي استنجد به أوخيد عندما مرض أبلقه بالجرب وعجز عن مداواته أينما ذهب وأيّما استشار من شيوخ الصحراء، فأعطاه الشيخ موسى السّر حيث يقول أوخيد: « سنجرب حيلة الشيخ الحكيم، علماء الشّريعة القادمون من فاس حُكماء»[2]، إضافة إلى حكمته فهو يتبع مذهبا دينيا معيّنا، إذ يقول عنه السارد: « الشيخ موسى من أتباع الطريقة القادريّة»[3]، وهو مذهب صوفي منتشر في شمال أفريقيا والصحراء الأفريقية، حيث سُمّي كذلك كذلك «نسبة إلى العالم الإسلامي عبد القادر الجيلاني الذي أسس أحد أهم المذاهب الصوفية في القرن الثاني عشر ميلادي»[4]، فحكمة الشيح موسى مستمدّة من معرفته وثقافته الدينية وعامل سنّه الذي خبر منه تجارب الحياة، ويبدو أنّ الإضافة الجديد لهذه الشخصية أنّ تركيز

(1) الرواية، ص20.

(2) الرواية، ص26.

(3) الرواية، ص55.

(4) الرواية، الصفحة نفسها.

السارد في بطاقتها الدلالية على المرتبة الاجتماعية التي تحتلها هذه الشخصية والدور الذي تؤديه بصفتها حكيمة ومتدينة، الأمر الذي منحها تميزاً واحتراماً بين الأهل وبين سكان تلك المناطق الصحراوية.

4- دودو:

تمثل هذه الشخصية في الرواية المعتدي الذي تتقاطع رغباته مع رغبات وأهداف البطل برزت هذه الشخصية في نهاية النصف الأول من الرواية، إذ يصفه السارد قائلا: « جاء مرافقا لقافلة محمّلة بالذّهب والعاج وريش النّعام»[1]، أي أن دودو رجل ثريّ جدا يتاجر في الذهب والسلع النفيسة الأخرى جاء بغرض التّجارة وأمر آخر أعلن عنه بنفسه فقال: « إنّ آيور قريبته من أمّه وجاء كي يطمئنها على الأهل»[2]، لكن بعد مدة من الزمن يكشف الرّاعي الذي يعمل لصالح دودو لأوخيد أثناء حوار دار بينهما قائلا له: « ابنة عمّه عشقها منذ كانا طفلين اختلف الأبوان فافترقا، ومن الطّبيعي أن يرفض أبوها الزواج منه»[3]، وهنا يظهر السّبب الحقيقي لزيارة دودو لقبيلة أوخيد وهو رؤية عشيقة الطفولة "آيور" زوجة أوخيد وابنة عمه التي منعه خلاف والدهما من الزواج بها، لكن بعد وفاة والدها جاء يبحث عنها ليتزوجها، ثم يضيف السارد على لسان الراعي يطلعنا على شخصية دودو فيقول الراعي: « جَنّد العسس بماله، وجاء له الذهب بالحشم والخدم والعبيد والرعاة»[4]، أي أنّه ذو قوّة لا بأس بها بفعل دائرة العاملين تحت إمرته من رجال ونساء بمختلف المهن رعاة وعسسا وحرسا له ولماله وسلطانه، ولكن قبل أن يكون على هذا الحال يخبرنا السارد كيف كان وكيف حصل هذا الثراء على لسان شخصية الراعي في عرض حديثه مع أوخيد فيقول عنه: « ذهب في غزوة لسلب الذّهب فوقع في كمين، ولكنه استطاع أن يدبّر طريقة للهرب بعد سنوات...جمع أتباعه وأغار ثانية على "بامبارا" وغنم الذّهب اللّعين»[5]، نفهم من كلام الرّاعي أن دودو شخصية تحمل في ثناياها الشّر والأنانية فهو مجرد

(1) الرواية، ص 74.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الرواية، ص 108.

(4) الرواية، ص104.

(5) الرواية، ص108.

قاطع طريق ولص سارق ناهب لأموال وكنوز الآخرين، كما نستنتج أيضا أن دودو عاش مدة من الزمن في الأسر لكنّه استطاع الهرب، ولأنّه شخص يتميز بالإصرار والعزيمة على تنفيذ ما يطمح إليه عاود الإغارة مرة ثانية ونجح في تحصيل الذهب والأمر نفسه نستنتجه من بحثه عن محبوبته بعد وفاة والدها الذي اعتبره العائق أمام زواجه منها.

أما بالنسبة لشكله فيطلعنا السارد عليه في لحظة حاسمة غير عادية، وهي لحظات قبل وفاته من خلال « واجهة ما يأتي من النظرة»[1]، أي بِعينَيِّ أوخيد الذي كان ينظر إلى دودو قبل أن يقتله: « رأس حاسر من اللثام، عيناه أيضا، لا يضع الآن لثاما على قلبه...هذا الساحر، نظرته الآن تختلف ضبط متلبسا أثناء ممارسته فعلته، أذناه كبيرتان متدليتان كأذني الجحش، ورأسه أصلع مستطيل، لحيته مثل لحية التيس، وعظام صدره بارزة، جسده نحيل، لا يبدو بهذا النحول عندما يكون لابسا ثيابه الفضفاضة، ثياب الطواويس تنفخ في جثته فيبدو ماردًا مزيّفاً...ساحر لا شك أنّه ساحر» [2]، نعرف من هذه الفقرة الصغيرة أنّ دودو ليس بالقويّ البنية الجميل الطّلعة، بل ضعيف نحيل فقط أخفى اللثام قبح وجهه واللباس الفاخر الذي يخدع به الناس نحول بدنه وضعفه، أيضا لأول مرة يذكر السارد في الرواية أنّه ساحر، ويُدَلِّل على حكمه بأنّه « جاء من "آير*" بلاد السحر والسحرة»[3].

ثم يصفه السارد حتى بعد موته وقبل ذلك طريقة موته فيقول: « الطّلقة الثانية اخترقت نحْره...أصابته في البلعوم فذبحته، غاب تحت الماء مفتوح العينين والشفتين»[4]، أي أنّه مات مذبوحا بطلق ناري في بركة ماء عاريا أثناء استحمامه استعدادا لليلة الدّخلة على آيور التي حلم بها طويلا منذ طفولته.

(1) فليب هامون، سيمولوجية الشخصيات الروائية، ص21.

(2) الرواية، ص141.

* آير: تضم كانو وطمبكتو مدينتي السحر والسحرة.

(3) الرواية، ص141.

(4) الرواية، الصفحة نفسها.

5-الآلهة تانيت:

يقدّم لنا السارد هذه الشخصية التي تتجسد في صنم موجود في الصحراء أخذ عبر أجيال وأزمان عديدة معاني كثيرة ومختلفة، فيصف المكان الموجود فيه ورحلة معانيه المتغيرة قائلا «في مدخل الجبلين المتقابلين، في خلاء لا ينتهي، وقف نصب المجوس...في الزمان القديم لم يظنّوا أنه صنم، كان الضّريح مزارًا للجميع...حتى الفقهاء وعلماء الدّين، أجمع الجميع أنّه وليّ شهد بداية الفتوحات بل قالوا إنه أحد الصحابة مات عطشا في الصحراء وهو يجاهد في سبيل الله، فقصده الرُّحَّلُ في الصحراء...ينذرون له القرابين ويسفحون دم النّذور»[1]، نفهم من هذا أنّه مجرد صنم فقط يقع بين جبلين وسط الصحراء، وجد منذ القديم قبل دخول الإسلام إلى صحراء شمال إفريقيا، لكن نسج الناس حوله العديد من الإشاعات والتُّرَّهات واتخذوه مزارا، لكن لم يدم هذا في اعتقادهم بعدما جاء عرّاف من مدينة "كانوا" و« حطّم الأسطورة وقرأ الرّموز المحفورة على قاعدة الصنم، قال: إنّ اللّقب لإله صحراوي قديم، توصّل إلى فكّ الشفرة في أبجدية التيفيناغ»[2]، وبهذا انتهى كل معتقد ساد في عقائد البدو عن هذا الصّنم الذي عبده قدماء الأمازيغ والتّوارق فكتبوا على قاعدته لقبه بلغتهم التيفيناغ، ثم يعرف السارد لنا في الهامش بأن «تَانِيتْ آلهة الخصب والحب والتناسل عند قدماء الليبيين، وقد اعتنقها منهم البونيقيون فيما بعد، ويرمز لها بمثلث على شكل هرم»[3]، إذن عهد هذه الآلهة قديمة في الواقع، ثم يصفها من ناحية الشكل فيقول: « قاعدة صخرية مثلثة الزوايا، في نهاية المثلث تجسم صورة لإله مباشرة بصخرة كبيرة فوق الصدر، ارتفع الرأس، فتمّ الاستغناء عن الرّقبة أيضا، ملامحه خفية تنطق بعبادات آلاف السنين...خليط من القساوة واللّين، والرّحمة والانتقام، والحكمة والكبرياء والصبر...العين اليمنى أكلتها رياح القبلي المحمّلة بالحصى والغبار، رياح آلاف السنين أكلت العين وجزءًا من الوجه، أما النّاحية اليسرى فما زالت تنطق بتاريخ الصحراء الحزين...حول

(1) الرواية، ص 29.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الرواية، ص77.

الوثن انتشرت بقايا عظام قديمة وأطراف النذور القديمة»[1]، فمن خلال هذه الأوصاف نستطيع رسم صورة تخيلية عن هذا الوثن الذي عبدته عدّة أجيال من قاطني الصّحراء الليبية.

6-شيخ القبيلة:

لم يمنح السّارد هذه الشخصية اسما مباشرا خاصًّا بها، بل تركها بالاسم الذي يحدد مكانتها الاجتماعية في قبيلتها، فيصفها قائلا: «عجوز نحيل طويل القامة يمسكُ بعكاز أنيق من السّدر مطوّق بدوائر جلديّة موسومة بالنقوش الدقيقة، في وجنته تنثني غضون عميقة، ولكن في نظرته تروم عفوية وعافية ومرح مجهول»[2]، نفهم من هذا الوصف أن الشّخصية كبيرة السن تعيش مرحلة الشيخوخة والعجز فتستعين بعكاز حتى تستطيع الحركة بقوة وسرعة أكثر أمّا عصاه المطوّقة بالجلد المنقوش فتدلّ على المكانة والرفعة التي يحوزها الشيخ في القبيلة فهو متميّز عن الآخرين حتى في مظهر عصاه، ورغم تقدّم العمر إلّا أنّ المرح والعفوية لا تفارق محياه دلالة على طيب النفس ورحابة الصّدر وكرم الخلق التي يتصف بها أهل الصحراء.

7- الراعي:

ظهرت هذه الشخصية في منتصف أحداث الرواية ولم يدم حضورها كثيرا، إلّا أنها لعبت دورا مهمّا في سيرورة الأحداث، قدّمها السّارد بشكل مختصر جدّاً ولم يورد أوصافاً لها إلّا قليلا إذ يقول: « كان فمُه خاليا من الأسنان، وبرغم ذلك لا يتوقف عن الضحك ومضْغ التّبغ...أخرج صرّة من جيبه وقال: الحمد لله الذي أعطاني عُمرا حتّى رأيت التّبغ بأرخص من التراب»[3] نفهم من هذا أن الرّاعي شخص متحرّر لا يحوز مسؤولية مهمّة ما عدا الاعتناء بالإبل التي يرعاها همُّه تحصيل التبغ وتعاطيه وإشباع إدمانه منه لدرجة فقد أسنانه من كثرة تعاطيه، أما ضحكه المستمر فهو دليل على لامبالاته وعبثيّته في التعامل مع الحياة وتحدياتها خاصة وهو مجرد راعٍ، لدرجة أنه يقول: « أنا رجل مُدمن من المضغة فوق كل اعتبار»[4]، أي أنّ همّه الأول والأكبر هو تحصيل مضغة تبغ.

(1) الرواية، ص30.

(2) الرواية، ص15.

(3) الرواية، ص93.

(4) الرواية، ص94.

8-العَرّاف الوثَنِي:

يستهل السارد تقديم هذه الشخصية بإطلاعنا على البلاد التي تعود إليها فيقول: « جاء العرّاف الوثني من كانو»[1]، أي جاء من صحراء مالي حتى وصل الصحراء الليبية، ثم يصف مظهره فيقول: « يضع على رأسه عمامة سوداء، جُبّته الفضفاضة أيضا سوداء، يُقَال إنّه مثل الغراب، ينتقل وحيدا على ناقة عجْفاء ويكره المخالطة، يمضغ التبغ ويبصق اللّعاب في وجوه الأطفال والفضوليين»[2]، أي أنّ لون عمامته وعباءته ووحدته في التنقل أعطياه السمعة السيئة مثل الغراب حتى أنهم شبّهوه به، كما أنّه مخيف لدى بعضهم حيث يقول السارد: « العراف المُخيف هو أوّل من حطّم الأسطورة وقرأ الرّموز المحفورة على قاعدة الصّنم...رفض البوح بالسّر المحفور عند قدمَي الإله وبعد شهور وجدُوه ميتا في السهل»[3]، إضافة إلى وحدته وخوف الناس منه فهو كتوم للأسرار التي يعرفها، مات ولم يفش السّر الذي عرفه عن الصنم.

يتحدّد مدلول الشخصية أيضا في مشروع فليب هامون من الصفات التي تتميز بها عن غيرها، وقد حدد هذه الصفات في أربعة محاور، لكن هذه المحاور ليست مطلقة الترتيب أو الوجود كما سبق وأن أشرنا إلى هذا في الفصول السابقة، حيث يمكن تغيير ترتيبها أو استبدال أحدها بمحور آخر أكثر حضوراً في النّص السردي الذي نحن بصدد دراسته، وبناء على ذلك سنعمد إلى جدولة أوصاف الشخصيات التي عرضنا لها بالتحليل سابقا من خلال ما قالته عن نفسها ومن خلال ما قيل عنها، وستكون المحاور الأربعة التي اقترحها فليب هامون في مشروعه (الجنس، الأصل الجغرافي، الايديولوجيا، الثروة)» [4]، حاضرة من دون تغيير في ترتيبها بسبب وجودها وتلاؤمها مع النص الروائي المدروس. (+ موجود، 0 منعدم).

المحاور / الشخصيات	الجنس	الأصل الجغرافي	العلم	الثروة
أوخيد	+	+	+	0

(1) الرواية، ص29.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الرواية، الصفحة نفسها.

(4) ينظر: فليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، ص43.

الأبلق	+	+	0	0
آيور	+	+	0	0
الشيخ موسى	+	+	+	0
دودو	+	+	0	+
الآلهة تانيت	+	0	0	0
شيخ القبيلة	+	+	0	0
الراعي	+	0	0	0

نلاحظ في الجدول أن شخصية أوخيد والشيخ موسى محددة بنفس المحاور الدلالية المتمثلة في: (الجنس والأصل الجغرافي والإيديولوجيا) في حين أن شخصية الأبلق وآيور وشيخ القبيلة، محددة بنفس المحاور المتمثلة (بالجنس والأصل الجغرافي) وبالتالي فإن هذه الأخيرة تنتمي إلى قسم واحد، وتبقى شخصية الراعي والآلهة تانيت في قسم واحد محددة بنفس المحاور المتمثلة في محور الجنس وحده.

أمّا شخصية دُودُو فتفرّدت وتميزت عن باقي شخصيات الرّواية من خلال محور الثّروة.

نستنتج من كل هذا أن عدد أقسام الشخصيات هو أربعة تتقابل من خلالها شخصية دودو مع (أوخيّد+الشّيخ موسى) +(الأبلق +آيور+شيخ القبيلة).

كما تتقابل شخصيّة (الرّاعي +الآلهة تانيت) مع (أوخيد +الشيخ موسى) إذ تُعْتبر هذه الأخيرة أكثر تحديدا من خلال المحاور الفاعلة في النص بالمقابل مع شخصية (الراعي+الآلهة تانيت) التي تتحدد من خلال محور واحد ووحيد ألا وهو الجنس.

ومنه نلاحظ أن كل الشخصيات تتحدد من خلال محورين على الأقل ما عدا شخصيتي (الراعي+الآلهة تانيت)، فهما شخصيتان غامضتان مقارنة بالشخصيات الأخرى، لأنّهما تتحدّدان بمحور واحد ألا وهو محور الجنس.

يتكشف مدلول الشخصية أيضا من خلال عقد مقارنة بين صفات الشخصيات، « أيْ عدم الاكتفاء بهذه الصفات المندرجة وفق محاور عامة، بل العمل من أجل الوصول إلى أبعد

من ذلك، أي الوصول إلى تحليل جزئيات السّمة الدلالية»[1]، وبالتّالي نستطيع إثبات صفات ونفي أخرى لشخصية ما وردت في الرواية من خلال هذه العملية.

سنطبّق على أكثر المحاور التي تحمل تباينا بين الشخصيات، وهما محورا الايديولوجيا والثروة، فمثلا أوخيد مقابل دودو في محور الإيدلولوجيا.

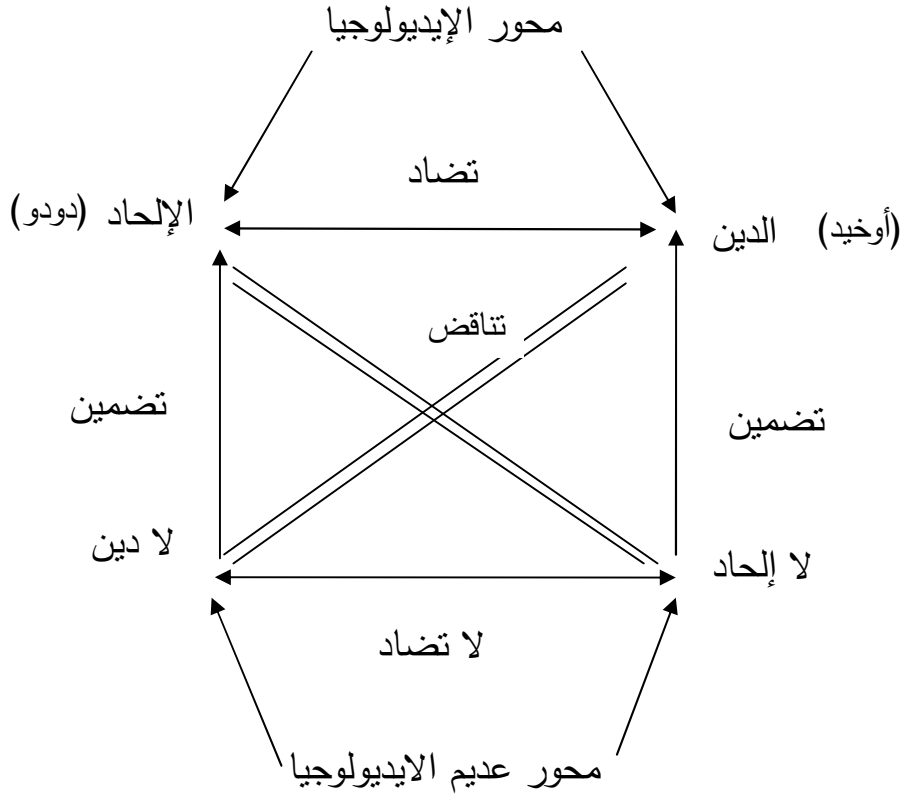

تحكم علاقة التّضاد في محور الإيديولوجيا بين أوخيد الذي يمثّل قطب الدّين ضدّ دودو الذي يمثّل قطب الإلحاد، أمّا علاقة التناقض فهي بين أوخيد عن قطب الدين مع قطب لا دين من محور عديم الإيديولوجيا، وعلاقة التضمين تقوم بين أوخيد عن قطب الدين وقطب لا إلحاد من محور عديم الإيديولوجيا، وبالتالي من خلال هذه العلاقات الثلاث تثبت لنا صفة التّدين في شخصية أوخيد.

أمّا شخصية دودو التي تمثّل قطب الإلحاد فهي علاقة تضاد مع قطب الدّين في محور الإيديولوجيا وعلى علاقة تناقض مع قطب لا إلحاد من محور الايديولوجيا، في حين أنها على

(1) ينظر: فليب هامون، سيمولوجية الشخصيات الروائية، ص45.

علاقة تضمين مع قطب لا دين، وبهذا تثبت لنا صفة الإلحاد في شخصية دودو السّاحر، وهي نتيجة حتمية بحكم أنّه يتعاطى السّحر، فلا سحر بدون إلحاد وشرك.

مرة ثانية وفي نفس محور الايديولوجيا ندرس بالتحليل شخصيتين أخريين هما، الشيخ موسى والراعي.

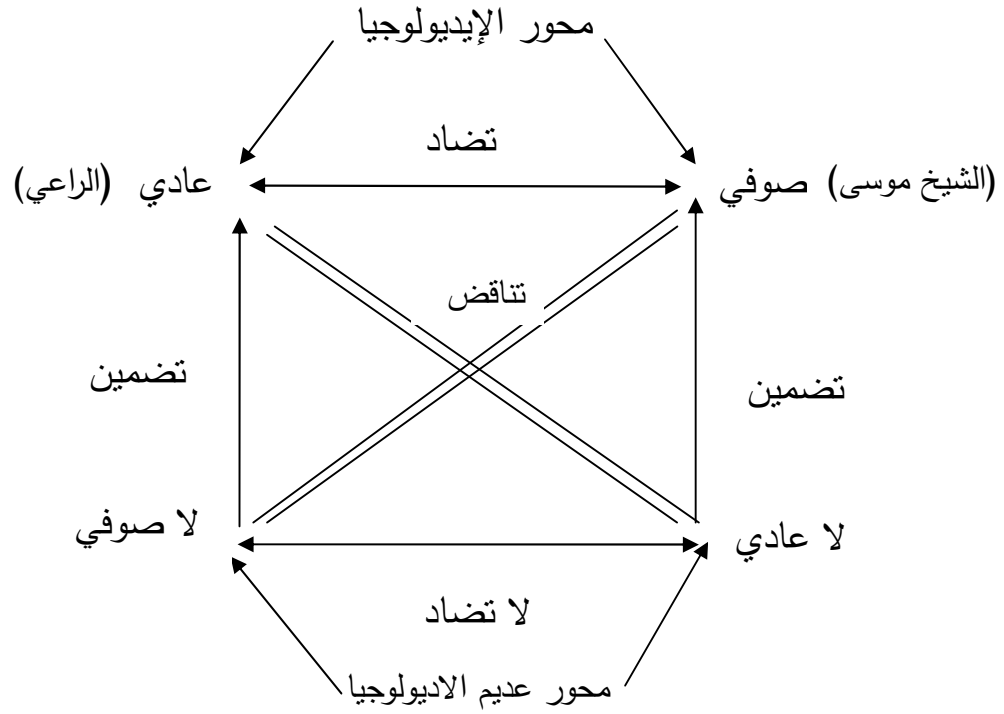

نلاحظ في الخُطاطة أنّ الشيخ موسى الذي يمثّل قطب الصّوفي في محور الإيديولوجيا على علاقة تضاد مع قطب العادي، وعلى علاقة تناقض مع قطب لا صوفي من محور عديم الثروة، وفي نفس المحور على علاقة تضمين مع قطب لا عادي، ومنه فإن الشيخ موسى شخصية صوفية متدينة، حيث تُعرف الصوفية لدى العامّة أنّها التعبّد والزهد في الدنيا.

أمّا شخصية الراعي التي تمثّل قطب العادي من محور الايديولوجيا فهي على علاقة تضاد مع القطب الصوفي من نفس المحور الذي تنتمي إليه وعلى علاقة تناقض مع قطب لا عادي من محور عديم الثروة، وفي هذا الأخير أيضا على علاقة تضمين مع قطب لا صوفي ومنه تثبت لنا صفة الدُّنيوية في شخصيّة الرّاعي الذي يحبّ ملذّات الحياة مهما رخصت ودنت إلى درجة قبوله التنازل عن الأكل لو دعته الظروف لتعلقه الشديد بالتّبغ وإدمانه عليه.

ننتقل الآن إلى تطبيق الخطاطة في محور الثروة، مثلا بين دودو وأوخيد.

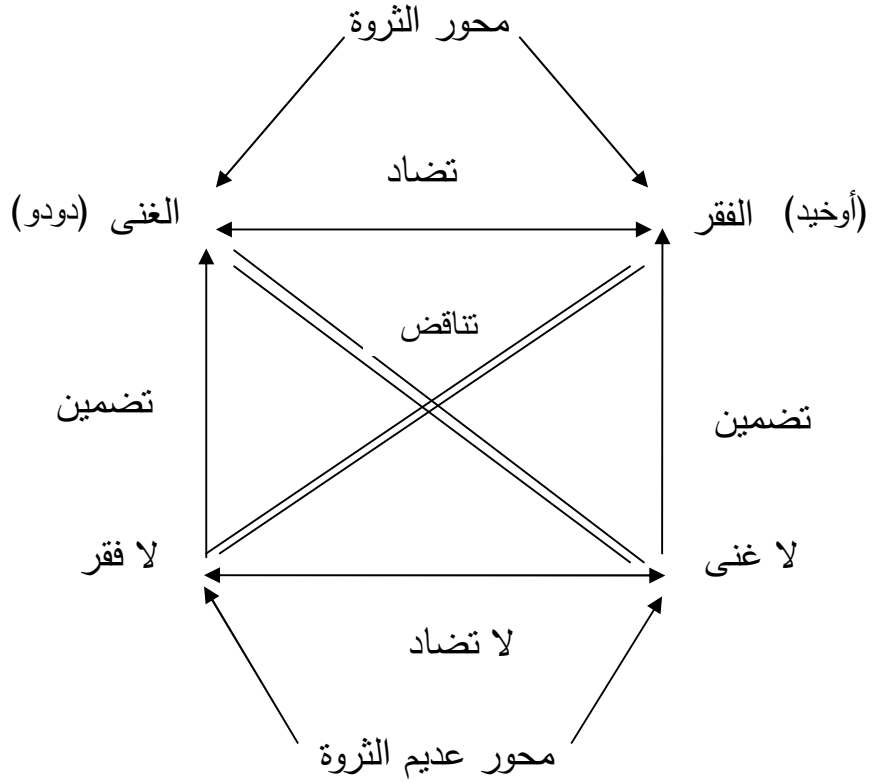

تقوم علاقة التضاد بين أوخيد ضدّ دودو من محور الثّروة، أمّا علاقة التناقض فهي تبين أن أوخيّد الذي يمثل قطب الفقر في علاقة تناقض مع قطب لا فقر من محور عديم الثروة ومن خلال علاقة التضاد مع محور الثروة، وعلاقة التناقض مع قطب اللافقر تتأكد لنا صفة الفقر في شخصية أوخيد، والتي هي في علاقة تضمين مع قطب اللاغنى.

أما شخصية دودو التي تمثل قطب الغنى فهي على علاقة تضاد مع قطب الفقر من محور الثروة، وعلى علاقة تناقض مع قطب اللاغنى من محور عديم الثروة، وفي علاقة تضمين مع قطب اللافقر من محور عديم الثروة، يثبت لنا من خلال هذه العلاقات صفة الغنى والثراء في شخصية دودو.

مستويات وصف الشخصيات:

يجب علينا في هذه المرحلة من دراستنا لعنصر الشخصية في الرواية إلى « تقطيع هذه الرواية إلى مقاطع سرديّة ثم التمثيل بنموذج عاملي لكل مقطع سردي»[1]، حيث يمكن لكل مقطوعة أن تكون قادرة على الاستقلالية كقصة قائمة بحد ذاتها وفي نفس الوقت كجزء مكمل للأجزاء الأخرى من الرواية.

بناء على ما تقدّم قسّمنا رواية "التّبر" لإبراهيم الكوني إلى ستّت مقطوعات سردية، حيث تتميز كل مقطوعة بذات رئيسة فاعلة في حركية الأحداث السردية بمعية الشخصيات الثانوية الأخرى ولتبسيط العمل أكثر لخصنا المعنى السردي لكل مقطوعة في جملة محورية، وعليه نتج لنا ستّة جمل تُلخص ست مقطوعات.

1- أوخيد يريد شفاء الأبلق من الجرب.

2- أوخيد يريد الزواج من آيور.

3- أوخيد يريد الاحتفاظ بالأبلق.

4- دودو يريد الزواج من آيور.

5- أوخيد يريد قتل دودو.

6- أقارب دودو يريدون قتل أوخيد.

سنعمد بعد هذا إلى دراسة كل جملة بالتحليل والشرح في بنيتها العاملية والدور العاملي للذوات الرئيسة والشخصيات الثانوية، ثم تمثيل كل مقطوعة سردية على الخطاطة العاملة التي اقترحها غريماس ثم تحليلها.

1-الترسيمة العاملية الأولى: (أوخيد يريد شفاء الأبلق من الجرب)

يمثّل أوخيد في هذه الترسيمة العاملية عامل الذات الرئيسة التي تسعى إلى الانتقال من الحالة الأوّلية حالة الانفصال عن الموضوع إلى الحالة النهائية حالة الاتصال بالموضوع المتمثل في شفاء الأبلق من مرض الجرب، حيث فعل أوخيد كل ما يستطيع في سبيل شفاء أبلقه حتى توسّل صنمًا صخريًّا وسط الصحراء قائلا: « اشف أبلقي من المرض الخبيث واحمه

(1) ينظر: سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية، ص40.

من جنون آسيار»[1]، وكان يدفعه إلى هذا عامل المرسل المتمثل في حبه الكبير للأبلق وعزل الناس له عن باقي إبل القبيلة، إذ وصل الحب بينهما إلى درجة أن الأبلق لا « ينام إلّا عندما يهجع أوخيّد للنوم»[2]، لكن تسبّب له المرض بأنْ « عزلوه عن قُطعان الإبل خشية العدوى وتركوه يرتع وحيدا في المراعي»[3]، فكانت هذه الحالة الدافع الذي أقنع الذات أوخيد بالسّعي لتحقيق الموضوع المتمثل في الأبلق، خاصة وهو يحوز الكفاءة المتمثلة في السّر الذي يقوده إلى الدواء الشّافي، حيث يقول وهو يخاطب الأبلق: « سنجرب حيلة الشيخ الحكيم»[4]، هذه الكفاءة التي من خلالها عمل على التّحيين للحصول على الموضوع، فتمثل في عنصر التّحيين تطبيق ما نصحه به الشّيخ موسى الحكيم « شفاء جملك في آسيار* ...اذهب إلى قرعات ميمون في الربيع»[5]، وللتبسيط أكثر نمثل لما تقدم بالخطاطة التالية:

الفرضية	← **التحيين**	← **الغائية**
شفاء الأبلق	السفر إلى قرعات ميمون	إيجابية

نلاحظ أنّ المرحلة الأخيرة من هذه الخطاطة وهي الأهم لأنها هي التي تظهر النتيجة سعي الذات، وفي هذه الخطاطة النتيجة ايجابية أي أن الذات نجحت في تحقيق رغبتها وانتقلت من حالة الانفصال عن الموضوع إلى الحالة الثانية المضادة وهي حالة الاتصال، بعد استجابتها لعامل المرسل المتمثل في الحب والعزل الذي عانى منه الأبلق، ولهذا سعى أوخيّد بعد عطفه وإشفاقه على حالة الأبلق إلى السعي كذات رئيسية إلى تحقيق الاتصال بالموضوع المتمثل في شفاء الأبلق، فكان نجاح أوخيد الذات ليس وليد إصراره ورغبته فقط، ولكن بسبب

(1) الرواية، ص30.

(2) الرواية، ص20.

(3) الرواية، ص21.

(4) الرواية، ص26.

* نبات قديم أسطوري يعطي طاقة هائلة.

(5) الرواية، ص20.

مساعدة عامل المساند الذي يمثله الشيخ موسى الحكيم حيث يقول السارد: « الشيخ موسى هو الذي تمتم له بالسّر وخلّص أبلقه»[1]، أي بفضل السّر الذي أعطاه إيّاه الشيخ استطاع الوصول إلى الدواء حيث يذكر السّارد على لسان أوخيّد وهو يحاور الأبلق بعد عودتهما من رحلة العلاج: «الآن ستعود أبلق كما كنت»[2]، ويتقوّل السارد في موضع آخر واصفا الأبلق في أيامه بعد العودة: « تخشن الجلد الجديد والتأم الجرح، اختفت الحُمرة المُقزِّزة»[3]، أي أنّ كل الأعراض اختفت مثل ترهل الجلد واحمراره وسيلان الجراح بالدم جرّاء حكها.

نجاح الذات أوخيد كان بسبب إصراره وسعيه ومساندة الشيخ موسى الحكيم وأيضا بغياب عامل المعارض، حيث لم تعارضه أي ذات في سعيه لتحقيق رغبته ما عدا بعض الأوضاع الطبيعية التي تتّسم بها الصحراء، وتغلّب عليها بخبرته وصبره الذي عرف به، فكان المستفيد الأول من تحقّق الموضوع الحيوان الأبلق الذي بُعِثت فيه حياة جديدة بعد شفائه من مرض الجرب، وأيضا المستفيد الثاني كان أوخيد الذات حيث استطاع إنقاذ صديقه الحيوان الذي أحبه حبًّا كبيرًا أثار استغراب أهل القبيلة.

والآن سنمثل ما سبق تحليله وشرحه في الترسيمة العاملية التالية:

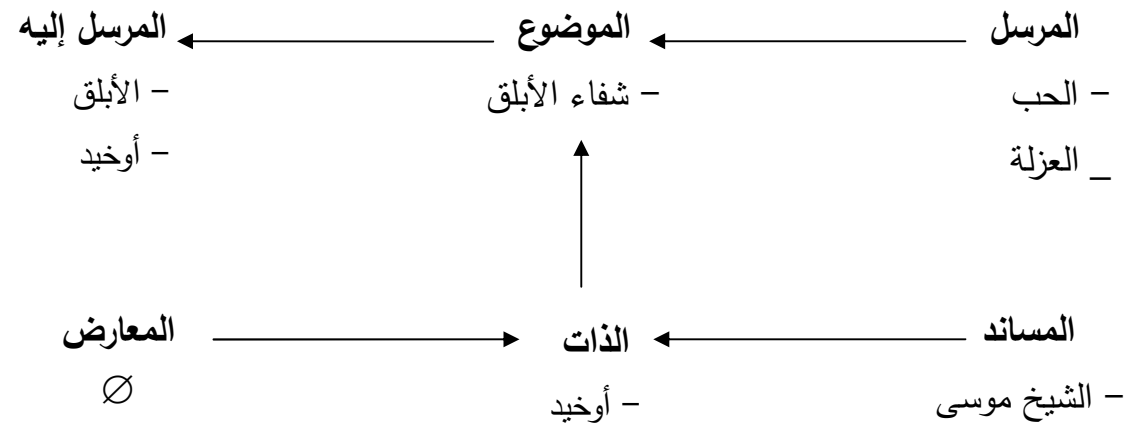

تتكون هذه الترسيمة العاملية ثلاث ثنائيات، حيث تحكم كل ثنائية علاقة خاصة بها سنبينها على حدا.

(1) الرواية، ص20.

(2) الرواية، ص59.

(3) الرواية، ص57.

ثنائية المرسل /المرسل إليه:

تنطوي هذه الثنائية على علاقة التواصل، حيث يعد عامل المرسل هو المحفز الذي بالذات إلى العمل من أجل الاتصال بالموضوع فشعور الحب وحالة العزلة يمثلان عامل المرسل الذي دفع بالذات أوخيد إلى العمل على تحقيق الاتصال بالموضوع، ليكون المستفيد من عملية الانتقال والتّحقق هذه عامل المرسل إليه والذي يمثله الممثّلان الأبلق وأوخيد، فعامل المرسل غير مفرد وغير مشخص أما عامل المرسل إليه فمشخص في ممثل وغير ذلك في الممثل الثاني.

ثنائية الذات/الموضوع.

أما هذه الثنائية فهي تتبني على علاقة الرّغبة، حيث ترغب الذات في الحصول على الموضوع كهدف وتحقيق اتصالها به، إذ يمثل أوخيد عامل الذات التي تسعى بناء على رغبتها في تحقيق اتصالها بالموضوع المتمثل في شفاء الأبلق، وبالتالي يتمظهر عامل الذات كعامل مفرد مشخص، أما عامل الموضوع فهو أيضا مفرد لكن غير مشخص.

نلاحظ أن شخصية أوخيد شغلت دورين عاملين اثنين في الترسيمة العاملية، فكان الممثل الوحيد لعامل الذات الرئيسة التي تسعى للاتصال بالموضوع، ثم شغل عامل المرسل إليه باعتبار أنّه مستفيد من حالة التحقق بمعيّة الأبلق، ولهذا فإنّ رغبة الذات كانت أقوى وأشدّ بسبب علمه بمنطقية استفادته من نجاح الذات.

ثنائية المساند/ المعارض:

تحكم هذه الثنائية علاقة الصراع، فالانسان يسعى كعامل مساعد يدفع بالذات إلى تحقيق رغبتها، أما المعارض فيعمل على عرقلة الذات وإعاقتها في سعيها من أجل هدفها، وبالتالي تتضاد رغبات هذين العالمين، لكن حالة الصراع تغيب في هذه الترسيمة بين هذين العالمين بسبب غياب أحدهما، فعامل المساند الذي يمثله الشيخ موسى الحكيم ساعد الذات بإبلاغه عن السر الذي خلصه من مشكلته، أما عامل المعارض فهو غائب تماما، إذ لم يعترض الذات في طريقها لتحقيق هدفها أي ذات معارضة أو عوائق أخرى إذن عامل المساند مشخص ومفرد.

الترسيمة العاملية الثانية: (أوخيد يريد الزواج من آيور)

تعد شخصية أوخيد في هذه الترسيمة العاملية هي الذات الرئيسية والفاعلة التي يتمحور حولها الخطاب السردي، إذ يسعى كذات من أجل تحقيق اتصاله بالموضوع والانتقال من حالة الإنفصال عن آيور إلى حالة اتصال، فالموضوع يتمثل في الزواج من آيور حيث « خطبها من عمّها»[1]، وكفاءته التي يعتمدها في تحيين رغبته، كما جاء على لسان شيخ القبيلة واصفا إيّاه «إنك شاب لا ينقصك الكمال من يملك هذا الأبلق لن يشكو من نقص القيم النّبيلة، شرفت ديارنا أيّها الفتى النّبيل سليل النّبلاء»[2]، فهو الفتى الكامل البنية والجسم يملك مهريًّا لا مثيل له في الصحراء، وابن أسرة نبيلة، كلّ هذه الصّفات بمثابة الكفاءة التي امتلكها أوخيد لتحيين رغبته، فكان عنصر التّحيين متمثّلًا في أنْ « خطبها من عمِّها وحاز على الموافقة»[3]، تمثل ما تقدم في الخطاطة التالية:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
الزواج من آيور		خطبتها من عمّها وقبوله		ايجابية

إنّ تحقيق الفرضيّة المتمثلة في الزواج من آيور من قبل الذات أوخيد لم يكن إلّا بامتلاك هذا الأخير الكفاءة اللازمة التي أعانته على التّحيين لرغبته بعدما حفّزه عامل المرسل المتمثل في الجاذبية التي لم يستطع مقاومتها ومن الحسناء آيور، فيصفها السارد قائلا: «الحسناء لم تنقصها النّضارة...وإلى جانب جمالها تمتّعت بروح مرح وجاذبية، هذه الجاذبية هي التي صرعت أوخيد في أوّل لقاء»[4]، إضافة إلى الجاذبية التي أسرت أوخيد في أوّل لقاء له مع آيور، وقع في حبّها بعدما « التقى بها مرارًا، في ليالي السهر وفي المراعي، أسمعته الأغاني

(1) الرواية، ص69.

(2) الرواية، ص16.

(3) الرواية، ص69.

(4) الرواية، ص67.

الرّبّانية في الخلاء...فأحرقته أغاني الفتاة بالشّوق والحنين والشّجن حتى بكى في قلبه»[1]، فالجاذبية والحب هما العنصران الممثّلان لعامل المرسل حفّزا أوخيد وأقنعاه بالسّعي لتحقيق الموضوع أي الزّواج من آيور فكانت غائية التّحيين ايجابية ونجحت الذات رغم غياب عامل المساند وحضور عامل المعارض الذي يمثله والد أوخيد، حيث كان ردُّه بعدما اسْتَشَارَهُ ابنه: « لا بارك الله لك فيها»[2]، أي أنّها معارضة قويّة لا يمكن تخطّيها لأنّ « كل فتى في الصحراء يعرف أنّ السّماء تشرع أبوابها كل صباح لاستقبال مثل هذا الدعاء»[3]، لكن أوخيد لم يَردَعُه الرَّدّ القاسي واستمع لما تُمليه عليه نداءات الغريزة وعواطف القلب ومضى في سعيه للزّواج من آيور متجاهلاً أمر والده الذي « قرَّرَ أن يزوِّجَه ابنة عمَّتِه»[4]، فكانت « النّتيجة أن تبرّأ منه ثم حرمه من الميراث، فانفصل عن القبيلة»[5]، ورغم كل هذا لم يتردّد أوخيد كذات في العمل على تحقيق رغبته وتزوّج آيور « وأنجب منها مولوده البكر»[6]، فكان المستفيد الوحيد من تحقّق اتصال الذات بالموضوع وبالتّالي فهو الممثّل لعامل المرسل إليه.

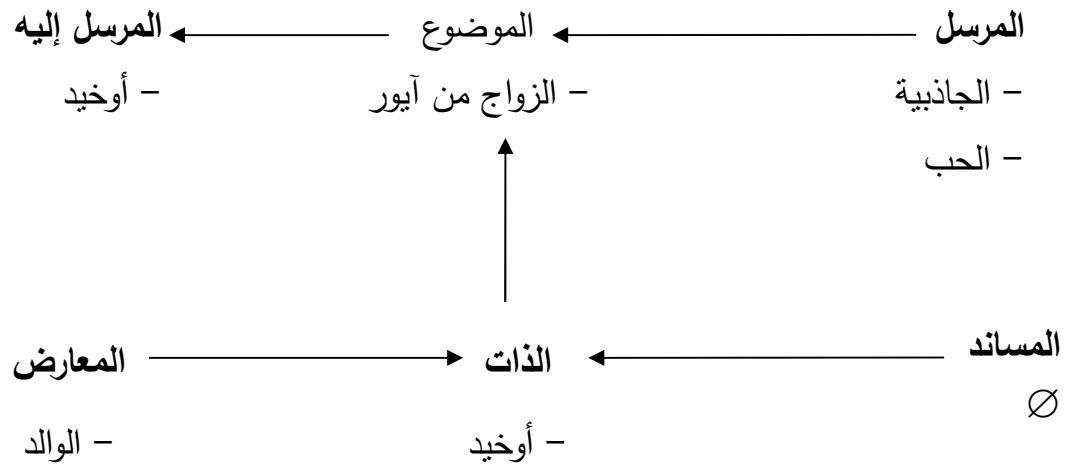

(1) الرواية، ص68.

(2) الرواية، ص69.

(3) الرواية، ص71.

(4) الرواية، الصفحة نفسها.

(5) الرواية، ص72.

(6) الرواية، الصفحة نفسها.

ومثلما هو الحال مع الخطاطات والترسيمات العاملية السابقة نحلل هذه الترسيمة المبنية على ثلاث ثنائيات.

ثنائية المرسل /المرسل إليه:

تحكم هذه الثنائية «علاقة التواصل أو الإبلاغ والتي لا تتحقق إلا بمرورها عبر العلاقة القائمة بين الذات والموضوع»[1]، فالجاذبية والحب هما العنصران الممثلان لعامل المرسل حفزًا الذّات المتمثّل في أوخيد وأقناعه على وجوب اتصاله بالموضوع، ليستفيد بعدها عامل المرسل إليه الذي يمتلكه أيضا أوخيد، فالمرسل ذو قيمة وجودية تدفعها الغريزة التي تسيطر على الإنسان في بعض المواقف، فالجاذبية والحبّ كلاهما له علاقة مباشرة بالأنثى التي تثيرهما في كيان الذكر، ولهذا كانت قوّة الذات أقوى من قوّة المعارض، حيث دائما ما تكون الغريزة أنجح في دفع الجسم إلى الكفاح من أجل ما يريد، وحتى في مسألة الحياة والموت فدائمًا ما تكون هذه الغريزة المنقذ الذي يعود بالإنسان إلى الحياة، فعامل المرسل غير مفرد وغير مشخص، أما عامل المرسل إليه فهو مفرد ومشخص.

ثنائية الذات/ الموضوع:

تنبني بين طرفي هذه الثنائية علاقة الرّغبة التي تتولد عن تحفيز عامل المرسل للذات التي تقتنع بلزوم العمل لتحقيق اتصالها بالموضوع، حيث يمثل عامل الذات شخصية أوخيد الذي يحفزه ويدفعه حبه وانجذابه تجاه آيور للعمل على الزواج منها، فالموضوع هو الزواج من آيور بالنسبة للذات، حيث يحمل الموضوع أبعادا وقيما إنسانية وجودية كبيرة، لأن الزواج هو الترجمة الوحيدة التي من خلالها تظهر نتيجة الانجذاب بين الأنثى والذكر وكل السّلوكيات التي تقرب بينهما كالاهتمام والرعاية والحب والقرب والوصال وغيرها، كما أنّ عملية الزّواج تتخطّى بعدها الطبيعي كعملية بيولوجية بين رجل وامرأة الهدف منها استمرار العنصر البشري بفعل ما تمنحه كل التشريعات السّماوية من قيمة وقداسة لهذه الظاهرة، وبالتّالي فعامل الموضوع مفرد غير مشخص أما عامل الذات فهو مفرد مشخص.

(1) ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص32.

ثنائية المساند/المعارض:

تقوم هذه الثنائية على علاقة الصراع بين طرفيها، إلّا أنّ علاقة الصراع تغيب في الترسيمة العاملية السابقة بفعل غياب أحد الطرفين ألا وهو عامل المساند، إذ تركت الذات وحدها في سعيها لتحقيق رغبتها وأيضا في مواجهة عامل المعارض المتمثل في شخصية الوالد فهذا الأخير رقم صعب في معادلة الحياة بالنسبة للأبناء، لأن الوالد له سلطته الدّنيويّة والدّينيّة التي كفلها له الدين الإسلامي، فقد واجه أوخيد كذات معارضًا قويًّا حاول منعه وإبعاده عن تحقيق رغبته، فرضا الوالدين في الدين الإسلامي يأتي بعد رضا الله سبحانه وتعالى، ولذلك كانت طاعتهما مباشرة بعد طاعة الله، لكن أوخيد ضرب كل هذه التعاليم التي كان يعلمها من الشيخ موسى الإمام الحكيم واستمع إلى نداء قلبه وغريزته، وفشل عامل المعارض من منع الذات رغم غياب عامل المساند الذي يعتبر دوره معيقا لدور المعارض، وبالتّالي فعامل المعارض مفرد مشخص.

الترسيمة العاملية الثالثة: (أوخيد يريد الإحتفاظ بالأبلق).

يسعى أوخيد في هذه المقطوعة السردية التي يدور خطابها السردي حوله إلى تحقيق الفرضية المتمثلة في الاحتفاظ بالأبلق وسعيه هذا متولد عن رغبة فيه تدفعه إلى الهدف وتعتبر هذه الرغبة كنتيجة للتحفيز الذي تلقاه من عامل المرسل والقناعة التي أودعها فيه بضرورة الاتصال بالموضوع، وبالتالي تعمل الذات على تحقيق الفرضية بالاعتماد على كفائتها المتمثلة في الصبر، حيث يقول أوخيد مخاطبا الأبلق الذي رفض الافتراق عنه بسبب رهنه قائلا: «اصبر، لقد اتفقنا أنّ السّر في الصّبر، جربنا ذلك في الماضي»[1]، أي بفضل الصّبر سوف يتخطيان هذه المرحلة مرحلة الافتراق ويجتمعان بعد ذلك، هذه الكفاءة هي التي استعان بها أوخيد للتحيين لرغبته وامتثل لبنود الرّهن، حيث عمل على إعادة الأبلق الهارب إلى دودو الذي رهنه له مرات ثلاث بواسطة الراعي، وفي المرة الأخيرة عمل على الالتقاء بدودو بعدما عمل بالشّرط الذي شرطه عليه مقابل استرداده لأبلقه وهو كما جاء في لسان الراعي: « يعيد لك

(1) الرواية، ص91.

الأبلق بشرط أن تطلّق قريبته»[1]، وبعد لقائه به وتسليم أوخيد لوثيقة الطلاق قال له دودو: «كنت أعرف أنّك ستفعل ذلك، حسنا فعلت، كسرت القيد وفزت بالصديق»[2]، وبالتالي نجحت الذات في تحقيق رغبتها بالاعتماد على كفاءتها وتحيينها، وعليه ستكون الخطاطة على الشكل التالي:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
الاحتفاظ بالأبلق		الامتثال لبنود وشروط الرهن		ايجابية

نفهم من إيجابية الغائية في الخطاطة السابقة أنّ الذات استطاعت تحقيق رغبتها، وبالتالي فإن حالة التوازن والاستقرار التي كان يعيشها أوخيد كذات استطاع الحفاظ عليها ولم يفقد الأبلق الذي يُكِنُّ له حبّا كبيرا، فكان هذا الحب بمثابة عامل المرسل الذي دفع بالذات إلى فعل المستحيل حتى تستمر حالة التوازن، يظهر قدر الحبّ الذي يجمع أوخيد بالأبلق في قوله: «البلاءُ صنع منّا مخلوقًا في اثنين ...ليس من حقّي أن أبتعد عنه»[3]، يعد هذا القول ملخصا ودليلا لعامل المرسل وعامل الموضوع، حيث يعبر عن الحب الذي يجمع الطرفين وفي نفس الوقت يعبر عن الرغبة والتصميم في قلب أوخيد الذي يمثل عامل الذات على عدم القبول بالافتراق والابتعاد، ومنه فإن المستفيد من هذا هو أوخيد بالدرجة الأولى حيث يمثل عامل المرسل إليه، ولهذا نجد دودو يخاطبه بعد التزامه بالشرط قائلا: « فُزْتَ بالصديق»[4]، رغم وجود عامل المعارض الذي يمثل من قبل دودو وآيور، حيث سعى الأول إلى استعمال علاقة أوخيد بأبلقه كنقطة ضعف في خصمه كي يصل إلى هدفه المتمثل في الزواج من آيور بعد أن يطلّقها أوخيد بأمره، أي أنّ شخصية دودو كعامل معارض تقاطعت سُبُل السعي نحو الهدف مع الذات الرئيسة أوخيد، وبالتّالي لم تكن معارضة دودو برهنه للأبلق وإبعاده عن صديقه الهدف

(1) الرواية، ص104.

(2) الرواية، ص123.

(3) الرواية، ص103.

(4) الرواية، ص123.

في ذاته، بل كان وسيلة للوصول إلى الهدف حيث أرسل إليه مع الراعي قائلا: « يعيد لك الأبلق بشرط أن تطلق قريبته»[1]، وهو ما تحقق فعلا، أما شخصية آيور زوجته فكانت تمثل عامل المعارض بقولها وهي تعاني الجوع مع ولدها الصغير: « لن نموت ومهري مثله يسرح أمام البيت»[2]، وهي تقصد أن يبيعه ويكسب مالًا كثيرا من وراء ذلك ويطرد الجوع عن زوجته وابنهما إضافة إلى هذا فقد أصبحت آيور تغار من الأبلق، حيث أنّ « غيرتها من الأبلق ليست وليدة اليوم، فهذا الفرس البهيّ الذي استكمل به فروسيته قبل الزواج فساهم في تعلقها به أصبح بعد الزواج ضرة وغريما، بل عدوًّا، لم يجرؤ على إعلان مشاعر ما نحو الحيوان»[3]، ولهذا كانت دائما تسعى إلى التفريق بينهما وإبعاد الأبلق عن زوجها، ولكن فشلت إلى درجة أنْ تَخلَّى زوجها عنها هي واحتفظ بالأبلق.

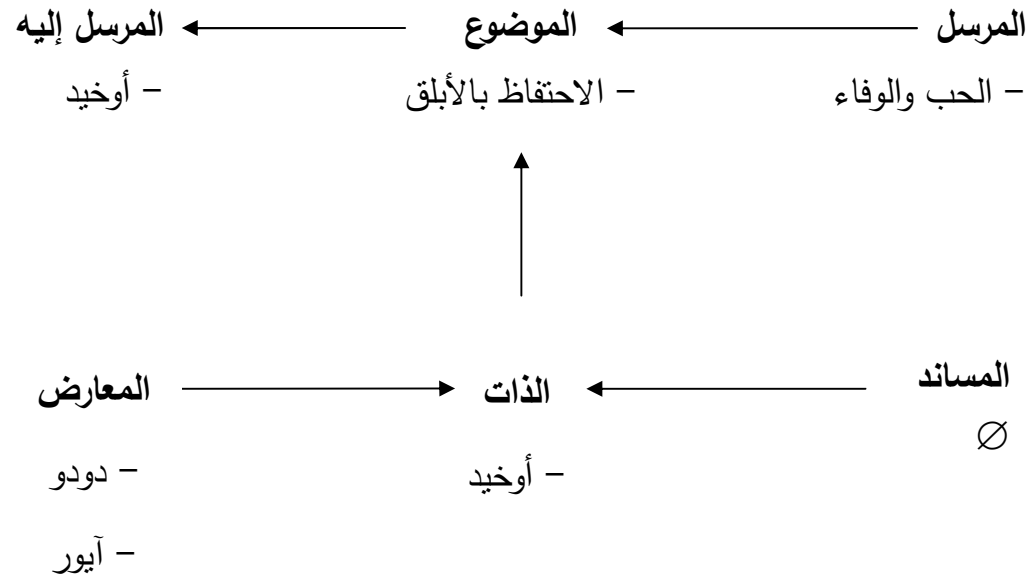

نحلّل هذه الترسيمة العاملية من خلال ثلاث ثنائيات هي كالآتي:

ثنائية المرسل /المرسل إليه:

يمثّل عامل المرسل عنصر الحب والوفاء الذي حفّز عامل الذات إلى إنشاء علاقة اتصال بالموضوع، كي يكون المستفيد عامل المرسل إليه من هذه العلاقة، وبالتالي فإن علاقة

(1) الرواية، ص104.

(2) الرواية، ص85.

(3) الرواية، ص118.

التواصل التي تجمع بين عاملي المرسل والمرسل إليه لن تتحقق إلا من خلال مرورها وتحققها من سعي الذات تجاه الموضوع، فعامل المرسل هو ذو قيمة وجدانية عاطفية مولودة مع العديد من المخلوقات، وهي الرابط الذي وُجِدَ بالفطرة، أي أنّ له من قوّة التأثير الكبيرة على المخلوقات وخاصّة الإنسان ومنه فإن عامل المرسل مفرد مشخص، أما عامل المرسل إليه فهو مشخص مفرد.

ثنائية الذات/الموضوع:

تنتظم هذه الثنائية وفق علاقة الرغبة، فالذات التي تمثلها شخصية أوخيد تشدها رغبة ناتجة عن تحفيز من عامل المرسل إليه تجاه عامل الموضوع المتمثل في الاحتفاظ بالأبلق، أي أنّ الذات تحرص على الاحتفاظ بحالة التوازن الأولية وعدم استبدالها بحالة اللاتوازن، فعامل الموضوع غير المشخص المفرد له بُعد وجداني وأخلاقي يتمثل في الوفاء والالتزام تجاه الصديق والعمل على ديمومة القرب منه، أما عامل الذات فهو مشخص مفرد.

ثنائية المساند/المعارض:

تحكم علاقة الصراع هذه الثنائية، إذ إن عامل المساند يدفع بمساعدته للذات عكس عامل المعارض المعرقل لها، إلّا أنّ حالة الصراع تغيب في هذه الترسيمة العاملية بسبب غياب أحد طرفيه وهو المساند، حيث تبقى الذات وحيدة في سعيها لتحقيق رغبتها وفي مواجهة عامل المعارض الذي تمثله شخصيتان هما: دودو وآيور، حيث تعتبر هذه الأخيرة زوجة لأوخيد وابنة عم دودو وعشيقته في عمر الطفولة والمراهقة، وكلاهما كان يسعى لإبعاد الأبلق عن أوخيد ولكن فشلا، فشل دودو لم يكن عجزاً وإنّما عن تنازل منه لأنّه حقّق ما كان يسعى من أجله وهو طلاق عشيقة الطفولة آيور من زوجها كي يستردها، أما آيور فهو فشل مباشر منها عوض أن تفرّق بين زوجها وأبلقه وجدت نفسها مطلّقة منه بسببه – الأبلق– ومن ثَمَّ فإن عامل المعارض غير مفرد مشخص.

تترابط هذه المقطوعة السردية الثالثة ترابطا كبيرا مع المقطوعة التي تَعقُبهَا، حيث تعتبر في جزء منها مكمّلة لها أو هي كلها، حيث تعدّ الترسيمة العاملة الرابعة التي نحن بصدد

التعرض لها بالتحليل انزياحا للترسيمة العاملية الثالثة، لأنّها تقوم على شخصية دودو المعارضة في هذه الأخيرة كذات رئيسية لها تسعى لتحقيق رغبتها.

الترسيمة العاملية الرابعة: (دودو يريد الزواج من آيور)

يتجسد عامل الذات الرئيسة لهذه الترسيمة العاملية في شخصية دودو الذي يسعى للانتقال من حالة الانفصال عن الموضوع وهي الحالة الأولية إلى الحالة الثانية وهي حالة الاتصال بالموضوع، حيث جاء على لسان الراعي متحدثا عن رغبة سيده دودو فقال: « يريد أن يتزوجها على سنة الله ورسوله» [1]، وكان يحفزه ويدفعه إلى هذه الرغبة عامل المرسل المتمثل في حبّ الطفولة الذي يحتفظ به في صدره وعامل القرابة الموجود بينهما وهذا ما عبّر عنه الراعي وهو يحاور أوخيد فقال « ابنة عمّه، نعم عشقها منذ أن كانا طفلين، اختلف الأبوان فافترقا، ومن الطّبيعي أن يرفض أبوها زواجها منه»[2]، فحبّ الطفولة يعتبر العامل المحفز الرئيس الذي دفع بالذات دودو إلى السعي من أجل تحقيق اتصاله بالموضوع، كما تعتبر القوة المادية والسلطة والجاه الذي يحوزه بمثابة عنصر الكفاءة الذي يعينه على التحيين لتحقيق رغبته المتمثلة في الزواج من آيور، حيث جاء في كلام الرّاعي وصف له: « جنّد العسس بماله وجاء له الذّهب بالخدم والحشم والعبيد والرّعاة»[3]، إضافة إلى هذا فقد استطاع الفوز بالأبلق لصالحه، هذا الأخير الذي تربطه علاقة متينة بمالكه الأصلي أوخيد، وقد اشترط دودو على أوخيد شرطًا مقابل أن يعيد له أبلقه، فأرسل مع الراعي الذي يعمل لصالحه فقال: « يعيد لك الأبلق شرط أن تطلق قريبته»[4]، وللتوضيح أكثر نمثل ما سبق في الخطاطة التالية:

(1) الرواية، ص105.

(2) الرواية، ص107.

(3) الرواية، ص104.

(4) الرواية، الصفحة نفسها.

الفرضية	التحيين	الغائية
الزواج بآيور	تطليق أوخيد لآيور	سلبية

تشير المرحلة الثالثة من الخطاطة التي تعتبر المرحلة التي تظهر فيها نتيجة سعي الذات تشير إلى سلبية الغائية، أي أنّ الذات دودو لم ينجح في تحقيق رغبته وزواجه من آيور رغم وجود عامل المساند الذي أعانه، ويتمثل هذا المساعد في شخصية الراعي الذي عمل كوسيط بينه وبين أوخيد، حيث يقول السارد عن شرط دودو: « لكنه بعث به مع رسوله، نفس الراعي المرح»[1]، كما أنّ هذا الأخير سعى جاهدا لإقناع أوخيد بالعمل بشرط دودو فقال له: « هو أقوى منك بماله ورجاله»[2]، لكن رغم قوّة الذات وما تملكه من كفاءة ومؤهّلات إلّا أنّها لم تفلح في تحقيق هدفها رغم نجاحها في التّحيين لرغبتها، إذ إنّ طلاق آيور من أوخيذ يعتبر نجاحاً من قبل دودو الذي سعى لتحقيق الأمر كنتيجة مرحلية تسهم في وصوله إلى هدفه، حيث سعى عامل المعارض المتمثل في أوخيد الزوج الأول والشرعي لآيور على إعاقة الذات إذ يقول أوخيد: « لعنة الله عليه وعلى ذهبه، وهل يظنّ أنّه يستطيع أن يشتريني أنا ويشتري زوجتي بذهبه»[3]، يظهر من كلام أوخيد رفضه لما يريده دودو، ثم يقوم عامل المعارض المتمثل في شخصية أوخيد بالفعل الأخير ويلجأ إلى القوّة كي يمنع الذات من وصول إلى هدفها إذ يقول: «سأقتله...إذا غاب الحياء فالقوّة هي قانون الصحراء»[4]، وفعلا نجح عامل المعارض في إعاقة الذات، فقتل أوخيد دودو ونتح عن هذا غائية سلبية، أي لم يستفد عامل المرسل إليه الذي تمثله شخصية دودو، لأن هذا الأخير لو نجحت الذات في تحقيق رغبتها لكان هو المستفيد الوحيد من الأمر، لأنه مثل عامل الذات ثم عامل المرسل إليه، والآن يمكننا تمثيل ما سبق في الترسمية العاملية الآتية.

(1) الرواية، ص103.

(2) الرواية، ص106.

(3) الرواية، الصفحة نفسها.

(4) الرواية، الصفحة نفسها.

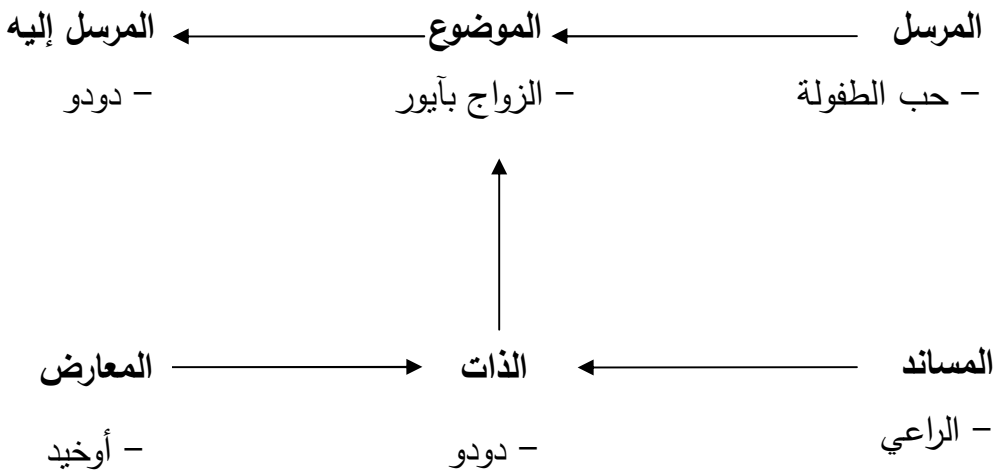

تتشكل هذه الترسيمة العاملية من ثلاث ثنائيات نبينها كالآتي:

ثنائية المرسل /المرسل إليه:

تجمع بين طرفي هذه الثنائية «علاقة التواصل التي تتميز بالطابع التوجيهي، ولا تتحقق هذه العلاقة بين المرسل والمرسل إليه إلا بمرورها من خلال العلاقة التي تنتظم بين عاملي الذات والموضوع»[1]، فعامل المرسل الذي يتمثل في الحب الذي يكنّه دودو في صدره تجاه آيور عشيقة زمن الطفولة التي فرّقته ظروف الحياة عنها، هذا العامل ذو الطبيعة المعنوية الوجدانية حفّز الذات دودو بالسّعي لتحقيق رغبته المتمثلة في وصال آيور عشيقة الطفولة وذلك بالزواج منها، وهذا الأخير يعتبر الموضوع الذي سيستفيد منه عامل المرسل إليه وتتحقق علاقة التواصل بينه وبين المرسل، إذ يمثل عامل المرسل إليه شخصية دودو، وبالتالي فهذا الأخير عامل مشخص مفرد، أما عامل المرسل فهو مفرد مشخص ذو طابع وجداني.

ثنائية الذات /الموضوع:

أما ثنائية الذات والموضوع فتقوم بينهما « علاقة الرّغبة أي أنّها علاقة بين راغب ومرغوب فيه، وهي ذات أهمية كبيرة حيث تقوم عليها الترسيمة العاملية وتتوالى الأدوار الأخرى حولها»[2]، وهو ما تجسد في علاقة دودو بالموضوع، حيث كان الرّاغب دودو الذات والمرغوب

(1)ينظر رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص32.

(2) ينظر رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السميائية، ص15.

فيه الزواج بآيور الموضوع، فرغبة الذات نتيجة لتحفيز المرسل لها، دودو الثّري ذو الجاه الذي مازال يرغب في وصال حبيبة الطفولة، أمّا الموضوع فهو ذو قيمة دينية وبيولوجية ووجدانية بالنسبة للإنسان سواء كان ذكرًا أو أنثى، فهو ذو قيمة دينية بسبب تقديس كل الديانات لهذا الرّابط بين الذّكر والأنثى، أمّا عن قيمته البيولوجية فهو العامل الوحيد الذي يمكن من خلاله استمرار النّسل البشري وكذلك إطفاء الرغبة الجامحة بين الذكر والأنثى تجاه بعضهما، أما عن قيمته الوجدانية فهو كثيرًا ما يكون ترجمة لعواطف جيّاشة بين شاب وفتاة تُتَرجَم في حبّ وعشق وهُيَام وتستمر هذه العواطف وتكبر بعد زواجهما، كل هذه الأبعاد كان للذات أن تفوز بها لو استطاعت تحقيق اتصالها بالموضوع الذي تمظهر كعامل مفرد غير مشخص، أما الذات فهو مفرد مشخص.

ثنائية المساند/المعارض:

تحكم هذه الثنائية «علاقة الصراع، حيث يسعى كل طرف إلى تأثيره على الذات فالمساند بمساعدته للذات يهدف إلى نجاحها، أما عامل المعارض يعمل على عرقلة الذات وإعاقتها كَيْ لا تنجح في تحقيق هدفها»[1]، إذ يمثل عامل المساند شخصية الراعي الذي يعمل لصالح دودو الذات الرئيسة، حيث يسعى الراعي كوسيط بين دودو وأوخيد إلى إنجاح البرنامج السردي للذات وذلك بالعمل على إقناع أوخيد بقبول عرض دودو والدعاية لقوة وجاه دودو أمام منافسه ومعارضه أوخيد، الذي تتمثل معارضته في عدم السماح لدودو بالزواج من آيور رغم تطليقه لها تحت وطأة القوة والتهديد من دودو، حيث استطاع عامل المعارض الذي يمثله أوخيد النجاح في إعاقة الذات ومنع دودو من الزواج بآيور، وبالتالي فإن هذا الأخير يتمظهر كعامل مفرد مشخص والآمر نفسه بالنسبة لعامل المساند.

الترسيمة العاملية الخامسة: (أوخيد يريد قتل دودو)

تمثل هذه الترسيمة العاملية امتدادا للترسيمة السابقة، فهي تمثل البرنامج السردي الضديد لعامل المعارض بغرض إفشال الذات (دودو)، ومن ثم فإن أوخيد هو الذات الرئيسة لهذه الترسيمة، بحكم أنّه الممثل الوحيد لعامل المعارض في الترسيمة العاملية السابقة، أمّا الموضوع

(1) راضية لرقم، الخطاب السردي في الشعر العربي القديم، ص33.

الذي يرغب في تحقيقه فهو ما جاء على لسانه صراحة «سأقتله...إذا غاب الحياء فالقوّة هي قانون الصحراء»[1]، أي أنّ رغبة أوخيد هي قتل دودو، إذ دفعه إلى الاقتناع بوجوب قيامه بهذا الفعل عامل المرسل كمحفز ومُقنع، والذي يمثله العار الذي أصاب سمعته بسبب انتشار إشاعة عنه رواها له أحد الرُّعَاة المهاجرين التقى به وسط الصحراء فقال: « القصّة على كل لسان، تنازل لأحد الغرباء عن زوجته وولده مقابل حفنة من التِّبرِ»[2]، هذه الإشاعة المحرَّفة عن اتِّفاق جرى بين أوخيد ودودو التزم فيه أوخيد بشروط الرهن مقابل استرداده الأبلق، وكانت حفْنتَي الذهب هدية من دودو كمقابل لشهامته والتزامه، هذه الإشاعة جعلت أوخيد يشعر بالعار «ثلاث ليال متتالية...لم يكن ينام، الجمرة في قلبه لم تترك المجال للنوم»[3]، أي إنّه وصل به الإحساس بالعار والإهانة إلى حدّ لا يحتمل معه أيّ شيء ما عدى التفكير بالأمر والإنصات لألم الروح داخله، حيث « نسي الماء، نسي الأبلق، حتى الأبلق، نسي الشّاي، قضى معظم الوقت يهيم في السهول، يصعد الجبل وينزل حتى يهده التعب فيستلقي في مكانه ...من المسؤول عن هذا التّعريف؟ من قلَبَ الآية؟ هل دودو؟ أم خدمه الأوْبَاش؟ هل آيور تريد أنْ تردّ الإهانة لأنّه استبدلها مقابل جمل...أم أنّ هؤلاء كلهم مشتركون في صياغة الكذبة؟»[4]، كل هذه الأفكار التي تتسبب في إحساسه بالعار تجاه ما فعله كما يعتقد الناس كانت بمثابة شحنات زائدة دفعت به إلى الاقتناع بوجوب الاتصال بالموضوع المتمثل في قتل دودو، ويُعدّ الأبلق بمثابة الكفاءة التي يحوزها أوخيد مع البندقية للتّحيين لرغبته، وهو ما حصل حيث « لم يَعِ كيف قَطَعَ الطريق ولا يعرف كيف وصل إلى الواحة ولا يذكر كم ليلة استغرقتها الرّحلة، ولا يدري عمّا إذا بات في الطريق أم واصل سفره ليل نهار بدون توقّف»[5]، أي إنّه وصل الواحة ووَجَدَ دودو في عين الكَرمَة، والآن يمكن توضيح ما سبق في الخطاطة الآتية:

(1) الرواية، ص106.

(2)الرواية، ص 130.

(3)الرواية، ص133.

(4)الرواية، ص135.

(5)الرواية، ص139.

الفرضية	التحيين	الغائية
قتل دودو	السفر إلى القبيلة وإيجاده	ايجابية

نلاحظ أن الغائية إيجابية، أي أنّ الذات أوخيد نجح في تحقيق رغبته المتمثلة في قتل دودو، حيث وجده يغتسل في عين الكرمة منبع الماء المحاذي للواحة إذ وقف أوخيد فوق «رأس غريمه...توقّف دودو عن العبث بالماء ورفع نحوه نظرة بلهاء...ضغط على الزناد...لكن الرصاصة لم تصبه، انتفض وفاضت عيناه بالتوسّل فتح شفتيه أراد أن يقول شيئاً ولكنه لم ينطق، لأنّ الطلقة الثانية اخترقت نحره، نحره بالضبط، أصابته في البلعوم فذبحته، غاب تحت الماء مفتوح العينين والشّفتين»[1]، وبهذا فقد تحقّق للذات أوخيذ ما كان يرغب فيه كانتقام لشفاء غليل الإحساس بالعار، لكنّ الذات لم تحقّق اتصالها بالموضوع وتحويل الحالة الأولية حالة الانفصال إلى حالة ثانية حالة اتصال بالاعتماد على قدراتها فقط بل تلقت مساعدة أعانتها في سعيها لتحقيق الموضوع تتمثل في إرشاد الفلاح له على مكان تواجد دودو، إذ يقول السارد: « في المدخل قابل فلّاحًا، سأله أين يمكن أن يجد دودو، تلَعثَم الفلاح وارتبك ...قبل أن ينطق مشيرا بأصبعه ناحية الشّرق: ستجده هناك في عين الكرمة»[2]، فلولا إرشاد الفلاح له إلى مكان تواجد دودو لما استطاع تحقيق رغبته بسبب قوّة دودو الذي يملك العسس والحرس، فكان سيقع في مجال مراقبتهم أثناء بحثه عن غريمه وبالتّالي سيفشل في الوصول لرغبته، والتي تميزت بسهولة التحقّق أسهم في سهولتها عامل المساند وقوّة رغبة الذات التي لم تتردد في فعلها رغم بشاعته، وأيضا غياب عامل المعارض زاد من سهولة المهمة أمام الذات، حيث لم يعترض طريقها أيّة عراقيل أو حواجز ناتجة عن ذات معارضة لها، وبهذا يكون عامل المرسل إليه الذي يمثله أوخيد هو المستفيد من تحقق اتصال الذات بالموضوع، وهو ما يفسره قول السارد: « طار إلى الصّحراء، عاد إلى جبل الحسناوة واعتصم بالكهوف»[3]، نفهم من هذا شفاء غليل أوخيد

(1)الرواية، ص141.

(2)الرواية، ص139.

(3)الرواية، ص143.

وراحة باله، حيث لم يفكر بعد قتله خصمه سوى في خلوة بمعية أبلقه وسط الصحراء، ويترك خبر وفاة الرّجل الثّري تمحو آثار الشّائعة وتُنْسى النّاس فيها ويجلس هو مرتاح نفسيا، والآن يمكننا « سميأة الجملة النواة بالاعتماد على الترسيمة العاملية»[1] الآتية:

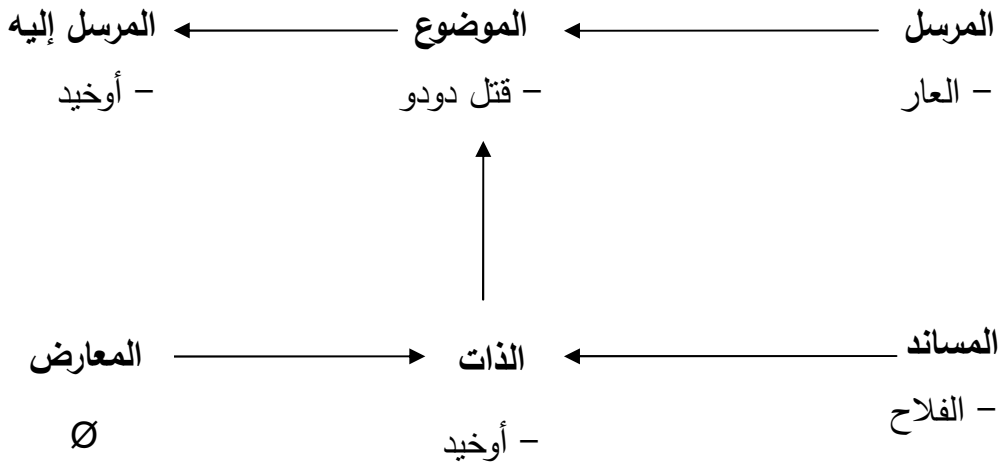

سنعمل على تحليل هذه الترسيمة العالمية بناء على الثنائيات الثلاث التي تتبني عليها.

ثنائية المرسل/المرسل إليه:

يمثل عامل المرسل في هذه الثنائية عنصر "العار" الذي يتميز معنوية الوجود، حيث يؤثر على النفس البشرية ويجعلها تحس بالذنب والألم والذل وعدم الراحة، وهو ما حدث مع الذات التي كان العامل عامل المرسل والمحفز لها حتى اقتنعت بوجوب اتصالها بالموضوع والعمل على تحقيقه، وفعلا حدث أن نجحت الذات في سعيها، ليكون عامل المرسل إليه ممثلا بشخصية أوخيد المستفيد الأوحد من موت دودو لأنه أيضا هو الممثل لعامل الذات التي تسعى للتخلص من العار الذي نالها، ومنه فإن عامل المرسل إليه يتمظهر كعامل مفرد مشخص أما عامل المرسل فهو مفرد غير مشخص.

ثنائية الذات/الموضوع:

تعدّ شخصية أوخيد الممثل الوحيد لعامل الذات في هذه الثنائية حيث تسعى الذات إلى تحقيق رغبتها بالإنتقال من حالة اللاتوازن الأولى إلى حالة توازن، بعد أن اقتنعت بضرورة السّعي لتحقيق اتصالها بالموضوع نتيجة للحوافز النفسية التي أثارها عامل المرسل فيها، أمّا

(1)السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص32.

عامل الموضوع فيمثّله "قتل دودو"، وهو فعل ذو دلالة سلبية لدى المجتمع البشري، حيث تأنف كل نفس بشرية في حالتها النّفسية السليمة من فعل كهذا مهما دعت إليه الظروف، كما أنّ كل الشرائع السماوية تُحرّمُه إلاّ لوجود أسباب حدّدتها هذه الديانات، ورغم كل هذا إلاّ أنّ شيوع قتل النفس البشرية عبر التّاريخ كثيرًا ما كان وراءه عامل الانتقام، وهو ما حدث مع أوخيد كشخصية أصابها عارٌ في شرفها جرّاء إشاعة كاذبة انتشرت عنه بين الناس، ومنه فإنّ عامل الذّات مفرد مشخص، أمّا عامل الموضوع فهو يتمظهر كعامل مفرد غير مشخص.

ثنائية المساند/المعارض:

إن علاقة الصراع التي تحكم هذه الثنائية غائبة بفعل غياب أحد طرفي الصراع ألا وهو عامل المعارض، الأمر الذي نتج عنه نجاح الذات بفعل السهولة المتمثلة في غياب العوائق والحواجز التي كانت قد تكون بفعل عامل المعارض، أمّا عامل المساند الذي زاد الذّات قوة فهو متمثل في شخصية الفلّاح المنتمي إلى نفس الواحة والتي يَعرف كل نواحيها وتفاصيلها بحكم اشتغاله فيها كميدان عمل له، ولذلك استطاع إرشاد الذات أوخيد إلى المكان الدقيق الذي يتواجد فيه دودو دون تردّد أو شكّ، فكان لمساعدته التأثير المباشر والفعال بإيجابية كبيرة في سعي الذات نحو رغبتها إذن فعامل المساند يتمظهر كعامل مفرد مشخص.

الترسيمة العاملية السادسة: (أقارب دودو يريدون قتل أوخيد)

يلعب أقارب دودو عامل الذات في هذه الترسيمة العاملية طرف الذات التي تسعى إلى الموضوع المتمثل في قتل أوخيد، حيث يذكر السارد ذلك فيقول: « إذ جاء من آير أقارب القتيل، وانتشروا في الصّحراء طلَبًا لرأسه»[1]، وكان يدفعهم إلى ذلك عامل المرسل الذي حفّزهم إلى الاقتناع بوجوب السّعي لتحقيق الاتصال بالموضوع والتخلّص من الحالة الأولية حالة الانفصال، حيث يتمثّل عامل المرسل في عنصر "اقتسام الثروة" وهو ما صرّح به السارد في قوله: « في الأصل جاؤوا لاقتسام الثروة...ولمّا كان دمُهُ حائلا بينهم وبين الثروة، لما كان عُرف الصحراء لا يبيح تقاسم الإرث قبل الانتقام للقتيل، فإنّهم جَدُّوا في البحث عنه، جَدُّوا

(1)الرواية، ص144.

وعجّلوا في الظّفر به لا حُبًا في دودو ولكن كي يُنهوا عملهم ويوزّعوا الثّروة بأسرع وقت»[1] وهنا يمكن أن يحدث انزياح في البنية العاملية، حيث ما هو ممثل لعامل المرسل لهذه الترسيمة العاملية يمكن أن يكون عامل الموضوع الذي يسعى إليه أقارب دودو والحافز الذي يدفعهم هو حب المال والذهب الذي يعتبر كعاملًا فطريًا في النفس البشرية الاجتماعية، ولكن في الترسيمة التي يمثل فيها قتل أوخيد الموضوع يبقى اقتسام الثروة العامل المحفز والمرسل لرغبة الذات التي تمتلك الكفاءة اللّازمة من أجل التحيين لرغبتها، فقدرة الإدّعاء بقرابتهم لدودو تمثّل عنصرا من عناصر الكفاءة، قال السّارد: « في الأصل هم ورثة ادَّعَوا القرابة كي يفوزوا بالثروة»[2]، أي أنهم ليسوا بأقرباء له بل ادّعوا أنهم كذلك كذبًا وخِداعًا، ومن عناصر الكفاءة أيضا الأموال التي يملكونها والإمكانات المادية المتمثلة في الإبل التي يستعملونها في تنقلهم وسط الصحراء أثناء البحث، حيث عمدوا في مسيرة بحثهم إلى مختلف الوسائل والحيل إذ يقول السارد: « استعملوا في ذلك حيلًا دخيلة لم تعرفها الصّحارى الشمالية، لجأوا إلى الرشوة، رَشَوا الرُّعاة والرُّحل الخُبراء بتفاصيل الصّحراء الشمالية»[3]، وبهذا استطاعوا التحيين لرغبتهم ووجدوا أوخيد في كهفه الذي يختبئ فيه حيث يذكر السارد: « أزاح حجر المدخل ...زحف خارجًا من الشقّ كالعظاءة ...لم يقطع مئة خطوة لمّا ارتطم بأحدهم يتقوّس خلف صخرة وينحني فوق نَعلَيه»[4]، وللتوضيح أكثر نمثل بهذه الخطاطة:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
قتل أوخيد		إيجاد أوخيد		إيجابية

يتبين لنا من الخطاطة أن الغائية ايجابية، بمعنى نجاح الذات في تحقيق رغبتها وحصولها على الهدف المتمثل في قتل أوخيد، ليكون عامل المرسل إليه المستفيد من نجاح الذات، حيث يمثل عامل المرسل إليه نفس ممثل عامل الذات ألا وهو أقارب دودو، ليكونوا

(1)الرواية، ص144.

(2)الرواية، الصفحة نفسها.

(3)الرواية، الصفحة نفسها.

(4)الرواية، ص152.

بذلك قد انتقموا لقريبهم وأخذوا بثأره من قاتله « قيدوا يديه ورجليه بالحبال، جاؤوا بجملين، شدّوا اليد اليمنى والرِّجْل اليُمنى إلى جمل، وشدُّوا اليد الأخرى والرِّجلَ اليسرى إلى الجمل الآخر...صاح الرجل البدين: السّوط! السّوط! أَحْرَقُوا أجسام الجمال بألسنة السياط...زحف الجسد الممزق الدّامي...اجتَثَّ الجمل الأيمن الجمل الأقوى فخِذَ أوخيد الأيمن وذراعه اليمنى...أقبل البدين وفي يده لمَعَ السيف....جاء آخر أمسك بالرأس الحاسر، طار السيف في الفضاء ونزل على الرقبة»[1]، كانت هذه الطريقة الشّنيعة التي قُتِل بها أوخيد من بَتْر للأطراف والرأس مأخوذة من أسْطُورةِ (تَانِسْ وأَطْلَانْتِسْ)، حيث تقول الأسطورة: « أنّ تانس أمرت العبيد أن يمزّقوا الضّرة بين جملين يقودهما سائسان مجنونان يسِيران في طريقين متعاكسين»[2]، وبهذه الطريقة الشنيعة حقّقت الذات – أقارب دودو – رغبتها التي سعت من أجلها رغم وِحْدتها التي لم يدعمها عامل المساند ما عدا بعض المعطيات التي أحسنوا استغلالها لتحقيق الهدف، فبِمُجرد أنْ وقع الأبلق بين أيديهم أثناء حصارهم لأوخيد شرعوا في تعذيبه، يصف السارد الأمر قائلاً: « إنّهم يكوُونه بالنار، يحرقونه، يحرقون قلبَه، لا تصطاد الصّقر إلا إذا عبثت بعُشّه، بفراخه، عرفوا عشَّه»[3]، فكان هذا العذاب للأبلق قد وفَّرَ عليهم جهدًا كبيرًا، لم يتَسلَّقُوا الجبل الذي كانوا يحاصرونه ولم يبحثوا، بل بمجرد سماعه نداءات الأبلق وهو يُكوْى جاءهم نازلًا، يقول السارد: « وقف أمَامهم»[4]، فالأبلق لا يمكن أن يرقى إلى ذات تمثل عامل المساند لأنّه لم تكن لديه إرادة مباشرة كذات لمساعدة أقارب دودو، بل كان مجرد عنصر من معطيات واقعية استغلتها الذات، أما عامل المعارض فهو غائب أيضا، لكن هناك حيوان الودّان الذي أنْقَذ حياة أوخيد في المرَّة الأولى عندما اصطدم بأحدهم صُدْفة ثم اختبأ بسرعة لكن لمَحَه ولم يتأكد، ليَظهَر بعد ذلك الوَدَّان في الموقف ويغير ظَنَّ أقارب دودو، يقول السّارد: « لا أثر لأقدام إنسان هنا، هنا كان ينام الودّان، هذه آثاره وهذا رَوثُه أيضا، أظنّ أنك لم تر إنسانًا شبح الودَّان هو الذي

(1)الرواية، ص159.

(2)الرواية، الصفحة نفسها.

(3)الرواية، ص157.

(4)الرواية، ص153.

رأيته»[1]، أي أنّ الودّان كحيوان لا يرقى لأن يكون ذاتًا معارضة للذات الرئيسة، لأنّه لم يقُم بهذا الفعل قصْدَ إعاقتهم وتضْلِيلِهم أثناء بحثهم عن أوخيد، والآن نمثّل ما سبق في الترسيمة العاملية.

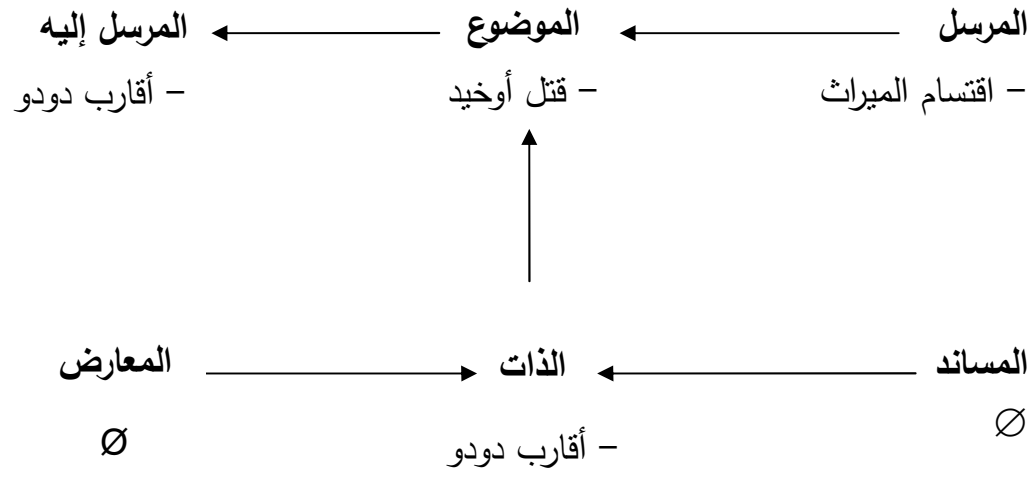

نلاحظ أن هذه الترسيمة العاملية تبرز وجود ثلاث ثنائيات، تنتظم وفقها البنية العاملية وتحدد دور كل عامل، ويمكن بسطها وتوضيح طريقة تمفصل العوامل وانتظامها فيها كما يلي:

ثنائية المرسل /المرسل إليه:

هذه الثنائية تقوم بين طرفيها علاقة التواصل التي تنطلق من عامل المرسل وتمرّ عبر عامل الذات ثم الموضوع إلى عامل المرسل إليه، حيث يمثل عنصر اقتسام الثروة عامل المرسل الذي يحفز الذات ويقنعها بضرورة السعي من أجل تحقيق اتصالها بالموضوع الذي يمثل هدفاً بالنسبة لها، فعامل المرسل ذو طبيعة معنوية وينتهي بتجسّد مادّي، حيث يعد اقتسام الثروة كفكرة تحفّز الرجال الذين ادّعوا القرابة من دودو الغني، هذه الفكرة متولّدة عن حب الرجال للمال وطمعهم في الذهب الذي تركه دودو وراءه ومات، ثم تنتهي الفكرة بتجسيد على الواقع بعد تحقق الهدف للذات الرئيسة، ومنه فإن عامل المرسل مفرد غير مشخص، أما عامل المرسل إليه فهو متمثل في أقارب دودو المستفيد الوحيد من قتل أوخيد كي تُقتَسَم ثروته على

(1)راضية لرقم، الخطاب السردي في الشعر العربي القديم، ص116.

أقاربه المزعومين الذين انتقموا له من قاتله، وبالتّالي فإن عامل المرسل إليه يتمظهر كعامل مفرد بصيغة الجمع ومشخص.

ثنائية الذات/الموضوع:

أمّا هذه الثنائية فتحكمها علاقة الرّغبة، حيث ترغب الذات في الاتصال بالموضوع بعد تحفيز عامل الذات لها واقتناعها بضرورة القيام بالاتصال، إذ يمثل عامل الذات أقارب دودو الذين يسعون إلى الانتقال من حالة اللاتوازن وهي ضياع ثأر قريبهم من قاتله إلى حالة توازن وهي الثأر لقريبهم وقتل أوخيد، فهذا القتل يمثل الموضوع المرغوب فيه من طرف الذات، رغم أنّ الرجال ليسوا بأقارب دودو حقًّا، بل هم كذلك كذبا وزُورًا إلّا أنّهم نجحوا في قتل أوخيد لشدّة رغبتهم في المشاركة في اقتسام التّركة الثّقيلة الباقية عن دودو، وبحكم وحدتهم في تمثيل الذات ووحدتهم في الاستفادة من تحقق الموضوع فهم يمثلون عاملين اثنين هما: الذّات والمرسل إليه إذن فهذا الأخير يتمظهر كعامل مفرد بصيغة الجمع مشخص.

أما عامل الموضوع فهو ذو دلالة سلبية في الثقافة الإنسانية، فالنّفس البشرية بطبيعتها السّليمة تنفر من قتل النفس الأخرى، إلّا أنّها أحيانا في بعض الأوضاع والحالات النفسية كالرّغبة في الانتقام أو الدّفاع عن نفسها من القتل فإنّها ترى القتل من زاوية أخرى عكس الأولى، وأنذل حالة لقتل النفس البشرية هو القيام بالأمر من أجل المال، وهذا ما حدث مع الرجال الذين اِدّعوا القرابة لدودو رغبةً منهم في الوصول إلى ذهبه وأمواله، وبالتالي فإنّ عامل الموضوع في هذه الثّنائية يتمظهر كعامل مفرد غير مشخص.

المثلثات العاملية:

هناك بعض الشخصيات التي لم نوردها بالتحليل والدراسة أثناء دراستنا للبنية العاملية المكونة للرواية، وكان هذا لأسباب مختلفة تخص وتميز كل شخصية عن الشخصيات الأخرى فمنها الشخصيات المرجعية الأسطورية مثل: تانس، الآلهة تانيت، ومنها من وردت في لحظة مفاجئة ثم اختفت، ومنها من لعبت أدواراً منفذة، لكن هناك شخصيات أخرى كان لها تأثير على البنية العاملية للسّرد داخل الرواية ولم تشملها دراستنا للأدوار العاملية لشخصيات الرواية

نركز عليها في هذه المرحلة من البحث بالدراسة حتى يكون العمل أكثر شمولا وإلماما بشخصيات الرواية.

شيخ القبيلة:

تمثل شخصية شيخ القبيلة في المثلث العالمي الذي نحن بصدد العمل عليه عامل الذات الذي يسعى إلى الاتصال بالموضوع المتمثل "إكرام أوخيد"، ويحفز شيخ القبيلة كذات عامل المرسل الذي يتمثل في الاحترام والتقدير بسبب نُبْلِ أُوخَيد ونَسَبهُ العريق، حيث يقول الشيخ: «يسرنا أن نستقبل ابن الشيخ إمنغاستن في ديارنا، فله يرجع الفضل في صَدِّ الغزاة الأغراب ووقْفِ توغّلهم في الصحراء»[1]، ثم يضيف بعد ذلك لتهدئة الوضع أكثر في قلوب شباب القبيلة الغيورين الذين ألقوا القبض على أوخيد متسلّلا إلى حِسَانِ القبيلة: « ما هذا يا ربّي؟ كيف لم تقولوا أنّ ضيفنا النّبيل يملك مهريًّا بهذا الكمال»[2]، بل هذه السمات تُحتِّم على الشيخ أن يتلقاها مجتمعة مترجمة في الاحترام والتقدير كعامل مرسل نفسي داخلي، أمّا عنصر الكفاءة الذي اعتمدته الذات في التحيين لتحقيق رغبتها فهي السّلطة الاجتماعية التي يحوزها والاحترام لقرارته بحكم أنّه شيخ القبيلة، وأثناء جلسة الشّاي قال الشيخ للجمع وأوخيد معهم: « ليسمح ضَيفُنا النبيل أن نكرم مهريّه أيضًا...إذَا أفلت الفارس من حسان القبيلة، فيجب أن لا يُفْلِتَ المهري النّادر من نوق القبيلة، نُريد نسلا من السّلالة المنقرضة، المهاري البلقاء في إبلنا سَتحسُدنا عليها كل القبائل»[3]، وإذا تتبّعنا الدلالة السطحية ودقّقنا التّمحيص فيها نجد أن المعنى أعمق من معناه السطحي، ولذلك «ينتقل المثلّث العاملي من طابعه النّفساني ليغدو مثلثًا إيديولوجيا»[4]

(1) الرواية، ص15.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الرواية، ص16.

(4) السعيد بوطاجين، الإشتغال العاملي، ص129.

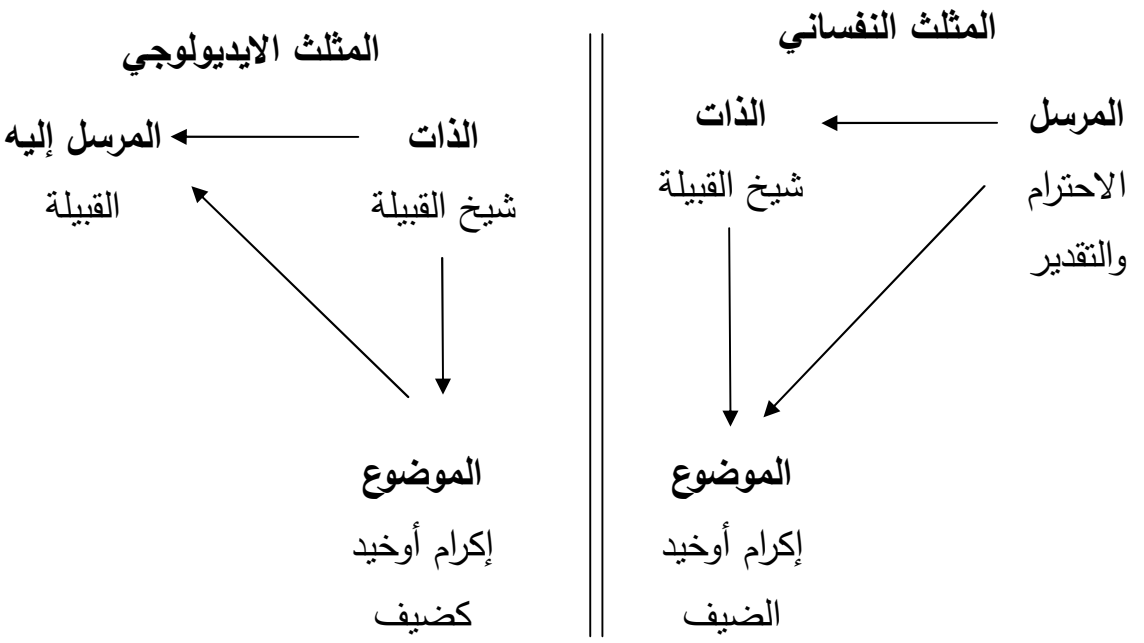

يتميز الحافز في المثلث العاملي الأوّل بصفة النفسية، فهو متولد عن نفسية الذات شيخ القبيلة حيث دفعه الاحترام إلى السّعي من أجل تحقيق الاتصال بالموضوع، ما ينتج عنه تلق شخصي ذاتي « ليس له بُعْدٌ آخر غير التّجلّي اللفظي»[1]، فإكرام أوخيد يؤكد شرف ونُبل شيخ القبيلة ويعبّر عن أحقيّته بالقيادة والسلطة لأفراد القبيلة، إلّا أنّ البرنامج السّردي للأحداث وسياقه يمنح البنية اللّفظية معنى أعمق وأبعد من المعنى السطحي للمثلّث النفسي، إذ يتغير عامل المرسل إليه من المتلقى الذاتي الصريح في المثلث النفساني إلى متلق آخر هو القبيلة التي استفادت من تلقيح نوقها بالأبلق ذي السلالة النادرة الجيدة.

آيور:

آيور الفتاة الحسناء التي جاءت من صحراء آير الجنوبية ليقع أوخيد في حبها ثم يتزوجها، ومنذ زواجهما وفي الشهور الأولى علمت بقدر المحبّة التي يكنّها أوخيد لأبلقه فأدركت مدى أهميته بالنسبة إليه ومدى التضحية التي هو مستعد لتقديمها في سبيل الاحتفاظ به.

تمثل آيور في هذا المثلث العاملي عامل الذات التي يحفّزها عامل المرسل المتمثل في "الغيرة" كي تقتنع بوجوب الاتصال بالموضوع المتمثل في التخلّص من الأبلق، حيث يقول السارد عن غيرة آيور: « غيرتها من الأبلق ليست وليدة اليوم، فهذا الفرس الذي استكمل به

(1) السعيد بوطاجين، الإشتغال العاملي، ص123.

فروسيته قبل الزواج، فساهم في تعلّقها به أصبح بعد الزواج ضرة وغريمًا، بل عدوّا»[1]، وبسبب هذه الغيرة التي تمثّل عامل المرسل عمدت الذات آيور إلى الموضوع المتمثّل في التّخلص من الأبلق وإبعاده عن زوجها كما جاء في قول السارد: « وما إن بدأت المجاعة حتى وجدت الفرصة في التخلص من المهري، ولمّحت أكثر من مرّة بذلك، ثم لم تستطع أن تصبر على نواياها فصرّحت بذلك علنًا»[2]، فطلبت منه بيعه وشراء الدقيق والتّمر بالمال كي يسد جوعه وجوع العائلة المكوّنة من زوجة وولد، وبهذا يكون المستفيد هو آيور كمتلق شخصي.

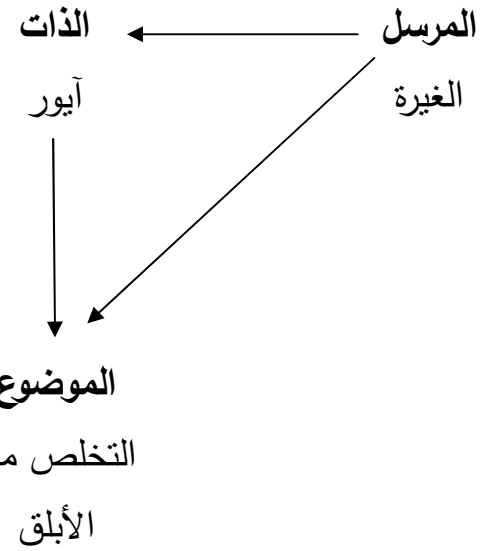

(1)الرواية، ص118.

(2)الرواية، الصفحة نفسها.

دوال الشخصيات:

سبق وأن درسنا في مرحلة تقدمت مدلول الشخصيات في رواية "التبر" لإبراهيم الكوني وبالتالي يجب التركيز بالدراسة على دوال هذه الشخصيات أيضًا، ويعرف فليب هامون دال الشخصية « بأنه عدّة إشارات مختلفة يمكن أن نطلق عليها "سيمة" وهذه الأخيرة تختلف عن بعضها البعض بسبب الخيارات الجمالية والأسلوبية التي يستعملها كل كاتب، كما أنّ أسماء وألقاب الشخصيات هي جزء من دال الشخصية»[1]، أي أن دال الشخصية يتكون من العديد من السمات، ولكن في غالب الأحيان ما يتجسد في الاسم الحقيقي أو اللقب الذي يمنحه السارد للشخصية أو شخصية من شخصيات الرواية على نظيرتها الأخرى.

لقد قدّم إبراهيم الكوني شخصيات روايته "التّبر" بأسماء وألقاب عربية تعود إلى الثقافة الصّحراوية، ممّا يساهم في إبهام القارئ وحمله على الإحساس بالبيئة العربية الصحراوية الليبية ومجتمعها التّارقي الذي جرت فيه أحداث الرواية.

"أوخيد" اسم الشخصية البطلة التي دار الخطاب السردي حولها من الصفحة الأولى للرواية إلى الصفحة الأخيرة، هو اسم لم نجد له وجود في القواميس والمعاجم العربية، ولا حتى قواميس الأسماء، إلاّ أن الشخصية التي منحها السارد هذا الاسم تحمل صفة النبل والنسب الشريف، كما أنّها شخصية شبابية تميزت بالعناد وشدة الصّبر والتحمل خاصة في لحظات البلايا التي أصابتها، قد يكون الاسم مأخوذ من التراث التّارقي والثقافة الصحراوية الخاصة بقبائل التّوارق، والتي لم نحصل على معجم لأسمائها المتداولة في مجتمعهم.

أمّا الشخصية الثانية في الرواية فهي حيوان وليست إنساناً إذ رافق وجود البطل أوخيد منذ بداية الرواية إلى نهايتها فهو شخصية مهمة مرافقة للبطل، وهو ما جاء فيه قول فليب هامون «قد تنمحي الشخصية أمام الوظيفة التي كلفت بالإعلان عنها، فهي قد تكون حيوانا أو شيئا أو أثاثًا»[2]حيث حضر الجمل ممثّلا بالأبلق الذي منحه السّارد هذا الاسم الذي أُشْتُقَّ من الثلاثي "بلق" ومعناه في معجم لسان العرب « البَلَقُ: بَلَقُ الدَّابَّة، والبلق سواد وبياض...والبلقة مصدر

(1)ينظر: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص101.

(2) فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص145.

الأبلق ارتفاع التحجيل إلى الفخذين ...ويُقالُ للدّابة أبلق وبلقاء، والعرب تقول دابّة أبلق»[1] وهو ما ورد فعلا في الرواية حيث اتّصف هذا الحيوان بمواصفات تتطابق والاسم الذي منحه إياه السارد « أبلقٌ رشيقٌ ممشوقُ القوام، نبيل، شجاع، وفيٌّ»[2] وفي موضع آخر « مهري أبلق رشيق مثل مثل الغزال»[3]. أي أنّ السّارد نجح إلى حد في اختيار الاسم المناسب والمطابق لهذه الشّخصية المتمثلة في أشهر حيوانات الصحراء.

"أيور" اسم لشخصية أنثوية من شخصيات الرواية، يعد اسمها امتداداً للمكان الذي جاءت منه وهو صحراء "آير" كما ورد في الرواية، ورد في معجم لسان العرب: « ويُقال للسّماء إِيرٌ وأَيْرٌ وأَيِرٌ وأُيوور، والإِيرُ: ريح الجنوب، وجمعه إِيرَةٌ، ويقال: الإير ريح حارة وأير»[4]. إذن آيور جمع الريح الجنوبية الحارّة التي يَهابُها الفلّاحون بسبب ما تخلِّفُه من فساد، إذن فالمعنى العام للكلمة سِلبِي، وهو ما تجسّد في شخصية "آيور" التي جاءت من الجنوب « جاءت الحسناء من آير»[5]. فأبعدت أوخيد أوّل الأمر عن قبيلته، ثم فرّقته عن أبلقه الذي كان يراه كإنسان وليس كحيوان من شدّة حبّه له وتعلّقهما ببعضهما البعض، ثمّ بعد ذلك تسبّبت له في فقدان ابنه الذي ولده منها، ثم تورّطه في القتل والموت بعذ ذلك رغم عيشه هاربًا مدّة من الزّمن خوفًا من انتقام أعدائه لقريبهم، ومنه فإنّ السّارد نجح في منح الاسم المناسب لهذه الشّخصية الأُنثوية، حيث تطابق معنى الاسم الذي حملته والدّور الذي لعبته في الرواية.

أما شخصية "دودو" التي أدّت دور المعتدي على البطل فهي قريبة من كلمة "دَأْدَأَ" «تَدَأْدَأْتِ الإبلُ مثل أدت، إذا رجّعت الحنِينَ في أجوافها»[6]. وهو ما حدث فعلا مع دُودُو الذي حفظ الحنين في جوفه تجاه حبيبته في زمن الطّفولة حتى صار رجلًا وسعى

(1) ابن منظور، لسان العرب، ص08.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الروية، ص15.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص189.

(5) الرواية، ص67.

(6) ابن منظور، المرجع السابق، ج16، ص1312.

لاسترجاعها، فآيور هي « ابنة عمّه، عشقها منذ كَانَا طفلين»[1] فمعنى كلمة "دأدأ" قريب جدًّا من عقلية "دودو" وما فعله مع ابنة عمه.

"الشيخ موسى" من الأسماء المركبة التي وردت في الرواية أمّا معنى الجزء الأوّل من الاسم المركب « فهو الذي استبانت فيه السّن وظهر عليه الشيب، وقيل هو شيخٌ من خمسين إلى آخره»[2]. وفي موضع آخر « شيخ تُطْلَق على العالم الكَبيرِ، وكبير القوم»[3]. والمعنى الدّيني هو الذي يتجسّد في شخصية موسى لأنّه إمام القبيلة: « يتلو القرآن، ويؤمُّ النّاس في الصلاة...جاء من فاس بلاد الفقهاء وعلماء الشريعة»[4]. أمّا الجزء الثاني من اسمه وهو "موسى" حيث يحمل بعدًا دينيا فهو اسم لنبي من أنبياء الله الذي بعثه إلى بني اسرائيل وبالتّالي فإن معنى الجزء الثاني من الاسم جاء مكملا إلى الجزء الأول للاسم، كما أنّ شخصية الشيخ موسى تميّزت بالخير والمساعدة للبطل أوخيذ، والحكمة المكتسبة من خبرة الحياة الممزوجة بعلوم الشريعة التي تعلمها، حيث يقول أوخيد: « سنُجرِّب حيلة الشيخ الحكيم»[5] وهو يقصد الشيخ موسى، وبالتّالي فإن السارد منح هذه الشخصية الاسم المناسب الذي يتطابق معناه وسماتها والدور الذي قامت به.

وجدت أيضا شخصية أخرى تحمل اسما مركبا هي شخصية "شيخ القبيلة"، ومعنى لفظة "الشيخ" جرى شرحها من قبل، فهي تحمل بعدا اجتماعيا يتمثل في أن هذه اللفظة تطلق على الشخص الكبير في السن ورئيس القوم وصاحب الرّأي فِيهِم، أمّا لفظة القبيلة فهي أيضا لفظة تحمل بعدا اجتماعيًّا يتمثل في أنها عبارة عن مجموعة من البشر تجمعهم علاقة نسبٍ تعود بهم إلى جَدٍّ واحد، وإذ تأمّلنا معنى الاسم نجده يتطابق والسمات التي منحها السّارد للشخصية التي تحمل هذا الاسم، فيصفه قائلا: «عجوز نحيل طويل القامة يمسك بعكاز...في وجنتيه

(1) الرواية، ص108.

(2) ابن منظور، المرجع السابق، ج24، ص2373.

(3) حنا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربية والمعربة، ص46.

(4) الرواية، صص20.

(5) الرواية، ص55.

تنثني غضون عميقة»[1] ومن ثَمَّ فإن السّارد نجح في اختيار الاسم المناسب لهذه الشخصية ذات المكانة السلطوية القيادية التي تقوم على شؤون القبيلة، وهذا ما عرفت به الصحراء العربية والليبية في مجتمعنا البدوي.

شخصية أخرى من شخصيات الرواية هي "الراعي" فهو اسم مهني يدل على مهنة صاحبه الذي يرعى الإبل والغنم وسط الصحراء ويقوم على شؤونها بعد عودتها إلى القبيلة، كما أن هذه الشخصية ذات مكانة منحطّة في مجتمع الرواية، عبيدٌ لدودو يعمل راعيًا عند سيده، وتوسّط له أثناء مفاوضاته مع أوخيد، حتى أنّ مواصفاته التي منحها إياه السارد تتطابق ومكانته الاجتماعية ودلالة الاسم المهني الذي منحه إياه، « كان فمُهُ خاليًا من الأسنان، ومع ذلك لا يتوقّفُ عن الضّحك ومضغ التّبغ»[2]، أي أنّه سعيد بمكانته الاجتماعية وغير آبه بما هو عليه من إدمان للتبغ وترحال وسط الصحراء مع قطعان الإبل.

تميزت شخصيّة عن باقي الشخصيات الأخرى في دالها ومدلولها، "الآلهة تانيت" الاسم المركب الذي حملته شخصية الصّنم الصحراوي الذي بكي عنده أوخيد طالبًا المساعدة، ولفظة"الآلهة" مؤنث للفظة إله، ومعنى هذه الأخيرة « الإله: الله عزّوجلّ، وكلّ ما اتُّخِذَ مِنْ دُونِه مَعْبودًا إلهٌ عند مُتَّخِذِهِ»[3]، أمّا تانيت فهو اسم « آلهة الخِصْبِ والحُبِّ والتَّناسل عند قُدماء اللّيبيين، وقد اعتنقها منهم البُونِيقِيُّونَ فيما بعد، ويُرمَز لها بمثلث على شكل هرم»[4] ومن ثم فإنّ هذا الاسم لشخصيّة مرجعية أسطورية لها دلالة انتقلت إلينا عبر عصور طويلة ولها بعد ديني تعبُّدي لدى البشر الذين عاشوا حولها وآمنوا بالأسطورة التي تبيِّن شكل الصّنم والقدرات التي تملكها هذه الآلهة.

شخصية أخرى ذات بعد ديني، "العَرَّافُ الوَثَنِي" وهو اسم يدل على مهنة الشّخص الذي يحمله، حيث أن هذه المهنة عُرِفت في المجتمعات البشريّة منذ القدم، وهي التّنبُّؤ بما يحدث في المستقبل وادِّعَاءُ العراف معرفته لعِلْمِ الغيب، أمّا الجزء الثاني الذي يتركّب منه الاسم "الوثني"

(1) الرواية، ص15.

(2) الرواية، ص93.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج02، ص114.

(4)حارش محمد الهادي، أصول عبادة بعل حمون في قرطاج، مجلة الجزائر، ع 03 ،جامعة الجزائر، 1977م، ص 12.

فيعني الصّنميّ، وبالتّالي إذا جمعنا معنى طرفي الاسم يصير «المُنَجَّم العَرَّاف»[1] لِلأصْنام، وهو ما حدث في الرّواية مع الشخصية التي حملت هذا الاسم، فالعراف الوثني هو الذي كشف حقيقة الصّنم الموجود في الصحراء بعد تضارب الرّوايات حول كُنْهِهِ ودلالته فقال السّارد: « إنّه اللّقب لإله صحراوي قديم، وتوصّل إلى فك الشّيفرة في أبجدية التّيفِيناغ»[2]، إضافة إلى هذا فإنّ المواصفات التي منحها السّارد لشخصية العراف تتطابق ودلالة الاسم إذ يصفه: « زنجيّ عجوزٌ يُزيّن رقبته المجعّدة بالغضون عِقْدٌ من أصداف النهر ....يتنقل وحيدًا على ناقة عجفاء ويكره المخالطة»[3]، وهذا ما يتميّز به المُنَجّمُون ويُعْرف عنهم، من الوحدة، وجمع بقايا عظام حيوانات وبشر ماتوا.

(1) وليد ناصف، الأسماء ومعانيها، ص140.

(2) الرواية، ص29.

(3) الرواية، الصفحة نفسها.

خلاصة

بعد دراستنا لعنصر الشخصية في رواية "التّبْر" لإبراهيم الكوني اللّيبي توصّلنا إلى النتائج التالية:

1. جرى تقديم كل الشخصيات في الرواية بطريقة غير مباشرة، حيث قدّمها لنا السارد عبر مراحل متقطعة وليس في فقرة واحدة، كما أن البطاقة الدلالية للشخصيات الفاعلة في المسار السردي امتلأت بصفة تدريجية من خلال حركتها وأدوارها العاملية التي أدتها في البنية السّردية للرواية والمواصفات التي منحها إياها السارد.
2. تميزت شخصيتان بارزتان في الرّواية هما أوخيد ودودو، وباقي الشخصيات الأخرى تسبح في فلكيهما منذ البداية حتّى النهاية.
3. ظهور شخصيات الرواية في الأحداث بصفة تدريجية، حيث لم تظهر شخصية دودو المعادي إلاّ نهاية النصف الأول من الرواية وهو الأمر نفسه مع العديد من الشخصيات الثانوية مثل الراعي وغيره.
4. تميزت الأدوار العالمية التي قامت بها الشخصيات بعدم الثُّبات تارةً والثُّبات تارةً أخرى وأيضا ازدواجية الأدوار العاملية التي مثّلتها، عكس ذلك بالنسبة لدوال الشخصيات التي تميزت بالاستقرار والثبوت.
5. تنوع الخلفيّات المعرفية والثقافية التي اعتمدها السّارد في اختيار أسماء شخصياته أثمر تنوعًا في دلالات ومعاني دوالها، فمنها الديني والأسطوري والاجتماعي.
6. لقد عكست أغلب الشخصيات بزيها وصفاتها الخُلُقية والخَلْقية جزءً من شخصية الفرد اللّيبي البدوي التّارقي الذي يعيش وسط الصّحراء، كما عكست بصفة أكبر عقلية وثقافة القبيلة التّارقية اللّيبية الصّحراوية.

الفصل الخامس: نظام الشخصيات في رواية "الأسماء المتغيرة" لأحمد ولد عبد القادر.

1. مدلول الشخصيات .
2. مستويات وصف الشخصيات.
3. دوال الشخصيات.

تتكون رواية "**الأسماء المتغيرة**" للشاعر والروائي الموريطاني أحمد ولد عبد القادر من تسعة وعشرين فصلاً، مضمّنة في مائة وتسع وتسعين صفحة، تدور أحداث هذه الرواية ما بين عام 1891م إلى غاية عام 1977م في الصحراء الموريطانية، حيث تتوالى أحداث الرواية حول شخصية ذات أصول تعود إلى نهر النيجر، وهو المكان الذي انطلق منه السارد في أولى سطور الرواية يسرد لنا أحداثها، فشخصية البطل التي تغير اسمها أكثر من خمس مرات في الرواية، إضافة إلى شخصيات أخرى ثانوية طرأ تغير في أسمائها، لهو المعنى الدلالي الأوضح والامتداد الجلي لمعنى عنوان الرواية– الأسماء المتغيّرة، واعتمد السارد في تقديمه شخصيات الرواية على تقنية « التقديم غير المباشر، والتي يكون فيها السارد وسيطًا بين القارئ والشخصيات في النص السردي، بحيث يكون هو العالِم والمخبر عن أوصافها وطبائعها، أو يوكله إلى شخصية أخرى من شخصيات النص لتقدم لشخصية أخرى»[1]، إلاّ أن هناك استثناءات في الرواية حول بعض الحالات التي تقدم فيها الشخصية جزءًا من مواصفاتها وطبائعها بنفسها، وبالتالي تعتبر الطريقة ضمن تقنية التقديم المباشر للشخصية.

مدلول الشخصيات:

تعتبر الشخصية من الأركان الرئيسة التي ينبني عليها أي نص سردي، ولهذا لاقت في الآونة الأخيرة من القرن الماضي اهتماما كبيرًا من قبل الباحثين في السرديات، وقد اختلفوا في ماهيتها وطريقة تجليها في النصوص السردية، ومن أشهر الآراء في هذا المجال أنّ «الشخصية باعتبارها كائنًا من ورق، لا وجود لها إلّا من خلال ما يقوله عنها النص (الصوت الخفي أو الجلي للسارد)، وبعبارة أخرى إنّها كلمات (وحدات معجمية) مولدة لأثار متنوعة»[2]، أي أنّ الشخصية بحكم أنها كائن ورقي فلا يتحقق وجودها إلا من خلال ما يقال عنها، سواءً من قبل السارد أو من الشخصيات الأخرى: فهي عبارة عن أقوال وكلمات معجمية لها معان مختلفة تشكل باتحادها وجود الشخصية، وهذا ما سنعمد إلى التركيز عليه في مستهل دراستنا لرواية

(1) ينظر: محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص44.

(2) سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي– البناء الفني، جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 1994، ص102.

-الأسماء المتغيرة- حول مدلول الشخصيات فيها، وقد اعتمدنا في ترتيبنا للشخصيات التي سنقدّم لها بعد حين على معيار حضورها في المتن الروائي ودرجة إسهامها في حركية الأحداث.

1-موسى (سلاك .... بابا الحكيم).

تعتبر هذه الشخصية محور السرد في الرواية كلها منذ الصفحة الأولى إلى غاية الصفحة الأخيرة، كما أنّ جلّ الأحداث السردية نجدُ لها فيها علاقة من بعيد أو من قريب بهذه الشخصية يقدمه لنا السارد على لسان شخصية عبد الصمد « هو سلّاك عبدٌ للشّيخ سلُوم اشتراه قبل انضمامه إلى قافلتنا»[1]، أي أنّ سلاك مجرّد عبد لأحد شيوخ القافلة لا أكثر، ثمّ يضيف عبد الصمد « ألا ترى أصابع يديه اللّينة وعضلاته المرتخية»[2]، دليل على أن هذا العبد لم يكن عبدًا من قبل ولم يمارس الأعمال الشاقّة حتى يمتلك عضلات مشدودة وأصابع يد خشنة، وهو ما يؤكده السّارد بعدها على لسانه في مقطوعة طويلة يطلعنا من خلالها على أبرز مظاهر حياة هذه الشخصية قبل أن تصير في قيود العبودية « طفل أنهى بالضّبط العقد الأول من عمره... يبدو طويلاً على صغره جميل الوجه، أما عيناه فكانتا تنظران بغير تركيز، وقد جفَّت منها الدموع لكثرة ما بكى خلال الأيام السّابقة... تذكر كيف يسبح في بركة قريبة من قرية أبيه، كيف داهمه على حدة فارس من قرية أخرى معاديّة لقريته، واختطفه أسيرا ليسلمه بعد أسبوعين إلى ذلك الشيخ الأشيب الغريب المنظر، تذكّر اسمه المألوف لديه الذي طالما دلّلَه به أبواه قائلين له تعال يا موسى الحبيب، وتذكر الاسم الجديد الذي لم يتعود بعد الإجابة عنه، ولماذا ينادونه هكذا سلّاك»[3]، أي أنّ سلاك من عائلة مثل باقي العائلات الإفريقية في النّيجر التي تدين بالإسلام، سماه والداه موسى تيمنا بالنبي موسى عليه السلام، عاش حياة طيبة بريئة مثل باقي الأطفال يلعب بجوار القرية ويعود إلى منزله متى أراد، إلاّ أن حياته تعكّرت بفعل اختطافه وبيعه في سوق النّخاسة ليصير عبدًا، واستمرت حياته مع تغيُّرٍ آخر حدث في اسمه، كما

(1) أحمد ولد عبد القادر، الأسماء المتغيرة، رواية، دار الباحث، لبنان، دت، ص 07.

(2) الرواية، ص 08.

(3) الرواية، ص 12.

يطلعنا السّارد على ذلك قائلا: « سلاك الذي أصبح في الآونة الأخيرة اسمه بَلْخِير بإصرار من عبد الصمد الذي حذف الاسم الأول.... كان الطفل يتبع قطيعًا من الإبل محوّلا اتجاهه عن الجهة المألوفة لرعيه»[1] اسمه بلخير صار مُلكًا لعبد الصمد لأنه هو المسؤول عن إطلاق هذا الاسم الجديد عليه، كما أنّه صار عبدًا ملكًا له يرعى إبله، بعدما كان في البداية ملكا لشخصية أحمد سلوم الذي قضى نحبه أثناء رحلة العودة، ثم يفسح السّارد المجال للشخصية حتى تقدم نفسها من خلال حوار دار بين بلخير وريحانة إذ يقول: « في قرية أبي لا توجد جمال، الحمير فقط والخيول والأغنام أبي عنده جواد جميل، كنت أركب خلفه على ظهره ونذهب معًا إلى الحقول»[2]، ثم يضيف بلخير واصفا أباه وسلوك مالكه الحالي عبد الصمد « أبي شيخ القرية يصلي هو الأمامي من الرّجال في المسجد... عبد الصمد يضربني كلّ يوم، هو يحبّ ضرب الأطفال»[3]، حيث انتقل هذا الطفل من حياة الرغد وهو ابن إمام القرية إلى حياة العبودية والمعاناة والظلم من قبل سيده عبد الصمد.

عاش بلخير سنين طويلة في عبوديته ولم يستطع التحرر منها، رغم تغير أسياده بعدما سطت قبائل معادية لقبيلة سيده على الجمال التي يرعاها وسطت عليه أيضا كعبد يرعى الإبل لهم، حيث يذكر السارد بعد مرور هذه السّنين « انتشرت قطعان الإبل... وخلف إحداها ظهر شابٌ قوي البنية، فارع القامة، مليء بالحيوية يسوق إبله... وبيده ناي»[4].

لقد صار ذلك الطفل الصغير شابًا قويًّا يملك بنية فزيولوجية لا بأس بها، لكن مسيرة ترحاله لم تتوقف، حيث يخبرنا السّارد على لسان الشخصية نفسها فاسحًا لها المجال من خلال تقنية الحوار عندما التقى بلخير ريحانة صديقة الطفولة في الرّعي وأيامه الأولى في العبودية فتسأله هذه الأخيرة: « هل ما زلت مع خصوم عبد الصمد؟ بقيت معهم سنين وباعوني بكثير من المال لأسرة غنية جدًا... وهذا الذي أرعى جزء صغير من إبلهم»[5]، لكن المفاجأة التي لم

(1) الرواية، ص 32.

(2) الرواية، ص39.

(3) الرواية، ص 40.

(4) الرواية، ص50.

(5) الرواية، ص52.

تعلم بها ريحانة صديقته التي أحبّها كما يذكر السارد قائلا: « كانت ريحانة تسكن قلبه»[1] المفاجأة هي تغيّر اسمه مرة أخرى، حيث لم تتفطن له إلّا بعد افتراقهما وابتعاده، « قالت لنفسها: اسمه الآن مبروك وليس بلخير»[2]، ولولا مناداة سيده له بهذا الاسم لما علمت بالأمر.

حدث في إحدى الليالي حادثة مريعة دفعت بمبروك إلى الفرار من أسياده إلى أن وصل إلى ساحل المحيط، الساحل الغربي لموريطانيا، وهناك وجد من ينصت له ليحكي لهم مآسيه «ضربني أحدهم بماسورة بندقية ضربات قوية متتالية على ذراعي الأيمن فتهشّم عظمه...تتذكرون ولا شك كيف سقط ذراعي هنا وداويتم القرحة»[3]، كانت تلك الضربات التي هشمت ذراعه والعذاب الذي صاحبها سبب فراره، لكنه فقد ذراعه بعد وصوله إلى القرية التي تقع قبالة الساحل، تعافى بعدها واستعاد قوته، إذ تذكر إحدى شخصيات القرية قائلا: « والله لولا وجود بوجناح معنا لما سُحبت الشباك، ويا له من قوي جبّار»[4]، يقدم لنا السارد في مقطوعة صغيرة نبذة عن أهم ما صار عليه بوجناح فيقول: « بأن وجهه مغضنا قليلاً كما لو كان تجاوز الخمسين...مرت سبع سنوات على إقامته بقرية إيمْرَافَنْ، تخطّى حقبة الطفولة المعذّبة بفرقة الأهل، ليصبح شابّا قويّا لا مباليا وصيّادا ماهرًا»[5]، تغير اسمه من مبروك إلى بوجناح بفعل فقدانه لإحدى ذراعيه– اليمنى –، تظهر عليه سمات توحي بأنّه في العقد الخامس وهو غير ذلك، وهذا بفعل الحياة المتعبة التي عاشها منذ طفولته يرعى الإبل في الفيافي عاش ما يقارب العقد في قرية إيمرافن حرًّا طليقًا يمارس مهنة الصيد مثله مثل باقي رجال القرية حتى احترف هذه المهنة، في هذه المرحلة من حياته بعد تخلصه من قيود العبودية أول مرة يعرف لذة الاستقرار في مكان واحد بين أناس طيبين يحترمونه، ورغم تعبه طوال السنين الماضية وفقدانه ذراعه اليمنى إلا أن السارد يذكر بأنّه « أبرزهم طولاً بوجناح الذي ألف الصيد وألفه أهله، بل اعتبروه الصيّاد القوي الماهر، والصّديق الأمين، والمحدّث الباهر، وصاحب الآراء

(1) الرواية، ص 63.

(2) الرواية، ص 53.

(3) الرواية، ص 74.

(4) الرواية، ص72.

(5) الرواية، ص75.

المعقولة إزّاء كل مشكلة... بَنَي كوخًا لنفسه، ولم يعد يفصله عن اتّخاذ قراره الحاسم بالزواج إلّا جمع المال اللازم»[1]، كانت هذه الحظوة التي يحوزها بوجناح بين أهل قرية إيمرفن نتيجة سبع سنوات قضاها بينهم، لكن لم تشأ الأقدار أن يحقّق حلمه بالزّواج، حيث وقع في حاجز تفتيش سيق على إثره للعمل مع العسكر الفرنسي الذي كان يسيطر على البلاد، إذ يذكره أحد قادة العسكر: « سيفيل بوجناح طيّب ونشيط، بل لديه قابليات ممتازة للعمل مع العسكريين»[2]، عمل بوجناح الذي صار اسمه الكامل سيفيل بوجناح مع العسكر مدّة من الزّمن لا تتعدّى أيّامًا فقط ليُتّهم بالسرقة إثر محاولة هروب منه ليلاً باءت بالفشل، يخبرنا السّارد أنّه دخل السّجن بفعل التهمة الموجهة إليه: « انقضت تسع سنوات على سيفيل بوجناح وهو قابع في سجن مدينة آطار»[3]، أي أنّه عاش في السّجن ما يقارب العقد من الزّمن بعد أنْ كان يتأهب للزواج قبل أيّام عديدة في قرية إيمرافنن، لكن لم يستمر بقاؤه في السّجن وأفرج عنه ولكن تسلط عليه جندي موريطاني يعمل لصالح العسكر الفرنسي، يخبرنا السّارد أنه: « خاطبه أحد الجنود... إنّني محوّل إلى قاعدة عسكرية متنقّلة شمال مدينة "وادان" وستذهب إذن معي في خدمتي وخدمة القاعدة»[4]، وبالفعل ذهب سيفيل بوجناح مع الجندي الذي تسلّط عليه لأنه جهل حقّه في الحرية الذي منحته إيّاه إدارة السجن، وظنّ بسذاجة أنّه مازال قيد إشارة العسكر، ثم يطلعنا السارد أنّ سيفيل بوجناح كان خدومًا ونعم العبد في القاعدة العسكرية من خلال ما يوجه إليه من أشغال فيقول: «لم يقصر سيفيل بوجناح يومًا من الأيام... طباخًا للأرز والشاي، جالبا للحطب، منتجا للفحم النباتي راعيا للجمال، موجها إلى أي ميدان أمكنه العمل فيه»[5]، ورغم اجتهاده في كل الأعمال الموكلة إليه وهو المبتور الذراع الأيمن إلا أنه واجه تهمة أخرى أدخلته السّجن، وللمرة الثانية توجّه إليه التهمة من قبل جندي موريطاني يعمل لصالح العسكر الفرنسي، كانت تهمة التهاون، حيث يذكر السّارد هذا قائلاً: « اقتيد المتّهم بالإهمال.. إلى حفرة

(1) الرواية، ص85.

(2) الرواية، ص90.

(3) الرواية، ص 103.

(4) الرواية، الصفحة نفسها.

(5) الرواية، ص 112.

بوسط القاعدة: بعمق حوالي مترين وسعة المتر الواحد المربع... وهكذا بقي الرجل سابحًا في عرقه مختنق الأنفاس أسبوعا فثانيا فثالثا، وكانوا يخرجونه لليوم أو اليومين مرة لينال قسطا من الماء والأكل ثم من الضّرب والتّوبيخ»[1]، إذ إنّ تهمة بسيطة وُجهت إليه أدخلته القبر وهو حيّ ما يقارب الشهر، إضافة إلى أنواع مختلفة من الضرب والتوبيخ، إلا أن هذا لم يدم حيث صادف استقلال البلاد الموريطانية من الاستخراب الفرنسي، فأُجليت القاعدة وأُطلق سراحه ليخبرنا السّارد على لسان إحدى شخصيات الرواية عبر تقنية الحوار بينها وبين سيفيل بوجناح فيقول له: « إنك تشبه كمن مات ولبث في قبره ما شاء الله، وبُعث ليجد كل شيء على غير هيئته»[2]، وهذا تعبير للحالة التي خرج عليها سيفيل بوجناح من سجن القاعدة العسكرية مضت الأيام والسنون واشتغل بوجناح في العديد من الأعمال كما يذكر هو عن نفسه: « سقت الحيوانات أكثر من مرة لجلابات ذاهبة إلى السّنغال وقطعت القرظ في شمامة والعلك في بوادي المنذرة وبعت ما حصلت منها في القوارب... ولدي ألف أوقية ولباس جديد»[3]، فمن خلال هذه الأعمال المختلفة البسيطة التي مارسها بوجناح استطاع تحسين وضعه المادي وفي أحد الأيام بعد خمس سنوات قال له تاجر الحيوانات أنت الآن هيكل عظميّ منخور، عجوز مضغت الأيام والأحداث قوّته، انحسرت عضلاته المرتخية عن عظامه، وأَلِفَ الخمول في سائر أجزاء بدنه، وأمضَهُ الألَمُ المزمن السّاكن في ركبتيه وفقرات ظهره»[4]، فمن خلال هذا الكلام الذي وجهه تاجر الحيوانات لسيفيل نستطيع أن نحكم على أنه صار شيخا عجوزا في آخر سنوات عمره، وهذا ما أكّده لنا السّارد على لسان شخصية "أبو عمامة" وهو يحاور صديقه شامخ ليجيبه بعدما سأله عن بابا الكبير « يضعف بشكل مخيف... إنّ أشباح الشيخوخة تحاول اختطافه»[5]، ويقصد بأشباح الشيخوخة الأمراض التي تلازمه وتكاد تتسبب في أي لحظة

(1) الرواية، ص 113.

(2) الرواية، ص 120.

(3) الرواية، ص 125.

(4) الرواية، ص 138.

(5) الرواية، ص 178.

بتوقف نبضه «سكن بابا الكبير في ضواحي مدينة نواكشوط سنة 1970»[1]، يخبرنا السّارد قد أصبح اسمه بابا الكبير بعدما تعرف على مجموعة من الشّباب الذين ينشطون سرّا في السياسة ثم يغير بعدها اسمه مرة أخرى في ظرف وجيز ليصبح بابا الحكيم كما ورد على لسان شخصية بوعمامة « لهذا أسماك الشباب في نواكشط بابا الحكيم»[2]، ليخبرنا السارد في الصفحات الأخيرة للرواية على لسان أحد الشباب الذين كانوا يلازمون بابا الحكيم لخدمته وهو على فراش المرض: « هكذا بقي خمسة أيام صريعا، ويتكلم أحيانا بعض الكلام قريبا إلى الهذيان... وفجأة فتح بابا الحكيم عينيه... إنّني أموت، عبء ثقيل لم يعد بمقدوري تحمّله»[3] وختم بابا الحكيم حياته بلفظة يخبرنا فيها بعمره قائلا: « بضع وتسعون سنة....! ولدت حرًا وأموت...» [4] وبهذا يكون السّارد قد قدّم لنا شخصية بستّة ألقاب كاملة، اكتشفناها مع حياة هذه الشخصية من خلال ما قيل عنها من الشخصيات الأخرى في الرواية، ومن خلال ما قاله السّارد وقالته الشخصية هي عن نفسها أيضا، أما بالنّسبة للألقاب فهي كلها ستّة كاملة إضافة إلى اسمه الحقيقي، وهو موسى (اسمه الحقيقي)، وسلّاك ثم بلخير ثم مبروك ثم سيفيل بوجناح ثم بابا الكبير ثم بابا الحكيم، كل هذه الألقاب سنعمد إلى دراستها بالتحليل ومحاولة مقارنة دلالاتها وواقع الشّخصية الذي عاشته مع المعاني المعجمية لها، وذلك في محور دال الشخصية.

2-الشريف عبد الصمد:

لا تقل هذه الشخصية أهمية عن شخصية البطل، حيث تعتبر بمثابة المعتدي على هذا البطل، عبد الصّمد شخصية ذكيّة تتميز بالحيلة والمكر في كل ما تعمله وتسعى للحصول عليه، حيث تذكر إحدى الشخصيات قائلة عن عبد الصمد: « إن الكثير من التّجار وأهل السودان يشهدون له بالبركة الظاهرة، والصّلاح»[5]، وهذا القول قيل في شخصية عبد الصمد أثناء عودة القافلة من أراضي النّيجر والسودان إلى موريطانيا، وتقول عنه مريم زوجة محمود

(1) الرواية، ص 186.
(2) الرواية، ص 188.
(3) الرواية، ص 197.
(4) الرواية، ص 199.
(5) الرواية، ص 10.

المرابطي تصفه بعد عودته من الرحلة: « غنيّ، جاء بسبعة جمال، ويقال إنّ معه كمية كبيرة من الذّهب والفضّة البيضاء، كما أتى بعبد صغير، ووزع الملابس على كثير من أبناء الحي قبل عشر سنوات كان عمره عشرين سنة لمّا سمح له أهله بالتغرّب في أرض (الحوض)، لطلب العلم وإتقان القراءات السّبع للقرآن.... يبدو أنه كان منهمكا في أعمال التجارة، وقالوا إنه الآن عازم على الاستقرار مع أهله... كما أنّه سيتزوج»[1]، نستنتج من قول مريم إنّه في الثلاثين من العمر بعد رحلته التي انطلق فيها في سن العشرين وها هو بعد عشر سنوات يعود غنيا، ثم تضيف زينب قائلة عنه لزوجها: « أرسل إلينا اليوم خاطبا يريد يد زينب وأجبته بالتّرحيب»[2] قبل حمود زوجها بالعرض لكن سرعان ما يتفطّن لحقيقة عبد الصمد بعد رحلة قادته يبحث فيها عن ناقته الضائعة، وإذ به يلتقي في الصحراء مع راكب ليحدثه عن ابن قبيلته عبد الصمد فينعته بالشّر قائلا « قريبك إنسان شرّير»[3]، ثم يضيف الراكب مبرّرًا الحكم الذي أطلقه على عبد الصمد قائلا: « انتهز الفرصة واختفى عن الأنظار بعبد الشيخ أحمد سلوم وثلاثة من جماله»[4]، حدث هذا الذي يذكره الراكب بعد أن هجم الأسد على القافلة التي كانت في حالة راحة في إحدى الواحات ليقتل الشيخ أحمد سلوم ، فالجمال التي عاد بها عبد الصمد إلى قبيلته ليست كلها ملكاً له وحتى العبد الصغير أيضا، وهنا تكمن حيلة ومكر هذه الشخصية في الاستيلاء على أملاك الآخرين لحظة تحين الفرصة ونسبها إليه، لكن عبد الصمد ذهب إلى السّنغال لاقتناء لوازم حفل زفافه من زينب ابنة حمود بن مرابط، وهناك يصفه لنا السارد قائلا «شمخ عبد الصمد بقامته الطويلة ووجهه الوسيم، وبدا حليق الرأس مصفرّ البشرة... وقف بين مستلزمات الزّفاف وحفلته المرتقبة»[5]، لكن هذه المستلزمات لن تصل إلى القبيلة ولن يفرح بها لا عبد الصمد ولا خطيبته زينب، حيث يذكر السّارد على لسان شخصية من أبناء الحي: « لم

(1) الرواية، ص 28.

(2) الرواية، ص 29.

(3) الرواية، ص 33.

(4) الرواية، ص 34.

(5) الرواية، ص 35.

يعد، ثبت لديهم موته بالغرق في مياه شمّامة»[1]، لكن السّارد بعد مرور أحداث كثيرة في الرّواية وفي الرّبع الأخير منها نجده يذكر شخصية باسم "الشيخ حيدرة" وهي شخصية عبد الصمد نفسه الذي نجا من الموت غرقًا بأعجوبة، ويَحكِي تفاصيل نجاته لابن عمه "عبداتي" بعد لقائه به قائلا: « نعم بقيت معلّقا بأغصان الشجرة... بعد ظهر اليوم التالي رآني مسافرون في الزوارق فكّوا أسري وحملوني إلى قرية بجنوب النهر،... بعد ذلك رجعت إلى جمالي وبعتها وعادت إليّ أفْكارَ التّجوال وحبُّ التّطلع والرّغبة في جمع المال والتغرّب... عشت برهة زمنيّة في السودان ثم انتقلت بين الأقطار الأخرى، سيراليون، ساحل العلاج، ليبيريا الخ، عزمت مرة على الحجّ، ثم قفلت راجعًا لأنّ الطّريق كان فيه وباء الجُدَري»[2]، أي أنّ عبد الصمد لم يمت كما انتشرت الإشاعات في قبيلته، حتى أنّه لم يفقد ماله وجماله، ذكر أنّه بعد نجاته رجع ليبيعها ثم ليذهب في رحلات جمع المال والاستكشاف، ولم يعد إلى القبيلة من أجل خطيبته زينب بنت حمود بن مرابط، ثم يضيف عبد الصّمد لابن عمه عبداتي قائلا: « أمّا الثلاثون سنة الأخيرة فقد سكنت في هذه القرية الطّيّب أهلها... وكما ترى لديّ زوجتان صالحتان تقومان بخدمتي أحسن قيام»[3]، بعد ثلاثة عقود الأخيرة التي عاشها عبد الصمد في قريته التي أراد لنفسه الاستقرار فيها، عرف بين أهلها باسم "حيدرة" كما يقدمه السّارد: « ها هو حيدرة قادم، شيخ يقترب منهم، أبيض شعر الرأس، مقوّس الظهر يتوكأ على عكاز مزيّن بالنّقش والنّحت والحلق المعدنية المثبّتة عليه، ويتبعه جمهور من الناس»[4]، قدّمه لنا السّارد في هذه العبارة بصفات شيخ كبير نالت منه أمارات الكبر والعجز من شيب وتقوّس ظهر والاستعانة بالعكّاز في المشي، لكن له قيمة وحظوةٌ لدى أهل القرية بفعل سيره واتباع الناس له أثناء المشي، وما يؤكد تقدمه في السن أكثر قوله لابن عمه عبداتي: « إنّني أقارب الآن التسعين من عمري لا يفصلني عنها إلا خمس سنوات، وقد تبت لله توبة خالصة أرجو قبولها من كل طيشي ونزقي

(1) الرواية، ص 83.

(2) الرواية، ص 100.

(3) الرواية، الصفحة نفسها.

(4) الرواية، ص 97.

وبطشي»[1]، في هذا الكلام لعبد الصّمد اعتراف منه بشرّه ومكره الذي لازمه طوال عمره، وهو يتوب منه الآن لله راجيًا العفو والتوبة، ثم يطلب من ابن عمه عبداتي طلبًا قائلا له: « ستأخذ معك أولادي الأربعة لتعلّم اللغة العربية الحسانية، وليحفظوا القرآن وليتعرفوا على أولاد عمّهم»[2]، نعرف من هذا الكلام أنّ عبد الصمد أو حيدرة كما يسمّينه أهل القرية التي يقطن فيها حاليا له أربعة أولاد بعدما تزوّج امرأتين.

من خلال ما قالته هذه الشخصية عن نفسها وقاله عنها السارد وشخصيات أخرى نستطيع الآن تكوين صورة لها من المواصفات التي وردتنا، وكذلك فهم جزء من نفسيتها، لكن يبقى جزء كبير يلفه الغموض ولن يبتدئ إلاّ بعد الكشف عن الأدوار العاملية لهذه الشخصية ومعاني الدّوال (الأسماء) التي حملتها.

3-حمود بن مرابط:

ظهرت هذه الشخصية في بداية الرواية واختفت في منتصفها الثاني قدّمه السّارد بمواصفات محدّدة قائلا: « ظهره مقوس إلى الإمام، بسبب متاعبه اليومية أو بسبب الاقتراب من الكهولة... من عادته التخلّف عن المصّلين بعد إمامته لهم في صلاة العشاء»[3]، فحمود ابن مرابط ليس كهلاً بعد، لكن قارب الوُصول إلى هذه المرحلة من العمر، يشغل منصب إمام الحي أو القبيلة يصف السّارد خيمته وما بداخلها وهو يقترب منها عائدًا من صلاة العشاء فيقول: « اقترب من خبائه المنتصب في الجزء الشرقي من حي أبناء عمومته وعشيرته الأقربين: خيمة سوداء صغيرة مكونة من خمسة مسوح فقط، أكل القدم بعضها فباتت فيه ثقوب متفاوتة متجاورة، ويتدوّر في أرضيتها رواق مؤلف من ملابس قديمة مستعملة، يحيط بحصير صنع من أعواد الثمام... حيث تغط زينب في نوم عميق، ومن حولها تنحني مريم نصف مضطجعة»[4]، نستنتج من هذا الكلام أن حمود بن مرابط فقير لا يملك المال أو القدرة على تجديد خيمته البالية الرثّة، فهو الذي يعمل إماماً العشيرة متطوعًا فقط، متزوّج وله ابنة وولد

(1) الرواية، ص 98.

(2) الرواية، ص 99.

(3) الرواية، ص 21.

(4) الرواية، الصفحة نفسها.

زينب ومحمّد اللّذان أنجبتهما له مريم، زينب التي دخل الخيمة ووجدها تغط في نوم عميق، أمّا « محمد البعيد طالب العلم لوجه الله والمجاهد في سبيله»[1]، كما ورد على لسان السارد وتكررت المعلومة أيضا على لسان محمود قائلا لمريم زوجته « محمّد ولدي وولدك البار»[2] يعيش محمود تحت خط الفقر حيث يذكر السّارد أنّه تناول وجبة العشاء مع زوجته: « يأكل مع مريم طحين النّبق المخلوط بقليل من الزّبد»[3]، ثم يؤكد السّارد صفة الفقر في هذه الشّخصية وهو يصف هندسة تموضع خيام الحي قائلا: « هناك قريبا منه تنتصب خيمة جاره حمود الفقير»[4]، يضيف السّارد أكثر في وصفه لحمّود سواء من ناحية البنية الفيزيولوجية أو النّفسية والأخلاقية، ويقدمه لنا في لحظة بينه وبين أحد شيوخ القبائل الأخرى فيقول: «رجل وسمته معالم الشيخوخة قبل إبانها، يتوكأ على عصا لطيفة، يعلو محيّاه خجل شديد أو حياء متحكم يخاله الرائي إنسانا معتزلا للبشر»[5]، فحمود بن مرابط ذو جسم هزيل شاخ قبل أوانه، لذا نجده يتوكأ على عصًا خجول كثيرا لدرجة قد يخطئ الإنسان في الحكم عليه بعزلته للناس: « وجد في صبيحة أحد الأيام ساجدًا ميتًا في المسجد»[6]، يقول السّارد على لسان أحد شخصيات العشيرة وهو يتحاور مع عبداتي، توفي حمّود النّاسك إمام العشيرة في المسجد ساجدًا وهو يدعو ربه عاش فقيرا زاهدًا كما صوره لنا السارد، وزاد جمالية في اختياره لطريقة موته والوضعية التي وجده أهل الحي عليها.

بعدما قدّمنا من أقوال قيلت في شخصية حمود بن مرابط، يمكن للمتلقي الآن أن يرسم صورة تقريبية من مواصفات جسمانية وطبائع ومميزات اجتماعية لهذه الشخصية.

(1) الرواية، ص 60.
(2) الرواية، ص 23.
(3) الرواية، ص 25.
(4) الرواية، ص 29.
(5) الرواية، ص 42.
(6) الرواية، ص 83.

4- زينب بنت حمود بن مرابط:

يقدم لنا السارد هذه الشخصية على لسان شخصيات أخرى بالشّراكة معه، فها هو يصفها على لسان عبد الصّمد: «بارك لله فيها وعليها، وجه البدر وعيون المها... أمّا مشيتها فهي كغصن البان... حوراء دعجاء لمياء في لعس، كأنّها فضّة قد شابها الذّهب»[1]، أي تميل في مشيتها مَيَلان الغصن، حوراء معناها «أن يشتد بياض العين وسواد سوادها، وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حولها... ولا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد»[2]، حوراء في دعج، والدعج «شدة سواد العين مع سعتها»[3]، إذن فهي شديدة بياض عينيها وسوادهما واسعتان، لَمْيَاء أي سمراء الشفاه، لمياء في لعس،و«اللّعس سواد اللثّة والشّفة... وقيل: اللّعس واللّعسَة سواد يعلو شفة المرأة البيضاء»[4]، فزينب بيضاء الوجه والجسد والجسد ذات عينين شديدتي البياض والسواد، واسعتين، لها شفاه سمراء، ولثّتها أيضا، لكن عبد الصمد الذي تفنّن في وصف جمال زينب وتلذّذه بعينيها لم يتزوجها كما حلم، إذ يخبرنا السّارد قائلا: «ها هي تُزفّ الليلة لرجل غير عبد الصمد الذي تحدّث الناس عن وفاته ثم كُذّبت وأُثبتت ونُفيت أيضًا... عمرها الآن يقارب الثلاثين نحمد الله الذي أعطاها حُسن السّعد والسّتر مع واحد من أعزّ وألمع فتيان القبيلة»[5]، زينب التي خطبها عبد الصمد في العشرينات من عمرها تزوّجت في الثلاثين بعد أن تأكّد لأهلها وفاته، يصورها السّارد في هذا العمر قائلا: «جذعها الطويل ومنكباها فوق أرداف هائلة العظم، غاص ساقاها الرضراضان في الرمل تحاول الجري عبثًا... وبعد ساعتين كان العريس مقيّدا ويداه مشدودتان وراء ظهره... معه عشرة من رجال يساقون بالسّياط»[6]، وصفها لنا السارد لحظة محاولة هروبها من الضابط الفرنسي الذي حاول المساس بشرفها فهي فتاة كاملة النّمو بضّة سمينة لا تقوى على الجري مثل قريناتها من الفتيات

(1) الرواية، ص 30..

(2) ابن منظور، لسان العرب، مج 02، باب الحاء، ص 1043.

(3) المصدر نفسه، باب الدال، ص 1378.

(4) المصدر نفسه، مج 05، باب اللام، ص 4041..

(5) الرواية، ص 61.

(6) الرواية، ص 62.

سرعان ما تدخل زوجها وأنقذها، لكن بثمن باهظ بعدما لَكَم وجه الضابط وألقى الجنود القبض عليه وكبّلوه، منذ تلك الحادثة صارت زينب المسكينة تعيش وحدها، كما يطلعنا السّارد بذلك على لسان إحدى شخصيات الحي وهو يحاور عبداتي قريبها من الرضاعة: «زوجها يقضي بقية حياته في السجن المؤبّد، ذنبه إسقاط أسنان "بيرفده" من الجيش الفرنسي، وأبوها رحمه الله منذ زمن بعيد، وعندما سُجن زوج مرابطتنا ذهبت مع أمّها مريم إلى المدينة وكانتا تحملان له الطّعام وتغسلان له الثياب، ولكن البنت سرعان ما رجعت إلى البادية لرعاية أبيها المصاب بالسّل»[1]، زينب التي صاروا ينادونها في العشيرة مرابطتنا نسبة لأبيها حمود بن مرابط، عاشت بعد زواجها لأيام فقط بعيدة عن معاشرة زوجها الذي حكم عليه بالمؤبّد، ذهبت إليه مع والدتها وخدمته أيامًا لكن بعد مرض والدها استسلمت لنداء الواجب والفطرة وعادت لتخدمه في أيّامه الأخيرة حتّى توفي، ويضيف السّارد على لسان نفس الشخصية مُدقّقاً في حالتها الاجتماعية قائلا: «أمّا أمّها تعيش في كوخ وحيد بطرف المدينة وتتحدّث وحدها بحديث مرتفع لا ينقطع عن أسماع جيرانها»[2]، فهي الآن تعيش وحيدة في خيمتها فقدت والدها وأمّها التي تعيش في طرف المدينة وأخوها محمد الذي هاجر لطلب العلم، لكنها وجدت لنفسها ما تشغله كما يذكر السارد على لسان نفس الشخص: «تلك خيمة مرابطتنا، تعلم القرآن لأبناء الحيّ»[3]، أي أنّها كسرت وحدتها بدعوة الأولاد إلى خيمتها وتعليمهم القرآن، فهي روح طيبة تواسي وتعين رغم حاجتها لمن يعينها ويواسيها وهذا ما ذكره ابن عشيرتها: «هي سيدة صالحة وصاحبة بركة»[4] ورثت هذه السمات عن والدها الخجول الهادئ الذي تعلّمت على يده جزءًا من القرآن بحكم أنّه إمام المسجد.

5-علي شيخو/علي ولد الشيخ:

فسح السّارد المجال أمام هذه الشخصية لتقدّم نفسها بنفسها من خلال حوار دار بينها وعبداتي، حيث يقول: «علي ولد الشيخ، أنا موريطاني في أصلي وأمّي سنغالية، والأسرة التي

(1) الرواية، ص 83.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الرواية، ص 82.

(4) الرواية، ص 83.

تربّيت عندها سمّتني علي شيخو، والدي رحمه الله أطلق عليه تلامذته في السينغال: الشيخ حيدرة، واسمه الكامل عبد الصمد بن عبد الله، لقيت بعدك إخوتي وأبناء عمّي وعملوا لي أوراقا جديدة باسمي الحقيقي، علي ولد الشيخ ولد عبد الله»[1]، نفهم من هذا أنّ علي شيخو ولد بالسينغال من إحدى الزوجتين السينغاليتين اللّتين تزوّجهما عبد الصمد هناك، لذلك يقول إنّه ذو أصول موريطانية نسبة لأصل والده الذي عمل على تدريس القرآن هناك حتى أكسبته هذه الشّغلة لدى تلامذته اسم الشّيخ حيدرة، ثم يطلعنا علي شيخو على اسمه الحقيقي في الوثائق الرّسمية وهو علي ولد الشّيخ ولد عبد الله، ثمّ يطلعنا السارد على جزء من حياة علي شيخو على لسانه وهو يحكي لبابا الكبير قائلا: «أرسلني والدي وإخوتي الثلاثة مع عبداتي ابن عمّ أبينا إلى البادية من السنغال وفي الطريق حبسه الفرنسيون وضربوه، وبقينا موزّعين بين أسرٍ تبنتنا، كنت أصغرهم وعشت مع الذي يليني في حضانة أسرةٍ طيّبة وكريمة... مات أخي بالجدري في أوائل الخمسينات»[2]، حدث هذا في طفولة علي شيخو عندما زار عبداتي السّنغال والتقى بعبد الصمد فطلب منه أخذ أولاده الأربعة معه إلى الصحراء مكان عيش عشيرته وأصوله، لكن حدث أن تفرق الأولاد في الطريق لظروف قاهرة فمات منهم من مات وعاش علي شيخو وهو أصغرهم، ثم يضيف هذا الأخير: «والدتي توفيت منذ زمن بعيد، دخلتُ المدرسة الفرنسية بإشراف الأسرة التي تبنتني»[3] إذن فهو متعلّم تعليما أكاديميا في مدرسة فرنسية أي أنّه يتقن اللّغة الفرنسية إضافة للّغة العربية لغة قومه، ثم في حوار له مع بابا الكبير أيضا عند إحدى حواجز العسكر الموريطاني بعد الاستقلال يبوح علي شيخو باسم ثان له: «الاسم سالم ولد سليمان، تاريخ الميلاد 1905 مدينة آطار... يا بابا أنا لدي اسم خاص لا يعرفه إلاّ بعض الأصدقاء، يطلق عليه الاسم الحركي»[4] أي له إضافة للاسمين السّابقين اسم ثالث وهو معروف به لدى بعض أصدقائه في حركة الشباب التي ينتمي إليها يذكر السّارد أنّ علي شيخو سائق الشاحنة: «اجتاز امتحانات التّدريب بفوز ممتاز، أصبح بعدها مؤهلا لقيادة

(1) الرواية، ص 152.

(2) الرواية، ص 153.

(3) الرواية، ص 154.

(4) الرواية، ص 162.

القطارات»[1]، وبهذا طور علي ولد الشيخ نفسه في مجال العمل، وأصبح سائقا للقطار، لكن كانت أماله دائما تتوق للسفر إلى أوروبا والعمل بها، وها هو يبعث برسالة لصديقه الحميم بابا الكبير كما يحبّ مناداته، يقول صديقه الذي قرأ الرسالة: «يعمل الآن في دولة أوروبية في القطارات»[2] وتحقق حلم علي شيخو بالذّهاب والعمل في أوروبا.

بجمعنا لكل الأقوال التي قِيلت عن شخصية علي شيخو سواء من قبل السّارد أو الشخصيات الأخرى وحتى التي قالها عن نفسه، يمكننا الآن تشكيل لمحة عن أهمّ مميزات علي شيخو الذي تغير اسمه ثلاث مرات وعاش بين اثنين من البيئات، موريطانية في كبره وسينغالية في طفولته ونشأته، عاش عزيزا في صغره عند الأسرة الكريمة التي تبنّته، وعزيزا في كبره بأكل من قوت يومه الذي يُحصّله من مهنة السياقة.

6- عبداتي:

قدم لنا السّارد هذه الشخصية الذّكوريّة في أغلب أطوار الرّواية كمساعد لشخصية عبد الصّمد، لأنّهما متقاربان كما يذكر قائلاً: «عبداتي بن عبد الله ابن عمّ عبد الصمد الموكّل على أمور بلخير»[3]، فعبداتي بعد هجرة عبد الصّمد إلى السينغال لشراء لوازم حفل زفافه ترك ابن عمّه عبداتي ينوبه في الاهتمام بالعبد الذي جلبه معه من النّيجر –بلخير– والإبل التي يرعاها مرّت السنون واختفى بلخير الذي سرقته قبيلة معاديّة لقبيلة عبد الصمد وتوالت الحوادث إلى أن دفع القحط والحاجة للملابس بعبداتي إلى السفر ناحية السينغال طمعًا في جلْبِ بعض الملابس والمؤونة، وأثناء رحلته يصفه السّارد وهو في حوار مع نفسه: « قال لنفسه وهو يستمع إلى حديث مرافقيه: لكنّني شيخ ضعيف والمغامرة والمجازفة هما بالضّبط ما أودى بحياة ابن عمّي عبد الصّمد»[4]. يصوره السارد في سن الشيخوخة ضعيفاً يهاب كل خطر قد يودي بحياته، له ولد شاب يسمى: «حمّود بن عبداتي»[5] أي أنّه تزوج بعد اختفاء ابن عمّه وأنجب أولادًا، لكنّ

(1) الرواية، ص 147.
(2) الرواية، ص 189.
(3) الرواية، ص 40.
(4) الرواية، ص 94.
(5) الرواية، ص 110.

الآن هو سنّ العجز حيث يذكره السّارد قائلا: « مشى بقامته المُنحَنِية، وهيكله الذي نحتت الأيّام قوّته نحتا... نادى بصوت مرتفع "الصدقة تدفع البلاد وتزيد في العمر" الصّدقا الصّدقا»[1] بعد أن عاد ابنه حمود بن عبداتي إلى الصّحراء وموطن العشيرة، بقي عبداتي يجول بين أسواق المدينة يمتهن التسوّل في آخر أيام حياته.

7-الشيخ أحمد سلوم:

حضرت هذه الشخصية في البدايات الأولى للرواية، إلاّ أنّنا لم نوردها بالذّكر بين الشخصيات الأولى، لأنّها لم تصل لأن تكون شخصية رئيسة ولا بالشخصية الثانوية المؤثّرة في بعض مراحل السّرد، لذلك أوردناها متأخّرة عن سابقاتها، يصف السّارد الشيخ أحمد سلوم بأنّه: « رجل تجاوز عمره الستّين، قصير القامة، أصفر البشرة، محمّرُّ العينين، تقسم وجهه أنصاف دوائر ومنحنيات من التّجاعيد العميقة، تغطّي صدره لحية غير كثّة عمّها البياض، ويتدلّى حول أذنيه وعنقه شعر رأس سبط، تتخلّله بعض الشّعرات المحتفظة بلونها الأسود، وقد تَتَكَّبَ بندقية من طراز بوحجرة، ترتفع ماسورتها فوق رأسه بحوالي ستين سنتمترا»[2]، أيّ أنّه شيخ بلحية بيضاء، وجهُهُ مليء بالتّجاعيد التي توحي بمعاصرته لعقود مضت من الزّمن ، ثم يضيف السّارد على لسان أحد شخصيات القافلة وهي تسير: « قيل لنا إنّه كان في جيش من قبيلته خاض معارك ضد البرابيرش والتّوارق»[3] نفهم من هذا أنّه شجاع له خبرة في الحرب والقتال ثم يضيف نفس القائل: « ينتسب إلى قبائل الشّوكة التي يكتسب أبناؤها أرزاقا كثيرة»[4]، فهو غنيّ مثله مثل أفراد قبيلته التي اشتهرت بالثّراء والغنى، وأثناء الرّحلة تأكّدت السّمات التي تحدّثت عنها شخصيات القافلة بعد أن ظهر أسد يريد الفتك بأحد الرّجال لحظة استراحتهم في إحدى الواحات، تصدّى له: « الشيخ سلوم الذي افتدى حياتنا بشجاعة نادرة لا تعبر عنها إلاّ مشاهدتها، ويا له من عربي أصيل رائع»[5]، قال الرّاكب وهو يحاور حمود بن مرابط بعد لقائه

(1) الرواية، ص 112.

(2) الرواية، ص 07.

(3) الرواية، الصفحة نفسها.

(4) الرواية، ص 08.

(5) الرواية، ص 34.

ثم يضيف: «رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه»[1]، أي أنّ أحمد سلوم إثر تلك الحادثة التي قام فيها بدور البطل المُنقِذ، وبالفعل لولاه لهَلَكَ الرِّجال وسَادَ الأسد.

8-حماد ولد الزبير:

يعدّ هذا الشخص الأكثر غموضا بين كل الشخصيات التي قدمها السارد في الرواية حيث لم يذكر أصله الجغرافي ولا نسبه ولا عائلته أو عشيرته، يقدّمه مباشرة من دون مقدمات قائلا: « أكَلتْ عَشرُ سنوات في السّجنِ ريعان شبابه... اعتاد قضاء عطلة الأحد في سوق المواشي يشتري الشّاة والشّاتين ليبيعها بعد لحظات قاطفا ثمرة متواضعة الرّبح»[2]، نفهم من هذا أنّ حماد ولد الزبير دخل السّجن مثل العديد من الشباب الموريطاني في مرحلة الاستعمار الفرنسي وقضى فيه عقدا كاملا من عمره، ليجد نفسه بعد خروجه منه تاجرا بسيطا في سوق المواشي يسعى لكسب قوت يومه ثم تختفي هذه الشخصية لتظهر بعد ذلك في وصف على لسان السارد جاء فيه: « ها هو البطرون يفتح دفّة شاحنته ويخرج... رجل في حوالي الخمسين من عمره قصير القامة، يلبس جلّابية صفراء اللّون ويتعمّم برداء أبيض ويحمل بيده محفظة منتفخة كبطنه الآخذ شيئا فشيئا في الامتلاء والارتخاء إلى أسفل، ووقف قريبا من الجماعة حاسبا عددهم بأصبعه، مقارنا له بحزمة النقود التي سلّمها له السّائق»[3]، نستنتج من هذا أنّ حمّاد ولد الزبير أصبح مالكًا لشاحنة نقل البضائع والركاب معًا، كما أنّه صار ثريّا يملك المال الكثير إلى درجة انتفاخ محفظته مثل بطنه السائر إلى السّمنة والتدلّي بعد أن كان مجرّد تاجر مواشي بسيط يتحيّن يوم الأحد لكسب قوت يومه.

تميزت هذه الشخصية أيضا بثبوت دالّها أي اسمها مقارنة بالشخصيات الأخرى التي تغيرت أسماؤها مرتين أوعدة مرات، كما تميّزت بظهورها المفاجئ وغيابها المفاجئ أيضا، مع عدم تأثيرها على البرنامج السّردي للبطل والمعادي كذلك.

(1) الرواية، ص 34.

(2) الرواية، ص 115.

(3) الرواية، ص 129.

بعد تقديمنا لشخصيات رواية "الأسماء المتغيرة" من خلال المصادر الثلاثة التي أخبرتنا عنها (ما قاله السارد عليها، ما قالته الشخصيات عن بعضها البعض، ما قالته الشخصيات عن نفسها)، « وانطلاقا من المستوى السّطحي أي من خلال ما هو ظاهر ومتجلٍّ في النّص، حيث نقوم في هذا المستوى بدراسة الصفات المميزة والأدوار التّيميّة... وكلّ ما يساعدنا على استخراج المحاور الدّلالية للوصول إلى الدلالات الخفيّة للنّص الروائي»[1]، أي أنّنا سنعمل في هذه المرحلة على تصنيف كل شخصية في جدول يحوي أربعة محاور حسب ما حدده فليب هامون في مشروعه السميائي حول الشخصية، وذلك من أجل الوصول إلى المعاني العميقة والخفيّة لعنصر الشّخصية في الرواية، «أمّا المحاور التي سندرس من خلالها صفات الشخصيات فهي: الجنس، الأصل الجغرافي، الإيديولوجيا والثروة»[2]، هذه الأخيرة حدّدها ورتبها فليب هامون بهذا الشكل، لكنه يستدرك بالتنبيه إلى أنّ «المحاور الدلالية هي الأخرى يجب أن تصنف حسب استخدامها في تمييز كل شخصيات الرواية أو البعض منها»[3]، أي أنّها ليست مطلقة الترتيب والوجود، بل ترتب قدر كتابة حضورها بين الشخصيات، فالمحور الأول هو الأكثر حضورا ثم المحاور الأقل فالأقل، أيضا يمكن استبدال محور بمحور آخر في حال غياب أحد المحاور التي حددها فليب هامون سابقا وإدراج محور آخر مكانه يستخلصه الدار بعد إطلاعه على صفات الشخصيات، وهذا ما سنعمل به في الجدول الآتي، حيث نستبدل محور الايديولوجيا بمحور العلم الأكثر حضورا بين شخصيات الرواية بمحور الايديولوجيا الغائب تماما.(+ موجود، 0 معدوم)

المحاور / الشخصيات	الجنس	الأصل الجغرافي	العلم	الثروة
موسى (سلاك...بابا الكبير)	+	+	0	0
عبد الصمد	+	+	+	+

(1) فيصل الأحمر، معجم السيمائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، لبنان، 2010، ص 221.

(2) ينظر: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص 99.

(3) المرجع نفسه، ص 43.

عبداتي	+	+	0	0
أحمد سلوم	+	+	0	+
زينب	+	+	+	0
حمود بن مرابط	+	+	+	0
علي شيخو	+	+	+	0
حماد ولد الزبير	+	0	0	+

يتكون الجدول من خمسة أقسام، كل قسم له شخصياته الخاصة به التي تتحدد بمحاور لا تتحدد بها أي شخصية من شخصيات الأقسام الأخرى، حيث يضم القسم الأول أكبر عدد من الشخصيات وهي (زينب، حمود بن مرابط، علي شيخو) والمحددة بالمحاور الثلاثة (الجنس، الأصل الجغرافي، العلم).

أما القسم الثاني فيضم شخصيتي (موسى سلاك، عبداتي) والمحددتين بمحوري (الجنس الأصل الجغرافي).

ويضم القسم الثالث شخصية واحدة هي (عبد الصمد) والتي تتحدد بالمحاور الأربعة كلها (الجنس، الأصل الجغرافي، العلم، الثروة).

الأمر نفسه مع القسم الرابع الذي يضم شخصية واحدة (أحمد سلوم) التي تتحدد بالمحاور الثلاث (الجنس، الأصل الجغرافي، الثروة).

ويبقى القسم الخامس والأخير الذي يضم شخصية واحدة أيضا (حماد ولد الزبير) التي تتحدد بالمحورين (الجنس، الثروة).

نستنتج من هذا أنّ شخصية (عبد الصمد) تتقابل مع شخصية كل من (موسى سلاك+عبداتي+حماد ولد الزبير)، حيث تعتبر هذه الأخيرة أقل تحديدا بالمحاور الدلالية وهما محوران فقط، مقابل شخصية (عبد الصمد) التي تتحدد بالمحاور الأربع كلها، ومنه فإنّ شخصية (عبد الصمد) أكثر وضوحا وتعقيدا مقارنة بشخصية كل من (موسى سلاك+عبداتي+حماد ولد الزبير).

كما تتقابل شخصية (عبد الصمد) أيضا مع كل من شخصية (زينب+حمود بن مرابط+علي شيخو) باعتبار أنّ كل هذه الأخيرة تتحدد بنفس المحاور الثلاثة (الجنس، الأصل العلم)، فهي أقل وضوحا وأكثر غموضا مقابل شخصية (عبد الصمد) المحددة بأربعة محاور كاملة.

نلاحظ أيضا أنّ كل شخصيات الرواية محددة بمحور الجنس ولم يستثن السّارد أيّ واحدة منها، والسّبب في ذلك هو استناده كلّياً إلى الواقع الذي يعيش فيه حياته أثناء اختياره وإبداعه لشخصيات الرواية، أمّا محور الأصل الجغرافي فشهد شخصية واحدة من بين كل الشخصيات لم تتحدد به ألا وهي شخصية (حماد ولد الزبير).

وقد أولى السارد أهمية كبيرة في تحديد الجنس والأصل الجغرافي لكل شخصياته بحكم مكانة هذين المحورين في حياة الشخص الصحراوي الموريطاني، إذ من خلال هذين المحورين يمكننا معرفة مكانة الفرد في المجتمع وقيمته ودرجة تأثيره بحكم إنْ كان مقيمًا أو مغتربًا، ومن خلال تحديده للأصل الجغرافي يمكن معرفة جزء مهم من نسب الشخصية وطبيعتها النفسية لذلك نجد أنّ أغلب الشخصيات التي حدّد أصلها الجغرافي بأنّه يعود إلى الصحراء وإحدى قبائلها، هي أكثر حدّة في الطباع والقساوة مقابل التي حدد أصلها الجغرافي بالمدينة مثل شخصية علي شيخو.

ويرى فليب هامون أنّ «الشّخصية لا تتحدد فقط من خلال موقعها داخل العمل السردي ولكن من خلال العلاقات التي تقيمها مع الشخصيات الأخرى، إنّها تدخل في علاقات مع وحدات من مستوى أعلى (العوامل) أو وحدات من مستوى أدنى (الصفات المميزة)»[1]، وهذه الأخيرة (الصفات المميزة) هي التي سنركز عليها بالدراسة المقارنة من خلال المربع السّميائي بُغية الوصول لنظام الدّلالة الأعمق لشخصيات الرواية وصفاتها.

سنعمد إلى تطبيق المربع السميائي أولا على محور العلم.

(1) فيصل الأحمر، معجم السيمائيات، ص 221.

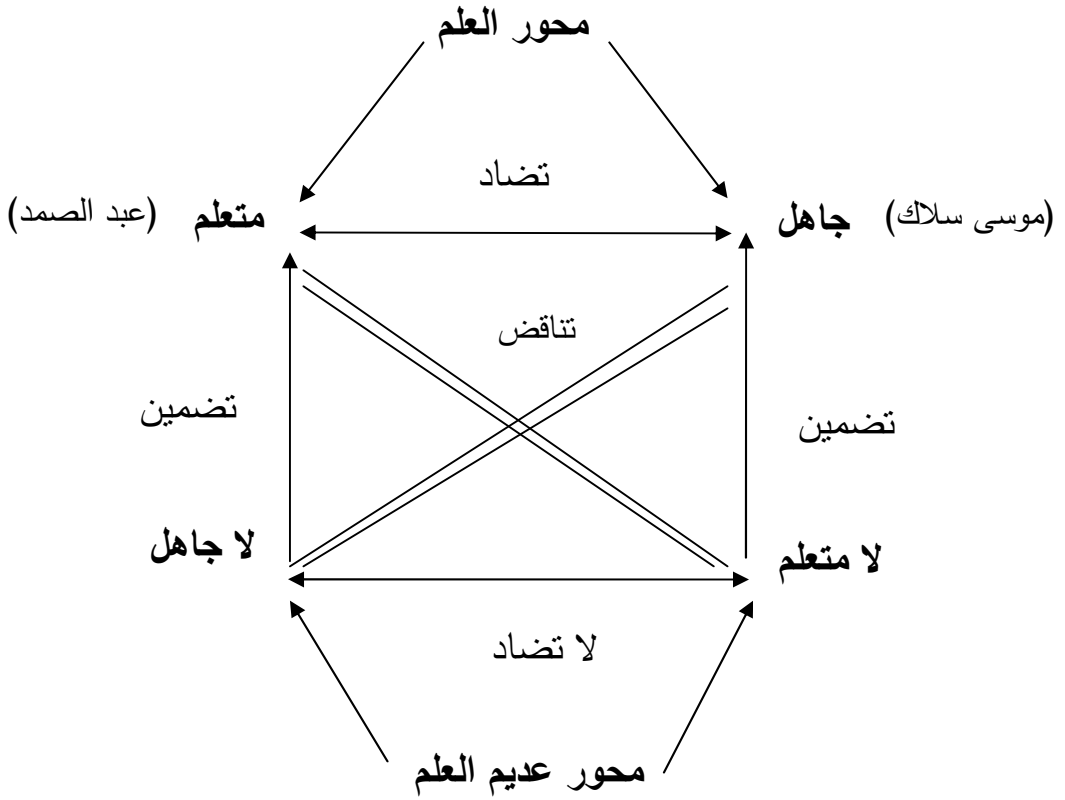

علاقة التّضاد تضمّ (موسى سلاك) ضد (عبد الصمد) في محور العلم، أمّا علاقة التناقض فهي تبين أنّ (موسى سلاك) في علاقة تناقض مع قطب (لا جاهل) من محور عديم العلم.

ومن خلال العلاقة التّضادية التي تجمع (موسى سلاك) مع قطب (متعلم) في محور العلم وعلاقة التناقض التي تجمعه مع محور عديم العلم تتأكد لنا صفة من صفات هذه الشخصية وهي الجهل، التي تؤكدها علاقة التضمين مع قطب (لا متعلم) من محور عديم العلم).

أمّا شخصية (عبد الصمد) فهي علاقة تضاد مع قطب (جاهل) من محور العلم وفي علاقة تناقض مع قطب (لا متعلم) من محور عديم العلم، وفي علاقة تضمين مع قطب (لا جاهل) من نفس المحور، حيث يثبت لنا من خلال هذه العلاقات الثلاث صفة التّعلم والعلم في شخصية عبد الصّمد.

أما الآن سنطبق المربع السميائي مرة ثانية في محور الثّروة بعدما طبّقناه بين الشّخصيتين في محور العلم:

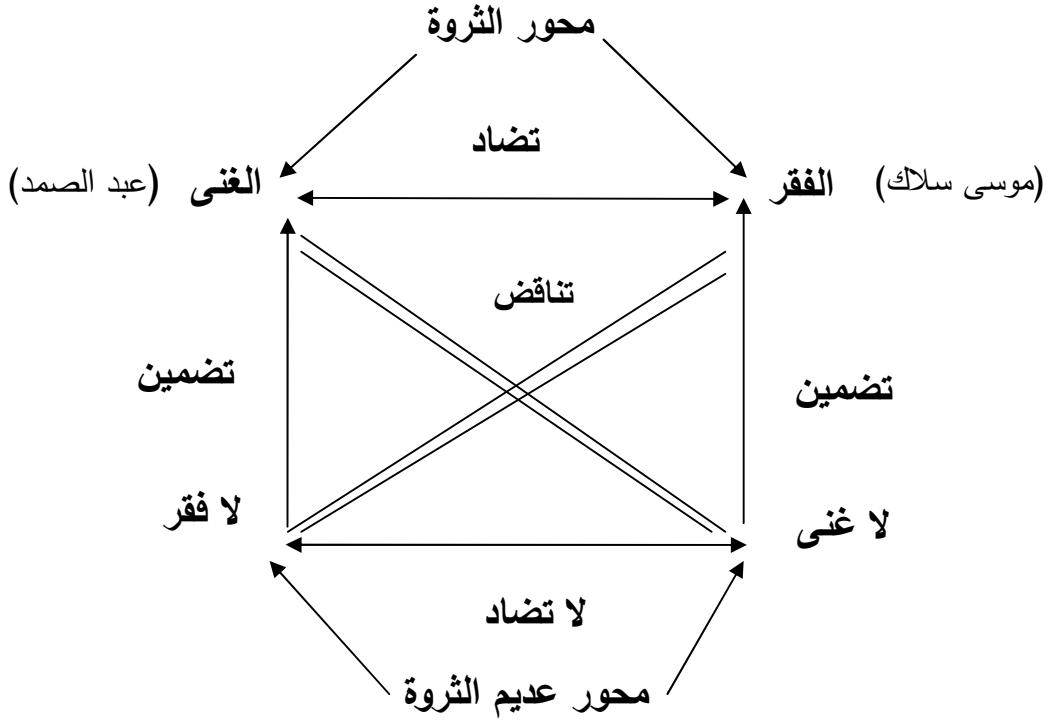

تحكم علاقة التضاد شخصية (موسى سلاك) الذي يمثل قطب (الفقر) ضد شخصية (عبد الصمد) الذي يمثل قطب (الغنى) في محور الثروة، وعلاقة التناقض بين قطب (الفقر) الذي يمثله (موسى سلاك) وقطب (لا فقر) من محور عديم الثروة، وبالتالي تثبت لنا صفة الفقر في شخصية موسى سلاك والتي تؤكدها العلاقة الضّمنية التي تجمعه بقطب (لا غنى) من محور (عديم الثروة).

أمّا شخصية (عبد الصمد) التي تمثل قطب (الغنى) في محور الثروة فهي في علاقة تضاد مع قطب الفقر من نفس المحور، وفي علاقة تناقض مع قطب (لا غنى) من محور عديم الثروة، وفي علاقة ضمنية مع قطب (لا فقر) من نفس المحور، وبالتالي تتأكد لنا صفة الغنى والثروة في شخصية عبد الصمد.

نتيجة لتحليلنا لصفات شخصيتي (عبد الصمد وموسى سلاك) استنتجنا بأنّ صفتي الغنى والعلم هما اللتان منحتا القوة والسطوة لعبد الصمد حتى يتسيّد على موسى سلاك ويجعله عبدًا يعمل تحت أمره، وهذا الأخير الذي تميّز بصفتي الجهل والفقر جعلتاه ضعيفا وسهل المنال

أمام قوّة وسطوة عبد الصمد، إذن أصاب السّارد في منح الصّفات الملائمة لكل شخصية، حتى تتناسق ومجريات السّرد وتدعم نتائجه وخياراته منطقيا.

بعد هذا سنطبق مرّة أخرى المربع السميائي على شخصيتين أخريين في محوري العلم والثّروة وهما: أحمد سلوم وزينب:

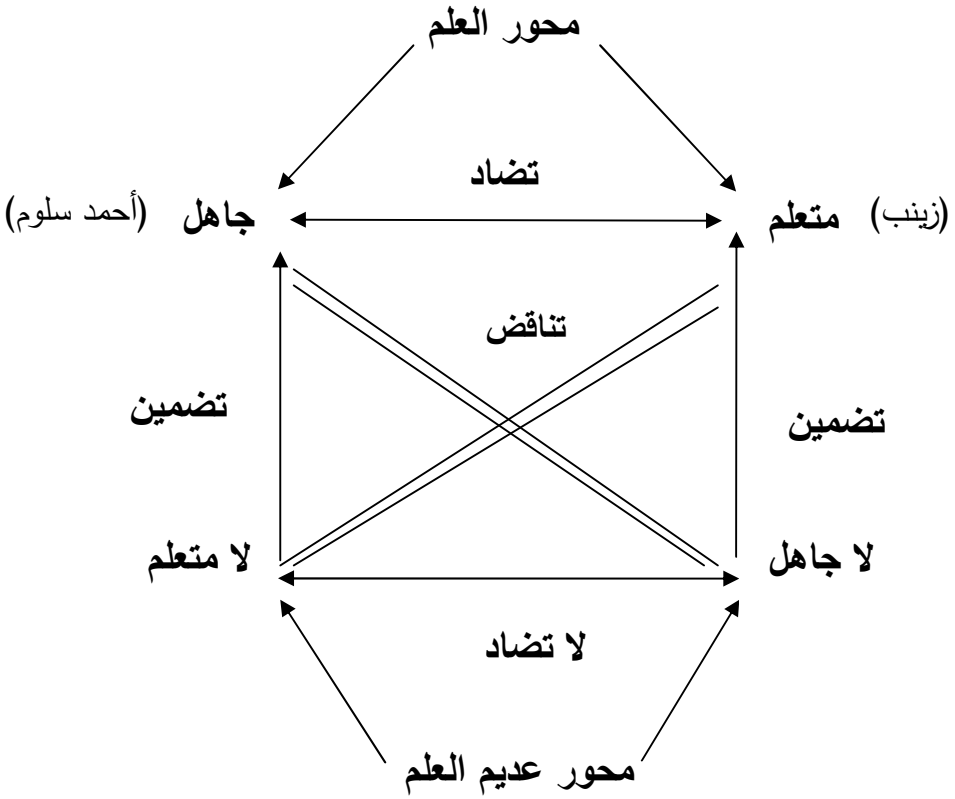

تقوم علاقة التضاد بين شخصية (زينب) التي تمثل قطب (متعلم) ضد شخصية أحمد سلوم الذي يمثل قطب (جاهل) في محور العلم، أما علاقة التناقض بين زينب في محور العلم مقابل قطب (لا متعلم) من محور عديم العلم وعلاقة التضمين تضم زينب مقابل قطب (لا جاهل) من محور عديم العلم، وكنتيجة لهذه العلاقات الثلاث تثبت لنا صفة العلم في شخصية زينب.

أما شخصية (أحمد سلوم) الذي في علاقة ضدية مع قطب (متعلم) من محور العلم، وفي علاقة تناقض مع قطب (لا جاهل) من محور عديم العلم وفي علاقة تضمين مع قطب (لا متعلم) من نفس المحور السابق، تتأكد لنا صفة الجاهل غير المتعلم في شخصيته.

هذه العلاقات تترجم نتائج أحداث سردية في الرواية وتبين بعض المميّزات في هاتين الشخصيتين أسهمت في طبيعة النتائج الحاصلة لأحداث سردية، حيث يعد الجهل عنصراً ميّز شخصية أحمد سلوم الذي فقد حياته وعبده الذي اشتراه وحتى ماله إثر حادثة العودة لصالح شخصية متعلمة ذكية مثل عبد الصمد، فعلم عبد الصمد تغلّب على جهل أحمد سلوم، أما شخصية زينب التي عانت في حياتها وفقدت كل أهلها في آخر أحداث الرواية فلم تجد إلاّ علمها الذي تعلّمته والمتمثل في حفظ جزء من القرآن الكريم ساعدها على الحفاظ على مكانة مهمّة بين أفراد العشيرة تضمن لها الحماية وكسب لقمة العيش، وذلك بتعليمها أطفال الحي القرآن الكريم.

سنطبق المربع مرة ثانية على هاتين الشخصيتين لكن هذه المرة في محور الثروة:

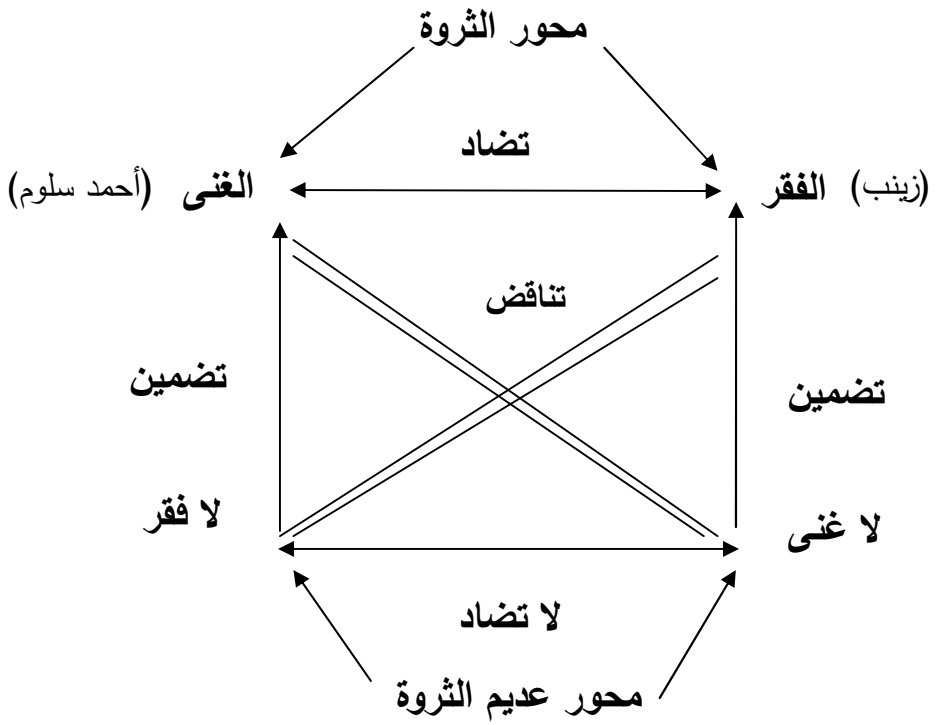

تتجسد علاقة التضاد بين شخصية (زينب) التي تمثل قطب (الفقر) ضد قطب (الغنى) الذي تمثله شخصية (أحمد سلوم)، أما علاقة التناقض فهي بين شخصية (زينب) من محور الثروة وقطب (لا فقر) من محور عديم الثروة، وبالتالي تترسم صفة الفقر شخصية زينب التي تؤكدها علاقة التضمين التي تجمعها بقطب (لا غنى) من محور عديم الثروة.

أما شخصية (أحمد سلوم) التي هي في علاقة تضاد مع قطب (الفقر) في محور عديم الثروة، وفي علاقة تناقض مع قطب (لا غنى) من محور عديم الثروة، وأيضا في علاقة تضمين مع قطب (لا فقر) تتأكد لنا صفة الغنى والثراء في شخصية أحمد سلوم.

إذن من خلال المربعين اللذين طبقناهما بالتحليل على شخصيتي (زينب وأحمد سلوم) في محوري (العلم والثروة) تثبت لنا قيمة إنسانية وهي أنّ العلم أقوى من المال والثّراء، إنّ هذا الثّراء لم يشفع لشخصية أحمد سلوم من الهلاك رغم سطوته المالية وجاهه، لكنّ العلم كفل لشخصية زينب الصمود أمام رزايا الحياة وانهياراتها المتكررة بفقدها والدها وزوجها وأخيها، لكنّها استطاعت البقاء والحفاظ على مكانة مشرّفة بين أفراد العشيرة تضمن لها استمرار نبض حياتها.

للمرة الخامسة والسادسة نطبق المربع السميائي على شخصيتين أخريين (علي شيخو وحماد ولد الزبير) في محور العلم والثروة أيضا:

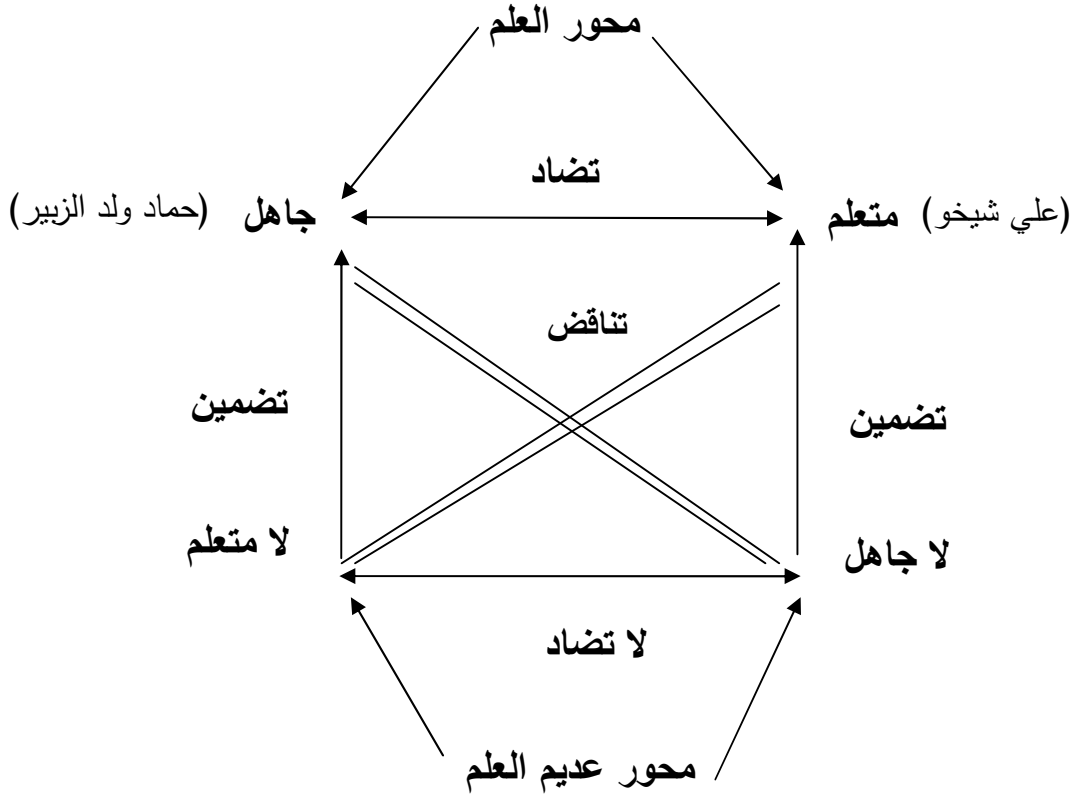

تضم علاقة التضاد شخصية (علي شيخو) التي تمثل قطب (متعلم) ضد قطب (جاهل) من محور عديم الثروة، أمّا علاقة التناقض فهي بين شخصية (علي شيخو) مع قطب (لا

متعلم)، ومنه فصفة المتعلّم مؤكّدة في شخصية علي شيخو، التي تدعمها العلاقة الثالثة علاقة التضمين بين هذا الأخير وقطب (لا جاهل) من محور عديم العلم.

أما شخصية (حماد ولد الزبير) التي تمثّل قطب (جاهل) في علاقة تضاد مع قطب (متعلم) في محور العلم، وفي علاقة تناقض مع قطب (لا جاهل) من محور عديم العلم. وبالتالي تثبت لنا صفة الجهل في شخصية (حماد ولد الزبير)، هذه الصفة تؤكدها علاقة التضمين التي تتجسد بين قطب (لا متعلم) من محور عديم العلم مع شخصية (حماد ولد الزبير).

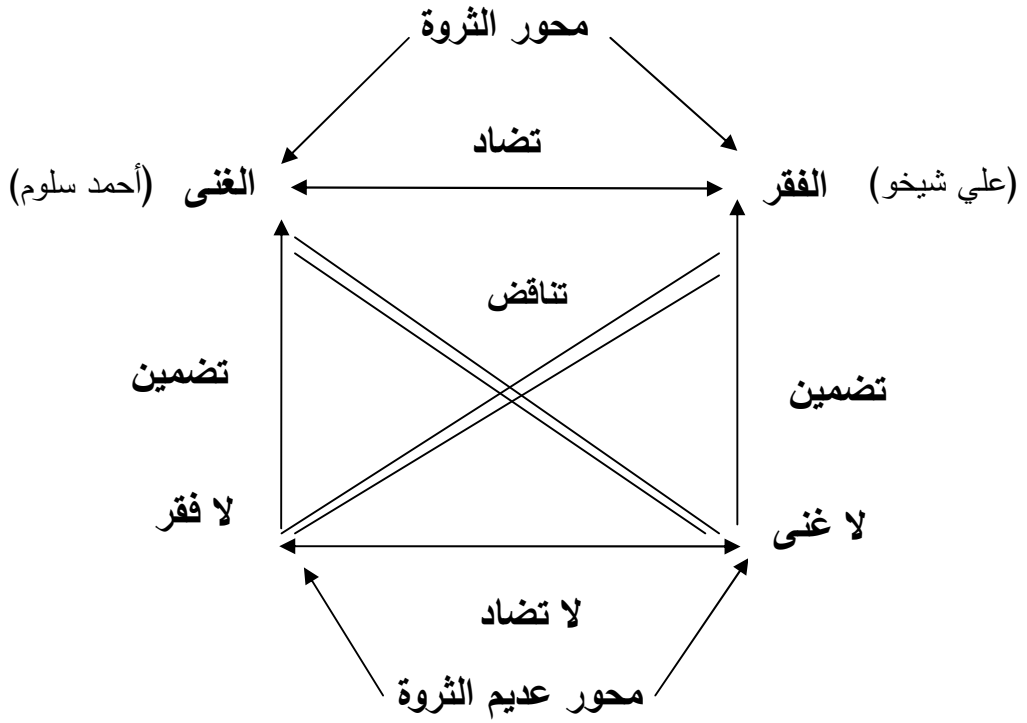

نلاحظ أنّ علاقة التضاد تضم شخصية (علي شيخو) الممثلة لقطب (الفقر) ضد شخصية (حماد ولد الزبير) الممثلة لقطب (الغنى) وكلاهما في محور الثروة.

أما علاقة التناقض فتتجسد بين شخصية (علي شيخو) من محور الثروة مقابل قطب (لا فقر) من محور عديم الثروة، في حين أن علاقة التضمين تتحدد بين شخصية علي شيخو وقطب (لا غنى) من محور عديم الثروة، وبناء على العلاقات الثلاث التي تحكم شخصية علي شيخو تتأكد لنا صفة الفقر في شخصيّته.

أما شخصية (حماد ولد الزبير) التي هي على علاقة تضاد مع قطب (الفقر) من محور الثروة، وعلى علاقة تناقض مع قطب (لا غنى) من محور عديم الثروة، وأيضا على علاقة تضمين مع قطب (لا فقر) من نفس المحور، تثبت لنا من هذه العلاقات صفة الغنى والثراء في شخصية حماد ولد الزبير.

من خلال تطبيقنا للمربعين وتحليلهما استنتجنا أنّ صفة العلم في شخصية علي شيخو مكنته من الحفاظ على كرامته وكسب قُوتِ يومه، وأيضا حتّى تطوير نفسه رغم ملازمة صفة الفقر له، حيث يعمل سائق شاحنة في البداية وهو الذي درس في المدرسة الفرنسية استطاع تحصيل رخصة السّياقة وعمل سائقا عند حماد ولد الزبير الثّري الذي يملك شاحنة، لكن علي شيخو اجتاز امتحان تكوين سياقة القطار ونجح بفعل تعلمه، إلاّ أنّ ولد الزبير الذي لم يستطع تطوير نفسه وبقي في نفس الحالة، حيث اكتسب الثروة والعتاد (الشاحنة) لكن بقي عاجزا على استثمارهما بسبب جهله وعدم تعلمه، فاستنجد بعلي شيخو كعامل أجير عنده وعالم بخبايا العتاد أحسن منه، وبالتالي يظل العلم متفوّقا على الثّروة.

مستويات وصف الشخصيات:

كأول خطوة يجب القيام بها في هذا الجزء من الدراسة هو تقطيع النص السردي (الرواية) إلى مقطوعات سردية، حيث يجب أن تكون كل مقطوعة «كوحدة مستقلة عن وحدات الخطاب السردي قابلة للاشتغال كقصص»[1]، أي أنّ لكل وحدة ذات يتمحور حولها السّرد وممثلون يقومون بدفع حركة السرد إلى الأمام، «وتجدر الإشارة إلى أنّ عملية تقطيع الخطاب، لا تتحدد قيمتها في تعيين مقاطع الخطاب، وإنّما باعتباره وسيلة لإضاءة الخطاب، وللوصول إلى تجلياته الداخلية عن طريق الوصول إلى الوحدات الدلالية الجزئية، التي من خلالها تتكون الدلالة العامة للخطاب»[2]، ولهذا قمنا بتقسيم رواية "الأسماء المتغيرة" إلى ست مقطوعات سردية تتبنى كل واحدة منها على ذات يتمحور حولها السرد وتتحرك في فلكها شخصيات أخرى من خلال تمثيلها لأدوار عاملية مساندة أو معارضة أو غير ذلك، ولتسهيل عمليّة الدّراسة وتوضيحها للقارئ أكثر قمنا بعنونة كل مقطوعة بجملة تلخصها، وهي كالآتي:

1- مريم تريد تزويج ابنتها زينب.
2- عبد الصمد يريد الزواج من زينب.
3- مبروك (سلاك) يريد التخلص من العبودية.
4- بوجناح (سلاك) يريد الزواج.
5- عبد الصمد يريد تعريف أولاده بعشيرته ولغته.
6- سيفيل بوجناح يريد الخروج من السجن.

سنعمد بعد هذا إلى دراسة كل جملة بالتحليل والتوضيح لكيفية بنائها وتشكلها داخل السرد في الرواية، بإضاءة نسلطها عليها من خلال شواهد سردية قصيرة نستحضرها من الرواية، ثم التّمثيل بعدها لكل جملة وفق الترسيمة العاملية التي اقترحها غريماس.

(1) السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 21.

(2) عبد المجيد نوسي، التحليل السميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية، التركيب، الدلالة)، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص 14.

1-الرتسيمة العاملية الأولى: (مريم تريد تزويج ابنتها زينب).

تمثل شخصية مريم في هذه الترسيمة العاملية عامل الذات التي تسعى للانتقال من حالة الانفصال عن الموضوع المتمثل في تزويج ابنتها زينب إلى حالة الاتصال والتي لا تتحقق إلاّ بزواج ابنتها زينب، أمّا عنصر الكفاءة الذي تملكه مريم كذات من أجل التحيين لتحقيق رغبتها فيتمثل في السلطة التي تحوزها بصفتها سيدة البيت أمام زوجها، فتضغط عليه مرارا في كلّ ليلة وتذكره بتأخّر زواج ابنتها مقارنة بقريناتها في القبيلة وتُحمّله المسؤولية تجاه المشكلة، يخبرنا السّارد في إحدى الليالي: « تتابع مريم هجومها على زوجها، والحجج تترامى مزدحمة في خطابها الجادّ: تذكّر جيدا أنّنا كلّما حاولنا زيادة حصّتها من اللّبن لتتوفر لها الكمّية الضّرورية لتسمينها قُمت بإرسال أغْزَر حَلائِبِنا إلى محمّد»[1]، فمن خلال هذه السّلطة والعتاب استطاعت مريم مضاعفة حصّة زينب من اللبن إذ في تلك اللّيلة بالضّبط « قسمت مريم مجمل اللّبن إلى نصفين، غطت أحدهما في قصعة خاصّة لزينب، وحمل حمود ثلث النصف الثاني إلى جارتهم العجوز الفقيرة»[2]، أي أنّ زينب حازت على النّصف وحدها مقابل أن يقتسم الوالد والأم والعجوز الفقيرة النّصف الثاني بينهم، ولم يكن ليتحقق هذا لولا الأمّ مريم كذات بكفاءتها المتمثّلة في السلطة والمسؤولية التي تعمل على تحيين رغبتها، وهذه الأخيرة لا يمكن أن توجد إلاّ بتسمين زينب، لتكون أكثر جاذبية للرجال، لأنّ المجتمع البدوي الصحراوي احتفظ بذوقه ومعايير الجمال في الفتاة التي كانت سائدة عند العرب قديما، إذ كانوا يفضّلون المرأة البدينة على النّحيلة، لذلك نجد الأمّ زينب تحرص كل الحرص على تسمين ابنتها زينب علّها تَتَزوج والآن نمثل لما تقدم بالشرح في هذه الخطاطة للتوضيح أكثر:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
مريم تريد تزويج زينب		مضاعفة حصتها من اللبن لتسمن		إيجابية

(1) الرواية، ص 23.

(2) الرواية، ص 24.

نلاحظ أن الغاية إيجابية، أي أن الذات نجحت في تحقيق ما رغبت فيه، فمريم كذات دفعتها العادات والتقاليد السّائدة في المجتمع الذي تعيش فيه إلى السّعي لتزويج ابنتها خوفا عليها من العنوسة، حيث تخاطب حمود زوجها بأسلوب تهكّم غرضه اللّوم والتأليب قائلة: « من الرّشاد أن تبور وتسمّى العانس البائسة!!... قل لي هل من الصّواب أن تبور زينب»[1]، إضافة إلى الخوف من كلام الناس لو خالفت حالة زينب حالة قريناتها في الحياة ولم تتزوج، هناك عامل آخر يعتبر كممثل ثان لعامل المرسل وهو عامل الفطرة، حيث خلق الإنسان بفطرته من الذكر والأنثى له ميول تجاه الآخر، وله مؤثرات ومواصفات محددة حسب الثقافة والعادات والتقاليد والدّيانة تعزّز ميول كل طرف تجاه الآخر، وهذا ما ذكرته زينب بأن الرجال مثل السباع يحبّون اللّحم وهي تقصد بكلامها أن الرّجال في مجتمعها يشتهون الفتاة البدينة، كما يُعدّ الدين ممثلاً ثالثاً لعامل المرسل إليه، حيث يظهر هذا من خلال كلام والدها الذي ما فتئ يردده: «زينب لن تُرزق بغير ما كتب لها الله»[2]، حيث يُعتبر الزّواج في الدّين الإسلامي بحسب كلام حمّود والدها رِزق يسُوقه الله لعبده، وهو ما لا يتحقّق إلاّ بعد الأخذ بالأسباب كما تقول زينب في ردّها على حمود: « إنّ الأرزاق مقسّمة فعلا بين العباد بإرادة ربّنا، ولكنّه أمرهم بالأسباب»[3]، فالدّين لا يسمح بإقامة علاقة بين الرّجل والمرأة خارج إطار الزواج، لذلك إن لم تتزوج زينب ستبور، إذن يُعتبر المُمثلون الثّلاثة، العادات والتقاليد والدّين، والفطرة، عامل المرسل الذي دفع بالذات إلى الاعتماد على كفاءتها والتحيين لرغبتها من أجل تحقيق هدفها ساعدها في ذلك عامل المساند الذي تمثله شخصيتان هما: عبداتي ابن عمّ عبد الصمد الذي خطب زينب، وشخصيّة حمّود بن مرابط والد زينب، حيث تمثّلت مساندة الأول للذات في تعريف زينب لعبد الصمد في جلسة مسائيّة قائلا له بعدما سأله عنها وهي تجلس بين فتيات ونسوة الحي: « تلك الجالسة شمالا ملتفتة إلى الغرب... هي بعينها بدون شكّ... أمّا مشيتها فهي تمِيسُ كغُصن البان»[4]، فعبداتي يعرفها جيّدا، لأنّها تزور خيمة عائلته على الدّوام بحكم

(1) الرواية، الصفحة نفسها.

(2) الرواية، ص 23.

(3) الرواية، الصفحة نفسها.

(4) الرواية، ص 30.

القرابة والرضاعة، أمّا مساندة حمود للذات فتتمثل في موافقته على خطبة زينب ابنته من عبد الصمد رغم عدم حضُوره، حيث وافقت زينب كما ورد في قولها: « أرسل إلينا اليوم خاطبا يريد زينب وأجبته بالتّرحيب، إلاّ أنّ الأمر يتعلق بوالدها الذي كان غائبا، وأنت طبعًا موافق؟»[1] فعدم اعتراض حمود على قرار زوجته الذي اتخذته في غيابه يعد مساندة لها كذات تسعى لتحقيق رغبتها، وبالفعل استطاعت الذّات تحقيق ما كانت تصبُو إليه وتسعى من أجله بمساندة عامل المساند وغياب تامّ لعامل المعارض الذي خلا من أيّ ممثل، لكن لم تتزوّج زينب من عبد الصمد الذي خطبها كأوّل رجل، بل تزوّجت غيره، حيث يذكر السّارد على لسان أحد أبناء حيّها « زوجها عبد الصمد لم يعد، ثبت لديهم موته بالغرق في مياه (شمّامه) تزوّجت غيره شابًا في سنّها من أعَزّ قومه»[2]، حيث تزوجته بعد طول انتظار وأمل بعودة عبد الصّمد، تُعلّق أمّها على زواجها قائلة: « عمرها الآن يقارب الثّلاثين نحمد الله الذي أعطاها حُسن السّعد والسّتر مع واحد من أعزّ وألمع فتيان القبيلة»[3]، لكن استمرّت حالة سوء الحظ تلاحق زينب بعد زواجها، حيث لم تتمتّع بزوجها إلاّ أياماً فقط حتى فقدته، لأنّه « يقضي بقيّة عقوبة السّجن المؤبّد، كما يقول الحاكم الفرنسي،... ذنبُه إسقاط أسنان (بيرفده) من الجيش الفرنسي»[4]، لأنّ هذا الأخير أراد زينب في شرفها ما أثار غيرة زوجها الذي لم يمض يومها على زواجه إلاّ أيام فقط. وللتوضيح أكثر لكيفية تشكل البنية العاملية لهذه المقطوعة نمثل ما سبق على الخطاطة العاملية التالية:

(1) الرواية، ص 29.

(2) الرواية، ص 23.

(3) الرواية، ص 61.

(4) الرواية، ص 83.

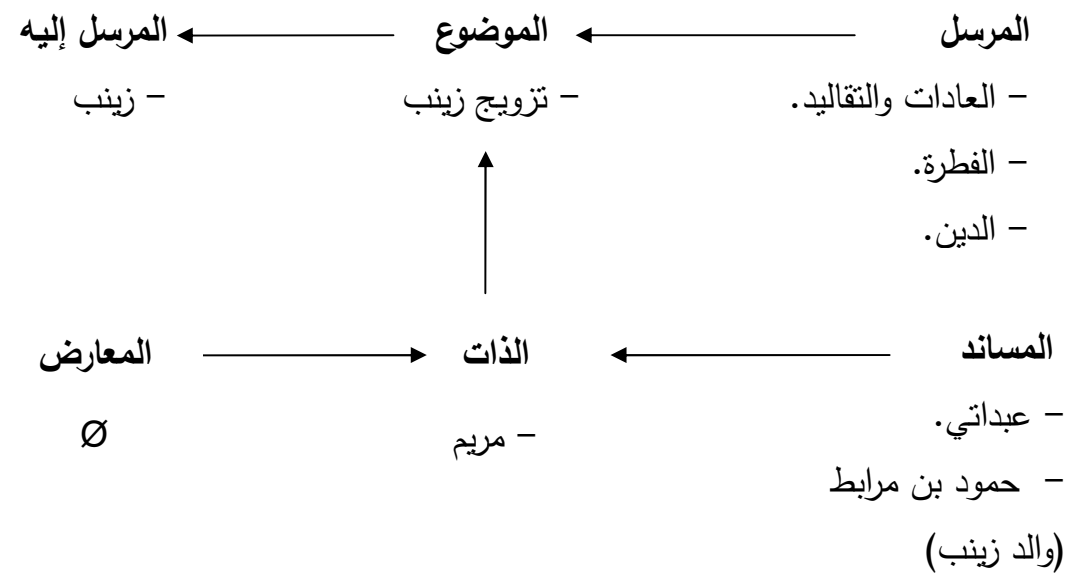

تنبني هذه الخطاطة على ثلاث علاقات، كل واحدة منها تحكم ثنائية من الثنائيات الثلاث التي تتشكل من عاملين وهي:

- **ثنائية المرسل/المرسل إليه:**

تحكم هذه الثنائية علاقة التواصل، إذ يعتبر عامل المرسل المتمثل في العادات والتقاليد مع الفطرة وعنصر الدين الحافز الذي دفع بالذات إلى الاتصال بالموضوع المتمثل في تزويج زينب من أجل أن يكون المستفيد هو عامل المرسل إليه، والمتمثل في شخصية زينب، فعامل المرسل غير مفرد وغير مشخّص، لأنه عبارة عن مجموعة من القيم الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد، ومجموعة من المسلمات المقدسة التي لا يجوز مخالفتها، وكذلك غريزة قوية تحكم الانسان، أمّا عامل المرسل إليه فهو مفرد مشخص مجسّد في شخصية واحدة.

- **ثنائية الذات/الموضوع:**

تنبني هذه الثنائية على علاقة الرّغبة، التي تدفع عامل الذات المتمثل في شخصية مريم إلى العمل والسّعي إلى الانتقال من حالة اللاّتوازن وهي حالة عدم زواج ابنتها زينب إلى حالة توازن التي تتمثل في زواجها، فالموضوع الذي ترغب فيه الذات هو تزويج زينب، والذي يتمظهر كعامل مفرد غير مشخص لأنّه عبارة عن قيام مؤسّسة تتكون من شخصين ذكر وأنثى

تحكمها قوانين دينية وعرفية، فهو ظاهرة اجتماعية إنسانية، أمّا عامل الذات فهو مفرد مشخص بتجسّده في شخصية مريم فقط.

- **ثنائية المساند/ المعارض:**

طبيعة هذه الثنائية التضادّية تحتّم أن تحكمها علاقة الصّراع، إذ يدخل عامل المساند في صراع من أجل إنجاح الذات في سعيها لتحقيق هدفها، عكس المعارض الذي يسعى كعامل بكل ما يملك لإعاقتها وإفشالها في ما ترغب فيه، إلّا أنّ علاقة الصّراع تغيب في ترسيمتنا هذه بسبب غياب أحد أطراف الصّراع، ألَا وهو عامل المعارض الذي لم يمثله أيّ ممثل، أمّا عامل المساند فتمثله كل من شخصيتي عبداتي وحمود بن مرابط، الأمر الذي نتج عنه فَلاَح الذات في سَعيها، فعامل المساند يتمظهر كعامل غير مفرد ومشخص.

2- الترسيمة العاملية الثانية: (عبد الصّمد يريد الزواج من زينب).

تمثل هذه الترسيمة جزءاً من الترسيمة العاملية الأولى، إلاّ أنّنا لم نغفلها لأنّها تمثل مرحلة مهمة لشخصية مهمة حضرت في مختلف أطوار الرواية، منذ البداية حتى النهاية، كما أنّها تحتلّ جزءا كبيرا كمقطوعة سردية من الرواية، وهي تدور حول شخصية عبد الصمد الذي رغب في الزواج من زينب بنت حمود بن مرابط إمام مسجد القبيلة، ويحفزه إلى تحقيق رغبته عامل المرسل المتمثل في جمال هذه الأخيرة والسّن الذي وصل إليه عبد الصمد، فهو في العقد الثالث من عمره، حيث استنتجنا هذا من كلام مريم وهي تتحدث عن جزء من تاريخه قائلة: «قبل عشر سنوات كان عمره عشرين سنة لما سمح له أهله بالتغرّب في أرض الحوض* لطلب العلم... يبدو أنه كان منهمكا في أعماله التجارية»[1]، فهو في عمر الزواج بل يكاد يمضي وهو لم يتزوّج بعد، أما الحافز الثاني المتمثل في جمال زينب فيظهر في انبهاره بها من خلال حديثه مع نفسه وهو يختلس « النظر من فتحة الرّواق ثم يفيق ويكلم نفسه: بارك الله فيها وعليها، وجه البدر وعيون المها... وواصل متغنّيًا في باطنه حوراء في دعج لمياء في لعس

(*)- أرض الحوض: أرض السودان.

(1) الرواية، ص 30.

كأنّها فضة قد شابها الذهب»[1]، كل هذه المحفزات النفسية والاجتماعية دفعت بالذات إلى الاعتماد على كفاءته في التّحيين لتحقيق رغبته، إذ تعد الثروة التي يملكها عبد الصمد عنصر كفاءة بالنسبة له كذات، حيث تصف مريم ثروته لزوجها قائلة: « غنيّ بسبعة جمال، ويقال إنّ معه كمّية كبيرة من الذهب والفضّة البيضاء، كما أتى بعبد صغير ووزّع الملابس على كثير من أبناء الحي»[2]، فهذه الثروة مكّنت الذات من التحيين لرغبتها إذ يتمثل ذلك في خطبة زينب وتلقّي الرّد بالإيجاب من أهلها، وهو ما يؤكّده كلام مريم، إذ تسرد مريم لزوجها: « أرسل إلينا اليوم خاطبًا يريد يَدَ زينب وأجبته بالتّرحيب»[3]، والآن الذات هي على وشك الانتقال من الحالة الأوّلية حالة عدم الزواج إلى الحالة الثانية وهي حالة الزواج، بعدما استجابت للحوافز الموجهة إليها من عامل المرسل، «وتبسيطا أكثر لما تقدم نمثل ذلك على هذه الخطاطة»[4]:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
عبد الصمد يريد الزواج من زينب		خطبتها		سلبية

نلاحظ أن الغائية كمرحلة نهائية يصل إليها البرنامج السردي سلبية، أي فشل الذات في سعيها للاتصال بالموضوع، مما يعني وجود إعاقة وسدّ لطريق الذات من قبل عامل المعارض المتمثل في القضاء والقدر، وهذا الأخير ما هو إلاّ تجسيد لإرادة الخالق تعالى ولحكمة لا يعلمها إلاّ هو، أي لا يحمل عامل المعارض برنامجا سرديا ضديدًا يتقاطع ورغبة الذات أو يشتركان في الهدف، ويظهر عامل القضاء والقدر كمعارض في قول زينب لزوجها معترفة له بصدقه: «وإنّك لصادق فيما كنت تكرّر منذ زمن بعيد "زينب لن ترزق إلاّ ما كتب الله لها" ! إنّها اللّيلة تزفّ لرجل غير عبد الصمد الذي تحدث الناس عن وفاته ثم كُذّبت وأُثبتت ونُفيت أيضا»[5]، يضيف بعد ذلك السارد على لسان إحدى شخصيات القبيلة: « ثبت لديهم موته غرقًا

(1) الرواية، ص 30.

(2) الرواية، ص 28.

(3) الرواية ص 29.

(4) ينظر: السعيد بوطاجين، ص 26.

(5) الرواية، ص 61.

في مياه شمّامة»[1]، فحادثة النّهر التي نجا منها عبد الصمد بأعجوبة هي التي تسببت في عدم عودته إلى القبيلة بعدما ذهب إلى السّينغال لشراء لوازم حفل الزفاف تحضيرا لزواجه من زينب، نجح عامل المعارض في عرقلة الذات رغم وجود عامل المساند المتمثل في شخصيتي عبداتي ابن عمّ عبد الصمد، الذي عرّفه على زينب ووصفها له، كما أنّه ناب عنه في غيابه برعاية عبده بلخير والإبل التي يرعاها والأهم من هذا: « أكياس الذهب والفضّة التي كانت وديعة عنده»[2]، أمّا شخصية مريم فكانت مساعدتها لعبد الصمد تتمثل في قبولها به زوجًا لابنتها زينب دون أن تنتظر عودة زوجها حمّود وتأخذ رأيه في الأمر، وحتى بعد عودته أطلعته على الأمر إخبارًا له وليس طلبًا لِرأْيه، فهي التي كانت دائما تسعى لتزويج ابنتها خوفًا منها عليها من البُور والعنُوسة، ويمثل عامل المرسل إليه في هذا البرنامج السّردي شخصية عبد الصمد، لأنه هو المستفيد الأول من تحقق رغبة الذات في الموضوع، وهو نفسه الذي يمثل عامل الذات، إضافة إلى عبد الصمد المستفيد الثاني هو مريم والدة زينب التي كانت تسعى دائما إلى تزويجها وتلوم والدها وتحمّله المسؤولية في تأخّر زواجها مقارنة بأندادها من فتيات القبيلة.

«وللتوضيح أكثر حول العلاقات التي تربط بين العوامل المكونة لهذه البنية العاملية نعتمد بالتمثيل لما سبق في الترسيمة العاملية الآتية»[3]:

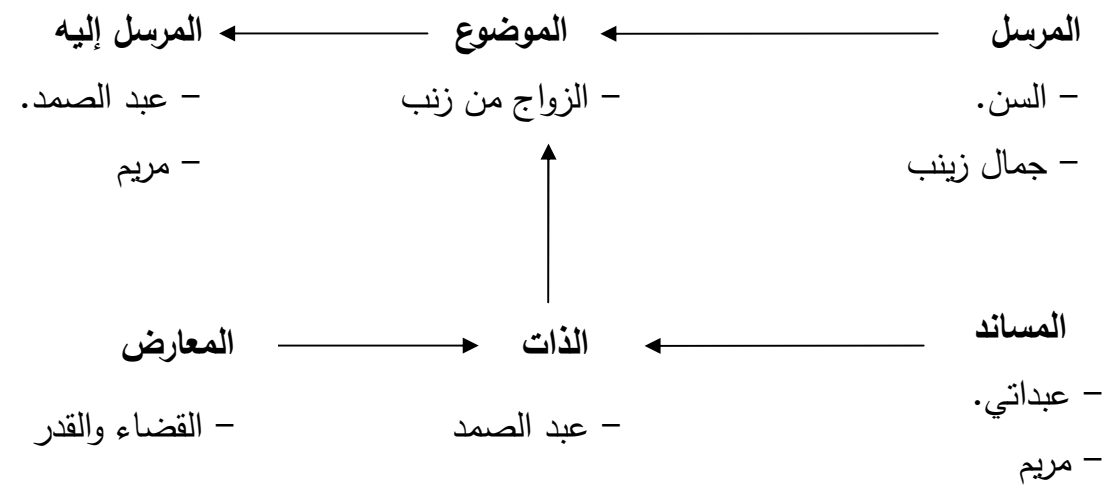

(1) الرواية، ص 83.

(2) الرواية، ص 60.

(3) ينظر: راضية لرقم، الخطاب السردي في الشعر العربي القديم، ص 115.

والآن يمكن بسط وتوضيح هذه الترسيمة العاملية من خلال الثنائيات الثلاث التي تقوم عليها وهي:

- **ثنائية المرسل/المرسل إليه:**

يتمثل عامل المرسل الذي حفّز الذات للسّعي من أجل تحقيق رغبتها عاملا معنويا من خلال ممثل السّن، إذ يعدّ هذا مدة زمنية يصل فيها الرجل إلى مرحلة وجوب الزواج، أما الممثل الثاني لعامل المرسل جمال زينب فهو أيضا معنوي في قيمته بالنسبة للإنسان، حيث تختلف معايير الجمال في المرأة من ثقافة إلى ثقافة ومن شخص إلى شخص، فعامل المرسل غير مفرد وغير مشخص.

أما عامل المرسل إليه فتمثله شخصيتان هما شخصية عبد الصمد المستفيد الأول من تحقيق انتقال الذات من حالة الانفصال إلى حالة الاتصال، وبما أنّ هذا الأخير هو الذي يشغل عامل الذات أيضا، فهو الذي سعى للاتصال بالموضوع بنفسه، أمّا الشخصية الثانية الممثلة لعامل المرسل إليه فهي مريم التي تعتبر مستفيدة ثانية في حال تحقيق رغبة الذات، إذن فعامل المرسل إليه مشخص غير مفرد.

- **ثنائية الذات/الموضوع:**

تقوم هذه الثنائية على "محور الرغبة"[1]، فالذات الرئيسة هي عبد الصمد أما الموضوع فهو الزواج من زينب، فالعلاقة التي تجمع الذات بالموضوع هي علاقة رغبة، يُعد عبد الصمد بكفاءته وتأثره بعامل المرسل المحفز له ذاتاً ترغب في الموضوع الذي يعد ظاهرة اجتماعية إنسانية تحدث في كل المجتمعات، غرضها الأول هو استمرار نسل كل من يرغب فيها، فعامل الذات يتمظهر كعامل مفرد مشخص، أما عامل الموضوع فهو مفرد غير مشخص.

- **ثنائية المساند/المعارض:**

يعتبر عبداتي بمعيّة مريم الممثّلين الوحيدين لعامل المساند الذي يسعى لتقديم المساعدة والتسهيلات للذات في سعيها من أجل تحقيق هدفها، فعبداتي بحكم علاقة القرابة من الذات عبد الصّمد عمل على إعانته للوصول إلى هدفه، وأعانته أيضاً شخصية مريم التي تتوافق ورغبته

(1) إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي دراسة سطحية، دار التنوير، ط1، الجزائر، 2013، ص 101.

مع هدفها الذي كانت تسعى لتحقيقه كذات رئيسة ألا وهو تزويج ابنتها، وبالتالي يتمظهر عامل المساند كعامل غير مفرد مشخص.

أمّا عامل المعارض الذي يتمثّل في القضاء والقدر، فهو عبارة عن إرادة لقوى لا قبل للذات بردّها أو مجابهتها، لذلك نجد أنّ المعارض رغم فردانيّته مقابل ثنائيّة التمثيل لعامل المساند قد انتصر وأعاق الذات، فعامل المعارض عبارة عن قوى غيبية مجردة يؤمن بها البشر وتتحكّم فيها قوى الخالق، ومنه يتبين أن عامل المعارض مفرد غير مشخص.

3-الترسيمة العاملية الثالثة: (مبروك – سلاك – يريد التخلص من العبودية).

تعمّدنا تسمية شخصية البطل في كل ترسيمة عاملية يعتبر فيها هو الذات الرئيسة التي يدور حولها الخطاب باللّقب الذي منحه إياه السّارد في تلك المقطوعة التي نمثّل لها بالتحليل والدراسة، ففي هذه الترسيمة العاملية سميناه مبروك، وهو الاسم الذي حملته هذه الشخصية خلال سعيها كذات نحو الموضوع المتمثل في التخلّص من العبودية، حيث أُستُبدِل اسمُه عدّة مرّات، فكلّما استولى عليه طرف جديد إلاّ ومنحه اسمًا غير الذي عُرِف به من قبل، فكان سلاّك عند أحمد سلوم ثمّ بلخير عند عبد الصّمد، ثمّ مبروك عند القبيلة التي استولت عليه بعد ذلك، لكنّنا بقينا دائما نقرن اسمه الأوّل في حياة العبودية (سلاك) باللقب الذي منحه إياه السّارد في كل مقطوعة على لسان مالكه الجديد.

مبروك الذات يسعى لتحقيق الفرضية التي مفادها أنّه يريد التخلّص من العبودية، أي الانتقال من حالة الانفصال عن الحرية الشخصية إلى حالة ثانية هي حالة الاتصال فيصبح حرًّا طليقا وليس عبدًا، حيث يقول مبروك وهو يحدث نفسه: « سأهرب عن هؤلاء، نعم سأختفي من أعينهم مهما كلّف الثّمن»[1]، أي أنّ الفرضية لن تتحقق إلاّ من خلال هرب مبروك وعدم الظهور أمام أسياده أبدًا، وكفاءته التي اعتمدها كذات من أجل تحيين رغبته هي أنّه اقتَنَع ووَثِقَ بنفسه كما يخبرنا السارد: « بعد تفكير عميق وأحاديث مع نفسه لا نهاية لها، لقد أصبحت رجلًا وعليّ أنْ أحيَا أوْ أموت»[2]، فقد أصبح مبروك رجلا قويّ البنية يعِي معنى الحرية مقابل

(1) الرواية، ص 65.

(2) الرواية، ص 64.

الحياة التي يعيشها، حتى أنّه أصبح يساوي الموت بالحرية ويوازن بينهما، إمّا موت وإمّا حياة في كنف الحريّة.

ويتمثّل عنصر التحيين في الخطة التي أعدّها مبروك مع نفسه بعد شفائه من مرضه «سأحمل شكوة ماء كبيرة وأعْدُو سريعًا إلى جهة المحيط، ربّما أصله بعد يوم وليلة من الجري المتواصل، وسأمشي بعد ذلك بحافة مياه المحيط، ستخفي الأمواج آثار قدمي، وإذا لحق بي الأسياد سأرمي نفسي في البحر، يجب أنْ أحيَا أو أموت»[1]، فهو مُصِرٌّ على التّخلّص من حياة الرّقيق أو الموت، المهم الانتقال من الحالة الأوّلية إلى حياة ثانية مهما كانت النتيجة سلبيّة أم إيجابيّة، والآن سنمثّل لما سبق بهذه الخطاطة:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
مبروك يريد التّخلّص من العبودية		التَّهيُّؤ للهرب بإعداد الخطَّة المناسبة		إيجابية

تعتبر الغائية المرحلة الأهم في الخطاطة السابقة، حيث من خلال حالتها يمكن معرفة نجاح الذات في تحقيق رغبتها من فشلها، وبالتالي فإنّ إيجابية الغائية تُبرهن على نجاح مبروك في تحقيق رغبته التي حفّزه إليها عامل المرسل المتمثّل في فراق حبيبته وما نتج عنه، إذْ يذكر السارد: « ها هو يُدرك أن الفراق القسْري مع حبيبته الذي عزَا إليه في البداية أصول اعتلاله إنّما حرّك في ذاته ذكريات الحريّة والأهل والوالدين»[2]، فلقاء مبروك بحبيبته ريحانة الْأَمَةُ أيضًا قبل أيّام ثمّ فراقه لها بعد لحظات بفعل أمر من سادته بالتّحرك وترك المكان تسبب له بالمرض خاصّة وصاحبته «حُمّى الجس الشتوي»[3]، هذه العواطف والأحاسيس أحيت في قلبه حب الحرّية وقبّحت له حياة العبيد الذي لا يملك أمام تحقيق رغباته شيء، لكن أثناء سعي مبروك كذات من أجل تحقيق هدفه برز عامل المعارض الذي عمل على إعاقته، إذ يتمثّل هذا

(1) الرواية، ص 65.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الرواية، ص 64.

الأخير في الأسياد الذين هم دائما في أمسّ الحاجة لمبروك كعبدٍ يقوم بأعمال جمَّة لا يقدرون هم على القيام بها، حيث « بذل أسياد مبروك أقصى جهودهم لعلاجه لينهض من مرضه»[1] إضافة إلى هذا هناك ممثّل ثانٍ لعامل المعارض يتمثل في الحَجَّاب الذي زارَ القبيلة ليلة عَزْم مبروك الهرب صباحا، حيث قال لأسياده: « بكلّ صراحة هو أنّ عبدكم هذا – مشيرا بأصبعه – مصّاص للدّماء وسلّال للقلوب، ساحرٌ من الدرّجة الخطيرة وعيناه المحمرّتان أكبر شاهد على ما أقول، نهض الأسياد وقد آمنوا بأقوال الضّيف (الحَجَّاب) وعقدوا حبْلا في عنق عبدهم يجرُّونه إلى خارج الحيّ»[2]، وما هذه التّهمة التي وجهها الحجّاب إلى مبروك إلاّ حيلة منه لكي يحصل بها على بعض الأموال، لأنّه أضاف بعد توجيه التّهمة إلى مبروك مخاطبا أسياده: «لا تقتلوه الآن... فبإمكاني أن أعمل له حكمة يتخلّص بها من عادة السّحر، على أن تدفعوا لي ديّةً مغلّظة مقابل أعمال الحِكمة»[3]، وبالتّالي أصبح لعامل المعارض برنامج سردي يعمل على تحقيقه، وإذا نجح هذا الأخير فإنّ الذات الرئيسة مبروك سيفشل في الاتصال بالموضوع وتحقيق الهدف، إلاّ أن الذات الرئيسة نجحَت في تحقيق ما طمحت إليه بفعل عامل المساند، حيث هرب مبروك فعلًا، هرب مبروك ليلًا بعد يوم كامل من التّعذيب، فقطع الحبل بأسنانه وسار حتى وصل « شاطئ المحيط بعد ثلاثة أيّام من العدو المتواصل تقريبًا»[4]، بعد هذه الرّحلة المضنية كان عليه أكل شيء ما حتى يستطيع مواصلة السّير وشاطئ المحيط، يقول « وجدت بعض المرّات أسماكاً صغيرة ميتة في الشاطئ، وكنت آكلها نيّئة ضدّ العطش والجوع، كما قطفت وأكلت فاكهة القرزيم التي توجد بعض أشجارها في الشاطئ... وتعلمون أن أمطارا شتوية هطلت في ذاك العام كان هطولها موافقا لبداية سفري»[5]، كل هذه الأمور عبارة عن عوامل ساعدت مبروك في رحلة هربه نحو الحرّية، وبالفعل نجح إذ يقول السارد: « أمّا اليوم فهو

(1) الرواية، ص 65.

(2) الرواية، ص 67.

(3) الرواية، ص 74.

(4) الرواية، الصفحة نفسها.

(5) الرواية، ص 75

مرتاح للحياة مع الصّيادين الأوفياء الذين واسوه ورحموه»[1]، أمّا عامل المرسل إليه وهو المستفيد من سعي الذات للاتصال بالموضوع فهو شخصية مبروك أي نفسه الممثل الذي قام بدور عامل الذات، « وأخيرا يمكننا سميأة الجملة النواة بالاعتماد على الترسيمة العاملية التي اقترحها غريماس»، وهي كالآتي:

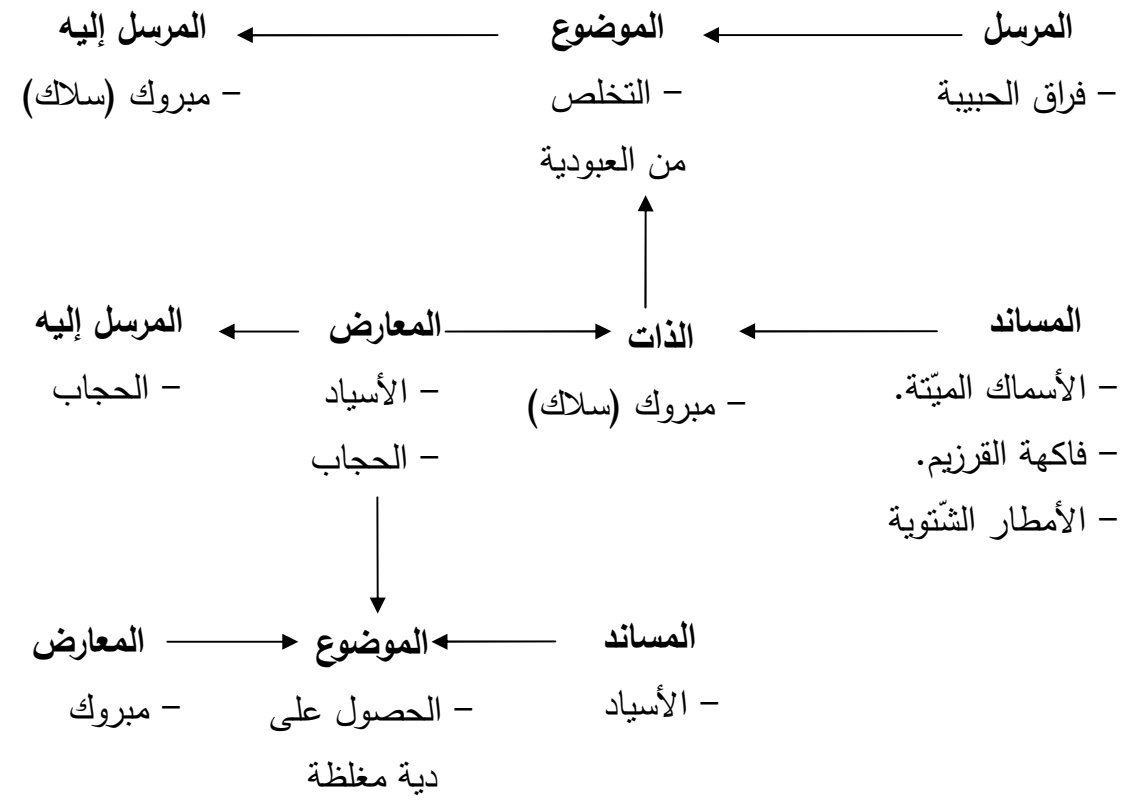

ثنائية المرسل/المرسل إليه:

كان فراق الحبيبة الذي عانى منه مبروك المحفّز الذي أحيا فيه الرّغبة في الحرّية، إذن فراق الحبيبة يمثل في هذه الثنائية عامل المرسل الذي دفع بالذات إلى الاقتناع بوجوب السعي إلى تحقيق اتصالها بالموضوع، فصدمة الفراق كان لها مفعول إيجابي إذ أحيت فيه ذكريات الحرية يوم كان صغيرا وحبّ الوالدين، فعامل المرسل هو عبارة عن حالة نفسية تحركها عواطف وأحاسيس جيّاشة غذّتها ذكريات جميلة، كلها ناتجة عن موقف التّخلّي عن أنثى أَلِفَها ومنْه فعامل المرسل مفْرد غير مشخص.

(1) السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 32.

أمّا عامل المرسل إليه الذي تمثله شخصية مبروك، بحكم أنّ هذا الأخير هو المستفيد الوحيد من اتصال الذات بالموضوع، فقد عانت هذه الشخصية كثيرا منذ زمن الطفولة يوم سُرق وبِيعَ في سوق النّخاسة كعَبد فهو لمْ يولد عبدًا لا يعرف معنى الحرية، بل كان حرًّا ووُلِد من والدين حرَّيْن وكان ذا قيمة بين سكّان قريتهم، لذلك سعى للحرّية كذات فاعلة في هذه الترسيمة ليكون هو الممثل لعامل المرسل إليه لأنّه المستفيد، وبالتالي يعد هذا الأخير عامل مفرد مشخص.

ثنائية الذات/الموضوع:

يمثل مبروك عامل الذات في هذه الثنائية، الذات التي تسعى إلى الاتصال بالموضوع المتمثل في التخلّص من العبودية بعدما حفّزها عامل المرسل، فالعلاقة بين الذات والموضوع علاقة رغبة، إذ إنّ مبروك بكفاءته وتأثره بمحفزات عامل المرسل رغب في التّخلّص من حياة العبودية، هذه الحياة التي تمثّل الحرية والتي تعد حقاً إنسانياً لكل عنصر بشري يطمح إليها حتى ينعم بالحياة الكريمة التي يضمن فيها تحقيق أبسط رغباته وأحلامه، وبالتالي يتمظهر عامل الذات كعامل مفرد مشخص، أمّا عامل الموضوع فهو مفرد غير مشخص.

تشغل شخصية مبروك عاملين إثنين في الترسيمة العاملية السابقة، عامل الذات وعامل المرسل إليه، وبحكم شغلها العامل المرسل إليه يزيد فيها الرغبة أكثر كذات تسعى لتحقيق الاتصال بالموضوع حتى تستفيد منه.

ثنائية المساند/المعارض:

يشغل الممثلان الأسياد والحَجَّاب عامل المعارض الذي يسعى إلى إعاقة وعرقلة الذات في مسعاها نحو هدفها، فالأسياد كعامل يعارض الذات مبروك على تحقيق حريته، لأنهم اشتروه بثمن باهظ وهو العبد الوحيد الذي يقوم على شؤون ماشيتهم، أما الحَجَّاب كمُمثل ثان لعامل المعارض فله برنامج سردي خاص به يسعى لتحقيقه، فهو يسعى للحصول على ديّةٍ مغلّظة من وَراءِ اتهامه مبروك بالسّحر، إذن يمثل الحجاّب الذات التي ترغب في الموضوع المتمثل في الديَّة المغلّظة، فيكون الحجّاب أيضا ممثلًا عامل المرسل إليه في الترسيمة العاملية التي تمثل برنامجه السردي، أمّا عاملي المساند والمعارض فتمثلا في الأسياد كعامل مساند

للحجّاب بعدما صدّقوا ما اتُهِمَ به مبروك وشَرعوا في تعذيبه واعتزموا الامتثال لأوامر الحجّاب مهما كانت، أمّا المعارض فهو شخص مبروك البريء الذي نجح في إبطال رغبة الحجّاب كذات بِهَربِهِ ليلًا.

إنّ عامل المعارض بمُمثلَيْه (الأسياد والحجاب) وببرنامج هذا الأخير فشلا في إعاقة الذات مبروك على تحقيق رغبته، بفعل وجود عامل مساند للذات الرئيسة أثناء عملها في سبيل الوصول إلى الهدف، فالأمطار الشتوية صاحبت ليلة فرار مبروك من الأسْر واستمرارها طيلة ثلاثة أيام التي قضاها يمشي في الصحراء متّجها ناحية السّاحل ساعدته في البقاء حيًّا والوصول إلى السّاحل رغم الإصابات التي عانى منها جرّاء التعذيب الذي لقيه من أسياده كذلك الأسماك الميتة التي وجدها مبروك وهو يسير مدّة ثلاثة أسابيع مع الشاطئ ساعدته في البقاء حيًّا أمام شبح الجوع والعطش، الأمر نفسُه مع فاكهة القرزيم التي أكلها أينما صادفها على الشاطئ، وعلى الرّغم من أنّ الممثلين الثلاثة لعامل المساند لم يكونوا شخصيّات قائمة بذاتها تساعد الذات بأفعال أوْ مؤهِّلات تُقدّمُها له، إلاّ أنّها لعبت دورًا مهمًّا في نجاح الذات بسبب اعتماده عليها كعناصر حافظ من خلالها على قدرته في وصوله إلى الهدف.

الترسيمة العاملية الرابعة: (بوجناح –سلاك– يريد الزواج).

يسعى بوجناح الذي يعيش بين الصّيادين من أهلُ القرية الساحلية في هذه الترسيمة العاملية إلى الزّواج الذي يمثل الموضوع بالنّسبة له كذات، وقد امتلك الكفاءة التي يعتمدها في سعيه لتحقيق هدفه وتتمثل في أنّه «بنا كوخًا لنفسه»[1] أيْ صار يملك المنزل وهو الأساس لتأسيس عائلة، إضافة إلى هذا هناك عنصر آخر يدخل ضمن الكفاءة وهو أنّ بوجناح « ألف الصّيد وألفه أهله، بل اعتبروه الصّياد القوي الماهر»[2]، أي أنه يملك المنزل والمهنة التي يضمن منها تحصيل قوت يومه، ويذكر السّارد: « لذلك لم يعد يفصله عن قراره الحاسم بالزواج إلاّ جمع المال اللازم، وهذه تعتبر غَيبتُه الرابعة في سبيل بيع المحصول الصّيدي»[3]، وبالتالي

(1) الرواية، ص 85.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الرواية، الصفحة نفسها.

شرع بوجناح كذات تملك كفاءة (مهنة ومنزل) في التّحيين لرغبته بالتغرّب مرّات متتالية في سبيل بيع المحصول الذي كان يصطاده من البحر، كل هذا دفعه إليه عامل المرسل المتمثل في السّن الذي وصل إليه « فهو في متوسط العقد الرابع»[1] كما يذكر السارد، أي في سنّ الكهولة ولم يتزوّج بعد، أمّا الممثل الثاني الذي دفعه للزواج فهو الاستقرار « فقد مرّت الآن سبع سنوات على إقامته بقرية إيمرافن... فهو مرتاح للحياة مع الصيادين الأوفياء الذين واسوه ورحموه»[2]، والآن يمكننا التمثيل لما تقدّم في الخطاطة الآتية:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
الزواج		جمع المال		سلبية

الفرضية التي سعى لتحقيقها بوجناح هي الزّواج، أي الانتقال من حالة انفصال عن الموضوع في الحالة الأولية إلى حالة اتصال في الحالة الثانية، لكن بوجناح لم ينجح في تحقيق الانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية وبقي في حالة عدم توازن، حيث فشل في أن يكون مستفيدا في الواقع بحكم أنّه الممثل الوحيد لعامل المرسل إليه وبقي المستفيد الضّمني والمحتمل، فشلت الذات – بوجناح– في تحقيق رغبتها رغم وجود عامل المساند الذي عمل على مساعدة الذات، فأهل القرية من الصيادين اعتبروه « الصديق الأمين والمحدّث الباهر وصاحب الآراء المعقولة»[3]، إضافة إلى المكانة التي منحوه إياها وقبولهم إيّاه بينهم كفرد محترم دافعوا عنه أمام الجنديّ الموريطاني المدجّج بالسّلاح لحظة أسرهم جميعا، فقالوا للجنديّ وهم الذين يعرفون قدرات بوجناح: « هذا الرّجل يا سيدي يده واحدة لا يستطيع عمل أي شيء، فهلا بقي مع حميرنا ومتاعنا؟»[4]، لكن الجندي رفض اقتراح الصيادين وهدّدهم بالقتل إن تكرّر وأن دافع أحدهم مرة ثانية عن بوجناح وعدّد بعدها عدة أشغال بسيطة يمكنه القيام بها.

(1) الرواية، ص 75.

(2) الرواية، الصفحة نفسها

(3) الرواية، ص 85.

(4) الرواية، ص 86.

يمثل الجندي عامل المعارض للذات، حيث كان فعله بأسر بوجناح السّبب في عدم نجاحه في مشروع الزواج الذي كان يُعِدُّ له، ليعيش بعدها بوجناح في السّجن مدة تسع سنوات بتهمة السّرقة، تميّزت معارضة الجندي للذات الرئيسة بأنّها تحمل في طياتها برنامجا سرديا يتقاطع في هدفه مع مسار الذات الرئيسة، إذ كانت رغبة الجندي هي تحقيق خدمة بوجناح له وللقافلة العسكرية « بأنْ يجمع الحطب... ويوقد النّار لطبخ غذاء الجنود ويرعى الجمال ويرفع جانباً من الحمل ويدير كؤوس الشّاي أو يمسك زمام جمل ويقوده»[1]، وبالفعل نجح عامل المعارض في تحقيق رغبته وكسب صراعه مع عامل المساند الذي كان يعمل لصالح نجاح الذات الرئيسة في سعيها لتحقيق هدفها، فكانت كفاءة الذات المعارضة التي اعتمدتها في التحيين لتحقيق رغبتها السّلاح الناري الذي تملكه أمام الذات الرئيسة الضريرة بذراعها المبتورة.

والآن «يمكننا تمثيل هذه العوامل وإبراز العلاقات القائمة بينها وفق الصياغة التالية»[2]:

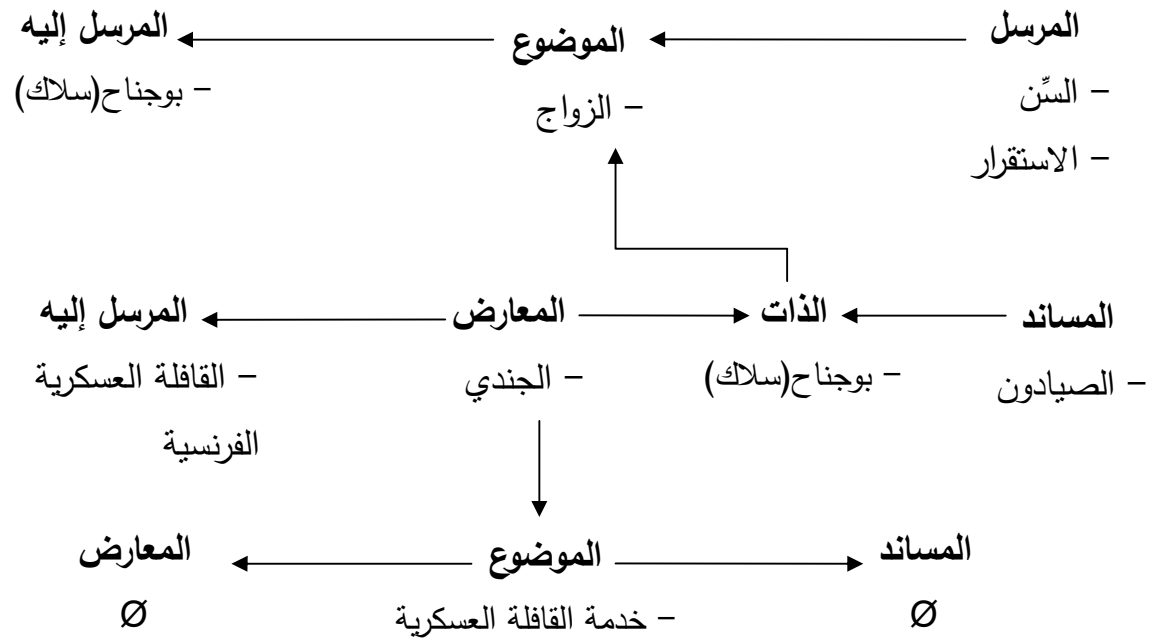

(1) الرواية، ص 86.

(2) راضية لرقم، الخطاب السردي في الشعر العربي القديم، ص 62.

تتبني هذه الترسيمة العاملية على « تنظيم متمفصل في ثلاثة أزواج من العوامل، يشكل الزّوج "ذات/موضوع" داخله قطب الرّحى وكل زوج مرتبط بمحور دلالي معين»[1] نبنيها كالآتي:

ثنائية المرسل/المرسل إليه:

يعدّ عامل المرسل الذي دفع بالذات للسعي من أجل تحقيق رغبتها عاملا معنويا غير مشخص بسبب تجسده في ممثل السن، إذ يعتبر هذا الأخير عبارة عن مرحلة زمنية يعيشها الإنسان تبدأ بالطّفولة إلى الشيخوخة أثناء حياته هذه بعد مرحلة البلوغ يتوجّب عليه الزواج وهو في سنّ الشباب من أجل استمرار نسله والحفاظ على النّسل البشري جميعًا، فانقضاء مرحلة الشباب ودخوله في مرحلة الكهولة دفعت بوجناح كذات إلى الاقتناع بوجوب الزّواج والعمل لتحقيقه.

أمّا الممثل الثاني الذي حفّز الذّات فهو عامل الاستقرار الذي غاب عن حياة بوجناح منذ أنْ دخل دائرة العبوديّة، فاستقراره بفعل حريّته التي استردها قرّب إليه موضوع الزواج.

أمّا عامل المرسل إليه فيمثله بوجناح (سلاك) الذي يعتبر المستفيد الوحيد في حال إذا نجحت الذات في اتصالها بالموضوع، كما أنّه هو نفسه الممثل لعامل الذات، فسعيه كذات يحفزه إلى الموضوع، وإضافة إلى المحفزات الأخرى أنه هو الذي يستفيد وحده من تحقق الموضوع، وبالتّالي عامل المرسل إليه مفرد مشخّص، أمّا عامل المرسل غير مفرد وغير مشخص.

ثنائية الذات/الموضوع:

تحكم هذه الثنائية "علاقة الرغبة"[2] التي تحملها الذات تجاه الموضوع فشخصية بوجناح التي تمثل عامل الذات، يرغب في الانتقال من حالة الانفصال عن الموضوع (العزوبية) إلى حالة توازن ثانية ضدّية وهي الزواج، ورغبته هذه مبنية على محفّزات جعلته يقتنع بالسّعي لتحقيق رغبته فعامل الذات مفرد مشخص.

(1) سعيد بن كراد، شخصيات النص السردي، ص 90.

(2) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أما عامل الموضوع الذي يتمثل في الزواج فهو معنوي القيمة، مادي التّحقق، فقيمته المعنوية تكمن في المكانة التي تحوزها هذه الظاهرة الاجتماعية لدى جميع الأمم والديانات، أمّا الماديّة فهي عيش رجل وامرأة في بيت أو مأوى يجمعهما وينجبان أولاداً، إذن فعامل الموضوع مفرد غير مشخّص عكس عامل الذات.

ثنائية المساند/المعارض:

يمثل عامل المساند في هذه الثنائية الصيادون الذين سعوا إلى إعفاء بوجناح من العمل في القافلة العسكرية وطالبوا بعدم أسره، كما كانوا له من قبل خير رُفقاء في الحياة بعدما عاش بينهم أزيد من سبع سنوات، لكن رغم كل هذه المساعدة فشل عنصر المساند في دفع الذات إلى تحقيق رغبتها أمام عامل المعارض الذي كسب الصّراع، إذْ استطاع عرقلة وإعاقة الذات الرئيسة (بوجناح) من تحقيق هدفها، وحقّق هو رغبته المتمثلة في أن يخدم القافلة العسكرية بعدما أسره، نجاح الذات المعارضة استفاد منه عامل المرسل إليه المتمثل في القافلة العسكرية الفرنسية التي يعمل لصالحها الجندي الموريطاني، حيث لم يجد في سبيل سعيه لهدفه كذات أي عامل معارض له أو مساند، إذن فعامل المساند في الترسيمة العاملية الرئيسة مشخص بالصيادين ومفرد، عامل المعارض مفرد أيضا ومشخص.

الترسيمة العاملية الخامسة: (عبد الصمد يريد تعريف أولاده بعشيرته).

تتجسد الذات كعامل في هذه البنية العاملية في شخصية عبد الصمد الذي يسعى إلى الانتقال من حالة لا توازن أولية متمثلة في جهل أولاده بأصولهم العرقية ولغتهم الأصلية التي تحدثها أبوهم يوم كان في سنهم إلى حالة توازن وهي الحالة الثانية التي لا تتحقق إلاّ بإرسال أولاده إلى البادية ليعيشوا طفولتهم هناك، فيتعرفوا على أبناء عمومتهم ولغتهم، قال عبد الصمد لعبداتي الذي نزل ضيفًا عنده في السّينغال: « ستأخذ معك أولادي الأربعة لتعلم اللغة العربية الحسانية وليحفظوا القرآن الكريم وليتعرفوا على أولاد عمهم»[1]، فهذا القول هو الفرضيّة التي تسعى الذات إلى تحقيقها من خلال الكفاءة المكتسبة والتي تصرح بها بنفسها: « جهزتُ لك

(1) الرواية، ص 99.

ثلاثة حمير لحمل المتاع»[1]، فالحمير التي منحها مجهزة عبد الصمد إلى عبداتي هي التي تحمل الأولاد والأمتعة إلى البادية حيث القبيلة، ثم تأتي مرحلة التّحيين التي تظهر في قول السارد: «سافر الشيخ عبداتي مرتاحًا لغنيمته المضاعفة: الملابس الجيّدة وذريّة ابن عمه الذي كان محسوبًا في عداد الموتى»[2]، فانطلاق الأولاد في سفرتهم يعد شروعا لمرحلة التحيين من قبل الذات لتحقيق رغبتها، وللتوضيح أكثر نمثل ما تقدم في هذه الخطاطة:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
عبد الصمد يريد تعريف أولاده بعشيرته		إرسالهم إلى البادية مع ابن عمه عبداتي		سلبية

تمثل الغائية النتيجة التي تتولّد عن عملية التحيين التي تقوم بها الذات في سبيل تحقيق ما ترغب فيه، وهي سلبية كما نلاحظ، إذْ يذكر أحد أبناء عبد الصمد بعدما كبُر تلك الحادثة قائلا عن عبداتي: « في الطّريق حبسه الفرنسيون وضربوه ونحن ننظر، وبقينا موزعين بين أسر تَبنَّتنا، كنت أصغرهم وعشت مع الّذي يليني في حضانة أسرة طيّبة وكريمة... مات أخي في أوائل الخمسينات»[3]، فكان الجنود الفرنسيون الذي يمثلون المُحْتلّ بمثابة عامل المعارض للذّات الذي « أفشل البرنامج السردي للذات الرئيسة» [4]، رغم عدم وجود برنامج سردي يسعى لتحقيقه أو تقاطع أو اشتراك في الهدف مع الذات الرئيسة، وبالتّالي فقد حسم الصّراع القائم بين عامل المساند الذي يمثّله عبداتي بفعل قبوله اصطحاب أبناء عبد الصمد معه إلى القبيلة وعامل المعارض الجنود الفرنسيون الذين أوقفوا عبداتي وأسروه وشتتوا الأولاد طول حياتهم.

كانت رغبة الذات وليدة تحفيز من عامل المرسل الذي يمثله ممثل الغربة، غربة في النسب والثقافة واللغة عاشها عبد الصمد منذ استقراره بالسينغال لم يرد لأولاده أن يعشوها منذ

(1) الرواية، ص 99.

(2) الرواية، ص 102.

(3) الرواية، ص 153.

(4)ينظر: راضية لرقم، الخطاب السردي في الشعر العربي القديم، ص 68.

صغرهم، فأرسلهم مع ابن عمه أملًا في وصولهم إلى مقرّ القبيلة في البادية الموريطانية، فيكون المستفيد الأوّل في احتمال نجاح الاتصال بالذات والموضوع شخصيّة عبد الصمد ثمّ الأولاد لذلك نجد هذين العنصرين يمثّلان عامل المرسل إليه في الترسيمة العاملية، فيكون عبد الصمد قد سعى بما تمنّى ويؤمّن مستقبل أولاده الثّقافي، أمّا الأولاد فيتعلمون دينهم بحفظ القرآن ولغة والدهم ويعرفوا أصلهم وفصلهم ويأمنوا نوائب الدهر ماداموا بين عشيرتهم، لكن كلّ هذا لم يتحقّق بفعل قوة عامل المعارض والآن نمثل « العوامل الستّة التي تقدم شرحها في التّرسيمة العامليّة المقترحة من قبل غريماس» [1]:

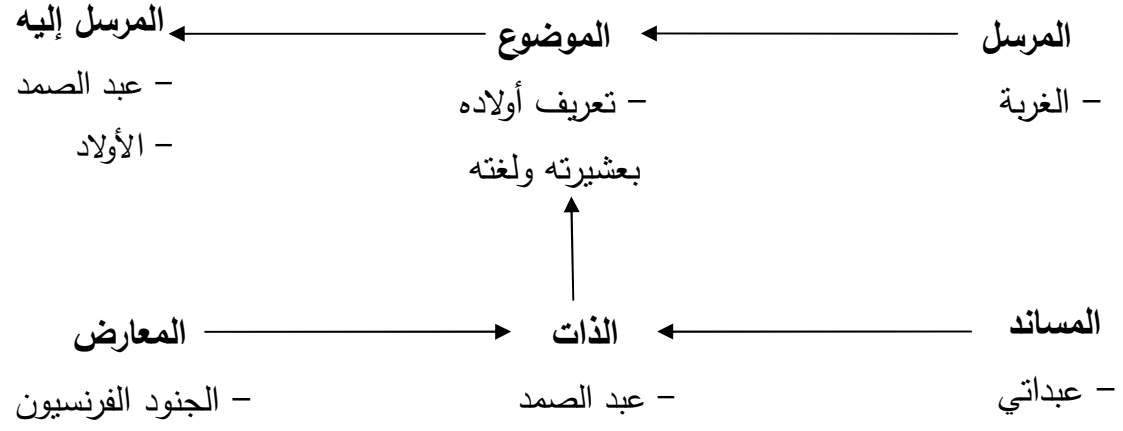

تنتظم بنية هذه التّرسيمة العاملية المكونة من ستّة عوامل في ثلاث ثنائيات، تحكم كل ثنائية علاقة خاصّة، نبيّنها بالشّرح كالآتي:

ثنائية المرسل/المرسل إليه:

يتجسّد عامل المرسل في الممثل "الغربة" التي حفّزت الذات عبد الصمد إلى السعي من أجل تحقيق الاتصال بالموضوع، المتمثل في تعرف أولاده على عشيرة والدهم وتعلّم اللّغة العربية الحسانية، فالغربة حالة نفسية يعيشها من ابتعد عن وطنه الأول في سنّ يعي فيه معنى الحياة ويذكر حلاوتها فيه، وتزيد الغربة حدة في النفس إذا ترك الإنسان أهلا له في ذلك الوطن، فيكون دائما يُمنّي النفس ويعمل جاهدا على العودة إليه، وإن لم يكن ذلك سيوصي

(1) ينظر: قادة عقاق، السميائيات السردية، دار النشر الجامعي الجديد، ط1، تلمسان، 2016، ص 226.

نسله ويُعلِمُهم بالأمر كي يحقّقوا ما فشل فيه هو، الأمر ذاته حدث مع عبد الصّمد الذات فالغربة تتمظهر كعامل مفرد وغير مشخّص.

أما عامل المرسل إليه الذي يمثله ممثّلان هما شخصية عبد الصمد والأولاد، فعبد الصمد الذي فشل في تحقيق عودته إلى مسقط رأسه الذي تركه مسافرًا في عقده الثّالث وهو الآن في عقده الثامن سيكون المستفيد بنجاح وصول الأولاد إلى موطن العشيرة ويُشفِي قليلا من شوقه بالعودة، أضف أنّ الأولاد سيستفيدون بالتعرّف على أرحامهم وأصول والدهم وتعلّم دينه ولغته إذن تجسّد عامل المرسل إليه غير مفرد مشخص.

ثنائية الذات/الموضوع:

تشدّ علاقة الرغبة التي تجمع هذه الثنائية الذات عبد الصمد تجاه الموضوع المتمثل في تعرف أولاده بعشيرته ولغته الأصلية، فشخصية عبد الصمد شغلت عاملين اثنين، عامل الذات وعامل المرسل إليه.

أمّا عامل الموضوع فهو ذو قيمة معنوية لها أبعادها في حياة كل إنسان، لأنّ التّعرف على الأصل في النسب والثقافة واللّغة تحفظ هوية الفرد من الانحلال والذّوبان في ثقافة الآخر أو التّيهان بحثًا عن ماهيته الفكريّة والتاريخيّة، لذلك نجد عبد الصمد يحرص على إرسال أولاده وهم في سن الطفولة إلى مسقط رأسه، حيث يعيش أبناء عمومتهم لكي يعرفوا أصلهم وهويتهم الفكرية والدينية والتاريخية ويحملونها منذ الصّغر، إذن فعامل الموضوع مفرد مشخص، أما عامل الذات فهو مفرد أيضا ومشخص.

ثنائية المساند/المعارض:

تتّسم العلاقة بين طرفي هذه الثنائية بالصراع، حيث يسعى كل طرف إلى فرض رغبته ومبتغاه مقابل الآخر، فعامل المساند يسعى إلى إنجاح الذات بمساعدتها، أما عامل المعارض فيسعى إلى فشلها بعرقلتها وإعاقتها، فعامل المساند الذي يمثله عبداتي شخصية ساعدت الذات في العمل على تحقيق رغبتها من خلال قبول طلب عبد الصمد بمرافقة أولاده في طريق عودته إلى القبيلة، وأنهما تجمعهما صلة قرابة العمومة، لكن هذا الأخير يفشل في صراعه ضد عامل المعارض الذي نجح في إعاقة رغبة الذات وإيقافها، فالجنود الفرنسيون مجموعة أفراد مسلحين

نظاميين يمثلون سلطة الجيش الفرنسي على الحدود المغلقة أمام المسافرين أوقفوا عبداتي وجردوه من كل شيء حتى الأولاد ومنعوه من العودة إلى موطن القبيلة، وبالتالي فعامل المعارض يتجسد كعامل مفرد مشخص بصيغة الجمع، أما عامل المساند فهو مشخص مفرد أيضا.

الترسيمة السادسة: (سيفيل بوجناح يريد الخروج من السجن).

تعد شخصية سيفيل بوجناح في هذه الترسيمة العاملية الذات الرئيسة التي تعمل ساعية إلى تحقيق رغبتها التي تمثل الفرضية المتمثلة في الخروج من السّجن، ولن تتحقق هذه الرغبة إلاّ بالانتقال من الحالة الأولية التي تمثل حالة انفصال بين الذات والحرية إلى حالة ثانية ضديدة حالة اتصال بين الذات والحرية، حيث يذكر السارد: « انقضت تسع سنوات على سيفيل بوجناح وهو قابع في سجن مدينة آطار»[1]، عمل في هذه المرحلة أعمالا منزليّة أحيانًا لجنود وقيادات وحكّام فرنسيين، لذلك خُفّفت عنه العقوبة كما يذكر الجندي: « لقد قبل الحاكم مبدأ التّخفيف عنك، أعني أنني محول إلى قاعدة عسكريّة متنقّلة... وستذهب معي في خدمتي وخدمة القاعدة، وعندما تُبرهن على أن سُلوكك لم يعد فاسدًا... فسيمكن تحريرُك»[2]، وبالفعل عمل سيفيل بوجناح بالشّرط المقترح من قبل الجندي تحيينا منه لتحقيق رغبته في الحرية والتخلّص من السجن، فلم يُقصّر سيفيل بوجناح يوما من الأيام في أداء مهامه وإظهار انضباطه، طمعا منه في إطلاق سراحه»[3]، إذ يعتبر الانضباط عنصر تحيين من الذات في سبيل تحقيق هدفه.

وللتوضيح أكثر لما تقدم نمثل ذلك بالخطاطة التالية:

الفرضية	←	**التحيين**	←	**الغائية**
بوجناح يريد الخروج من السجن		تحقيق الشرط المطلوب مقابل الخروج من السجن		إيجابية

(1) الرواية، ص 103.

(2) الرواية، الصفحة نفسها.

(3) الرواية، ص 112.

نلاحظ أن الغائية إيجابية بمعنى أنّ الذات نجحت في الوصول إلى هدفها، وهو ما حدث بالفعل لكن ليس كنتيجة لسعيها والتحيين لرغبتها، لأنّ الذات بعد تحقيق الشّرط المطلوب مقابل خروجها من السّجن دخلت السّجن مرة ثانية لسبب تافه كما جاء على لسان السارد: « واقتيد المتّهم بالتهاون والإهمال بأعمال الدّولة إلى حفرة بوسط القاعدة»[1]، فكان سبب دخوله الحفرة الجندي الذي جاء به معه بعد خروجه من سجن مدينة آطار، حيث يعتبر هذا الجندي عامل المعارض الذي يحول دائما بينه وبين خروجه من السجن كما أطلعه أحد رفاقه في سجن آطار بعد نيله حريته كاملة: « خدعوك كان قد صدر قرار بإطلاق سراحك قبل ذهابك مع ذلك الجندي»[2]، لكن خرج بعد دخوله إلى الحفرة في وسط القاعدة بمغادرة هذه القاعدة نهائيا ونال سيفيل بوجناح ما كان يصبو إليه بحافز قوي متمثل في الفطرة البشريّة التي تدفع بالإنسان دائما ليكون حرًّا.

والآن يمكننا التمثيل لما سبق بالترسيمة العاملية التالية:

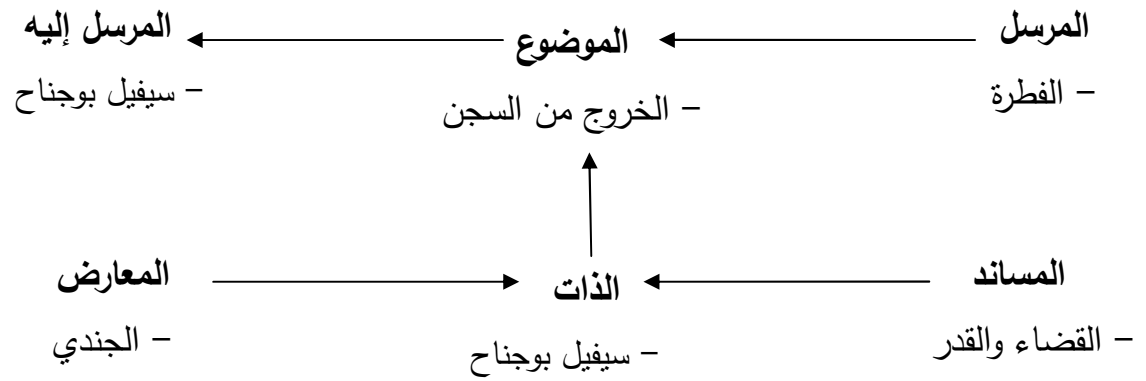

تتكون هذه الترسيمة العاملية من ستّة عوامل، تنتظم في ثلاث ثنائيات، وسنقدم لكل ثنائية بالتّحليل والشرح:

ثنائية المرسل/المرسل إليه:

يمثل عامل المرسل عنصر الفطرة، والتي تعدّ أمراً نفسياً غريزياً يولد مع الإنسان ولا يُكْتَسب، تتمثل في العديد من الأفعال والرّغبات التي يسعى الإنسان إليها حرصا منه على

(1) الرواية، ص 113.

(2) الرواية، ص 116.

تحقيقها، من بين هذه الرغبات الحريّة الشخصية، فالإنسان منذ ولادته وبدايات اكتشافه للعالم من حوله يجتهد في افتكاك حريّته كلّما أحسّ أنّها سُلبت منه، لذلك نجد أن شخصية بوجناح منذ اشتداد عظمه وهو دائما يسعى لنيل حريته كاملة مهما كلّفه الأمر من ثمن، وبالتّالي عامل المرسل مفرد غير مشخص.

أما عامل المرسل إليه الذي يتجسد في شخصية سيفيل بوجناح فهو مفرد مشخص، لأنه هو الوحيد الذي استفاد من انتقال الذات من الحالة الانفصالية إلى الحالة الاتصالية بالموضوع.

ثنائية الذات/الموضوع:

سيفيل بوجناح الممثل الوحيد للذات الرئيسة التي يحفزها عامل المرسل إليه إلى تحقيق رغبتها المتمثّلة في الخروج من السّجن، وبحكم اشتغال شخصية بوجناح عاملان اثنان، عامل الذّات وعامل المرسل إليه، وسيزيد إصراره كذات من أجل الوصول إلى الهدف المنشود لأنّه هو المستفيد الوحيد في حال تحقق الموضوع.

أما عامل الموضوع فهو ذو قيمة إنسانية لطالما كافح البشر من أجلها، فشخصية بوجناح تمثل الطّبقة المظلومة في حرّيتها، إذن فعامل الذات مفرد مشخص، وعامل الموضوع غير مشخص مفرد.

ثنائية المساند/المعارض:

يتجسد عامل المعارض في شخصية الجندي الذي يقوم بدور معروف ومحدد مسبقا باعتباره فرداً من الجيش، حيث يمنع الجندي الذات ويعيقها كي لا تحقق رغبتها، وبالتّالي فهو في صراع مع عامل المساند الذي يمثله عنصر القضاء والقدر، وبما أن هذا الأخير وليد الإرادة الإلهية فإن الصراع سيزيد حسما لصالحه وتتقهقر مساعي المعارض الذي كان يسعى دائما لإبقاء بوجناح أسيرا تحت خدمته، لكن شاءت الأقدار ورحلت القاعدة وتخلّص سيفيل من سطوة وبغي الجندي، إذن فعامل المساند مفرد غير مشخص أما عامل المعارض فيتمظهر كعامل مفرد مشخص.

لم نورد بالدراسة في هذا الفصل المثلثات العاملية على غرار الفصول السابقة الأخرى، لأنّنا لسنا بحاجة إليها بسبب شمولية الدراسة فيما يخص البُنى العاملية لرواية الأسماء المتغيرة، فقد

أوردنا ست ترسيمات عاملية لستة مقاطع سردية ملخصة كل واحدة منها في جملة، وبالتالي كانت هذه الترسيمات شاملة كل الشخصيات الفاعلة في حركة السرد داخل الرواية سواءً بالكثير أو القليل.

دوال الشخصيات:

لا يمكن تقديم أية شخصية على خشبة السرد لأيّ عمل أدبي فنّي إلاّ من خلال دال «فإذا اعتبرنا الشخصية دالا فإنّها بذلك – ولاشك– تختلف عن كونها مدلولا، لأننا نعرف أن المدلول شيء مُختفٍ لا يظهر إلاّ من خلال دال هو مجموعة من الإشارات التي يمكن أن تكون سمة، فالشخصية تكون بمثابة دال من حيث أنها تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها»[1]، أي دال الشخصية يتمثل في الاسم الذي يمنحه لها السارد أو اللقب وأحيانا يكون هذا اللقب ممنوحا على لسان إحدى شخصيات الرواية، ثم يجمع المجتمع الروائي بشخصياته على قبول ذلك اللقب وإحلاله مكان الاسم الرسمي للشخصية، أو مصاحبته له على الدوام وكثيرا ما تكون الأسماء وخاصة الألقاب مقترنة في سبب وجودها حول سمة أو صفة أو طبع تتميّز بها شخصيتها.

اعتمد الروائي أحمد ولد عبد القادر في تسمية شخصيات روايته "الأسماء المتغيرة" على خلفيتين الأولى القومية والثقافية العربية بتاريخها القديم وخاصة منذ مجيء الإسلام، أمّا الخلفية الثانية فهي الخلفية المحلّية التي تتمثل في الثقافة الموريطانية وما يميزها عن غيرها من ثقافات الدول العربية، تراوحت الأسماء بين المركبة وغير المركبة المفردة، كما أنّها تغيرت في مراحل كثيرة من السرد وخاصة شخصية البطل الذي تغير اسمه أكثر من خمس مرات، بالإضافة لاسمه الحقيقي، فعنوان الرّواية له امتداد مباشر داخلها بالمعنى الذي يحمله، حتى أنّنا نجد شخصية البطل كثيرا ما تذكر بأنّ الأسماء تتغير: « نعم يا ولدي كثيرا ما تتغيّر أسماء الناس عبر مسيرات أعمارهم»[2].

(1) فيصل الأحمر، معجم السميائيات، ص 219.

(2) الرواية، ص 125.

أول ما أعلن السارد عن شخصية البطل قدمها تحت لقب "سلّاك" الطفل العبد الصغير الذي اشتراه أحمد سلوم، ويعني هذا اللقب – سلاك– المستمدّ من الفعل الثلاثي «سَلَكَ: السلوك: مصدر سلك طريقا، وسلك المكان يسلكه سلكًا وسلوكًا»[1]، وسلاك جاءت على وزن فعّال، أي كثير القيام بالفعل حتى أصبح يسمّى به، وهذا ما يقصده السّارد من لقب الشخصية كعبد يقوم بسلك كل الطرق في سبيل قضاء أمور سيده، ويقال بالعامية في بلدان المغرب العربي "يسلك الأمر" يُقصدُ به يقضي الأمر أو يقوم بالفعل، وهذا ما قد يعنيه السّارد من وراء هذا اللّقب للشخصية كعبد يعمل على القيام بكل أمور سيده.

ثم يقدمه لنا باسمه الحقيقي "موسى"[2]، وهذا الاسم هو لنبي ورسول من بني إسرائيل وهو « ابن عمران، اسم عِبْراني "مُوشِي" أي المُخلِّصُ من الماء لأنّ ابنة فرعون انتشلته من الماء»[3]، وهذا الاسم ذو الخلفية الدينية يتوافق وحال العائلة ومهنة الوالد، حيث يذكر موسى – سلاك– أن والده « شيخ القرية يصلّي هو الأماميّ من الرّجال في المسجد»[4]، ثم يتغير اسمه من سلاك إلى بلخير، « أصبح اسمه في الآونة الأخيرة بلخير بإصرار من عبد الصمد الذي حذف اسمه الأوّل سعيًا للتّفاؤل بالخير»[5]، فكانت تَسْمِيَة سلّاك تفاؤلاً من سيده بأن يجلب له الخير، وأيضا حتّى لا يستطيع أصحاب مالكه الأول أحمد سلوم إيجاده أثناء البحث عنه بين القبائل، ثم تغيّر اسمه من بلخير إلى مَبْرُوك كما ذكر السّارد على لسان ريحانة: «قالت لنفسها: اسمه الآن مبروك وليس بلخير»[6]، ومعنى اسم مبروك المشتقّ من كلمة البركة وهي كلمة عربية أصيلة «النّماء والزيادة، المبارك»[7]، وهو ما تجسّد فعلا في الشخصية بالنسبة للقبيلة التي اشترته ومنحته هذا الاسم، إذ أصبح يقوم بكل الأعمال وحتى أعمال لم يكونوا من قبل يقدرون عليها، وبالتّالي توافق والاسم الذي منحوه إيّاه.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج03، ص 2073.

(2) الرواية، ص 12.

(3) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص 25.

(4) الرواية، ص 4.

(5)الرواية، ص 32.

(6) الرواية، ص 53.

(7) وليد ناصف، الأسماء ومعانيها، دار الكتاب العربي، ط1، سوريا، 1997، ص 180.

لم يبق اسم مبروك على حاله بل تغير بعدما تحرّر واستطاع الفرار من حياة العبودية والعيش في قرية الصّيادين، حيث أطلقوا عليه اسما جديدا وهو بوجناح، والسّبب من وراء هذا الاسم أخبرنا به السّارد قائلا على لسان بوجناح: « تتذكرون ولاشكّ كيف سقط ذراعي هنا وداويتم القُرحة»[1]، فهذا الاسم نابع من تشبيهه بالطائر الذي يملك جناحين، وبفَقْد بوجناح ذراعاً من ذراعيه صار مثل الطير الذي فقد إحدى جناحيه، ثم أضيفت صفة أخرى لهذا الاسم بعد دخول بوجناح القاعدة العسكرية ثم السجن حيث صار اسمه سيفيل بوجناح ومعنى كلمة سيفيل المأخوذة من اللغة الفرنسية المدني (Civil)، لأنّه لم يكن مجنّدا قانونيّا يعمل في القاعدة، عاش سيفيل بوجناح أزيد من عقدين من حياته يحمل هذا الاسم، ليتغير اسمه للمرة السادسة بعدها إلى بابا الكبير، أطلقه عليه مجموعة من الشباب كان يعيش معهم، وهو اسم مركب من كلمة بابا التي تعني أبي، أما الكبير فهي وصف لحالته العمرية التي تعرف فيها على هؤلاء الشّباب، فقد كان في عقده الثامن، فجاء الاسم الذي أطلقه الشباب عليه يحمل قيم الاحترام والتّقدير والتّوقير، إذْ اعتبروه في مكان الوالد أو الجدّ.

وبعد سنوات قليلة من مصاحبته أولئك الشباب تغير اسمه مرة أخرى وأصبح بابا الحكيم، لأنّهم اكتشفوا ما كان يردد: « إنّ منْ حُرِّرَ وحُرِمَ من ماله ورِزقه كمن لم يُحَرَّر»[2]، لهذا ولأقوال أخرى كان كثيرًا ما يردّدها أَطْلق عليه أصدقاؤه الشّباب اسم بابا الحكيم.

اسم ثان ورد في الرواية مركّب من جزئين وهو عبد الصمد، يتكون من « اسم العبودية لله "عبد"»[3]، وأُضيف له اسم من أسماء الله الحسنى "الصّمد"، ويعني المعبود الذي « يُقصَد وحده»[4]، عند الحاجة، لكن حدث تغيّر لاسم هذه الشخصية بعدما تغيّرت البيئة التي يعيش فيها، فبعد حلوله في أرض السينغال أطلق عليه تلامذته اسم "الشّيخ حيدرة"، وهو أيضًا اسم مركّب من لفظتين، فالأولى "الشّيخ" لها دلالة على تقدم في السّن بالإنسان وأيضا تحمل بعدًا دينيا في المجتمعات العربية بعد مجيء الإسلام إذ يُسمّى الرّجل الذي وصل سنّ البلوغ ويحُوز

(1) الرواية، ص 74.

(2) الرواية، ص 188.

(3) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص 18.

(4) جنا نصر الحتي، الأسماء العربية والمعربة، ص 15.

قدراً لا بأس به من علوم الدّين بالشيخ، وحتّى إمام المسجد يسمّى الشيخ، وكلا هذين المعنيين كِبَر السّن واكتساب علوم الدين وُجِدت في شخصية الشّيخ حيدرة، الذي يعني لقبه "الأسد"[1] حيث يوجد وجه تشبيه بين الشيخ والأسد كحيوان، فالشّيخ شجاع في مواجهة المصاعب وما يهابه النّاس هناك، وهو ما يصوره السّارد في هذه العبارة « قال أحدهم وهو يصرخ، ها هو حيدرة قادم، سنعرف اليوم أيّهما أقوى: السّاحر أو الأستاذ حيدرة»[2]، نفهم من هذا أن الناس كانوا يخشون السّحرة، لذلك يَرَوْنَ في مواجهة حيدرة لهم قِمَّة الشّجاعة والبسالة فأطلقوا عليه اسم حيدرة، وهو اسم للإمام علي رضي الله عنه لشجاعته منذ صغره.

اسم آخر من الأسماء المركبة حضر في الرواية وهو أحمد سلوم ومعنى الجزء الأول من الاسم "أحمد" « ضدّ الذّم، الأكثر حمدًا، من أسماء الرّسول صلى الله عليه وسلم»[3]، أيْ أنّه اسمٌ راقٍ له بعد ديني شريف، أمّا الجزء الثاني من الاسم "سلوم" فمعناه «السّلام، البراءة من العيوب»[4]، وبالتّالي فقد اجتمع في هذا الاسم المركب معاني الحمد والسلم والبراءة من النقائص والعُيُوب، وهو ما تجسّد فعلا الشخصية التي حملت هذا الاسم حيث تمتدحها إحدى شخصيّات الرواية قائلة: « الشيخ سلوم الذي افتدى حياتنا بشجاعة نادرة... ويا له من عربيّ أصيل»[5].

وجد اسم أنثوي غير مركب وهو زينب، هذا الأخير اسم عربي له جذوره في الثقافة العربية،وهو بمعنى "منعّمةُ البدن، وشجر حسَن المنظر، وطيّب الرائحة واسم زوجتين من أزواج النّبي وبنت من بناته –صلى الله عيله وسلم–، ومن أعلام النّساء، والشعراء يتّخذونها عروس شِعْرٍ، فيشبّبون بها كسلمى ودَعْد وغيرهما"[6]، أ] أن الاسم له بعده الديني بحكم أنه كان لزوجتين من أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم، وأيضا بعده الثقافي والتاريخي في الحضارة

(1) وليد ناصف، الأسماء ومعانيها، ص 61.

(2) الرواية، ص 97.

(3) وليد ناصف، المرجع السابق، ص 24.

(4) المرجع نفسه، ص 101.

(5) الرواية، ص 34.

(6) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص 120.

العربية، وكلا البُعدين انعكسا في الشخصية التي حمله هذا الاسم في الرواية، « تُعلم القرآن لأبناء الحي»[1]، ويصفها السارد على لسان إحدى شخصيات الرواية « هي سيدة صالحة وصاحبة بركة» [2]، وبالتالي وفق السّارد في منح الاسم المناسب للشخصية المناسبة في الرواية.

أما حمّود بن مرابط وهو والد زينب الذي يعني اسمه المركب من اسمه واسم والده حمود « كثير الحمد» [3]، وهو ما تميزت به الشخصية في الرواية بالقناعة والحمد كلها أرادت الخلود إلى النوم « عاد حمود إلى مأواه قائلا: الحمد لله، اللهم سامحنا بحقوق من نحن أحسن منهم حالا» [4]، وهنا أيضا وفق السّارد بين معنى الاسم الذي تحمله الشخصية وسماتها وطباعها.

اسم آخر له أبعاده الدّينية والثقافية في الحضارة العربية الإسلامية وهو اسم علي الذي يعني « كثير الارتفاع والشرف، والشديد القوي، واسم رابع الخلفاء الراشدين (الإمام علي بن أبي أبي طالب رضي الله عنه)، واسم لعلماء ووزراء وأمراء وأدباء وفقهاء»[5]، فشخصية علي ولد الشيخ من خلال اسمها نستطيع الاستنتاج أنها تنحدر من أسرة مسلمة ومتشبعة بدين الإسلام وهو ما تجسد فعلا في الرواية، علي ولد الشيخ حيدرة الذي يجابه السحرة بما يحفظه من آيات من القرآن الكريم، لكن حدث تغير بسيط في اسم هذه الشخصية حيث أصبح اسمه "علي شيخو" بعدما ضاع وهو طفل وكفلته أسرة، يقول «عندها سمّتني علي شيخو» [6]، أي الأسرة التي ربّته وهو صغير هي من غيّرت في اسمه.

يعد اسم مريم من الأسماء الأنثوية غير العربية، فهو « اسم عبري، بمعنى مرتفعة، أو سيّدة البحر» [7]، أي أنّه ذو بعد ديني لأنّه اسم « والدة المسيح»[8] عليه السلام نبيّ من أنبياء

(1) الرواية، ص 82.

(2) الرواية، ص 83.

(3) شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، ص 41.

(4) الرواية، ص 25.

(5) شفيق الأرناؤوط، المرجع السابق، ص 67.

(6) الرواية، ص 15.

(7) حنا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربية والمعربة، ص 99.

(8) وليد ناصف، الأسماء ومعانيها، ص 277.

أنبياء الله تعالى، وهذا الاسم مذكور في القرآن الكريم عدّة مرات، ويسمّي به المسلمون والنّصارى واليهود بناتهم.

شخصية أنثوية أخرى لم يتغير اسمها في الرواية مثل الشخصيات الأخرى هي شخصية ريحانة، ويعني هذا الاسم "كل نبات طيب الرائحة"[1]، أي له بعد حسّي بالنسبة للناس، وهو ما حدث فعلا مع هذه الشخصية التي حملت هذا الاسم في الرواية، إذ كانت الوحيدة التي أثّرت على إحساس مبروك العبد الراعي للإبل، فأحبّها وأنس بها أَمَةٌ ترعى ماشية أسيادها.

نُلاحظ أنّ دوال شخصيّات رواية "الأسماء المتغيرة" انقسمت بين أسماء مركبة وغير مركبة مفردة، وأيضا منها ما هو حقيقي وآخر مجرد ألقاب أُطلقت على شخصيات من قبل أشخاص من المجتمع الروائي.

(1) حنا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربية والمعربة، ص 85.

خلاصة:

بعد دراستنا لعنصر الشخصية في رواية الأسماء المتغيرة لأحمد ولد عبد القادر توصلنا إلى ما يلي:

1. راوح السارد في تقديمه لشخصيات الرواية بين الأسلوب المباشر – الشخصية هي التي تقدم نفسها – والأسلوب غير المباشر– السارد أو شخصية ما تقدم شخصية أخرى–، وقد اعتمد هذا مع الشخصيات الرئيسة والثانوية، كما أنّه جرى تقديمها في عبارات ومقتطفات ضمن عملية سرد الأحداث ولم يقدّمها في فقرات مجملة.
2. اكتملت دلالة كل الشخصيات بصفة تدريجية من خلال تقديم بعض صفاتها وسماتها والأدوار العاملية التي كانت تقوم بها، ولم يتم الامتلاء النهائي للبطاقة الدلالية لأغلب الشخصيات الرئيسة إلاّ بعد انتهاء قراءتنا للصفحات الأخيرة.
3. تميزت بعض الشخصيات أثناء دراستنا للبنية العاملية للرواية باشتغالها في الترسيمة العاملية الواحدة لدورين عامليين اثنين مثل شخصية عبد الصمد، بوجناح.
4. حضور بعض الشخصيات التي تقوم بأدوار محددة ومنفذة مثل الجندي، الحجاب، السّاحر، حيث كان لها في بعض الأحيان شيء من التّأثير على حركة ومجرى السّرد، وأحيانا أخرى لم يكن لها أيّ تأثير، فكانت جزءاً من مشاهد وصفيّة قدّمها السارد.
5. تحددت أغلب شخصيات الرواية بجنسها وأصلها الجغرافي واسمها أو لقبها، ممّا أفضى وضوحًا على المجتمع الروائي بشخصياته المختلفة من حيث طبقاتها الاجتماعية أو أصلها ونسبها.
6. انقسمت دوال شخصيات الرواية بين دوال مفردة ودوال مركبة، لكل واحدة منها دلالتها وبعدها، حيث وردت أغلب الأسماء ببعد عربي وديني إسلامي، الأمر الذي يؤكد الهوية العربية الإسلامية للرواية، وقدر نجاحها في عكس شيء من خصائص المجتمع الموريطاني في مرحلة تاريخية معينة.

خاتمة

خاتمة:

بعد استكمالنا دراسة النماذج الروائية الخمسة المختارة كعينة من الإنتاج الروائي المغاربي عامة توصلنا إلى النتائج الآتية:

_ اعتمد الروائيون المغاربة في إبداعاتهم الروائية على توظيف الشخصيات المرجعية بصفة متفاوتة من كاتب لآخر، فكانت شخصيات مرجعية متنوعة منها التاريخية من ذلك ما ورد في رواية الشمعة والدهاليز، ومن أهم تلك الشخصيات نذكر: الأمير عبد القادر وماسينيسا، والأمير خالد، والأمر ذاته تكرر في رواية الأسماء المتغيرة إذ ذُكِر شخصية تاريخية موريطانية وهي "حرمة ولد بابانا" زعيم ثورة التحرير الموريطانية ضد المستعمر الفرنسي، كما ذُكرت في كل الروايات التي دارسناها شخصيات مرجعية ذات طابع ديني أو أسطوري أو اجتماعي...، وبالتالي اعتمد أغلب الروائيين المغاربة على الشخصيات المرجعية وأدخلوها نصوصهم لامتلائها الدلالي الذي كان دعماً لمسارات رواياتهم السردية، وبهذا ضمّنوا أعمالهم شيئاً من مقومات أوطانهم التاريخية والثقافية والدينية والشعبية، وباستثمارهم لهذه التقنية السردية زادوا أعمالهم عمقا دلاليا وجمالاً فنيًّا وانتماء ثقافيًا وحضاريًا.

_ تضمنت الرواية المغاربية تقنيات مختلفة من نموذج لآخر في تقديم شخصيات العمل الأبداعي، فمنها ما كان فيها السارد هو العالم بكل خبايا الشخصيات والمقدم لها في مقطوعات وصفية مثلما حدث في رواية "الآفة" لعبد الله العروي، ومنها ما قدمت فيها الشخصيات نفسها بنفسها باعتبارها ساردة داخلة حكائياً، ومنها ما قُدّمَت شخصياتها على لسان شخصيات أخرى من العمل الروائي، لكن الغالب هو أن أكثر الروايات مزجت بين هذه التقنيات الثلاث مثلما حدث في رواية "الشمعة والدهاليز" ورواية "التبر" ورواية "الأسماء المتغيرة"، وبالتالي فإن مدلول الشخصيات في الأعمال الروائية امتلأ بشكل تدريجي من خلال هذه الأقوال بمصادرها الثلاثة، إضافة إلى ما قامت به كل شخصية من وظيفة في المسار السردي، ومنه فإن البطاقة الدلالية للعديد من الشخصيات لم تكتمل إلاّ بعد نهاية الرواية، ممّا خلق نوعاً من التشويق والجاذبية لدى القارئ في إتمام قراءة العمل الإبداعي.

_ كما تميزت الرواية المغاربية بحضور المحاور الأربعة التي عدّدها فليب هامون لتحديد الشخصية (الجنس، الأصل الجغرافي، الإيديولوجيا، الثروة)، حيث نجد أن أغلب الروايات تضمنت هذه المحاور ولو بدرجات متفاوتة الحضور والتوزيع بين الشخصيات في العمل الروائي، فمثلاً نجد أن محور "الجنس" حاضر في كل نماذج الشخصيات الروائية الخمسة التي درسناها، ثم في المرتبة الثانية محور "الأصل الجغرافي" الأكثر حضوراً وبعدهما محورا الإيديولوجيا والثروة بنسبة حضور متذبذبة حيث اضطررنا أحيانًا إلى استبدال أحد هذين المحورين بمحور آخر أكثر بروزاً وحضوراً، وبعد إخضاعنا أهم الشخصيات للدراسة التي تتجسد فيها هذه المحاور توصلنا إلى أنّ البنية العميقة لهذه النصوص الروائية تترجم لأفكار قيمة في قوالب شخصيات، فمثلاً في رواية التبر التي مثلت فيها شخصية "دودو" الشريرة المالكة لمحور الثروة استطاعت الوصول إلى مبتغاها رغم تنافيه مع العادات والتقاليد والعقيدة الدينية لمجتمع الرواية، أي أنّ المال في أيدي الأشرار لا يزيدهم إلّا قوّة في شرّهم وبطشهم مع الآخرين وينتج عن هذا فوضى يثيرها الطامعون في المال، في المقابل نجد الرواية نفسها شخصية الشّيخ موسى" المتعلم والحكيم الذي لم يتألّم في حياته ولم ير الشقاء بفعل حكمته وعلمه وزهده في الدنيا، فالفكرة العميقة التي تترجم لها أحداث الرواية وشخصياتها أنّ الدنيا لا تُشبع مهما ملك الانسان منها وأنّه سيشقى لو أحبها سواءً في مخلوق أو في عتاد أو مادة مثل "التّبر" وكل هذا في فضاء ثقافي وجغرافي يصور العرق التّارقي الليبي في الصحراء، أما رواية "الآفة" فهي تترجم في بنيتها العميقة فكرة القدرة التي يكتسبها الإنسان بالعلم، فبه تستطيع أن تتَسيَّد البشر والدنيا وتجعلهم يعملون لصالحك من دون حضورك، وهو ما يتجسد في دور إحدى شخصياتها الرئيسة (رودني كوون).

_ تميزت البنى العاملية في الرواية المغاربية بكثرة الممثلين للأدوار العاملية أحيانًا وقلّتهم أحيانًا أخرى، فمثلا في رواية "الآفة" لم نجد أيّ ممثل لعاملي ثنائية الصراع (المساند، المعارض) في كل الترسيمات العاملية التي تضمنتها دراستنا لهذه الرواية، عكس ذلك مع الروايات الأخرى مثل رواية "الطلياني" لشكري المبخوت ورواية "الشمعة والدهاليز"

للطاهر وطار ورواية "الأسماء المتغيرة" التي اكتمل فيها حضور الممثلين لكل الأدوار العاملية الست، ما زاد هذه الأخيرة جمالية وانفتاحًا أكثر لأفق التوقّع لدى القارئ بخصوص قادم الأحداث فيها أثناء قراءته لها، إضافة إلى هذا فقد حدث مرات عديدة أثناء الدراسة أن مثلت شخصية واحدة دورين عامليين اثنين في الترسيمة العاملية الواحدة، وغالبا ما كان هذان الدوران هما (الذات، المرسل إليه)، كما أنّ الممثلين للأدوار العاملية لم يكونوا دائما نماذج من شخصيات بشرية أو كائنات حية، بل تعدى الأمر ذلك إلى نماذج ممثلين من طبيعة مادية محسوسة أو مجردة مثل الحبّ والوفاء وغيرهما، فهما ممثلين معنويين مجردين، مثل ماحدث في رواية "التبر" فالحب والوفاء كممثلين لعامل المرسل دفعا بالبطل إلى السعي من أجل تحقيق هدفه.

_ ظهرت أغلب الشخصيات الرئيسة في البدايات الأولى للرواية ثم أخذت تظهر الشخصيات الثانوية الواحدة تلو الأخرى وتغيب أخرى، إضافة إلى أنّ شخصية البطل كثيرا ما ميوها الروائيون بصفات خلافية بالنسبة لأقرانها في المجتمع الروائي، مثل الذكاء والفطنة والفتوة والقيم الأخلاقية العالية، فشخصية البطل كثيرا ما كانت معلنة وظاهرة منذ الصفحات الأولى للرواية ثم تأخذ بطاقتها الدلالية في الامتلاء شيئًا فشيئاً.

_ لقد تنوعت دوال الشخصيات في الرواية المغاربية من حيث الخلفية الثقافية الفكرية التي استقى منها الروائيون المغاربة أسماء شخصياتهم وأيضا حسب الأدوار السردية الموكلة إليهم والفضاء الزماني والمكاني الذي اختاروه لرواياتهم، فالعديد من الأسماء لشخصيات في الروايات تحيل على الخلفية الدينية الإسلامية لسكان دول المغرب العربي، وبعضها يحيل على العمق والتعدد الثقافي مثل اسم الشخصية التارقية البطلة في رواية "التبر"، والبعض الآخر يحيل على منطقة جغرافية معينة من الفضاء المغاربي مثل اسمي بوعلام والعارم (الجزائر) واسم بابانا (موريطانيا)، وغيرهما من الأسماء، فكان الروائي المغاربي موفقا في اختيار أسماء شخصياته التي استقاها من الواقع، فكانت كثيراً ما تطابقت دلالة الاسم ودور الشخصية وصفاتها وسماتها التي منحها إيّاها السارد.

_ كما تميزت الرواية المغاربية في كل النماذج الخمسة التي درسناها بارتباطها المباشر بالواقع المغاربي في رقعة جغرافية من امتداده، حيث كانت كل أحداث الروايات تجري في فضاء مكاني معين من المغرب العربي، إضافة إلى فضاء زماني واقعي أيضاً وكثيرا ما انقسم هذا الزمان بين فترتي الاستعمار الذي عاشته كل دول المغرب العربي وفترة الاستقلال بعده، ففي كل الروايات التي اعتمدناها في هذه الدراسة وجدنا معالجة لقضايا اجتماعية (الطلاق، التعليم، العدالة الاجتاعية)، وثقافية (اللهجات، العادات والتقاليد، الفنون الشعبية)، وتاريخية (الثورة ضد المستعمر، بناء دولة ما بعد الاستقلال أنظمة الحكم)، كلها من واقع شعوب بلدان المغرب العربي في فترة الاستعمار وما بعدها.

الملاحق

ملخص رواية "الطلياني" لشكري المبخوت:

عبد الناصر فتى تونسي يُلقب بالطّلياني بين أهله وأبناء حيِّه بسبب شبهه الكبير بالإيطاليين، يساري الفِكر متمرد على سلطة الأسرة والعادات والتقاليد وحتى تعاليم الدين الإسلامي، عاش طفولة قاسية تعرّض إثرها لأحداث مشينة من قبل إمام الحيّ "علالة الدرويش" وابنة جارهم "جنينة" الفتاة اليتيمة والمراهقة الشّبقة، صنعت منه هذه الأحداث نفسيته المتمرّدة، دخل كلية الحقوق بجامعة "مَنُّوبة" مرحلة الثمانينات وهو ساخط على أحوال البلاد والعباد، تزعّم إحدى التيارات الطلابية اليسارية المناهضة للتيار الإسلامي وسياسة الدولة وشهد الصراع الفكري والإيديولوجي الذي ساد الجامعة التونسية آنذاك، في مرحلة نضاله النقابي بالجامعة وهو القيادي المشهور تعرف على فتاة من أصول ريفيّة أمازيغية تسمى "أَنْرُوزْ" وتعرف باسم "زينة"، فتاة مُفَوَّهة وخطيبة لا تهاب قول الحقيقة مهما كانت العواقب، تدرس الفلسفة وتصغره بسنتين، طلبها للزواج فقبلت بشرط أن يظلّ زواجهما سريًّا على عائلته وعائلتها، وكان لها ما اشترطت، دام زواجهما الذي كان في ظروف خاصة جِداً ماديًا ومعنوياً مدة سنتين فقط، حيث لم يكن راتب عبد الناصر العامل كمُدقّق لغوي في إحدى الجرائد يكفي لكل متطلباتهما، وأيضا سعيها الدّائم والحثيث لإكمال دراستها والحصول على منصب عمل أنساها مسؤوليتها تجاه زوجها الذي أصبح يخونها مع صديقتها "نجلاء" وأخريات لا تعرفهن، لم تنجح في إكمال دراستها بعد وفاة والدتها ثم بسبب ظُلم أحد الأساتذة ومساومته لها في شرفها، فكانت النتيجة لكل هذه الأحداث طلب طلاقها من الطلياني، وكان لها ما أرادت رغم رفض هذا الأخير في البداية، انتهى بها الحال إلى العيش في باريس مع رجل فرنسي في عقده الخامس من دون زواج، أمّا عبد الناصر فانتهى به الحال إلى عيشه البوهمية في بيوت الرّذيلة والملاهي اللّيليّة، رغم ذلك تحسنت حالته المادية بسبب ترقّيه في العمل إلى كاتب صحفي ومسؤول عن الملحق الثقافي للجريدة، في هذه المرحلة شهدت تونس حدثا عظيما وهو الانقلاب العسكري الذي قام به "زين العابدين بن علي" على نظام الرئيس "بورقيبة" آنذاك، وتغيرت حال عبد الناصر من المعارض لدوائر السّلطة والأمن إلى مساند ومطبّل يكتب مادحًا ومُبَجّلا حكم "بن علي" وسياسته وإلاّ سينتهي به الحال في السّجن ثم الموت مثلما حدث لرفاقه في النّضال أصحاب التيار الإسلامي أيام الجامعة، ترقى بعدها عبد الناصر إلى مراسل لوكالة الأنباء الفرنسية ثم أسّس عملا حراً تمثل في مؤسسة مصغّرة للإشهار والإعلام، فقد عبد الناصر والده في هذه المرحلة من حياته، وشهدت جنازته حادثة

غريبة وهي ضرب عبد الناصر علالة الدرويش إمام الحي بركلة على الوجه لحظة وضع جثة الوالد في القبر ونعته له بالمنافق والوضيع، كانت انتقاما انتظره منذ كان طفلا صغيرا لم يفهم أحد سبب فعلة "عبد الناصر" إلّا "جنينة" زوجة "علّالة الدرويش"، فيما راح كل أفراد العائلة والأقارب يُعلّلون فعلته بعيشه البُوهِمية والسّكر والإلحاد في السنوات الأخيرة.

دخول "زكي خليفة" المعهد وتفوقه في الدراسة رفقة "هلال كروم" و"زينب سعدان"، ثم تخرجه والتحاقه بمصلحة الأرصاد، والتحاق كل من "هلال كرّوم" بمحطة تحليل التربة و"زينب سعدان" بمخبر الأدوية.

التحاق "سلطانة بالناصر" بمصلحة الأرصاد التي يعمل فيها زكي خليفة وتعرفها عليه وتعلقه بابنتها الصغيرة "نورة " قبل أمّها، لكن لم يستمر الحال طويلا فتهاجر سلطانة بالناصر بمعيّة ابنتها الصغيرة نورا، وتترك زكي خليفة وحده يتألم بعدما ألفهما بسبب إقامتهما معه مدة من الزمن.

يجدد زكي خليفة علاقته بزميله "هلال كروم" وزميلته "زينب سعدان"، ثم يسافر إلى شرق أرض المغيب للاتصال بابنته المعنوية "نورا" وإلقاء محاضرته والتعرف على الأستاذ "رودني كوون"، تستقبله "نورا" و"عنان رستم" أليفها مبعوث الدكتور "رودني كوون".

أقام زكي خليفة في فندق الفصول الأربعة وتعرف على "إيمي" زميلة نورا في الشّقة التي تحذره من الدكتور "مارتن روس" قبل المداخلة، ثم يقدم مداخلته ويعيش مساءً التجربة الوقائية من الحريق في الفندق التي أخافته كثيراً، يعود إلى بلاده ويقص لزميليه كل ما رآه في رحلته العلمية.

ينتقل زكي خليفة بعد سنين عديدة من مصلحة الأرصاد إلى مرقاب جديد في أعلى نقطة من السلسة الجبلية، وفي يوم من الأيام تتصل زينب بزكي تبلغه بوصول الجثمان وعن موعد حفل التغييب، يحضر زكي خليفة حفل التغييب ويستمع لكلمة المندوب التي يعلن فيها عن الأسباب المتوقعة في موت "هلال كروم"، يعود زكي لمرقابه ومباشرة عمله وبعد أيام تطلع عليه صورة المندوب يخبره بوجوب خلافته مكان هلال كروم في شط أرض المغيب.

أعراض "هلال كروم"

هلال كروم ابن "رحمة زرهوني" وولد من أولاد سيدي الشيخ الشرقي، وهو مجاهد عاش هاربا من الاستعمار إلى أن مات في إحدى المعارك، دخول هلال كروم المعهد ويبني علاقة له بمعلم الموسيقى (الصابونجي) وزميلته زينب سعدان، تنشب الحرب في البلاد وتسبب مغادرة المشير، قيادة هلال كروم للثوار ثم هدوء الثورة بعد وصول المندوب وسماعه عن الأعراض التي ظهرت على هلال كروم ولقائه به، يحدث أن أُرسِل هلال إلى الشط الشرقي لأرض المغيب المكان الذي زاره زكي خليفة من قبل، وخضوع هلال للتجربة التي كانت ناجحة ثم وفاته ليلتها حرقا في الفندق الذي شهد فيه زميله تجربة الوقاية من الحريق.

"**المندوب**"

يملك أصولا سردينية جاء جدّه لشط أرض المغيب ويسكن مدينة نيوجرزي، سماه جَدُّه"فْرادْ بَالْمَر" على الطريقة الأمريكية ثم انتقل إلى بوسطن، درس القانون في جامعة الدولة وتعرف على "ليلى يُوهانْسْ" الفتاة السويدية، ثم تعرف على الدكتور "رودني كوون" الذي نصحه، درس بعدها اللغات القديمة وعلوم النبش والحفر، ليدخل بعدها معهد الدبلسة ويتخرج منه، أُرسِل بعدها إلى البصرة وتعرف بعدها على النحاتة "أدريانا فَنِّيش" السلافية الأصل الجرمانية الطباع وعاش معها، يرحل بعدها بأمر من أستاذه رودني كوون إلى "سبأ" ثم بعدها إلى "الحبشة" ويندمج في البنية الاجتماعية بعدها ويغيّر اسمه من "فراد بالمر" إلى "فَرِيدْ المِيرِي"، ويصله الأمر بعدها بالانتقال إلى بلاد "المغرب" بمعية "أدريانا فنيش" كمندوب مهمته الأكاديمية وبمساعدة رفيقته، في هذه المرحلة تعرفت "أدريانا" على رحمة زهوني والدة هلال كروم وتقربت منها.

أرسل المندوب هلال كروم إلى أستاذه رودني كون ليخضع للتجربتين بناء على الأعراض التي ظهرت معه، ليموت بعدها جراء حريق نشب إثر التدريب الوقائي من الحرائق ويعمل المندوب بعدها على استقدام زكي خليفة مرة ثانية لشط أرض المغيب لتجرى عليه التجارب بمعية الأستاذ "مارتن روس".

"كُوونْ" وسِرُّ البقاء

سليل أسرة إيطالية نبيلة، شغف كوون منذ صغره بحب مطالعة الأساطير والملاحم وأخبار عن الأناضول والقوقاز والريف وهو في سن الشباب، دخل الجامعة وسافر إلى المغرب (الرّيف) عن طريق إسبانيا من أجل بحث يقوم فيه بالمقارنة بين الهنود الحُمْرِ وسكان الرّيف، وبعد ستة أشهر يزور "أرض الميعاد" ويعود بعد ثلاثة أسابيع إلى إسبانيا ثم إلى بلده ويستقر بمتحف "بِيبُودِي" ولا يفارقة يدرس الأجناس البشرية، كان كوون يخاطب عنترة وهو مجسم تمنّى أن يكون توْأماً له يكون تلميذَه، وكان له ما تمنى إذ تعرف على "فراد بالمر" الشاب، وأعده ثم أرسله سفيرا له دارسًا مغامراً في أرض حلم بها (البصرة، سبأ، الحبشة، المغرب).

تعرف بعدها على الكتور "مارتن روس" ويحدثه عن آفة تجتاح المدارس الابتدائية تشبه الغيبة والتوه إلاّ ثلاث مدارس سلمت من هذه الآفة، ثم يتعرف على "عنان رستم" بالصدفة ويدخل طاقم "رودني كوون" للعمل معه ويصبح عنان قلمه الراقن ولسانه الناطق، وأسندت إلى كوون مهمة السهر على تجربة معدة لأهل المفازات في الريف والأحابيش.

"رُوسْ" والذاكرة

ولد مارتن روس في المدينة التي ولد فيها أبواه، مدينة قاعدة الغرب الوسيط، شجعه أبوه على متابعة دراسته الجامعية إلى نهايتها بتوفير كل ما يحتاج، درس طب الأعصاب كما نصحه والده، وعاش وحيدا في المنزل بعد وفاة والديه بحادث مرور، في يوم من الأيام يتلقى رسالة من أستاذه "وِلْيَم هَاريسْ" لحضور مناظرة عقدت في الجامعة بين الباحثين فما كان منه إلّا الاستجابة والحضور وتلخيص ما دار أثناء المناظرة من نقاش، وفي نهاية المناظرة ناول روس ما كتب لأستاذه "هاريس" فلقي استحسانا عنده ووعده بأن يقدم مقترحاته إلى من يهمّه الأمر في الوقت المناسب.

ظهرت آفتين كل واحدة مست فئة معينة (الصغار/ الكبار)، فمارتن روس جمع بين هاتين الآفتين في إشكالية هي: مَنْ المرشح مِنَ الأجناس أن تخطئه الآفة الأولى وتصيبه الثانية؟ وإثر هذه الإشكالية وبمساعدة أستاذه عيِّن قيِّمًا واستقدم إلى مقر الأكاديمية، وفي أحد الأيام صباحا زوده أحدهم بعنوان وطلب منه أن يزوره في الغد، فكان منه ذلك ليقابل مسئولا لم يعرفه في مكتبه ويعرض عليه ما توصل إليه من خلال أبحاثه في خمسة مباحث لاقت استحسانا لدى ذلك المسئول، أطلعه المسؤول على صورتين أولاهما للدكتور "رودني كوون" والثانية لرجل لم يعرفه، وهو الذي أطلعه على آفة المدارس الفئوية، ثم يطلب المسئول منه أن يجري على هذا الأخير أولى تجاربه دون علم الضحية أملا في النجاح والحصول على دواء لكلا الآفتين.

التحق روس بالأكاديمية على الوجه الشرقي واطلع على نتائج الباحثين فيها الإيجابية والسلبية وقابل الدكتور "يوشيرو إيطاكا" الذي أطلعه على نتائج بحثه، تُجرى التجربة الأولى على "عنان رستم" ولا تنجح ثم يقترح الدكتور كُوونْ "هلال كروم" لما وصله من مندوبه هناك عن أعراض هلال، ويحضر هلال وتجرى عليه التجربة.

"عنان" وحربة الزّمن

"عنان رستم" من أبناء تركيا يعود أصله إلى جبال القوقاز، يدرس العلوم التطبيقية والموسيقى، تعرف على "فاتن بيلاك" ذات الأصول الجرمانية والتي تدرس اللغات والموسيقى، كانت قد منحت الدولة عنان وفاتن منحة دراسية إلى أمريكا مكافأة لهما على التفوق والتميز، يتعرف بعدها يتعرف بعدها على أستاذ الرياضيات المَجَرِي "لوقا ساندروس" ويقدم له صديقته فاتن بيلاك، وفي يوم من الأيام تزور "فاتن" متحف "بيبودي" الذي كانت تمر عليه كل صباح متوجهة إلى معهد الموسيقى، وتدخله بمعيه صديقها "عنان رستم" ويتعرفان بعدها على الدكتور " كوون" في مكتبه.

بعد مدة غادرَ الصديقان المدينة التي سعَدَا فيها، فاتن متجهة إلى ألمانيا وعنان إلى عمق الغرب ليعمل مدرسا في إحدى المدارس الفئوية، انقضت سنين ويعود "عنان رستم" لزيارة الدكتور كوون في مجمع الأكاديمية، ويقبل عرضه للعمل كمساعد خاص به، فرح عنان بعمله هذا وشارك مرة واحدة في تجربة كانت فاشلة، تعرف بعدها في عمله على "إيمي وِلْيَمزْ" التي أخذته إلى بيتها لتطلعه على مفاجأة له، يتعرف أثناء هذه الزيارة على الفتاة "نورا" وتحكي له عن حياتها التي كان يعرفها من قبل بسبب اطلاعه على مراسلات الدكتور كوون، وتطلب منه إيمي بعدها التفكير في وسيلة لاستقدام والد نورا يطرح عنان رستم ذلك على أستاذه ويقبل ويكلفه بعمل ما يتوجب ليتحقق طلبه.

إيمي ذات الهمة

إيمي فتاة أمريكية، تركتها والدتها وهي صغيرة وهاجرت، عاشت مع والدها ومربّيتها "فيونا"، وفي سن الخامسة عشرة رحلت إيمي من بلدتها لتتجه بعدها إلى ضواحي قاعدة الغرب الوسيط هي وأفراد أسرتها، (الأب والمربية وكلبها) وهي تستعد لدخول الجامعة السنة القادمة، مرض والد إيمي بعدها مرضا لم تعرفه إيمي، وظل على هذه الحال مدة من الزمن (شهور)، ثم يأتي الأمر الحكومي بعد أخذ والد إيمي بإخلاء المنزل الذي توفي صاحبه وأنه ملك للحكومة.

تعودت إيمي إلى الشرق بحثا عن أمها ودخولها للجامعة مع عزمها على معرفة ما فعل الطب بأبيها "جورج وليمز"، تلتقي بالدكتور روس وتستجوبه عمّا حدث لوالدها دون أن تصل لإجابة، تتعرف على عنان رستم وتضغط عليه ليضغط على الدكتور كوون من أجل استقدام "زكي خليفة" والد نورا أليفتها في الغرفة الجامعية، يحضر زكي خليفة مناظرة عالمية حول المناخ بعد استدعائه، ثم يزور نورا في إقامتها مع إيمي وليمز برفقة عنان رستم، ويعود إلى إقامته في الفندق مع مرافقه عنان رستم.

"نورا" والفلك

نورا كليف، هكذا اسمها الجديد بعد هجرة أمها "سلطانة" إلى الغرب بُغية المال والشهرة عاشت مع إيمي وليمز في الغرفة الجامعية عرّفتها على عنان رستم الذي صار أليفها، ثم تعود نورا إلى بلادها مع جثمان والدها في السلطار.

الشاعر فتى جزائري ولد بالشرق الجزائري في الريف القسنطيني، لقب بهذا اللقب لأنه قال الشعر وهو في المدرسة الابتدائية، من عائلة فقيرة معدمة تسكن قرية أغلب رجالها صعدوا الجبال لمحاربة الاستعمار الفرنسي، تميز بذكائه الحاد ورزانة لم يحزها أقرانه من الأطفال لذلك شارك في خدمة جيش التحرير الوطني الذي كان يقوم بنقل رسائله وأوامر القادة من مكان إلى مكان، هو الطفل الوحيد من بين كل أطفال القرية الذي دخل المدرسة الفرنسية إضافة إلى الكتاب لحفظ القرآن، تدرج في دراسته حتى انتقل إلى الثانوية ودخل معهد العلوم الإسلامية برغبة منه لاكتشاف هذا العالم الذي يوليه أهل القرية مكانة عالية وتسعى فرنسا لطمسه، كان الوحيد من بين كل تلاميذ المدرسة الفرنسية الذي ينتمي لعائلة ثورية، فوالده وعمه "المختار" ضمن صفوف جيش التحرير، وحتى خطيبة عمه التي ساعدها يوما ما في أسر ضابط فرنسي أراد الاعتداء عليها، لازمته صفة النحالة والضعف الفيزيولوجي منذ صغره حتى سن الشباب بعد الاستقلال، يومها كان أستاذا بدرجة الدكتوراه في قسم العلوم الاجتماعية بالجزائر العاصمة يعيش لوحده في سكنه الوظيفي من دون زواج، حيث عاش منذ وصوله إلى الجامعة ينظر إلى الزواج والعلاقات العاطفية مجرد ملهيات تبعده عن مطالعة الكتب والبحث العلمي، لا أحد يزوره في مسكنه إلا أخته في مرات قليلة سعيا منها لإقناعه بالزواج والاطمئنان عليه، عاش الشاعر أحداث أكتوبر 1988 وكل ما نتج وجاء بعدها على الساحة الوطنية خاصة بحكم أنه ينتمي إلى الطبقة المثقفة من المجتمع، كما شهد أهم المحطات السياسية التي شهدتها الجزائر في مرحلة التسعينات وفوز الإسلاميين بالانتخابات، واستيلاء الجيش على السلطة بعدها وتغيير المسار الانتخابي والسياسي ككل، رأى احتجاجات الإسلاميين في ساحة الشهداء ومظاهراتهم ونشاطهم في العاصمة وخاصة في نواحي الحراش، عاش التوتر والانفلات الأمني في مدينة الجزائر العاصمة، وتعرف إثرها صدفة على القيادي في الجناح المسلح للإسلاميين الملقب "بعمار بن ياسر"، الذي ولد هو الآخر في عائلة ثورية، فوالده كان منخرطا في صفوف جيش جبهة التحرير، لكنه طلق أمه مباشرة بعد الاستقلال وتزوج امرأة ثانية أنجب منها أولادا، حصل بعد الاستقلال كغيره من عديد المجاهدين على عقارات ومستودعات وأراض ومحلات في ولايات ومدن مختلفة من الوطن، فانغمس في جمع المال واستثماراته ونسي أولاده من الزوجة الأولى المطلقة وحتى أولاده من الزوجة الثانية، كثيرا ما كان يدخل في نقاشات حادة مع ابنه عمار

بسبب اختلاف إديولوجيتيهما، فعمار الجامعي المتخرج من الجامعة تخصص محروقات ذو إيديولوجية أصولية، يقدس اللغة العربية ويكره اللغة الفرنسية عكس والده إضافة إلى تشبعه بالعلوم الإسلامية، تطورت علاقة الشاعر مع عمار بمرور الأيام فكلاهما مثقف يحسن فن التحاور والمناقشة إلى أن وعد عمار الشاعر بأنه سيكون أحد وزراء الدولة الإسلامية التي ستقوم بعد إسقاطهم للنظام السائد، في هذه المرحلة تعرف الشاعر على فتاة تسمى "زهيرة" تسكن إحدى أحياء مدينة العاصمة، أعجبته وأحبها لأنها لم تكن من الفتيات اللواتي يضفن مواد التجميل على وجوههن ويكشفن عن شعرهن ويمزجن اللغة الفرنسية بالعامية أثناء حديثهن، فهي محجبة ذات جمال طبيعي من عائلة تفتقر لعنصر الذكور، والدها تاجر ذو دخل متوسط ولها خمس أخوات وعدها بالزواج الذي كان حلمها أن يكون مع الشاعر، لكن الأقدار لم تسمح بذلك فقد اغتيل الشاعر بسبب علاقته التي كانت مع القيادي في الجماعات الإسلامية المسلحة عمار بن ياسر.

تلقاه مهريًّا من زعيم قبائل الآهجار، اعتنى به حتى كبر ونشأت بينهما علاقة حب كبيرة لأن أوخيد يعلم أن بعيره متميز عن كل الجمال الموجودة، كيف لا وهو من سلالة انقرضت، كان يصاحبه في كل الأوقات والأفعال، حتى وصل به الأمر إلى أن يأخذه في غزواته العاطفية على إحدى القبائل، فكان يعقله في الوادي مع نوق القبيلة ويتسلل إلى عشيقاته بين الخيام، ما تسبب لأوخيد بالفضيحة في إحدى الليالي ولمهريه بمرض الجرب الخبيث، عجز عن مداواته إلى أن همس له إمام القبيلة "الشيخ موسى" بالسرّ، ارتعب من الأمر لكنه قبله بعدها مضطرا من أجل شفاء الأبلق – مهريه-.

عمل بالسرّ وشفي الأبلق رغم الثمن الباهظ الذي دفعه "أوخيد" وصديقه المهري، عاد إلى القبيلة واستمرت الأيام حتى جاءت سنين القحط لتتسبب في قدوم حسناء من "آير" للعيش على تخوم مراعي القبيلة، أحبها "أوخيد" وتزوجها رغم رفض وعدم مباركة والده لهذا الزواج، فحرمه من الميراث وتبرأ منه فعاش أوخيد خارج القبيلة.

رُزِق "أوخيد" بولد ثمرة حب أعقبه زواج، لكن في هذه الأثناء شهدت الصحراء الشمالية انكسار المقاومة وتوغّل الغزاة نحو الجنوب، ما تسبب في وفاة والده وتفرق القبيلة، في خضم هذه الأحداث زار "أوخيد" رجل من "آير" يدعي القرابة من زوجته وجاء لزيارتها، فاطلع على نقطة ضعف "أوخيد" وهي حبه الكبير لأبلقه وتعلقه الشديد به.

اشتدت سنين الجدب والقحط وتذكر "أوخيد" وعده للآلهة "تانيت" الذي قطعه لها إن شفي أبلقه، ولكن أنّى له أن يوفي بوعده – نحر جمل سمين لها- وهو لم يجد ما يسد به رمق ابنه الصغير وزوجتهى في هذه الأيام عاد "دودو" الغني قريب زوجته "آيور" فاقترض منه أوخيد جملين ورهن له الأبلق، بعد شهور لم يستطع "أوخيد" رد القرض والصّبر على فراق مهريه وطالب "دودو" أن يعيده إليه لكن كان ردّ هذا الأخير صادما "لأوخيد"، يرده له مقابل أن يطلق زوجته ليتزوجها هو، فيكتشف بعدها أنها ابنة عمه التي أحبها ولم يتزوجها بسبب رفض والدها الذي توفي وجاء اليوم الذي يأخذها منه، بكى "أوخيد" في تلك الليلة لشدّة همّه، وفي الصباح طلب وثيقة الطلاق من القاضي وذهب بها إلى صحراء "دنبابة"، سلمها لـ "دودو" واسترد أبلقه.

عاش في الخلاء شهورا مع أبلقه سعيدا برفقته إلى أن جاء اليوم الذي التقى فيه بأحد الرعاة الذي أخبره بما تتحدث عنه كل قبائل الصحراء وهو بيع رجل لزوجته وابنه مقابل حفنتي تبر، آلمه ما سمعه من الراعي إلى حدّ وصوله حافة الجنون وأحسّ بفظاعة فعلته، فقرر العودة إلى "دودو" والانتقام منه لأنه أشاع الأمر، وبمجرد وصوله وجد القبيلة تقيم الطقوس استعدادا للعرس سأل "أوخيد" عن "دودو" ودلّه أحد

الفلاحين على مكان تواجده، قصد "أوخيد" عين الكرمة فوجده عاريًا يستحم استعدادا لليلة الدّخلة، قتله بصمت ونثر عليه حفنتي التّبر في البِرْكَة التي يرقد فيها، ثم هرب أوخيد إلى الجهة الشرقية واختبأ وأرسل أبلقه إلى الوديان السفلية ليرعى على أمل اللقاء بعد أن تخف حدّة البحث عنه.

جاء أبناء قبيلة دودو ليثأروا له، حريصين على التعجيل في الأمر من أجل تقاسم الثروة التي تركها وجدوه بعد أيام وليال من البحث المتواصل، حاصروه واستدرجوه بتعذيب أبلقه فجاءهم برجليه من قمة الجبل، فانتقموا منه وثأروا.

في سنة 1891 انطلق قطار من الجمال البالغ مئة وخمسين جملا من نهر النيجر متجها نحو الصحراء الموريطانية، لم يركب على ظهور الجمال المحملة سوى طفل لم يبلغ الرابعة عشرة من عمره، ينادونه "سلاك" بعدما كان اسمه "موسى"، وفي محطة من محطات الاستراحة للمسافرين توفي "أحمد سلوم" مالك "سلاّك" الذي اشتراه من النيجر.

استولى عليه "عبدالصمد" الذي كان من وجهاء تلك الرحلة، فغير له اسمه إلى "بلخير" بعدما صار مالكه وجعله راعيا لإبله، مضت سنون طويلة وبلخير راعيا للإبل حتى سرقته يوما ما قبيلة أخرى مع إبله وغيرت له اسمه إلى "مبروك" لتبقيه راعيا للإبل ويقوم على شؤونها إذا كان في القبيلة ارتحلت القبيلة كلها إلى الجهة الغربية ومعها قطعان إبلها يسوقها "مبروك"، وفي إحدى الليالي يزور القبيلة حَجَّاب يتهم "مبروك" الخادم العبد بأنه مصاص دماء، ثم يتوعد أسياده بمداواته، وبسبب هذا الأخير يتعرض لعذاب كبير من قبل أسياده وتهشم ذراعه ثم يفرّ في سبيل النجاة بحياته.

هرب "مبروك إلى الناحية الغربية وبعد ثلاثة أيام من السير وصل إلى ساحل المحيط، يجد قرية الصيادين (إيمرافن) ويقيم فيها حتى يتجاوز منتصف العقد الرابع من عمره، بعدما استقبلوه قبل سبع سنوات مضت وداووا ضعفه بسبب فقدان ذراعه، وأطلقوا عليه اسم "بوجناح"، يزور "بوجناح" قرية نواكشط بمعية ثلاثة صيادين حاملين السمك المجفف على ظهور الحمير لبيعها، فيقعوا في أسر الجنود الموريطانيين الذين يعملون لصالح الاستعمار الفرنسي، يكلف "بوجناح" مع أصدقائه الثلاثة وكل الأسرى بأن يسوقوا قافلة الجمال من نواكشط إلى الحدود الشمالية لموريطانيا تحت حراسة الجنود لإيصال المؤونة والسلاح للجيش في الشمال.

يطلق الجنود الصيادين الثلاثة ويعودون من منتصف الطريق ويواصل "بوجناح" مع القافلة، ليتهم بعدها بالسرقة ويسجن تسع سنوات في سجن مدينة "أطار" بدون محاكمة، "سيفيل بوجناح هذا هو اسمه منذ انضمامه إلى القافلة إلى غاية خروجه من السجن ورحيله مع أحد الجنود خادما إلى قاعدة متنقلة شمال مدينة "وادان"، مرت سنون على "سيفيل بوجناح" وهو خادم متنقل مع القاعدة، ثم يسجن بعدها في حفرة عميقة بتهمة التقاعس عن أداء مهامه، ثم يحرره الجندي الذي جاء به إلى القاعدة بسبب رحيل هذه الأخيرة نهائيا واستقلال موريطانيا، يعيش بعداها "سيفيل بوجناح" في مدينة "أطار" بمعية التاجر"حمادة ولد الزبير في كوخ.

برحيل "حمادة ولد الزبير" يرحل "سيفيل بوجناح " إلى مدينة "القوارب" مع سائق الشاحنة السنغالي "علي شيخو"، يعيش في هذه المدينة سنتين يعمل فيها سائق قطعان إبل وقاطع علك، ثم يعود بعدها

إلى شمال نواقشط مع "علي شيخو" سائق الشاحنة، وبمجرد دخول الشاحنة قرية نواكشط تعرضت للتفتيش من قبل الدرك الموريطاني واحتجز ثلاثة رجال لعدم توفرهم على بطاقات التعريف منهم "سيفيل بوجناح" ثم يطلق سراحه في صباح اليوم التالي بعد دفعه غرامة مالية، ساق بعدها "سيفيل بوجناح" الإبل متجها إلى الشمال قاصدا جنوب المغرب، لكنه لم يكمل الرحلة بسبب ضعفه فأعفاه صاحب الإبل في مدينة "إقليم"، رحل بعدها إلى مدينة "تيندوف" ثم "الزويرات".

عاش "سيفيل بوجناح" مدة من الزمن في هذه المدينة بعدما تكفل به مجموعة من الرجال المتحمسين في عملهم السياسي السري ومنحوه اسما جديدا هو "بابا الكبير"، ثم انتقل "بابا الكبير" بعدها إلى مدينة "أنْوَاذِيبو" وهو يعاني من آلام الظهر والركبتين وأعراض الشيخوخة، عاش فيها مدة من الزمن تحت رعاية الشباب التي لم يعرف لها سبب مبرر، ثم يرحل بعد مدة إلى نواكشط لزيارة أحد أصدقائه سمع بمرضه، يصل نواكشط وقد مات صديقه ولم يره، قضى سنة 1970 كلها في العاصمة نواكشط يتنقل من كوخ لآخر بين الأصدقاء، وفي هذه السنة منحه الأصدقاء اسما جديدا هو "بابا الحكيم"، وهو جالس في إحدى الأيام يتحدث مع صديق له طلب منه بعد أن يموت تغيير اسمه من "بابا الحكيم" إلى "موسى ولد سليمان" (وهو اسمه الأول عندما كان صغيرا في قريته بالنيجر)، وبعد سنة من قدوم بابا الحكيم إلى نواكشط هاهو يعيش اللحظات الأخيرة من عمره وهو يهذي ببعض أسراره ومحطات حياته، مات وعمره يزيد عن التسعين عاما.

قائمة المصادر والمراجع

أ- الروايات:

1.إبراهيم الكوني ، التّبر، دار التنوير للطباعة والنشر، ط3، لبنان، 1992.

2.أحمد ولد عبد القادر، الأسماء المتغيرة، رواية، دار الباحث، دط، لبنان، دت.

3.شكري المبخوت، الطلياني، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، تونس، 2014.

4.الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، مؤسسة دار الهلال، الجزائر، 1994.

5.عبد الله العروي، الآفة، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2006.

ب- المراجع والمصادر:

1. إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي دراسة سطحية، دار التنوير، ط1، الجزائر، 2013.

2. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مج04، دط، القاهرة، دت.

3. إلود إيش، د. و. فوكما، منهاج الدراسة الأدبية وخلفياتها النظرية والفلسفية، تر: محمد العمري، مجلة دراسات أدبية لسانية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ع2، شتاء 1987.

4. بوريس إيخنباون وآخرون، نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيون الروس)، تر إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1982.

5. جوزيف كورتيس، سميائية اللغة، تر: د.جمال حضري، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2010.

6. جون إيف تاديه، النقد الأدبي في القرن العشرين، تر: قاسم المقداد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1993.

7. حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2010.

8. حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، 2000.

9. حنا نصر الحتّي، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2003.

10. خالد بن ناصر العتيبي، الشاذلية عرض ونقد، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، مج01، الرياض، 2011.

11. دانيال تشارلز، أسس السميائية، تر: د.طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2008، ص186.

12. دليلة مرسلي وأخريات، مدخل إلى التحليل البنيوي للنصوص، دار المحادثة، ط1، 1985.

13. راضية لرقم، الخطاب السردي في الشعر العربي القديم، دار التنوير، ط1، الجزائر، 2013.

14. رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006.

15. روبرت شولز، البنيوية في الأدب، تر: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1984.

16. رولان بارت، مدخل إلى التحليل البدوي للقصص، منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1993.

17. سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية، (رواية الشراع والعاصفة نموذجا)، دار مجدلاوي، ط1، الاردن، 2003.

18. سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي- البناء الفني، جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 1994.

19. السعيد بوطاجين، الإشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد "لابن هدوقة"، منشورات الإختلاف، ط1، الجزائر، 2000.

20. شريبط أحمد شريبط، سميائية الشخصية الروائية، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، بجامعة عنابة (السميائية والنقد الأدبي) الجزائر، 1995.

21. شفيق الأرناؤوط، قاموس الأسماء العربية، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1989.

22. شلوميت ريمون كنعان، التخييل القصصي، الشعرية المعاصرة، تر: لحسن أحمامة، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1995.

23. عبد الحميد محمود طهماز، السيدة خديجة أم المؤمنين، دار القلم، ط02، 1996،.دمشق.

24. عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص السردي، الرواية نموذجا، مجلة علامات مكناس المغرب، ج35، مج 9، مارس 2000م.

25. عبد المجيد نورسي، التحليل السميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية، التركيب، الدلالة)، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2002.

26. فانسون جوف، أثر الشخصية، تر: لحسن أحمامة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، سوريا، 2012.

27. فرج جبران، ستالين، ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

28. فلاديمير بروب، مرفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، 1986.

29. فليب هامون، سيميولجيا الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد وعبد الفتاح كليطو، دار الحوار، ط1، سوريا، 2013.

30. فيصل الأحمر، معجم السميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الاختلاف ، ط1، بيروت، الجزائر، 2010.

31. قادة عقاق، السميائيات السردية، دار النشر الجامعي الجديد، ط1، تلمسان،2016.

32. كلود ليفي شتراوس، البنية والشكل، تأملات في مؤلف فلاديمير بروب، مساجلة بصدد علم تشكل الحكاية، تر: محمد معتصم.

33. مارسيلو داسكال، الاتجاهات السميولوجية المعاصرة، تر: حميد لحميداني وآخرون افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987.

34. مجموعة من المؤلفين، السميائية، الأصول، القواعد التاريخ، تر: رشيد بن مالك دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008.
35. محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي(نظرية غريماس)، الدار العربي للكتب، تونس، 1993.
36. محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، ط1 الجزائر، 2010.
37. محمد فليح الجبوري، الاتجاه السميائي في السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2013.
38. محمد فؤاد شكري، ألمانيا النازية دراسة في التاريخ الأوروبي المعاصر، مؤسسة هنداوي سي آي سي، القاهرة، 2017.
39. ناهضة عبد الستار، بنية السرد القصص الصوفي المكونات والوظائف والتقنيات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
40. وليد ناصف، الأسماء ومعانيها، دار الكتاب العربي، ط1، سوريا، 1997.

ج- قائمة المصادر باللغة الأجنبية:

1. A. J. Greimas, Du Sens, Essai Sementique, Ed, Senil, Paris, 1970.
2. A.J. GREIMAS, Sémantique structurel, éd: presses universitaires de France,1986.
3. Anne UBERSFELD, lire le théàtre 1, Editions Belin 1996.
4. philippe HAMON, le personnel du roman, le systéme des personnages dans les rayons Macquart d Emile zola, Edition, librairie droz S.A, Genève, 1998.
5. Tzvetan TODOROV, les catégories du récit, in communications, 8 l analyse structurelle du récit, éd : du Seuil, 1981.

د- الرسائل:

1. نبيلة زويش، الشخصية بين النظرية والتطبيق "اللاز" و "العشق والموت في الزمن الحراشي" للطاهر وطار أنموجاً، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، تخصص تحليل الخطاب، إشراف عبدالحميد بورايو، جامعة الجزائر02، 2012-2011.

هـ- المواقع الالكترونية:

1) http://www.amazighworld.org/arabic/history/index_show.php?id=4044
2) https://army.alafdal.net/t32053-topic
3) https://foulabook.com/ar/author
4) https://shamela-dz.net/?p=112 .
5) https://waqfeya.net/book.php?bid=8553 .
6) https://www.aa.com.tr/ar
7) https://www.almrsal.com/post/533553
8) https://www.arageek.com/2015/05/16/wealth-of-nations-book.html.
9) https://www.djazairess.com/echchaab/18760.

و- المجلات:

1.تر: سيرين الحاج حسين، كارل ماكس، مجلة حكمة، ، 24، 05، 2018.

2.حارش محمد الهادي، أصول عبادة بعل حمون في قرطاج، مجلة الجزائر، ع03، جامعة الجزائر، 1977م.

فهرس المحتويات

	المحتوى	الصفحة
1.	مقدمة.....	04_01
2.	**مدخل:**المرجعيات السميائية السردية لمشروع الشخصية عند فليب هامون.	06
3.	1.وظائفية فلاديمير بروب.....	07
4.	2.الاشتغال العاملي عند الجيرداس جوليان غريماس.....	12
5.	3.المشروع السميائي للشخصية السرّدية عند فليب هامون.....	23
6.	**الفصل الأول:** نظام الشخصيات في رواية "الطلياني" لشكري المبخوت	34
7.	1.مدلول الشخصيات	34
8.	2.مستويات وصف الشخصيات	55
9.	3.دوال الشخصيات.....	77
10	**الفصل الثاني:** نظام الشخصيات في رواية "الآفة" لعبد الله العروي.....	88
11	1.مدلول الشخصيات	88
12	2.مستويات وصف الشخصيات	114
13	3.دوال الشخصيات.....	137
14	**الفصل الثالث:** نظام الشخصيات في رواية "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطار	143
15	1.مدلول الشخصيات	143
16	2.مستويات وصف الشخصيات	166
17	3.دوال الشخصيات.....	190
18	**الفصل الرابع:** نظام الشخصيات في رواية "التّبر" لإبراهيم الكوني.....	198
19	1.مدلول الشخصيات	198
20	2.مستويات وصف الشخصيات	213
21	3.دوال الشخصيات.....	239
22	**الفصل الخامس:** نظام الشخصيات في رواية الأسماء المتغيرة "لأحمد ولد عبد القادر	246
23	1.مدلول الشخصيات	246
24	2.مستويات وصف الشخصيات	273
25	3.دوال الشخصيات.....	298

26	خاتمة.....	306
27	الملاحق.....	311
28	قائمة المصادر والمراجع.....	324
29	فهرس المحتويات.....	330

ملخص :

درسنا في هذه الأطروحة عنصر الشخصية السردية في الرواية المغاربية من خلال مدخل وخمسة فصول، أمّا المدخل فقد تعرضنا فيه بالتوضيح لأهم الخلفيات النظرية التي اعتمدها فليب هامون في تأسيسه لمشروعه السميائي "نظام الشخصية السردية" ثمّ عرضنا أهم أفكار وإجراءات هذا المشروع، في حين أن الفصول الخمسة كلها كانت تطبيقية وركزنا في كل فصل منها على دراسة رواية مغاربية وهي على الترتيب (**الطلياني** لشكري المبخوت– تونس–، **الآفة** لعبد الله العروي – المغرب–، **الشمعة والدهاليز** للطاهر وطار –الجزائر–، **التّبر** لإبراهيم الكوني – ليبيا–، **الأسماء المتغيرة** لأحمد ولد عبد القادر – موريطانيا–)، تناولنا بالتحليل في كل فصل دال ومدلول الشخصيات ومستويات وصفها وفق إجراءات مشروع "نظام الشخصية السردية" الذي جاء به فليب هامون، وأنهينا الأطروحة بخاتمة وملخص للروايات.

الكلمات المفتاحية: الشخصية، مدلول الشخصية، دال الشخصية، الرواية، دور عاملي، المربع السميائي، البنية السردية، السارد.

Résumé :

Dans cette thèse, nous avons examiné le personnage narratif dans le roman maghrébin à travers une préface et cinq chapitres. Quant à la préface, nous avons présenté avec clarification les antécédents théoriques les plus importants adoptés par Philippe Hamon pour établir son projet sémiotique "le système du personnage narratif", puis nous avons présenté les idées et procédures les plus importantes de ce dernier, tandis que les cinq chapitres étaient tous pratiques et nous nous sommes concentrés dans chaque chapitre sur l'étude d'un roman maghrébin, qui sont respectivement: (*Al Taliani* (l'italien) de Choukri Mabkhout – Tunisie -, *Al Afah* (le fléau) d'Abdallah Laroui – Maroc-, Al Cham'aa Wa Dahaliz (la bougie et les corridors) de Tahar Ouettar – Algérie-, *Al-Tibr* (Poussières d'or) d'Ibrahim El Kony – Libye-, *Al-Asmaa Al Mutaghayira* (les noms variables) d'Ahmed Ould Abdelkader – Mauritanie-) et nous avons achevé la thèse par une conclusion et un résumé des romans.

Mots clés: personnage, signification du personnage, signifiant du personnage, roman, rôle actanciel, carré sémiotique, structure narrative, narrateur.